العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني

(١٧٤٥ - ١٩١٤م)

أ د. زكريا قورشون

الدار العربية للموسوعات

العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني (١٧٤٥ ـ ١٩١٤ م)

أ د. زكاريا قورشون

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الأولى

٢٠٠٥ م ــ ١٤٢٥ هـ



الدار العربية للموسوعات

الحازمية ـ ص.ب: ٥١١ ـ هاتف: ٩٥٢٥٩٤/ ٠٠٩٦١٥ ـ فاكس: ٤٥٩٩٨٢/ ٠٠٩٦١٥
هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣/ ٠٠٩٦١٣ ـ ٥٢٥٠٦٦/ ٠٠٩٦١٣ ـ بيروت ـ لبنان
الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com
البريد الإلكتروني: info@arabenchouse.com

مؤسسها ومديرها العام: خالد العاني

فهرس المحتويات

الصحيفة

مقدمة الطبعة العربية

نُشرت الطبعة التركية من هذا الكتاب في عام ١٩٩٨م، ثم قمنا بعدها بعدة محاولات لنشر طبعته العربية إلاّ أن ذلك لم يتحقق. أما الآن، وبعد إصرار العديد من الزملاء والأصدقاء في مختلف الدول وعلى رأسها الدول العربية وكذلك المعنيين بتاريخ منطقة الخليج التي تعد من أكثر المناطق حرارة في العالم فقد قررنا نشره بالعربية أيضاً.

وهذه الدراسة التي بين أيديكم قد ظهرت في الأساس كثمرة للاهتمام المحسوس بتاريخ البلدان العربية في العهد العثماني بعد أن تعرض للإهمال في تركيا سنوات طويلة. وكانت الدول أو الشعوب قد تأثرت بالتيارات الفكرية التي بدأت في القرن التاسع عشر ثم شملت العالم كله في القرن العشرين، وبدلاً من أن تتصارح مع تاريخها سعت لوضع تاريخ مصطنع لنفسها. ولا شك أن الترك والعرب قد أخذوا نصيبهم من ذلك التيار. ويجب علينا الإشارة بكل الأسف أن الأتراك والعرب الذين يتقاسمون تاريخاً مشتركاً امتد لأربعة قرون لم يُقَدِّموا لنا البحوث والدراسات الكافية التي تلقي الضوء على تلك الشراكة. أما في السنوات الأخيرة فقد بدأت الدراسات التاريخية تسجل زيادة ملحوظة سواء في تركيا أم في البلاد العربية. وعلى الرغم من أن البحوث والدراسات التي أجريت لا زالت تحمل أثر المفاهيم القديمة إلاّ أن الواضح بجلاء فيها كلها تقريباً أن هناك محاولة للتلاقي مع حقائق التاريخ والمصارحة في عرضها. وهذه الدراسة التي بين أيدينا هي ثمرة لمحاولة من هذا القبيل.

وكما أشرنا في مقدمة الطبعة التركية للكتاب فإن هذه الدراسة ليست تاريخاً خاصاً بمنطقة نجد والأحساء، إذ ظهرت قبل ذلك في هذا الموضوع - ولا زالت تظهر - دراسات عديدة. والغاية الأولى من هذه الدراسة هي استعراض المرتكزات التي قامت عليها سيادة الدولة العثمانية ومشاكلها وجوانب ضعفها في المناطق البعيدة عن مركزها في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. ولم يكن القرن الثامن عشر عهد تراجع

وتأخر بالنسبة للدولة العثمانية، وذلك على عكس بعض المزاعم. فلا شك أن ذلك العهد هو العهد الذي حاولت فيه الدولة العثمانية تحويل ديناميتها الداخلية إلى كيان يعتمد اللامركزية أكثر ليتجاوب مع التغيرات التي طرأت على العالم. إلاّ أن الدولة العثمانية مع دخول القرن التاسع عشر بدأت تعيش عدداً من التناقضات في آن واحد. فاعتباراً من الربع الأول من القرن التاسع عشر سعى المسئوولون لتغيير الهيكل الذي كان قائماً في القرن الثامن عشر، وصرفوا جهودهم لتشكيل نظام إداري أكثر مركزية، مما كان سبباً في ظهور مناهضة العديد من القوى المحلية التي تخوفت من ضياع امتيازاتها القديمة. وعلى الجانب الآخر فإن الجهود التي بُذلت من أجل "عثمنة" أراضي الدولة وضمان تكاملها مع المركز وربطها به في مواجهة الأمبريالية الأوربية المتجهة إلى الأراضي العثمانية قد جاءت معها بالعديد من المشاكل والمصاعب الجديدة. والشاهد على ذلك أن غاية هذا الكتاب هي مناقشة تلك المشاكل على مستوى نجد والأحساء، أو بتعبير آخر، على مستوى منطقة خليج البصرة. كما أن من أهداف هذا الكتاب في مواجهة المزاعم الجديدة التي ظهرت هو تعيين المواقف سواء من طرف الدولة العثمانية وسواء من القوى المحلية التي تأثرت بشكل مباشر من تلك المزاعم في منطقة خليج البصرة ودواخله التي تحولت إلى ساحة صراع مع عدد من القوى الأوربية وعلى رأسها الانجليز.

ولا بد من القبول أن أهم حدث ديني وسياسي أثّر في منطقة خليج البصرة في العصر الحديث هو الحركة الوهابية وقيام الدولة السعودية التي تشكل الموضوع الأساسي في هذا الكتاب. فالوهابية باعتبارها حركة دينية قد أثارت موجات من الجدل الواسع بين كافة الطوائف الإسلامية. أما ظهور السعوديين واشتداد شوكتهم في السياسة باعتماد تلك الحركة أساساً لهم، وخاصة بعد استيلائهم على الحرمين الشريفين وإن كان لمدة قصيرة، فقد زعزع – ولا شك – من هيبة العثمانيين في نظر المسلمين. ولأجل هذا فإن النظر من هذه الزاوية إلى العلاقات العثمانية السعودية سوف يكون من شأنه تصحيح العديد من المفاهيم الخاطئة التي طُرحت حتى اليوم. والواقع أن الهدف الثاني من هذه الدراسة هو تلك النقطة، فلم نهدف فيها إلى كتابة تاريخ الوهابية كحركة دينية مستقلة، ولا إلى كتابة تاريخ السعوديين كحركة سياسية. ولهذا السبب حرصنا – وعن وعي كامل – على

الابتعاد عن الكثير من التفاصيل المتعلقة بكلا الموضوعين. والنقطة التي وددنا التوصل إليها في الأساس هي الكشف عن ردود فعل الدولة العثمانية التي وقعت بين شقي رحى القوى الأوربية من ناحية وحركة محلية دينية وسياسية من ناحية أخرى. ومن ثم كان مصدرنا الأساسي في هذا الكتاب هو الوثائق العثمانية. ولهذا السبب أيضاً فإن كل الأفكار المطروحة في هذا الكتاب إنما تعكس وجهة نظر الدولة العثمانية دون غيرها، أو بمعنى آخر فإن الكتاب قد اضطلع بمهمة النافذة المفتوحة من مركز الدولة العثمانية على الأطراف. وتَشَكَّل أسلوب الكتاب والمفاهيم المستخدمة فيه والنتائج التي تم التوصل إليها نتيجة لمعطيات الوثائق العثمانية وليس نتيجة لفكر المؤلف وتوجهاته. وعلى القارئ أن يُقدِّر أن هذا الموقف إنما هو من ضرورات التمسك بالحقيقة التاريخية والمنهج العلمي السليم.

ولا شك أن المصدر الوحيد الذي لا يمكن الاستغناء عنه أبداً في كتابة التاريخ التركي العربي المشترك هو مجموعات الوثائق التي انتقلت إلينا عن الدولة العثمانية والمحفوظة اليوم في أرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول. ونحن من جانبنا قد أنجزنا القسم الأعظم من هذه الدراسة معتمدين على الوثائق الموجودة في ذلك الأرشيف. ولكننا مع ذلك قد تعرضنا للعديد من الصعوبات للخروج بمثل هذه الدراسة، وذلك بسبب طبيعة موضوعها وخصائص الأرشيف نفسه. فعلى الرغم من كثرة الوثائق المتعلقة بنجد والأحساء في الأرشيف العثماني إلاّ أنها موزعة على أقسام عديدة ومتفرقة فيه، أو بتعبير آخر، فإن كل مجموعة محفوظة في الأرشيف تضم وثائق تتعلق بموضوع الدراسة. وإن كان ذلك يبدو للوهلة الأولى وكأنه ميزة إلاّ أن هذا الوضع يمثل فخاً لأي باحث، إذ من المحتمل في كل وقت أن يخرج الباحث عن موضوعه وينزلق إلى مزالق أخرى. كذلك فإن اختلاف الوثائق العثمانية في خصائصها اللغوية والإملائية واحتوائها على المعلومات بشكل مستفيض أحياناً وموجزٍ أحياناً أخرى قد دفعنا لقراءة آلاف الوثائق بشكل مقارن. كما كان هناك صعوبة أخرى واجهتنا، ألا وهي القراءة الصحيحة للأسماء وخاصة ما يتعلق منها بالأماكن والأشخاص والعشائر والقبائل وما يشبه ذلك. فقد توجد أحياناً أسماء

عديدة قد ترد بشكل مختلف عما هو متعارف عليه لأسباب تتعلق بوضع الشخص الذي قام بكتابة الوثيقة.

ومع ذلك فقد أفدنا من الأدبيات التاريخية هنا، وجعلنا الأساس هو الكتابة الصحيحة للأسماء أو على الأقل التمسك بالشكل الإملائي الموجود في الوثيقة.

ولا يفوتني أن أذكر العون الذي لقيته من أشخاص ومؤسسات عدة أثناء الدراسة يعجز لساني عن تعدادها هنا إسماً إسماً، وأرى نفسي مديناً بالشكر للجميع. ومن المحقق أن هذه الدراسة سوف تشوبها بعض النواقص كما هو الحال في كافة الدراسات، فهذه النواقص من مسئوليتي المباشرة. وكل ما نسعى إليه هو الابتعاد عن الأحكام المسبقة بكل أشكالها والإسهام بإضافة متواضعة إلى التاريخ التركي العربي المشترك. وأملي كبير أن ذلك سوف يفضي إلى تلقي تلك النواقص بصدر رحب.

استانبول ٢٠٠٤

الأستاذ الدكتور
زكريا قورشون

مختصرات المصادر

A.g.e	المصدر السابق
A.g.m.	المقالة السابقة
B.O.A.	أرشيف رئاسة الوزراء العثماني
C.	المجلد
Çev.	ترجمة
EI.	دائرة المعارف الإسلامية
İA.	دائرة المعارف الإسلامية (التركية)
IJMES.	International Journal of Middle- East Studies
İÜTED.	مجلة معهد التاريخ بجامعة استانبول
İÜTY	مكتبة جامعة استانبول – مخطوط تركي
MES.	Middle- East Studies
Nr.	رقم (تركي)
Nu.	Number
S.	صحيفة (تركي)
P.	صحيفة (افرنجي)
STAR.	*Studies on Turkish Arab Relations*
TDVİA.	دائرة معارف وقف الديانة التركي
Vd.	وما يليها (للصفحات)
Vol.	جلد

المدخل

الموقع الجغرافي لمنطقة نجد



المدخل

الموقع الجغرافي لمنطقة نجد وتركيبها الاجتماعي والإداري

أولاً: جغرافية منطقة نجد

لابد في البداية من تعريف جغرافي لمنطقة نجد، فهذه المنطقة بموقعها الجغرافي الطبيعي تتميز بفروق جغرافية سياسية، ولا سيما في القرن التاسع عشر الذي هو موضوع بحثنا. ولعل ذلك هو السبب وراء تباين الآراء بين بعض الباحثين الذين تناولوا التاريخ السياسي لمنطقة نجد في وضع تعريف صحيح لها. وهذا التباين ناشئ من التركيب السياسي في العهود المختلفة أكثر من التركيب الجغرافي للمنطقة. بل يمكن القول عند النظرة الأولى للوثائق والكتابات العثمانية إنها تنطوي على اضطراب مشابه. ولا يتضح القصد من كلمة نجد في وثائق القرنين التاسع عشر والعشرين إلا بعد فحص جيد.

ومنطقة نجد داخل الجزيرة العربية[1] واحدة من ثلاث مناطق تشكل الأقسام الداخلية فيها[2]، وتعني في المعجم الأرض العالية، ويحدها من الشمال جبل شمر،

---

(١) قام الجغرافيون القدامى من اليونانيين والرومانيين بتقسيم الجزيرة العربية إلى ثـلاث مناطق هي : (Arabian Desert) و (Arabian Felix) و (Arabian Petrad) ، بينما قسمها الجغرافيون العرب إلى خمس مناطق هي : بلاد اليمن وتضم حضرموت والحمرا و عمان والشحر ونجران، ومنطقة في ساحلها الغربي، ونجد التي تضم الرلوبي المركزية، ثم منطقة تهامة واليمامة فيما بين اليمن والحجاز. (علي رضا سيفي ، جزيرة العرب وتاريخ سياسىء آخرينه عايد بيرقاج سوز، دوننما مجموعه سي، حزيران ١٣٢٦ [رومي] ، نمرو ٤ ، ص ٣١٥ – ٣١٦).

(٢) المنطقتان الأخريان هما البادية والدهناء (إبراهيم رفعت، مرآت الحرمين، قاهره ١٩٢٥، ١/١٤٧).

ومن الغرب منطقة الحجاز، ومن الجنوب الربع الخالي، ومن الشرق الدهناء أو منطقة الأحساء[٣].

وحدود هذه المناطق التي تحيط بنجد ليست محددة بخطوط قاطعة، ومن ثم قد تُعرض أحياناً بأشكال متباينة[٤]. وهي – في تعريف آخر يعتمد في الغالب على خرائط العهد الأخير ويضع في الأساس مواضع الاستيطان – تنقسم إلى قسمين: نجد الحجازي ونجد العارضي. وكل منطقة من هاتين المنطقتين أيضاً يتم تقسيمها إلى خمس مناطق[٥]. ولكن هذا التصنيف يتفق والوضع الجغرافي السياسي لنجد أكثر من اتفاقه مع التركيب الطبيعي لها. فإن منطقة ما قد يُصطلح على أنها تقع داخل حدود نجد الحجازي ثم يظهر ما هو عكس ذلك بين حين وآخر وتكون تابعة لمشيخات نجد العارضي[٦].

فالحدود والشكل الجغرافي السياسي لنجد يكشفان بين الحين والآخر عن فروق تظهر في غمار التطور التاريخي للكيانات السياسية المنبثقة في المنطقة. وتلك

---

(٣) للتعرف على تعريفات جغرافية مختلفة لمنطقة نجد أنظر: محمود شكري الألوسي، تاريخ نجد، القاهرة ١٣٤٣، ص ٧-٣٠، وأمين ريحاني، نجد وملحقاته، بيروت ١٩٨١م، ص٢١-٣٠ (وهذا الكتاب أيضاً يتحدث عن صعوبة تثبيت حدود نجد، ثم يذكر جغرافيا المنطقة في السنوات التي سيطر فيها عبد العزيز بن سعود بشكل تام على المنطقة). وحسين خلف الشيخ حزعل، تاريخ الجزيرة العربية، بيروت ١٩٦٨، ص١٣.

(٤) هناك مثلاً ضابط عثماني ذهب إلى المنطقة ضمن عملية عسكرية عام ١٩٠٤-١٩٠٥م وقام بوضع دراسة قيمة لكنها غير معروفة كثيراً ذكر برية الشام بدلاً من جبل شمر، ويضيف إلى الحجاز منطقة عسير أيضاً (حسين حسني، نجد قطعة سنك أحوال عموميه سى، قسطنطينية ١٣٣٧، ص ٩-١٠.

(٥) لأجل تصنيف مثل هذا أنظر: الأرشيف العثماني (YEE,14/256/126/8). وهي عريضة مقدمة للسلطان من قبل زهير زاده أحمد عام ١٨٨٦م، وتقول إن منطقة نجد هي نجد الحجازي ونجد العارضي، وهاتان المنطقتان تنقسمان فيما بينهما إلى خمسة أقسام، هي: نجد الحجازي وفيه القصيم (الذي يضم مركزين كبيرين هما عنيزة وبريدة)، وجبل شمر (ومركزه مدينة حائل)، والوشم (ومركزه شقرا)، والمحمد وسدير (والمركز المجمعة). أما نجد العارضي ففيه وادي حنيفة واليمامة (ومركزهما الدرعية التي هي المركز الأول للحركة الوهابية)، وقراء الخرج، وقراء الفلاج ووادي الدواسر.

(٦) تقول الوثيقة السابقة إن عنيزة كانت تقع في عام ١٨٨٦م تحت حكم ابن الرشيد، بينما يقول حسين حسني إنها منطقة مستقلة عن إمارة ابن الرشيد في عام ١٩٠٤-١٩٠٥م (حسين حسني، المصدر السابق، ص ١٢).

حقيقة واقعية يكمن وراءها العديد من الأسباب السياسية والاجتماعية. والأمر الذي نسعى لمناقشته هنا هو أبعاد السيادة العثمانية على المنطقة والجغرافيا السياسية التي أفرزتها تلك السيادة.

تجمع الآراء على أن نجد ومنطقة الأحساء[٧] في قلبها وأهم قطعة فيها قد دخلت تحت السيادة العثمانية في زمن السلطان ياووز سليم (١٥١٩م)[٨]. ولكن على الرغم من ذلك فإن الواقع يكشف أن السيادة بدأت بوصول العثمانيين إلى سواحل خليج البصرة على أيام السلطان سليمان القانوني. إذ تدلنا المصادر التارخية على أن رسلاً من القطيف والبحرين – وهما امتداد للأحساء– قد وصلوا إلى السلطان العثماني عندما كان في بغداد أثناء حملة العراقين (١٥٣٤م)، وعرضوا عليه قبول الطاعة[٩]. وكان التفكير آنذاك في قطع الطريق على البرتغاليين الذين يشكلون خطراً على العالم الإسلامي من ناحية[١٠]، وضمان الحصول من ناحية أخرى على المزايا الاقتصادية التي يستلزمها أمر السيطرة على طريق الحرير القادم من تبريز مروراً بأرضروم وتوقاد وصولاً إلى بورصة، وكذلك على طريق التوابل المار على البصرة وبغداد وحلب؛ فاستقر العثمانيون على سواحل خليج البصرة، ولكن من غير المعروف بشكل جازم كيف أدخلوا تحت سيادتهم منطقة الأحساء التي تطل على شواطئ خليج البصرة في الجزيرة العربية. والأمر المعلوم هو أن محمد

---

(٧) تقع منطقة الأحساء على الساحل الشرقي في الجزيرة العربية (على شاطئ خليج البصرة)، وتحدها الكويت وقطر من الشمال، وصحراء جافورا في الجنوب، وصحراء الصمان في الغرب (لوريمر، دليل الخليج، قطر [بدون تاريخ]، جـ٣، ص٨٣٨/قسم التاريخ).

(٨) سالنامه* ولايت بصره ١٣٠٨ (الطبعة٤) ص١٧٣.

(٩) نفس المصدر، ص١٦٣؛ وانظر أيضاً:

Alı Haydar Midhat, *Midhat Paşa, Hayat-ı Sıyasiyesi, Hidematı, Menfa Hayatı*, Istanbul 1325.s.104; S H. Longringg, *Four Centurıes of Modern Iraq*, Oxford 1925, P.25, 38 (هامش).

(١٠) في ذلك التاريخ كان والي المستعمرات البرتغالية في الهند يتطلع للاستيلاء على البحر الأحمر، وتغيير مجرى نهر النيل، بل والاستيلاء على مكة المكرمة وغير ذلك، وكانت للحكام المسلمين شكلواهم إلى استانبول (على رضا سيفي، المقالة السابقة، دوننما مجموعه سى، تموز ١٣٢٦، نمرو ٥،ص٤٠٤).

باشا بكلربكي البصرة قد أصدر أمراً قاطعاً بتأسيس سيادة الدولة في الأحساء(١١). وفي البداية جرى حكم الأحساء بشكل مباشر(١٢)، ثم لم تلبث الدولة بعد ذلك أن بدأت في حكمها في إطار نظام الأيالة العثماني ونظام الــ (ساليانة)١٣، (تحت اسم بكلربكية الحسا)(١٤). وعلى حد علمنا فإن أول جامع عثماني أقيم في المنطقة هو الجامع الذي أنشأه محمد باشا عام٩٦٣هــ/١٥٥٥م(١٥). وأقدم أثر عثماني لا يزال قائماً في الأحساء إلى اليوم جامع على الطراز الاستانبولي أقامه أحد الباشوات

---

(١١) حول نزول العثمانيين إلى خليج البصرة وتشكيل بكلربكية البصرة انظر:
Salih Özbaran (XV. Yüzyılda Basra Körfezi Sahillerinde Osmanlılar-Basra Beylerbeyliği'nin Kuruluşu), *İÜEFTD*, sayı 25, İstanbul 1971, s. 51-65.

(١٢) انظر على حيدر، ص١٠٤. وحول ردود فعل من البدو إزاء دخول المنطقة تحت السيادة العثمانية والترتيبات التنظيمية التي أجريت هناك انظر: George William Frederick Stripling, *The Ottoman Turks and the Arabs 1511-1517*, Urbana 1942, p.81-87

(١٣) Cengiz Orhonlu, *Osmanlı İmparatorluğunun Güney Siyaseti Hebeş Eyaleti*, İstanbul 1974, s.103-104. وللتعرف على الأهمية الاقتصادية للمنطقة في الفترة الكلاسيكية من عمر الدولة العثمانية انظر:
Ahmet Tabakoğlu, "The Economic Importance of the Gulf in the Ottoman Era" *STAR* 1983/3, p. 159-166.

(١٤) Andreas Birken, *Die Provinzen des Osmanischen Reiches*, Wiesbaden 1976, p. 231. وقد ذكر يلماز أزطونة أيضاً تعريفاً للأحساء كإيالة عثمانية فقال: مركز إيالة الأحساء هي القطيف، وقد أقيمت عام ١٥٥٥م لفترة ثم ألغيت. وصحراؤها التي تبلغ مليون وأربعمائة وخمسين ألف كيلومتر مربع كانت تسيطر على كل الشواطئ الغربية لخليج البصرة، وتمتد فيما بين البصرة ومضيق هرمز. وهي اليوم تشتمل على نجد والأحساء من أراضي المملكة العربية السعودية وعلى الكويت والإمارات العربية والقطر والبحرين، وتسيطر على العرب هنا وعلى أمراء ومشايخ البدو. وقد انقسمت القطيف إلى سنجقي البحرين (المنامة) والحفوف، ثم زاد عدد السناجق بعد ذلك فبلغ سبعة. وفي العهد الحديث أقيم سنجق الأحساء على القسم الشمالي فقط من تلك الأيالة ثم تم ربطه بأيالة البصرة، وكانت حماية أمراء البدو العرب من مهمات والي البصرة (Yılmaz Öztuna, *Devletler ve Hanedanlar*, Ankara 1989, II/1070-71)

(١٥) يوجد الآن جامع آخر في نفس موضع الجامع القديم يعرف باسم مسجد دبس، ويروى أن النقش التاريخي له كان يقول: قد بني وعمر هذا المقام في زمان السلطان العادل سليمان ابن السلطان سليم حضرة الحاكم الأجل قدوة، ... الأنام، صاحب السيف والقلم، والى بلد الأحساء محمد باشا في سنة ٩٦٣هــ (محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، الرياض ١٩٨٢م، ط٢، ص١٢١-١٢٢).

العثمانيين في القرن السادس عشر أيضاً. وهو أحد الشواهد الحية على قدم سيادة الدولة العثمانية في تلك المنطقة[١٦].

وكما هو واضح فإن ما قيل إلى الآن إنما يعني من حيث الأساس منطقة الأحساء التي تبدأ من شواطئ خليج البصرة. وانطلاقاً من ذلك يمكن أن نزعم للوهلة الأولى أن السيادة العثمانية قد تأسست في القطاع الساحلي، إذاً فَمَنْ كان يسيطر على المناطق الداخلية، أي على الأراضي التي عرّفناها قبل ذلك على أنها منطقة نجد؟

من المعروف أن القبائل البدوية المقيمة في تلك المناطق هي التي هاجر أغلبها إلى هنا من جنوب الجزيرة العربية[١٧]. وكان قسم منها يعيش مستقلاً، بينما ينضوي القسم الآخر تحت نوعٍ من الحكم يشبه الاتحاد القبائلي. وقد يخرج من بين تلك القبائل أحياناً شخص مقتدر فيترأس مثل هذا النوع من التحالفات، بل ويمكن أن تتأسس أسر حاكمة تستطيع البقاء لسنوات طويلة[١٨]. ولكن كان من المستحيل تقريباً أن تقوم تلك القبائل بالتمرد في وجه حكام منطقة الأحساء وإنكار سيادتهم، وهم الذين يوفرون لها كافة احتياجاتها ويصرفون لها سلعها التي تنتجها أو يمثلون بالأصح بوابتها المفتوحة على العالم الآخر خارج الصحراء وشريان الحياة فيها.

---

(١٦) عرف بمسجد القبة، وتاريخ بنائه ٩٧٤هـ/١٥٦٦م (المصدر السابق، ص١٢٢) ولكن سالنامة ولاية البصرة (١٣٠٨-الطبعة الرابعة، ص١٣٧) تذكر لنفس المسجد تاريخ ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م، والواضح أن الأول هو الصحيح. وانظر أيضاً: ابراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، الرياض ١٩٦٦م، ص٤٧-٤٨. وانظر دراسة أجريت حول المصادر العثمانية لبكلربكية الأحساء: Salih Özbaran, (XVI. Yüzyılda Arabistanda Osmanlı Yönetiminin Kaynakları-Yemen ve Lahsa Beylerbeylikleri), *Türk-Arap ilişkileri: Geçmişte. Bugün ve Gelecekte I. Uluslararası Konferansı Bidirileri* بدون تاريخ، ص٢٦-٢٠. (١٨-٢٢ يونيه/حزيران ١٩٧٢م نشر معهد بحوث الشرق الأوسط بجامعة حاجت تبه - تركيا-أنقرة.

(١٧) Robert Montagne, *Çöl Medeniyeti* (Çev: Avni Yakalıoğlu, İstanbul 1950, s.7.

(١٨) Kemal Salibi, "Middle Eastern Parallels: Syria-Iraq-Arabia in Ottoman Times", *MES* vol. 15, No 1 Jannary 1979, p. 71.

ولهذا السبب فإن ذلك يعني أن القوة الحاكمة في الأحساء هي نفسها القوة الحاكمة والمسيطرة على دواخل نجد، أو بتعبير آخر كانت الأحساء هي النافذة الوحيدة المفتوحة على العالم الخارجي أمام العشائر والقبائل المقيمة في دواخل نجد. وهكذا فإن استيلاء الدولة العثمانية على إقليم الأحساء عقب فرض سيادتها على أراضي الحجاز واليمن وبغداد والشام التي تحيط بمنطقة نجد إنما يحسم الجدل حول سيادتها على تلك المنطقة أيضاً.ولكن كان من طبيعة الدولة العثمانية في العهد الكلاسيكي من عمرها عندما تفتح أرضاً جديدة أن تترك لأهلها نظامهم الذي جروا عليه مدة من الزمن، شريطة قراءة الخطبة باسم السلطان العثماني في جوامعها، وتأدية الضريبة المقررة عليها سنوياً، وقبول سيادتها على تلك الأراضي. والشاهد على ذلك أن الوضع القائم، سواء في الأحساء أم في نجد، قبل الفتح لم يختل، فقد سُمح للعائلات التي تحكم هناك بأن تواصل حكمها التقليدي شريطة الإعلان عن ولائها للدولة[١٩].ولم يكن في ذلك الوضع بأس عندما كانت الدولة تعيش عصر قوتها، أما عندما ضعفت فقد أصبح ذلك يمثل مشكلة عويصة. لأن هذه القوى المحلية كانت -عندما تقوى وتسنح لها الفرصة- تتصرف بين الحين والآخر بالشكل الذي يثير الجدل حول وجود السيادة العثمانية أو يدحض مشروعيتها. والدليل على ذلك أن القلاقل والاضطرابات بدأت تظهر في المنطقة بسبب الأطماع الإيرانية في العراق، ولاسيما في أيام حاكميها الشاه عباس (١٥٨٧-١٦٢٠م) ونادر شاه (١٧٣٦-١٧٤٧م). وفي أعقاب هذه القلاقل أيضاً ظهرت هناك بعض الإمارات القوية[٢٠]. وبعد هذه الأوضاع التي استمرت أيضاً حتى عام ١٧٧٩-١٧٨٠م وقعت المنطقة تحت حكم الولاة المماليك[٢١]، ولهذا السبب يكون من

---

(١٩) ساطع الحصري، الدولة العثمانية والبلاد العربية، بيروت ١٩٦٠م، ص٢٣٩.

(٢٠) كمال صليبي، المقالة السابقة، ٧٣-٧٤.

(٢١) أول وال من المماليك في بغداد هو سليمان أبو ليلة (١٧٧٩-١٨٠٣م)، وآخرهم هو داود باشا (١٨١٧-١٨٣١م). ولمزيد من التفاصيل انظر: عبد العزيز سليمان نوار، داود باشا والي بغداد، القاهرة ١٩٦٧م، ص٢٦، ٥٧، ٣٣٢

الصائب هنا أن نعرض بإيجاز لبعض التطورات والترتيبات الأخرى التي وقعت في المنطقة وأثرت بشكل مباشر على نجد.

فعلى الرغم من أن المماليك الذين قبضوا على زمام الحكم كانوا ولاةً يجري تعيينهم من قبل الدولة إلا أنهم استقلوا بالأمور هناك، فأعطوا شيوخ منتفك - بالإضافة إلى لواء منتفك- إقليماً مهماً مثل البصرة التي كانت تؤثر بشكل مباشر على نجد و الأحساء، كما أعطوا بني لأم وآل بو محمد وبعض رؤساء العشائر الأخرى لواء العمارة، وذلك في مقابل مبلغ سنوي معين. أما مركز البصرة فقد تركوه لحكم واحد من سلالتهم[٢٢].

ولم يبدأ حكم المنطقة على أيدي ولاة يتم تعيينهم من قبل الدولة العثمانية مباشرة إلا بعد القضاء على حكم المماليك عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠-١٨٣١م و بالتزامن مع جهودها في ترسيخ الإدارة المركزية. وعلى الرغم من أن الولاة الجدد الذين جرى تعيينهم من المركز قد بذلوا جهوداً عظيمة من أجل إصلاح البلاد إلاّ أن إعادة تنظيم مكان كانت قد اختلت أموره إلى أبعد حدٍ لم يكن ممكناً بين عشية وضحاها[٢٣]. ولهذا السبب كان الولاة يسعون - بحكم المصلحة- للتراضي مع المشايخ هناك من ناحية، ويرتبون حساباتهم من ناحية أخرى لتخليص المنطقة والأهالي من أيدي هؤلاء المتغلبة.

. وكذلك تاريخ العرب الحديث-العراق، القاهرة ١٩٧٦م، ص٩٩-١١٨. وانظر أيضاً: Tom Nieuwenhuis, *Politics and Society in Early Modern Iraq (Mamluk Pashas. Tribal Shayks and Local Rule Between 1802 and 1831)*, London 1982, p.24-26.

(٢٢) سالنامة ولاية البصرة ١٣٠٨ (الطبقة الرابعة) ص١٦٢.

(٢٣) يقدم لنا مدحت باشا المعلومات التالية التي كتبها عن عشائر منتفك في جريدة الزوراء التي أصدرها في بغداد عندما كان والياً عليها، وهي معلومات تنسحب على كل المنطقة تقريباً، فيقول: كان زمام إدارة العشيرة المذكورة مخولاً منذ زمن لبد رجل من مشايخها، وكان هؤلاء المشايخ قادرين على تحقيق مطالبها، فكانت صورة إدارتها تجري بشكل استثنائي، أما بعد ذلك وفي السنوات التي بدأت تظهر فيها هناك آثار "التنظيمات الخيرية" فقد أعيد ربط هذه المناطق أيضاً وتم تحويلها إلى مقاطعة تحت اسم (منتفك ديره سى) يلتزم بها مشايخها سنة بسنة، وكانت كافة أمورها أيضاً يتم تسليمها لأيدي الشيوخ بطريقتهم التسلطية" (الزوراء ١٢ أغسطس ١٢٨٥ [رومي] ورقم ١١، ص١).

ومن جملة ذلك تم أخذ بعض مقاطعات البصرة من الملتزمين من أهل منتفك وذلك على أيام والي بغداد گوزلكلي رشيد باشا في سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م، ثم أعيدت تلك المقاطعات إلى إدارة الحكومة العثمانية مباشرة. أما في عام ١٢٨٢ هـ/١٨٥٦م فقد قام والي بغداد أيضاً وهو نامق باشا باستعادة مقاطعات مثل أبو الحسيب ويوسفان وفياضي وعامية، فضلاً عن العديد من الأماكن في قضاء القرنة من أيدي أهل منتفك، ثم وضعها تحت إدارة متسلم البصرة الذي عينته ولاية بغداد، وتم تحويل مواردها مباشرة إلى الخزانة[٢٤]. وقرر الباب العالي من ناحية أخرى بيع أراضي الميري في ولاية بغداد والألوية المجاورة لها للعربان، وتحويلهم إلى حياة الاستقرار. ويتبين ذلك الأمر من خطاب رسمي كتبه نامق باشا حول الصورة التي سيكون عليها عقد بيع هذه الأراضي. وبناءاً على مراجعة الباشا تحت إحالة الموضوع إلى المجلس الأعلى (مجلس وآلا) في المركز. وفي ١٤ مايو ١٨٦٦م رأي المجلس الأعلى من المناسب أن يتم الإعلان عن منح عقد مؤقت الآن من الولاية للأراضي المباعة، ثم يجري بعد ذلك منح سند الطابو المسجل من الدفتر خانة [في استانبول]، ثم عرض المجلس ذلك القرار على الصدر الأعظم. فكانت النتيجة أن صدرت الإرادة السلطانية به في ٢٢ مايو ١٨٦٦م[٢٥].

وقام نامق باشا أثناء ولايته على بغداد بإرسال اللواء محمد باشا الديار بكري مع قوة كافية حتى يقوم بإصلاح وتأديب عشائر العمارة ويحمي الطرق من كافة الاعتداءات. وفي أعقاب ذلك تم اعتبار منطقة منتفك لواءً، وجُعل من شيخها متصرفاً و قائممقاماً طبقاً للتقاليد العثمانية. ونجح محمد باشا في إصلاح عشائر العمارة وإقرار الأمن على الطرق وجباية موارد البلاد، مما كان سبباً في تقدم

---

(٢٤) الزوراء، نعس العدد وسالنامة ولاية البصرة ١٣٠٨ (الطبعة الرابعة)، ص١٦٥-١٦٧.

(٢٥) الأرشيف العثماني (İMV 27815). ولأجل عملية تنظيم الأراضي التي قام بها نامق باشا في بغداد والمقاطعات الموجودة في ضواحيها انظر: الأرشيف العثماني (İMV 24610).

العمارة وقوت العمارة التي كانت عبارة عن عشش وأكواخ، وحقق بذلك ترسيخ نفوذ الحكومة في تلك المنطقة. وبعد نامق باشا قام ولاة بغداد، ولاسيما مدحت باشا الذي سيرد ذكره فيما بعد، بسلسلة من الترتيبات الجديدة التي كان من شأنها ربط تلك المناطق بمركز الدولة مباشرة[٢٦].

وفي عام ١٨٧٥م تم لأول مرة تشكيل ولاية البصرة[٢٧]، بينما أبقيت متصرفيه لواء منتفك في عُهْدة عائلة السعدون، وتم تعيين معاون للمتصرف[٢٨] ومحاسب ومدير تحريرات ونائب وجندي ضبطية، ثم تعيين قائم مقام ومدير مالي على كل قضاء من أقضيتها من بين الموظفين العثمانيين. غير أن هذا التشكيل لم يكن ذا جدوى كبيرة بسبب النفوذ التقليدي للمشايخ في تلك الأماكن. ولم يكن ميسرا تحويلها إلى لواء منتظم ألا بمنح بعض رؤساء العشائر في المنطقة الدرجات والنياشين ورتب الباشوية، ثم تكرار عملية عزلهم وتعيينهم بكثرة وكأنهم موظفو دولة تماما[٢٩]. ولما لم تكف تلك التدابير أيضاً، بل وزادت من طغيان بعض العشائر، لم يكن من حل إلا إرسال الجنود عليهم بين الحين والآخر. فقد تم القيام بعملية عسكرية من هذا النوع مثلا بأمر والي بغداد تقي الدين باشا، واستطاع الجنود بسهولة تفريق شمل قوة من العربان تقدر بنحو عشرة آلاف رجل خرجت

(٢٦) Sina Aşkin, "Siyasal Tarih 1789-1908", *Türkiye Tarıhi III- Osmanlı Tarihi (1789-1908)*, Istanbul 1993.s.97.

(٢٧) Longrigg, ibid p.313.

ولأهمية البصرة كميناء في القرن التاسع عشر أنظر:

İlber Ortaylı, "The Port Cities in the Arab Countries", *Türk-Arap ilişkileri*, s.221-232.

(٢٨) سالنامة ولاية البصرة ١٣٠٨ (الطبعة الرابعة)، ص١٦٩.

(٢٩) كان هذا نهجاً متبعاً بكثرة في التواريخ السابقة على ذلك أيضاً، ولكن بعد هذا التاريخ بدأت الدولة في تكريم رؤساء العشائر بالرتب والنياشين وكأنهم موظفون لدى الدولة. وتدلنا عريضة قدمها والي بغداد بتاريخ ٢٩ أغسطس ١٢٨٠ [رومي] (١٨٦٤م) على أنه تم تأديب المطلق شيخ الخزاعل بعد تصرفه خلافاً للقانون، ثم جرى إبداله بشخص آخر. وذلك أيضاً يمثل نموذجاً على النهج القديم (انظر: الأرشيف العثماني İD 36587).

لمواجهتهم، وتحقق الأمن في المنطقة، كما تأكدت السيطرة المطلقة للحكومة، وبدأ الحكم المباشر للمنطقة مثل غيرها من مناطق الدولة الأخرى[٣٠].

وبينما تقع كل تلك التطورات في البصرة وما يجاورها يقوم محمد بن سعود وابنه من بعده بتبني أفكار محمد بن عبد الوهاب الدينية، وكان في الأصل شيخ قبيلة ضعيف على ما سنذكر فيما بعد، ثم يضفي بذلك الصفة السياسية على حركة ابن عبد الوهاب، ومن ثم يقوم بالاستيلاء أولا على الأقسام الداخلية لنجد، ويعقبها بالاستيلاء على الأحساء، ويدعي لنفسه نوعا من الحكم المستقل[٣١].

وتحركت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر لإقامة إدارة مركزية في نجد أيضاً كما هو الحال في كافة الولايات العربية الأخرى[٣٢] كما أشرنا سالفاً بإيجاز. وهذه الفعاليات التي سنقوم بتناولها فيما بعد سوف يكون من شأنها تشكيل الجغرافيا السياسية لنجد في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

وقبل التعرض لتفاصيل تلك الفعاليات يكون من المفيد النظر في ضوء السالنامات الموجودة إلى ماهية التقسيمات الإدارية التي كانت تندرج فيها نجد في إطار الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر.

وتدلنا سالنامة الدولة اعتبارا من عام ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م على أن نجد كانت لواءً يتشكل من أقضية تابعة لأيالة الحبش[٣٣]. وتلك الأقضية في ذلك التاريخ هي:

---

(٣٠) سالنامة ولاية البصرة ١٣٠٨ (الطبعة الرابعة)، ص١٧١.

(٣١) في قائمة مقدمة من قاضي الشام نراه وهو يتحدث عن نشاط الوهابيين في المنطقة ينسب إليهم مزاعم في "السلطنة والخلافة"، ولكن المحتمل أن القاضي هنا لأنه لم يفرق بين هذين المفهومين جريا على الفهم السياسي السائد آنذاك قد كتبها بهذا الشكل. وإلا فإن من العسير نسبيا القول بأن الوهابيين كانت لهم مزاعم من مثل ذلك في ذلك الوقت على الرغم من معارضتهم للخلافة العثمانية (انظر: الأرشيف HH, 3839B).

(٣٢) انظر: Nejat Göyünç, "Ottoman Central Administration and Arab Provinces (1870-1910)", *STAR* 1986.p.76-80.

(٣٣) حول الوضع العام لأيالة الحبش في النصف الأول من القرن التاسع عشر انظر:
Orhunlu, نفس المصدر s.137-157

الدرعية (أول مركز للحركة الوهابية)، وجبيلية، والقطيف[٣٤] ومعها الأحساء أو لحسا[٣٥]. وقد استمر ذلك الوضع حتى عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م، فلما تم دمج أيالتي الحبش والحجاز في ذلك التاريخ في أيالة واحدة تحولت نجد إلى لواء ضمن هذه الأيالة تحت اسم " النجد العرباني"[٣٦]. وظل ذلك الوضع على حاله حتى عام ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م طبقا لما أوردته السالنامات الموجودة. ولكن لسبب غير معلوم لا تصادفنا نجد بعد ذلك في سالنامات الدولة حتى عام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م[٣٧]. هذا في حين أن الأحساء كانت وكأنها فتحت من جديد (١٨٧١م) بواسطة القوات التي أرسلت تحت قيادة نافذ باشا إلى المنطقة أثناء ولاية مدحت باشا على بغداد قبل هذا التاريخ، وأقيمت "متصرفيه نجد" مما كان يعني تأسيس أول إدارة مركزية هناك[٣٨]. والشاهد على ذلك أن الأحساء في سالنامة ولاية بغداد لعام ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م يرد ذكرها على أنها سنجق تام التشكيل يضم ثلاثة أقضية تابعة لولاية بغداد هي القطيف وقطر والحفوف[٣٩]. وجرى في نفس العام تم فصل سنجق البصرة عند ولاية بغداد، ولما جرى تحويله إلى ولاية مستقلة تم ربط

---

(٣٤) تظهر القطيف في دفتر تحرير [تسجيل أراضي] البصرة المؤرخ في عام ١٥٥٢م على أنها قضاء من البصرة. انظر: Yusuf Hallacoğlu, (Basra), *TDVİA*, V/112

(٣٥) سالنامه' دولت عليه' عثمانيه (سالنامة الدولة العلية العثمانية، وسوف تذكر بعد ذلك تحت اسم سالنامة الدولة)، ١٢٧٢، ص١٠٦؛ ١٢٧٨، ص١٥٨؛ ١٢٧٩، ص١٦٥؛ ١٢٨٢، ص١٨١. وانظر أيضاً: Andreas Bırken, p.254

(٣٦) سالنامة الدولة ١٢٨٣، ص١٧٤؛ ١٢٨٤، ص١٨٥.

(٣٧) يقول نصرت باشا في لائحة له قدمها للسلطان عبد الحميد:"قبل نحو عشرين سنة مضت (من المحتمل أن اللائحة حررت عام ١٨٨٦-١٨٨٧م) كانت هناك ولاية تذكر باسم (أيالة نجد والحجاز والحبش) وبينما كان مركز نجد كذلك هو قصبة الدرعية، ويذكر في السالنامات أيضاً بهذا الاسم، ويسود الرأي بأنها من البلاد البعيدة ولا ترتبط بأي صورة بمركز السلطنة السنية.. تم منحها كمقاطعة لشخص يدعى فيصل أحد الأمراء الوهابيين، وعلى هذا النحو أصبحت الأيالة المذكورة اسماً ليس له جسم.." (الأرشيف العثماني YEE, 14/2256/126/1.s.28).

(٣٨) سالنامة ولاية البصرة ١٣٠٨ (الطبعة الرابعة)، ص١٧٥. وانظر أيضاً:
Longrigg, *ibid*, p.298.

(٣٩) سالنامة ولاية بغداد ١٢٩٢ (الطبعة الأولى) ص١٢٤هـ؛ وسالنامة الدولة ١٢٩٢هـ، ص٢٥٣؛ ١٢٩٣هـ؛ ص ٢٥٢. (المتصرف مزيد باشا).

الأحساء بالبصرة تحت اسم "سنجق نجد"[٤٠]. وفي خلال سنوات ١٨٨٠هـ / ١٨٨٤م عندما تم تحويل البصرة إلى سنجق مرة أخرى أعيد ربط سنجق نجد هو الآخر بولاية بغداد. ولما أصبحت البصرة ولايةً من جديد في عام ١٨٨٤م نرى أن نجد قد ربطت بها سنجقاً من بين سناجقها[٤١].

ومن ثم نرى أن اسمي الأحساء ونجد كان يجري استخدام أحدهما بدلا من الآخر بين الحين والحين في التقسيمات الإدارية العثمانية. في حين أن نجد كانت كما ذكرنا قبل ذلك منطقة تختلف عن منطقة الأحساء[٤٢]. أي أن نجد من حيث الجغرافيا السياسية اسم يطلق على كامل مناطق القصيم والعارض ووادي سدير والأحساء وجبل شمر التي تمثل أهم المواقع في الجزيرة العربية[٤٣]. وفي مقابل ذلك فإن الأحساء هي المنطقة الأهم[٤٤] على سواحل نجد فقط، وهي المكان الذي يمثل مركز المتصرفية اعتبارا من عام ١٨٧١م. ولا شك أن السبب الأساسي وراء تسمية الأحساء بمتصرفية نجد هو لإظهار أن السيادة العثمانية في المنطقة لم تكن محصورة في الساحل فقط، وإنما كانت تضم أيضاً المناطق الداخلية. أو يمكن القول أيضاً إنها إشارة على الرغبة في تحويل السيادة الاسمية الموجودة للدولة على المناطق الداخلية إلى سيادة حقيقية[٤٥]. وبتعبير آخر فإن هذا المصطلح يبرز الجغرافيا السياسية لنجد، حتى إن نصرت باشا قد استخدم في لائحة له قدمها بدون تاريخ إلى السلطان عبد الحميد الثاني الإفادة التالية التي تؤكد هذا الرأي، إذ يقول:

---

(٤٠) سالنامة الدولة ١٢٩٤هـ، ص٥٠٤-٥٠٥ (عين سعيد بك على متصرفيتها).

(٤١) Andreas Birken, p.226

(٤٢) على الرغم من أن هذا اللواء كان يذكر باسم سنجق نجد فالواقع أن هذا المكان ليس نجد، وإنما كان يطلق على الرياض والقصيم في الأجزاء الداخلية وعلى المناطق الأخرى الواقعة في تلك البقاع من الجزيرة العربية (سالنامة ولاية بغداد ١٢٩٩هـ- الدفعة الثالثة - ص١٢٧، ١٣٠٠هـ-الدفعة الرابعة- ص٢١٠).

(٤٣) سالنامة ولاية البصرة ١٣٠٨ (الدفعة الرابعة) ص١٧١.

(٤٤) علي حيدر، مدحت باشا...، ص١٠٨.

(٤٥) انظر الهامش رقم٦.

"..سنجق نجد، لواء يتكون من ثلاثة أقضية هي الأحساء (الحفوف) والقطيف وقطر، وهو غاية في الصغر بحيث يمثل واحدا في العشرين من جزيرة العرب، ويقع في الجهة الشرقية منها، ويجري حكمه بعيدا عن السيطرة، وهو من قبيل تسمية الجزء باسم الكل.."[٤٦].

وفي السياق نفسه فإن القول أغاسى [معاون بيكباشي] للفوج المدفعي المتحرك النموذجي سليمان شفيق (والي البصرة عام ١٩١٤م) الذي زار الحجاز بصورة رسمية عام ١٨٩٠م قد عرّف نجد وهو بصدد شرح الموقع الجغرافي لجزيرة العرب في لائحته المفصلة التي قدمها تحت اسم (حجاز سياحتنا مه سى) [أي رحلة الحجاز] فيقول:"يحد نجد جزئيا من الشمال بغداد، ثم ولايتا البصرة وسوريا، ومن الشرق الأحساء على ساحل خليج البصرة، ومن الجنوب منطقة اليمامة، ومن الغرب ولاية الحجاز"[٤٧]. أما لوريمر الذي أجرى دراسة موسعة عن تلك المنطقة في مطلع القرن العشرين فيقول إن الأتراك يسمون سنجق الأحساء باسم سنجق نجد من الناحية الإدارية، ثم يضيف أن هذا المكان يتشكل من أقضية الحفوف والقطيف وقطر ونجد[٤٨]_[٤٩].

ويجري تعريف نجد في سالنامات الدولة العثمانية اعتباراً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر على النحو التالي: يبلغ خط طول سنجق نجد من البرية في جنوبه حتى جزيرة العماير في شرقه ١١٢ ساعة؛ أما خط عرضه فيبلغ ٦٢

---

(٤٦) الأرشيف العثماني (YEE, 14/2256/126/1.s.8.).

(٤٧) سويلمز لوغلى سليمان شفيق كمالى، حجاز سياحتنامه سى (رحلة الحجاز)، دار الخلافة ١٣٠٨/١٣١٠، ص١٠٦ (مخطوط بمكتبة جامعة استانبول رقم TY.4199).

(٤٨) رغم أن قضاء نجد لم يرد في السالنامات إلا أن تسمية لوريمر هي الأصح، لأن سعي الدولة العثمانية كان دائماً لتنصيب قائممقام من السعوديين حتى ولو كان إسمياً في الرياض التي تعتبر مركز نجد في الأساس.

(٤٩) لوريمر، ٢/ ٨٥٥ (قسم الجغرافيا).

ساعة[٥٠]. وهو يمتد من ميناء العجير في شرقه حتى العرمة في غربه[٥١]. ورغم وجود بقعة رملية به تبلغ ١٢ ساعة من ميناء العجير حتى مركز اللواء فإن المياه وفيرة فيه؛ ومن ثم فالترحال في داخله أمر سهل نسبياً، بينما توجد مسافة ليس بها مياه تقدر بخمسين ساعة تمتد من مركز اللواء حتى العرمة. والذين يضطرون لسلوك هذا الطريق مضطرون أيضاً لنقل مياههم معهم، ومن ثم عليهم تجشم عبء رحلة صعبة إلى حدٍ ما. ومياه اللواء وفيرة على امتداد خط طوله، وبهذا المعنى فإن أوفر مكان بالمياه في المنطقة هو الحفوف (مركز المتصرفية)، أما المبرز فهي الأطيب جواً، بينما تمثل القطيف أشد المناطق حرارة. ورغم أن البحر يقع شرق اللواء فلا يوجد هناك مكان مسكون عدا ناحية العجير والقطيف، ولأجل ذلك يجري استخدام تلك المناطق كميناء، أضف إلى ذلك أن قطر هي الأخرى ترد في سالنامة ولاية البصرة لعام ١٣٠٨هـ على أنها أحد مواني نجد[٥٢].

ومركز اللواء هو الأحساء الواقعة في قلب سنجق نجد، وأصل اسمها قصبة الحفوف، أما الأحساء فهو الاسم الذي يطلق على المنطقة بكاملها. ويبلغ عدد سكان الحفوف مركز اللواء – بحسب ما ورد في سالنامة بغداد لعام ١٢٩٢هـ– ٣٣٦١٩ نسمة، منهم ١٨٦١٩ من السكان الحضر، و١٥٠٠٠ من البدو الرحل[٥٣]. وفي مقابل ذلك يبلغ عدد سكان الحفوف المركز في سالنامة عام ١٢٩٩هـ نحو ٩٠٠٠ نسمة على وجه التخمين، أما عدد الدور فيبلغ ٣٠٠٠. ويصل هذا العدد متضمنا النواحي التابعة إلى ثلاثين ألف نسمة، وعدد الدور ١٠٥٠٠[٥٤]. أما في

---

(٥٠) سالنامة ولاية بغداد ١٢٩٩هـ (الدفعة الثالثة)، ص١٢٥.

(٥١) نفسه، ١٢٩٩هـ، ص١٢٥؛ ١٣٠٠هـ، ص٢٠٨.

(٥٢) سالنامة ولاية البصرة ١٣٠٨هـ (الدفعة الرابعة)، ص١٣٤.

(٥٣) سالنامة ولاية بغداد ١٢٩٢هـ (الدفعة الأولى) ص١٢٤.

(٥٤) نفسه، ١٢٩٩هـ (الدفعة الثالثة) ص١٢٧.

سالنامة عام ١٣٠٠هـ فيبلغ عدد سكان الأحساء على وجه التخمين نحو ٣٠-٤٠ ألف نسمة بما في ذلك الصغار والكبار والنساء والعبيد(٥٥).

وبينما كان قضاء القطيف وقضاء المبرز تابعين في البداية لسنجق نجد نرى المبرز قد تحولت في عام ١٢٩٥هـ إلى ناحية تابعة للحفوف، وتظهر نجد وقد تشكلت من أقضية الحفوف والقطيف وقطر. وتقع القطيف على الساحل في شمال الحفوف، ومركز القائممقامية هو قصبة القطيف التي يبلغ عدد سكانها بما فيها النواحي التابعة لها ٣٣٨٠٠ نسمة، بينما يبلغ عدد الدور [الوحدة السكنية] ١٠٩٠٠ دار (طبقا لما ورد في سالنامة عام ١٣٠٠هـ يبلغ العدد عشرة آلاف).

أما قضاء قطر فهو يقع في شمال شرق الحفوف، ومركز القائممقامية فيه هو قصبة البدع، والقائممقام هو جاسم الثاني أحد أهاليها. كما يوجد إلى جانبه قاض شرعي عينته الدولة العثمانية، وقوة ضبطية من عدة جنود يأتمرون بأمر ضابط لهم. ويبلغ عدد سكان قضاء قطر بما فيه الملحقات ٧٩٠٠ نسمة، وعدد الدور ٢٦٠٠ دار.

ويضم سنجق نجد ثلاث نواحٍ [جمع ناحية التي تصغر القصبة وتكبر القرية] تعرف باسم العجير والمبرز والجفر التابعة لقضاء الحفوف فضلا عن ثلاث وخمسين قرية(٥٦). وفي سالنامتي عام ١٢٩٦هـ وعام ١٢٩٩هـ يرد ذكر الدرعية مركز الوهابيين مضافةً إلى هذه الأماكن كقضاء رابع(٥٧).

---

(٥٥) نفسه، ١٣٠٠هـ (الدفعة الرابعة) ص ٢١٠هـ؛ كما تبرز سالنامات الدولة أيضاً في عامي ١٢٩٤هـ و ١٢٩٥هـ نفس الأرقام (سالنامة الدولة ١٢٩٤هـ، ص٥٠٤-٥٠٥؛ ١٢٩٥هـ، ص٤١٢-١٣).

(٥٦) نفسه، ص٢١٣؛ ١٢٩٩هـ، ص٣٣٦.

(٥٧) سالنامة الدولة ١٢٩٦هـ، ص٢٦٠.

وقضاء القطيف في سنجق نجد هو فقط الذي يقع على الساحل المقابل لبندر بوشير ميناء شيراز، ولا يشكل حدوداً مع أراضي أية دولة أجنبية أخرى[٥٨]. ولهذا السبب لا يرابط هناك إلاّ جنود طابور نظامية وطابور ضبطية وعدد من فرسان الخيالة. ولا يوجد أناس من جنسيات أجنبية في تلك المنطقة إلاّ عدد من الإيرانيين القادمين بين الحين والآخر من بندر بوشير، كما لا يوجد أيضاً قنصليات أجنبية (ولكن على حد علمنا كانت توجد في الأحساء في أوائل القرن التاسع عشر ممثلية إنجليزية ثم غادرتها بعد ذلك). والأهالي جميعهم مسلمون، وتدين الأغلبية منهم بمذاهب السنة، بينما توجد أقلية ضئيلة من الشيعة. وتوجد في المنطقة وحدتان للبريد تركب الهجين، ، إحداهما تتردد فيما بين البصرة والأحساء، وتحمل الخطابات القادمة من الولاية ومن البصرة، أما الثانية فهي تتوجه إلى القطيف[٥٩].

وتقدم لنا سالنامة ولاية البصرة لعام ١٣٠٨هـ إحصائية عن المكاتبات السنوية في الولاية آخذةً عام ١٣٠٥هـ أساساً لذلك، فتقول إن هناك ٢٤٠ خطاباً من البصرة إلى نجد و٢٧١ خطاباً من نجد إلى البصرة خلال عام واحد. وهذا العدد يزيد عن المكاتبات التي تقوم بها ولاية البصرة مع الأقضية والنواحي الأخرى في الولاية، كما تزيد كذلك عن المكاتبات المتبادلة بين الولاية ونظارة الداخلية [في استانبول]. (تقول نفس السالنامة إنه جرت ٤٤٥ مكاتبة خلال عام وأحد بين الولاية ونظارة الداخلية)[٦٠].

أما عن أوضاع وأحوال العشائر المقيمة في المنطقة فهو موضوع قد يكون مجالا لبحث قائم بذاته. وسنحاول هنا وضع قائمة لها قد تفيد في تقديم فكرة عنها مستعينين أيضاً بالسالنامات الموجودة. فقد اكتفت سالنامة ولاية بغداد لعام ١٢٩٩هـ بذكر

---

(٥٨) نفسه، ص٢١٥.

(٥٩) سالنامة ولاية بغداد ١٢٩٩هـ (الدفعة الثالثة) ص١٢٩؛ ١٣٠٠هـ (الدفعة الرابعة) ص٢١٥.

(٦٠) سالنامة ولاية البصرة ١٣٠٨هـ (الدفعة الرابعة) ص١٥١.

العشائر المشهورة منها، بينما قدمت سالنامة عام ١٣٠٠هـ معلومات أكثر تفصيلا، وعليه فقد صنفت العشائر الموجودة في المنطقة على النحو التالي:

١- **فرق عشيرة العجمان:** وهي آل المحفوظ وآل حبيش وآل سليمان وآل حتلان وآل مغبت وآل ساعين وآل داعين وآل شامر وآل مفلح وآل هادي وآل شواولة وآل مصرع وآل يحيات وآل زيز.

٢- **فرق عشيرة المرة:** وهي آل عزبة وآل فهيدة وآل غفران وآل الجرابعة وآل علي بن مرة وآل زيدان وآل بريص وآل ضوية وآل الجابر وآل ابن نعمان وآل بحيح وآل بريد.

٣- **فرق عشيرة الدواسر:** وهي آل حفيان والعزرة والهيلات وآل حسن والغبات والحواملة والمساعرة والبوسباع وآل بريك والودعين والعجور والمحارم والرجيان والمشاويه.

٤- **فرق عشيرة بني خالد:** وهي المقدام والصبيح والمحاشير والعماير وبني نهد والجبور.

٥- **فرق عشيرة المطير:** وهي آل موحة والسبيع والجبلان والملاعبة والمرة والدوشان وآل يحيى والبراعثة والمقالدة وذوي رشيد والعنة وبرية.

وهناك عدا هؤلاء عشائر أخرى تُعرف باسم بني هاجر والنعمان والمناصر والكبسة والرشايد وزعب العوازم وسبيع السهول والكعبان والمريحات(٦١). ولا تنحصر منطقة نجد على هذه العشائر وحدها، إذ يرد ذكر تلك العشائر بأشكال متباينة دائماً، سواء في المصادر الرسمية، أم في المصادر الأخرى، وذلك لأنها دائمة التنقل فوق ساحة واسعة، أو بسبب درجات القرابة المتداخلة فيما بينها. وبينما ترد بعض القبائل في بعض المصادر على أنها عشائر مستقلة، فإنها ترد في

---

(٦١) سالنامة ولاية بغداد ١٢٩٩هـ (الدفعة الثالثة) ص١٢٨-١٢٩؛ ١٣٠٠هـ (الدفعة الرابعة) ص٢١٢-٢١٣.

غيرها فرعاً من عشيرة. وهذا الوضع أيضاً يزيد من عدد العشائر أحياناً، ويقلل منه أحياناً أخرى[٦٢]. وعلى سبيل المثال فإن عشائر شمر - وأصل موطنها نجد - لم ترد في القوائم السابقة، في حين أنها من العشائر التي انتشرت في كل جانب تقريباً من أراضي الجزيرة العربية، بل وامتدت حتى حدود الأناضول. بل إن قسما من عشائر نجد ممن يحصلون حتى على مخصصات من ميزانية الدولة – كما سنذكر فيما بعد – لم ترد أسماؤها فيما سلف. ولعل السالنامات اقتصرت على ذكر العشائر التي ترتبط ارتباطا مباشراً بالأحساء. ويتحدث مدحت باشا هو الآخر أثناء ولايته على بغداد عن ثمان وعشرين قبيلة بدوية تنتقل خارج الأحساء ولكنها تابعة لها، ولكنه لم يذكر أسماء تلك القبائل[٦٣]. وهذه العشائر قد تعد نفسها – لأسباب مختلفة كما سنذكر فيما يلي- من الولايات الأخرى المحيطة بنجد أحياناً، وهذا أيضاً قد يشكل عائقاً دون الوصول إلى الرقم الصحيح لها[٦٤].

وهناك تصنيف آخر عملي عن عشائر نجد، وهو يعتمد التقسيمات الجغرافية لنجد أساساً، ويتناول عشائر المنطقة في خمس مجموعات، فهناك أهل حائل الذين ينتسبون في غالبيتهم إلى عشائر شمر، وأهل القصيم الذين ينتسبون إلى قبائل بني خالد وبني تميم؛ وأهل الجنوب الذين يتشكلون من عشائر عنزة؛ وأهل الوسط الذين

---

(٦٢) لأجل هذه الآراء المتباينة انظر: الأرشيف العثماني.
(YEE, 14/88-68/88/3; 14/256/126/8; 14/1188/126/9)
وانظر أيضاً: رحلة الحجاز، ص١١٧-١٢٠. ومحمد كامل بن نعمان (الكاتب الخامس في المابين الهمايوني)، جزيرة العرب، مخطوط بجامعة استانبول (TY4432)، ورق ١٦-٣٠. وحسين حسني، المصدر السابق، ص٣٧-٤٦.

(٦٣) علي حدير، مدحت باشا..، ص١١٦.

(٦٤) كان أمين ريحاني أيضاً قد قام بعدة رحلات في المنطقة عام ١٩٢٢م، وعدّد القبائل البارزة في نجد على النحو التالي: المطير وحرب وعتيبة وسبيع والدواسر والعجمان والعوازم وسهول وبنو مرة وقحطان.. (أمين ريحاني، ملوك العرب، بيروت ١٩٨٧م، ٢/٤٩١.

يتشكلون من قبائل الدواسر وبني تميم؛ ثم أهل الجنوب العربي الذين يتشكلون من الدواسر أيضاً ومن عشائر قحطان(٦٥).

ثانيا: التركيب الاجتماعي والإداري التقليدي لمنطقة نجد

قد تتميز جغرافية نجد بأشد الظروف قساوة على وجه الأرض، ويتشكل أهاليها – أو بتعبير آخر عشائرها التي سلف ذكرها– من قسمين؛ البدو والحضر. وأهل الحضر هم الذين يعيشون في المدن والقصبات المقامة حول منابع المياه في الواحات والوديان المحاطة بالأراضي الصحراوية؛ ويعملون بالزراعة والتجارة. وهؤلاء الأهالي لأنهم ينحدرون في الغالب من حياة البداوة، يخفون إلى أرض الصحراء التي أخضرت عقب موسم الأمطار، فينصبون خيامهم فيها، إذ ألفوا استنشاق الهواء النظيف(٦٦).

أما البدو فهم العشائر العربية التي اعتادت حياة الصحراء من الحل والترحال، ويعمل أغلبهم في تربية البعير والأغنام(٦٧). وهم لا يعيشون تحت سقف أبداً، وتمضي حياتهم تحت ظلال الخيام التي نسجوها من الشعر، وينتقلون على ظهور جمالهم. ولكنهم لا يقطعون صلاتهم بالمدن والقصبات القريبة منهم حتى يقضوا حاجاتهم الضرورية منها من بعض المأكل واللباس، فإذا انقضت حاجاتهم عادوا للانتشار مرة ثانية في الصحراء الواسعة. وهذه الصحراء الواسعة التي طبعت حياتهم الاجتماعية وسجاياهم قد تقاسموها فيما بينهم. ومهما كانت كثرة الحركة فلا بد لكل لقبيلة بدوية من ساحة معلومة تتنقل فوقها يسمونها الضيرة(٦٨). بل إن أغلب الأماكن في الصحراء تأخذ أســماءها من تلك العشائر. ولا يُقبل الأهالي

---

(٦٥) رأفت غنيمي الشيخ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القاهرة ١٩٨٦م، ص١٢٢.

(٦٦) انظر: *Memorial of the Governemt of Saudi Arabia*, 1955, I/50

(٦٧) الأرشيف العثماني (YEE, 14/2256/126/1.s.8). وحزيرة العرب، ورق ١٠/أ.

(٦٨) H.R.P. Dıkson, *The Arab of Desert*, 1949, p.56; *Memorial*, ...I/51

البدو على زراعة أراضيهم الخصبة، وكذلك لا يدعون أحدا يقوم بزراعتها[٦٩]. وهؤلاء البدو – وهم ينتقلون بماشيتهم – إنما يفعلون ذلك بحسب الموسم، ويغيرون أماكنهم تبعاً لسقوط الأمطار، أو بتعبير آخر فإن الذي يحرك البدو هو حاجة الماشية والحيوانات التي يملكونها. وليس من المعلوم خلال العام الواحد عدد المرات التي يبدلون فيها أماكنهم، ولا كم من المسافات يقطعون. لأنه من العسير الترحال في خط مستقيم على الرغم من عدم وجود موانع تمنعهم في الصحراء كالجبال والمنحدرات. وتنتقل القوافل مقتفية آثار الآبار دائماً، فهي تسير من بئر إلى أخرى. وذلك الأمر هو الذي يحدد زمن شد الرحال، ومدى طول الطريق. كما أن الصدامات التي قد يحتمل وقوعها مع القبائل الأخرى أثناء تغيير المكان قد تكون عاملا في تحديد وجهة الرحلة. وقد تفرض شروط الموسم على البدو وهم يغيرون أماكنهم أن يدخلوا مؤقتا ساحات غير ساحاتهم حتى ولو كان بالقوة، ولا يرون في ذلك بأسا أبداً. بل إنهم عندما يتعرضون لمواقف أصعب قد يقومون بنهب البساتين والحدائق الخاصة بأهل الحضر في الواحات الصغيرة. ولهذا السبب كثيراً ما يلجأ الحضر إلى تأدية ضريبة للبدو تعرف باسم (الأخوة أو الخوة) حتى يسلموا من غاراتهم[٧٠]. وكانت الدولة العثمانية تحقق دائماً في شكاوى الحضر في هذا الصدد. ففي عام ١٨٦٧م أصدر الباب العالي أمراً إلى والي سوريا ووالي حلب ومشيرية الجيش الخامس بالاجتماع وتحري السبل الكفيلة لحماية الصحراء فيما بين سوريا وحلب، وبناءً على ذلك اجتمع في حماة والي حلب أحمد جودت ووالي سوريا محمد راشد ومشير الجيش الخامس إبراهيم درويش، وقرروا في شهر مايو تشكيل "قوة مفرزة سيارة" لكل من الجانبين، ويتم تجهيز كل منهما بشكل جيد

(٦٩) حسين حسني، المصدر السابق، ص٢٧-٢٨. Montagne, op. cit., p.17,

(٧٠) الأرشيف العثماني İMM,1561 (لف ٧٥). وجزيرة العرب، ورق١١. وجودت باشا، معروضات (haz: Yusuf Halaçoğlu) İstanbul, 1980,s.192-93. وانظر أيضاً: Montagne, p.13,17

لحماية الصحراء[٧١]. وفي أعقاب ذلك طلب الواليان المذكوران من الصدارة العظمى السماح لهما للقيام بتطبيق القرار الذي أصدروه حول تعقب البدو والتعويض عن الأضرار التي يلحقونها بالآخرين. ويتبين من عريضة كتبها والي حلب أحمد جودت إلى الصدارة في ٢٦ نوفمبر ١٨٦٧م ثم عُرضت على المابين الهمايوني في ٢٩ ديسمبر أنه تم توفير عدد من البغال ثم أضيف إليها ٢٣٠ هجينا لأجل مفرزة حلب، وبدأت عملية تدريبها. وأثناء تعليمها فنون المناورة أضيف إليها كذلك إطلاق النار من على ظهر الهجين، تماما مثل بولكات السواري [الخيالة]، وكان لهذا العمل أثر كبير على العربان، حتى إنهم لم يتجرؤوا هذه السنة على مطالبة الحضر بضريبة الإخوة التي اعتادوا جبايتها منهم (وتعرف في اللهجة المحلية: خوه، خاوه أو عوايد الإخاوة). وكان والي حلب أحمد جودت (باشا فيما بعد) قد رأى في عريضته السابقة أنه في حالة تموين وتزويد تلك القوات سوف يكون من شأنه توفير الأمن والاستقرار في الأراضي الواقعة بين حلب وحدود بغداد، ومن ثم سوف تنشط حركة الإعمار وتتقدم الزراعة خلال مدة وجيزة. ومن هنا صدرت الإرادة السلطانية لهذا الطلب في ٣٠ ديسمبر ١٨٦٧م واتخاذ الإجراءات اللازمة[٧٢]. ولكن يتبين من التطورات التي أعقبت ذلك أن الأمور لم تحظ بمتابعة لها نفس الجدية.

ويتميز البدو بالشخصية القوية، والكرم ووفادة الضيف، مع الاعتزاز بحريتهم، فضلا عن الشجاعة والجرأة. كما يتميزون بالمزاج الحاد، وتبلغ مشاعر الأخذ بالثأر عندهم حدها الأقصى. وتنتشر فيما بينهم لهذا السبب قضايا الثأر التي قد تمتد

---

(٧١) للمزيد من المعلومات والاطلاع على صورة القرار انظر نو Cevdet Paşa, *Tezakir* (haz.:Cavid Baysun) Ankara 1986, (الطبعة الثانية), s.215-18.

(٧٢) الأرشيف العثماني (İD 39711).

عصوراً[٧٣]. ورغم تعصبهم لمعتقداتهم إلاّ أن تدينهم أمر قد يرقى إلى مستوى الجدل. إذ ينطوي فهمهم للدين على بقايا من المعتقدات القديمة. ويذكر پالغراف (w. palgrave) الذي زار نجد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أن البدو لا يزالون يعيشون حياة الجاهلية؛ فهم يقدسون الشمس والقمر والنجوم. ولا شك أن هذه البدائية الدينية هي التي يسرت للمذهب الوهابي أن ينتشر بسهولة ويعظم قدره بينهم[٧٤].

والعائلة هي الوشيجة الأقدس بين البدو؛ وتضم الأخ والابن وأبناء الأخ والخدم وكل من يلجأ إليها محتميا بها. وينتقل أفرادها دائما مجتمعين، ويتشاركون فيما يملكون[٧٥].

أما الرباط الاجتماعي الوحيد في المجتمع البدوي فهو القبيلة التي تتشكل من مجموع تلك العوائل[٧٦]. ومع تشكل القبيلة من العوائل المرتبطة فيما بينها برباط القرابة والدم إلاّ أنه من الصعب الفصل بين درجة القرب والبعد لوشيخة الدم هذه إحداهما عن الأخرى؛ فكل واحد منهم أخ للآخر. بل إن الشخص الذي تقبل القبيلة انضمامه إليها بشكل أو بآخر يلقى نفس المعاملة حتى ولو كان لاجئا. وذلك الشخص مضطر هو الآخر لأن يكون مخلصا للقبيلة بقدر إخلاص أفرادها الآخرين. والقبيلة في الوقت نفسه هي رمز التوحد السياسي بين البدو[٧٧].

---

(٧٣) هناك بحوث مستقلة كثيرة أجريت حول البدو، ولأجل معلومات موجزة وببليوغرافيا موسعة انظر: Carleton s. Coon- W. Montgomery Watt, (Badw) *EI* (2. Edition), I/874-892 وأنظر أيضاً: Mustafa Fayda, (Bedevi), *TDVİA*, II/311-316

(٧٤) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة ١٩٨٥م، ص٢٢٨-٢٢٩.

(٧٥) Mntagne, op., cit., p.35

(٧٦) للتعرف على المحتمع البدوي انظر: Albert Hourani, *A History of the Arab Peoples*, London 1991, p.104-108

(٧٧) Bernard Lewis, *The Arabs in History*, U.S.A. 1960,p.29

ويحكم القبيلة العربية البدوية شيخ ينحدر من إحدى عائلاتها العريقة، وقد تظل عائلة الشيخ تحتل هذا الموقع على مدى عصور أحياناً، ويستمد الشيخ قوته من أصالته وثروته. وعليه دائما أن يكون في موقع الصدارة أو الموقع الأول بين اقرانه الآخرين. وتأتي قوته في الغالب من العادات والتقاليد الصارمة. وعلى الشيخ كذلك ليفي بمتطلبات كرم الوفادة التي هي من أساسيات الشياخة أن يكون ثريا كذلك. وعلى الرغم من وجود مجلس مشورة في القبيلة الاّ أن الشيخ هو وحده صاحب الكلمة فيها، فهو الذي يتصدى بمفرده لاتخاذ كافة القرارات، أو بتعبير آخر فإن حكم الشيخ نوع من الحكم المطلق، ولكنه لين يتفق وتلك التقاليد. ومن لا يرضى من أفراد القبيلة بحكم الشيخ ليس في إمكانه المعارضة، وإنما عليه ترك القبيلة. كذلك على الشيخ أيضاً أن يكون صارماً أمام الأعداء، ليناً صبوراً تجاه أفراد القبيلة. وقد يطلقون على الشيخ أحياناً اسم أمير، وهؤلاء المشايخ أو الأمراء يمكنهم تعيين شيخ أو أمير على رأس القبائل الأخرى التابعة لهم(٧٨).

ولاشك أن أهم الظواهر التي تجعل بدو الصحراء دائمي الحذر والتيقظ هي حركات السلب والنهب التي يطلقون عليها اسم (غزوة)، ويمارسونها ضد بعضهم البعض(٧٩). وهم يقضون جانباً عريضا من حياتهم في ممارسة الغزو. وهذه الغزوات تجري أحياناً لسلب القبائل الأخرى قطعانها وخيامها، وأحياناً أخرى لنهب أراضي الحضر المزروعة(٨٠). وكثيراً ما يقومون أيضاً بالإغارة على القوافل التي تمر من الأراضي التي يسيطرون عليها فيسلبونها متاعها، وخاصة قوافل الحج. وسئمت كل الدول التي حكمت في التاريخ هذه الأراضي من تلك الأوضاع(٨١).

(٧٨) رحلة الحجاز، ص١١٣. وجزيرة العرب، ورق ١١/أ، ١١/ب. وحسين حسني، المصدر السابق، ص٦٦. و Montagne, op., cit., p. 40-1

(٧٩) جزيرة العرب، ورق ١٢/أ. و Montagne, op., cit., p.66-7

(٨٠) الأرشيف العثماني (Cevdet Dahliye 4467; İMM 1651-Lef 57).

(٨١) Stripling, ibid, p.85.

وسعت الدولة العثمانية لتوفير الأمن في تلك الطرق إلى درجةٍ ما بما كانت تقدمه لهؤلاء من تخصيصات مالية عُرفت باسم (تخصيصات العربان). ولكن على الرغم من ذلك لم يترك عرب الصحراء هذا السلوك في أي وقت[٨٢]. والشخص الذي يقرر ممارسة هذه الأفعال التي تبدو ضرورة مصيرية في حياة البدو ويقود الغزوات هو شيخهم. والأساس في الغزوة هو سلب الأموال وليس الأرواح. وعلى كل قبيلة بدوية تتوقع الغزو من القبائل الأخرى أن تكون على أهبة الاستعداد لمواجهتها. وقد تتحقق هذه الغزوات أحياناً على نطاق واسع عندما تتحالف القبائل فيما بينها، وفي هذه الحالة يميل البدو إلى الطرف الذي يتوقعون له الغلبة، ويقومون بنهب مال الطرف الآخر. ولم تكن القبائل صاحبة جيوش منظمة يمكنها درء الأخطار القادمة أو شن الهجمات عند الضرورة، وإنما يمكنهم عند الحاجة وبرباط الدم الذي يجمع فيما بينهم أن يبلغوا مستوى من التأثير يفوق مستوى الجيوش المنظمة[٨٣].

والشيوخ رغم كل صلاحياتهم لا ينظرون الدعاوى الناشبة بين البدو، وإنما يقوم بحلها وفقاً للتقاليد أشخاصٌ توارثوا في الغالب تلك المهمة، يُعرف الواحد منهم باسم (عرفة)، ولا نقض للأحكام التي يصدرها، بل يجري بالقطع تطبيقها[٨٤].

---

(٨٢) هناك حكم (أمر) صادر إلى إسماعيل باشا والي الشام وأمير الحج يقول:"على الرغم من وجود صرر معينة المقدار تصرف لعربان حرب الواقعين بين الحرمين الشريفين فإن من عاداتهم الشنيعة منذ زمن أن يحصروا الحجاج ذوي الابتهاج في محل ضيق ويشرعون في الحرب والقتال ويقومون بتعجيزهم وأخذ الرهائن منهم. وكان أسلافك أمراء الحج الشامي قد تعهدوا ورضوا بصرف مبلغ ٣٢٠٠ قرش كل سنة لهؤلاء العربان حتى يتم فقط تأمين الطرق والعمل على راحة حجاج بيت الله، وقد استمر ذلك الأمر جارياً في صرف المبلغ وتنفيذ التعهد حتى جاء إليك... في أوائل شوال ١١٣٨" (الأرشيف العثماني MD, 133/137). ومع توجس الدولة من قيام العربان بنهب قوافل الحج رغم ما يحصلون عليه من مخصصات فإنها كانت تلجأ حتى إلى أخذ تعهدات كتابية أحياناً من المشايخ يقرون فيها بعدم قطع الطريق على الحجيج. وللإطلاع مثلاً على تعهد من مثل ذلك أخذته الدولة من مشايخ الحوازم في عام ١٢١٧هـ انظر: الأرشيف العثماني (İD 37210).

(٨٣) حسين حسني، المصدر السابق، ص٦٧.

(٨٤) جزيرة العرب، ورق ١٢/ب، ١٣/أ. وخزعل، المصدر السابق، ص٢٢.

ويمكننا أن نزعم أن كل ما أسلفناه عن البدو ينسحب أيضاً من حيث الأساس على أهالي الواحات في الصحراء وأهالي المدن المقامة بجوار منابع المياه(٨٥). ولكن عندما كانت الإدارات المركزية المجاورة لها قوية ومؤثرة كان زعماء الحضر ينضوون في الإطار الذي تحدده تلك الإدارات المركزية. أما في الأوقات الأخرى فكانت توجد أشكال من الإدارة أكثر استبداداً وتحكماً مما لدى البدو، وذلك بالشكل الذي طالما أقره الشيوخ بما يتفق وتقاليدهم.

والخلاصة أن هذا المنهج الإداري الذي أوجزناه قد ذكره العديد من الكتاب الأوربيين في مؤلفاتهم بالمبالغة، والسبب في ذلك أن وسط الجزيرة العربية كان لا يزال منطقة غير معروفة كثيراً لدى الأوربيين حتى أوائل القرن التاسع عشر، فلم تلفت تلك المنطقة أنظارهم كثيراً إلاّ بعد حملة إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا على الوهابيين في عام ١٨١٨م(٨٦). ولم يلبث عملاء الدول الأوربية بعد هذا

(٨٥) تشكل عشائر المنتفك أفضل الأمثلة للحضر في العراق وأطرافها، وقد قدمت لنا جريدة الزوراء المعلومات التالية حول شكل الإدارة الذي كان لا يزال قائماً لدى تلك العشائر في عام ١٨٦٩-٧٠، فتقول: "ليست هناك حقوق ونصيب معين لأهالي الزرّاع من المحصولات الزراعية التي تزرع في الأراضي الواقعة تحت حكم المنتفك، فالشيوخ الذين يطرحون كافة المقاطعات للالتزام يقومون بتفتيت إفرازات المقاطعة قطعة قطعة، بينما يقوم الملتزمون أنفسهم باستخدام الأهالي كالأسرى، فيسلبونهم ما بأيديهم، ولا تجري الأحكام الشرعية والقانونية بين أهالي العشيرة، وكيفما شاء الشيخ الذي يحتل منصب الإمارة وكيفما كان حكمه فهو الذي ينفذ. وعندما ينصب شيخ فإنه يبادر بالاستيلاء على أموال رجال الطرف المعارض ومصادرة أملاكهم، ولديه الصلاحية بمنحها وتمليكها للآخرين. وعندما يقتل رجلا رجلاً آخر فلا نشهد له محاكمة أو مرافعة، بل عليه أن يقدم للشيخ ألف شامي جرت العادة بها تحت اسم (نكال) وكل شامي يساوي عشرة قروش والألف شامي عشرة آلاف قرش، ومتى ما أوفى بها القاتل يتم إخلاء سبيله. أما من يمارس معاكسة النسوة ويتماحك بهن في الطرقات فعليه بغرامة خمسمائة شامي تعرف باسم (صيحة). وكان هناك أيضاً نوع من الغرامات فرضها المرحوم داود باشا وعرفت باسم (داودية)، ويتم توزيعها على الدور وتحصيلها. كذلك هنا فردة أخرى تفرض للتصالح عن وقوع خلاف بين الشيخ وحريمه [؟] تعرف باسم (رضوى). وعدا ذلك يجري لصالح الشيوخ كذلك تحصيل العديد من الخيول والأغنام والسمن وغير ذلك من الأهالي، كما يتم أيضاً تحصيل عدد من الواردات تحت اسم يوم الاحتساب والدمغة ونقل الأمتعة فرضت تقليداً للأماكن الأخرى، وليس فيها واحد قط يتفق والقواعد العمومية للدولة" (الزوراء، ١٢ أغسطس ١٢٨٥ رومي، رقم ١١، ص١).

(٨٦) Zahra Freeth- Victor Winstone, *Explorers of Arabia*, London 1978, p.195

التاريخ أن بدأوا ينتقلون داخل المنطقة تحت هويات مختلفة، وإذا لم نضف إلى الحساب قنصليات الدول الأجنبية المقيمة في الدول المحيطة بوسط الجزيرة العربية(٨٧) فإن من المعروف أن ديلسكار (Delescars) سفير نابليون ذهب إلى دواخل نجد وحتى الدرعية لأول مرة عام ١٨١١م، وفعل ذلك سادليير (G.F.Sadlier) ممثلاً لشركة الهند الشرقية في عام ١٨١٩م(٨٨). وفي أعقاب ذلك زار تلك المناطق الرحال بالغراف (Palgrave) الذي هو جاسوس إنجليزي تقمص شخصية طبيب عام ١٨٦٣م، ثم زارها بعده في عام ١٨٦٤م غارماني (Gurmani) الإيطالي الذي كان يعمل لحساب إنجلترا وفرنسا في الأصل، وتنكر في هوية تاجر خيول(٨٩). وبعد ذلك أيضاً تعاقب على المنطقة رحالة أوربيون آخرون، حصلوا جميعهم على إذن الدخول إليها من السلطات العثمانية في الولايات والسناجق كالشام وبيروت. ولكنهم في كتبهم تغافلوا فيها ذكر هذا، وكتبوا وبالغوا نسبياً في وصف الحكم الذي يمارسه الشيوخ المحليون الذين سبق الحديث عنهم. بل وتحدثوا عن مناصب لم تكن موجودة في أي وقت في حكم شيوخ البدو، وكذلك شيوخ الحضر أنفسهم، مثل رئيس الوزراء وناظر المالية وناظر الخارجية. ولاشك أن لذلك بعض أسباب؛ يأتي في مقدمتها أن هؤلاء الأوربيين توجهوا إلى المنطقة دون علم مسبق في الغالب حولها، ودون علم بما قد يواجههم هناك، ومن إحساسهم بالحاجة وهم يصفون ما يرونه إلى استخدام التعابير والمصطلحات الخاصة بهم. ومن ناحية أخرى فلو وضعنا في الإعتبار أن الرحالة الأوربيين وصلوا إلى تلك المناطق بينما كانت الدولة العثمانية في أضعف حالاتها، وكان شيوخ المنطقة أو

---

(٨٧) على سبيل المثال كان قنصل بغداد الفرنسي روسو (J.B. Russoau) واحداً من هؤلاء. فقد ذهب من بغداد عام ١٨٠٨م إلى حلب، وسجل تلك الرحلة في كتاب (*Voyage de a Alep*, Paris 1808)، وهذا الكتاب ترجمه محمد سعاد من الفرنسية إلى التركية العثمانية تحت اسم (بغداد دن حلبه عربستان سياحتنامه سى، تورك مطبعه ١٣٢١.

(٨٨) Explorer.., p.183

(٨٩) Ibid, p. 183, 195-6

أمراؤها يمارسون – في مقابل ذلك– أقصى سلطاتهم المطلقة لتبين لنا بصورة جيدة ماهية تلك التوصيفات. فالأوربيون القادمون إلى المنطقة قد تحدثوا عن هؤلاء الشيوخ وكأنهم رؤساء دول أو ملوك، بعد أن رأوا فيهم السلطة الوحيدة التي لمسوها في صحراء وواحات لا أول لها ولا آخر، واستفادوا من كرم وفادتهم، وطافوا أنحاء الصحراء مطمئنين بفضل حمايتهم. وكانت الحركة الوهابية هي الظاهرة الوحيدة التي أفادت من المناخ الجغرافي و الاجتماعي و السياسي، وظهرت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وتَحَدَّت كل شيء جرت العادة به في نجد على مدى القرن التاسع عشر، وقلبت تاريخ المنطقة رأساً على عقب، ولفتت إليها أنظار الدنيا كلها، ونجحت في نفس الوقت في الانتقال إلى القرن العشرين.

وعلى الرغم من تلك الحركة والقوى الجديدة التي بزغت في المنطقة فإن الدولة العثمانية لم تسع – ولا سيما اعتباراً من النصف الثاني من القرن التاسع عشر– إلى وضع سيادتها هناك على أسس سليمة. وها هو الهدف من هذه الدراسة في الفصول القادمة: شرح الصعوبات والتحديات التي واجهتها الدولة وجهودها في ذلك.

الفصل الأول

تقلص نفوذ الدولة العثمانية في نجد والأحساء
وظهور الحركة الوهابية كمذهب ديني

الفصل الأول

تقلص نفوذ الدولة العثمانية في نجد والأحساء

ظهور الحركة الوهابية

أولاً: ظهور الوهابية كمذهب ديني

١- مؤسس المذهب

مؤسس المذهب الوهابي هو محمد بن عبد الوهاب (١٧٠٣-١٧٩٢م)، وقد ولد في عيينة التابعة لنجد العارضي[٩٠]. ومع تناقض المعلومات عن حياته ونسبه إلاّ أن القناعة السائدة هو أنه من بني تميم إحدى القبائل العربية العريقة. وأبوه هو عبد الوهاب بن سليمان الذي عُرف بأنه من رجال الدين بنجد والحجاز، وعمل قاضياً في عيينة، ونشأ على يديه الطلاب في المذهب الحنبلي. وقد عُرف محمد بن عبد الوهاب بذكاء فطري مفرط، وبدأ تعليمه الأولي على يدي والده، فحفظ القرآن وهو لم يزل في العاشرة من عمره، ثم شرع في تحصيل العلوم الدينية الأخرى، وفي مقدمتها ألفقه الحنبلي. ولأنه ينحدر من عائلة علم وفضل، ويتميز فوق ذلك بملكة سرعة ألفهم والتعلم التي فطر عليها فقد استطاع خلال مدة وجيزة أن يحصل على قدر طيب من التعليم. وفي أعقاب ذلك توجه أولاً إلى مكة المكرمة المكرمة لأداء فريضة الحج، ثم شرع في القيام بعدد من الرحلات، غير أن معلوماتنا محدودة

---

(٩٠) كانت عيينة في ذلك التاريخ تحت حكم عبد الله بن محمد آل معمر الذي يتبع هو الآخر حكام الأحساء (انظر: رأفت غنيمي الشيخ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القاهرة ١٩٨٦، ص١٢٥.

نسبياً حول تلك الرحلات التي زار فيها مدناً تقع كلها تقريباً تحت السيادة العثمانية. وتشير المصادر الموجودة إلى أنه زار مكة المكرمة والمدينة وبغداد والبصرة، بل وزار الشام أيضاً[٩١]؛ وتعرف على فضلائها، ودرس مدة طويلة على بعض العلماء منهم. كما تذكر بعض المصادر أنه قام برحلات زار فيها الهند وإيران[٩٢].

وعندما كان محمد عبد الوهاب يقوم برحلاته ظهر الطاعون في عيينه، ومات أميرها مصاباً به. ولأن الأمير الجديد لم يكن على وفاق مع والده فقد عزله عن القضاء. مما اضطر الرجل للهجرة إلى حريملاء إحدى مدن نجد الأخرى. فلما بلغ ذلك الخبر أسماع محمد بن عبد الوهاب قطع رحلته وخف عائداً إلى حريملاء بطريق الأحساء (١٧٣٨م)[٩٣]، وشرع مع والده في إقراء الطلاب هناك.

وإلى جانب عمله الذي استمر في التدريس والإقراء نحو أربع سنوات انتقل محمد بن عبد الوهاب إلى مرحلة جديدة سعى من خلالها لنشر أفكاره التي عمل على أنضاجها، فشرع يبعث الرسائل إلى بعض مشايخ القبائل في منطقة نجد العارضي. وقام في تلك الأثناء بوضع كتابه "كتاب التوحيد" الذي ضمنه أمهات أفكاره. وبسبب بعض آرائه المغالية التي تناقض عُرْف المسلمين وقع الخلاف بينه وبين والده، مما دفعه للتمهل في نشاطه قليلاً والتصرف بحذر. ولكن بعد وفاة والده في عام ١٧٣٧م اندفع بشكل فعّال لنشر أفكاره واستقطاب المؤيدين لمسلكه. ومن الطبيعي أنه بقدر ما جمع من أنصار فقد أثار أيضاً رأياً عاماً يناهض أفكاره.

---

(٩١) ترد روايات مختلفة في المصادر العربية حول زيارته الشام؛ فبعضها يقول إنه لم يزر الشام قط، أو عزم على ذلك لكنه لم يستطع الذهاب. أما جودت باشا فيقول إنه ذهب إليها، بل وتعرف على أمير الحج (جودت باشا، تاريخ جودت، استانبول ١٣٠٨، ٧٣/٢). بينما يقول سليمان شفيق في رحلته (حجاز سياحتنامه سي، ص ٢٧٩-٢٨٠) دون ذكر المصدر الذي اعتمده إن محمد بن عبد الوهاب تعرض لهجوم من البدو عليه وهو في طريقه إلى الشام، فجرح وصرف النظر عن السفر، ثم عاد إلى المدينة المنورة.

(٩٢) الأرشيف العثماني (YEE, 33/331/73/90).

(٩٣) خزعل، المصدر السابق، ص٦٣-٦٤. وعبد الله الصالح عثيمين، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض ١٩٨٦م، ص٤٣.

والشاهد على ذلك أنه عندما تعرض لمحاولة اغتيال بتحريض من مناهضيه اضطر إلى إلى مغادرة حريملاء عام ١٧٤٣م، وعاد للإستقرار في عيينة مسقط رأسه. وهناك استقبله بالترحيب عثمان بن معمر أمير عيينة الذي كان يعرفه من قديم، بل ووفر له الإمكانيات لنشر فكره أيضاً[٩٤]. ولم يقف عثمان بن معمر عند ذلك، بل راح يرسل البيانات إلى القبائل التي يحكمها مطالباً إياها بقبول المذهب الذي جاء به محمد بن عبد الوهاب[٩٥]. فقد كان الأخير قد أقنعه أنه إذا تبنى أفكاره وساعد على نشرها فإنه سوف يصبح حاكماً على نجد كلها[٩٦]. وما إن شعر محمد بن عبد الوهاب بقوة أمير عيينة ظهيراً له زاد على نشر أفكاره أيضاً عملية البدء في تطبيقها. فأعلن صراحة معارضته لبعض المعتقدات الباطلة التي كان أهالي المنطقة يرونها من دينهم، وأمرهم بهدم قبة زيد بن خطاب وبعض المقابر الموجودة في المنطقة بدعوى أنها بدعة[٩٧]. وقد أثار هذا الوضع سخطاً عظيماً بين الناس، ليس في عيينة وحدها، وإنما في كل نجد، وأشعل جدلاً بين القبائل المختلفة من ناحية، وبين أمراء تلك القبائل من ناحية أخرى. ولعل شيخ قبيلة بني خالد وأمير الأحساء سليمان بن محمد الحميدي – صاحب النفوذ القوي في المنطقة، والرجل الذي هو بمثابة الممثل للدولة العثمانية هناك – تخوف من أن تؤدي تلك الدعاية الدينية إلى زعزعة الوضع في القبيلة التي يحكمها، والإخلال بالتركيب السياسي القائم في تلك المناطق[٩٨]؛ فطالب بمعاقبة محمد بن عبد الوهاب في الحال، بدعوى أنه يطرح أفكاراً تخالف ما جرى عليه العرب، وتثير البلبلة بين

(٩٤) عثيمين، المصدر السابق، ص٤٦. وخزعل، المصدر السابق، ص ٧٥-٧٦.

(٩٥) رحلة الحجاز، ص٢٩١.

(٩٦) نفسه، ص٢٩١.

(٩٧) نفسه، ص٢٩٠. وخزعل، المصدر السابق، ص١١٤-١١٧.

(٩٨) Montagne, op., cit., p.134

الأهالي[٩٩]. كما قام في الوقت نفسه بقطع كافة العلاقات التجارية فيما بين الأحساء وعيينة[١٠٠]. وهنا أدرك عثمان بن معمر أمير عيينة مدى وخامة الوضع، فصرّح له أنه لن يستطيع حمايته، وطلب منه مغادرة عيينة. وعلى ذلك قام محمد بن عبد الوهاب بالتوجه إلى الدرعية التي كانت تحت حكم آل سعود[١٠١].

٢- آراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب

قبل التعرض لآراء محمد بن عبد الوهاب يكون من الصائب الحديث عن العوامل التي شكلت شخصيته وصاغت آراءه.

وقد نشأ - كما أسلفنا من قبل- وسط عائلة علم وفضل. وهذا المناخ وتلك الملكة قد أتاحا له إمكانية التفكير بشكل مختلف. ووجد عائلته على نفس الشاكلة تدين بالمذهب الحنبلي، وحصّل هو الآخر تعليمه الأولي على سبيل التعاليم التي جاء بها هذا المذهب. وقرأ بوجه خاص كتب أحمد بن تيمية وابن قيم الجوزية أكبر العلماء فقهاء المذهب الحنبلي، وتأثر بأفكارهما. وبفضل ذلك اعتقد هو الآخر مثل هذين الشيخين بضرورة اللجوء مباشرة إلى المصدر الأصلي، أي إلى القرآن والسنة، بدلاً من محاولة فهم الكتب الدينية والفقهية والفلسفية.

---

(٩٩) رحلة الحجاز، ص٢٩٣.

(١٠٠) رأفت غنيمي، المصدر السابق، ص١٣٦-١٣٧.

(١٠١) تتحدث المصادر الموجودة عن حادثتين كانتا سبباً في إثارة سخط أهالي نجد على الشيخ واضطراره لمغادرة عيينة، الأولي وهي أن محمد بن عبد الوهاب سمع بدوياً فَقَدَ ناقته وهو يتضرع إلي روح زيد بن خطاب قائلاً:" يا زيد ساعدني في العثور على ناقتي" (ذكرت بعض المصادر أنه قال:"يا سعد" وهو أحد أولياء الله الصالحين المدفون هناك). وهنا زجره الشيخ قائلاً:"من يكون زيد هذا، عليك بالتوجه إلي الله وطلب الناقة منه". وهذا الأمر قد أثار علياناً بين سامعيه بدعوى أنه يتنكر لعاداتهم وتقاليدهم ويعتدي على معتقداتهم. أما الحادثة الثانية فهي أن الشيخ أمر بحد الرجم على امرأة أقرت بفعل الزنا، وذلك اعتماداً على إقرارها مع عدم وجود شاهد واحد؛ فكان ذلك مما أدى إلى النزاع. وذلك لأن الأعراف والتقاليد في نجد أقوى من الأحكام الشرعية. في حين أن الأمر قوبل باستهجان، لأنه لم يجر تنفيذ حكم بهذا الشكل منذ زمن طويل على إثم من مثل هذا. وعلى الجانب الأخر عارض العلماء قائلين إن تطبيق العقوبة من اختصاص الدولة وحدها، ولا يحق للأفراد التصدي لذلك (رحلة الحجاز، ص ٢٩٢-٢٩٣؛ وخرعل، المصدر السابق، ص١١٥،١٣٩-١٤١؛ وعثيمين، المصدر السابق، ص٤٨).

ولاشك أن للبيئة الاجتماعية التي ولد ونشأ فيها تأثيراً كبيراً على صياغة أفكاره، فقد كان يعيش حياة البداوة وقسوة العيش كما أشارت إلى ذلك الوثائق العثمانية كثيراً في كافة أنحاء نجد. ومن ثم كانت تسودها أمور كثيرة ظنوا أنها من الدين، وهي في الحقيقة ضرب من الخرافات. أو بتعبير آخر، كانت الأشياء التي قرأها محمد بن عبد الوهاب والأشياء التي شهدها وعاشها هناك تمثل تناقضاً فيما بينها. لأن كافة أهالي نجد في تلك الأيام كانوا مع إسلامهم يعيشون حياة الجاهلية، حتى إنهم تركوا فرائضهم الدينية بتمامها، كما كانوا ينذرون النذور للموتى طالبين المدد منهم[١٠٢]. أي أن أسلوب معيشتهم كان – باختصار – يناقض التعاليم الإسلامية التي تعلمها الشيخ. والدليل على ذلك أن جودت باشا يؤكد هذا الرأي بتعريفه لعربان نجد بقوله: "إنهم يعيشون في ظلمات الجهل والجهالة، ولم يبق من الإسلام عندهم إلاّ الرسم، ومن الإيمان إلا الاسم..."[١٠٣].

وتتميز نجد بخاصية أخرى، وهي أنها كانت مرتعاً لأكثر الأفكار تطرفاً على امتداد التاريخ الإسلامي. وكل من تناولوا شخصية محمد بن عبد الوهاب قد ذكرونا جميعهم تقريباً بذلك التطرف، واستخرجوا التشبيهات منها. فالمعروف أن هذه المنطقة هي التي ظهر فيها مسيلمة أول نبي كاذب، وظهر فيها القرامطة الذين عرّضوا الخلافة الإسلامية في زمن العباسيين للخطر، وزعزعوا دولتهم من جذورها[١٠٤]. ولهذا السبب زعم البعض أن محمد بن عبد الوهاب أيضاً تحمس لتلك الأفكار القديمة، أو على الأقل كان مقلداً لهذا الأسلوب[١٠٥].

---

(١٠٢) رحلة الحجار، ص٢٩٠.

(١٠٣) جودت باشا، المصدر السابق، ١٨٢/٧.

(١٠٤) نفس المصدر، ونفس الموضع. وأيوب صبري باشا، تاريخ وهابيان، استانبول ١٢٩٦، ص٢-٢٣.

(١٠٥) "أن أمر ظهوره حيث ظهر مسيلمة الكذاب، وهدمه لأضرحة الصحابة الذي استشهدوا في الحرب على مسيلمة إنما هو شاهد عدل ودون أدنى تحفظ على أنه بئس الخلف لمسيلمة الكذاب" (جودت باشا، المصدر السابق، ٧/ ١٩٠؛ وانظر كذلك: Russoau, op., cit., p.88).

وهناك أمر آخر كان له أثره في تبلور أفكار محمد بن عبد الوهاب، ألا وهو الرحلات التي قام بها؛ إذ رأى في الأماكن التي زارها كافة المفاهيم الإسلامية تقريباً في عصره، وسبل المعيشة التي هي نتيجتها الطبيعية، مما أتاح له الفرصة للمقارنة بينها(١٠٦).

وقام محمد بن عبد الوهاب بعد هذه التجارب بالشروع في طرح أفكاره التي أنضجها، وذلك من خلال الرسائل التي أرسلها يميناً ويساراً أولاً(١٠٧)، ثم بالكتب(١٠٨) التي ألفها(١٠٩). وكان منهجه في تعاليمه بسيطاً إلى حد كاف. ويمكن إيجازه في العودة إلى أصل الإسلام، أي إلى الشكل الأول الذي جاء به النبي محمد (ص.ع.) والسلف الصالح(١١٠). وهو يرى ضرورة فهم آيات القرآن الكريم كما

(١٠٦) الشيخ، المصدر السابق، ص١٢٦-١٢٧.

(١٠٧) حول رسائله انظر: خزعل،المصدر السابق، ص ٨٣-١٣٧، ١٦٥-٢٠٣.

(١٠٨) للتعرف على مؤلفاته انظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دمشق ١٩٦١، ٢٦٩/١٠. وعثيمين، المصدر السابق، ص٨٢-١٠٠. وانظر أيضاً:
Ahmet Vehbi Ecer, *Osmanlı Tarihinde Vehhabi Hareketi*
(رسالة دكتوراه لم تطبع، كلية الإلهيات بأنقرة ١٩٧٦، ص٥٨-٦٤).

(١٠٩) إن أدبياتنا ضعيفة مع الأسف حول آراء ومؤلفات محمد بن عبد الوهاب، بل إن الكتب والوثائق العثمانية نفسها لا تحتوي معلومات مستضيفة حول الجانب الديني في تلك الحركة. فقد تم تناول المسألة من أبعادها السياسية في الغالب. وفي مقابل ذلك فإن المصادر الأجنبية غنية في هذا الموضوع، وفي السنوات الأخيرة في تركيا أيضاً تضاعف الاهتمام به، غير أن هذا الاهتمام انصب على تأثير الحركة على تاريخ المذاهب والفكر الإسلامي، ولكن على عكس مصادرنا لم ينصب الاهتمام كثيراً على أبعادها السياسية. ويستثنى من ذلك دراسة ذكرناها قبل ذلك قام بها (A. Vehbi Ecer)تحت عنوان:
(*Osmanlı Tarihınde Vehhabi Hareketi*). ولنفس المؤلف بحث آخر قدمه لمؤتمر التاريخ التركي التاسع تحت عنوان:"Osmanlı Tarihinde Vehhabi Hareketi nin Sebep ve Sonuçları" (وهذا البحث تم نشره بعد ذلك في كتاب بعنوان:Üç Tebliğ في قيسرية عام ١٩٨٥م). وعدا هذه الدراسات انظر للحصول على معلومات مستفيضة حول أفكار محمد بن عبد الوهاب: الألوسي، المصدر السابق، ص٧٦-٨٧. والعثيمين، المصدر السابق، ص١١٣-١٧٧. وانظر أيضاً: Ruhi Fığalı, *Çağımızda İtikadi İslam Mezhepleri,* İst 1980, s.63-85.

(١١٠) Albert Haurani, *Arabic Tought in the Liberal Age 1798-1939*, London 1970 p.37

هي دون النظر إلى معانيها المجازية(١١١). ومن هذه الناحية فإن هناك من يرون توازياً بين أفكار محمد بن عبد الوهاب وبين مذاهب الخارجية والظاهرية التي ظهرت قبل ذلك، ودافعت عن أفكارٍ مشابهة. وفي فكره أن الله وحده هو الذي يحرم الحرام ويحلل الحلال. ولا يجب أن تكون كلمة أحد بعد النبي محمد (ص.ع.) دليلاً في أمر الدين. ولهذا السبب لا يجب النظر إلى ما قاله علماء الكلام في موضوع العقائد، ولا إلى علماء الفقه في موضوع الحلال والحرام. وهو في الوقت نفسه يرفض أيضاً التفاسير المعتمدة على العقل والعلم للقرآن والسنة(١١٢). فهي في نظره تفاسير عندية، وتبتعد بالمسلمين عن الأساس الحقيقي. وقد أخذ محمد بن عبد الوهاب مكاناً في الطرف الأول من الجدل الطويل الذي أثاره علماء الإسلام، أو بالأحرى علماء الكلام حتى ذلك اليوم في مسألة: هل تطبيق الأوامر جزء من الإيمان أم لا (العمل جزء من الإيمان)؟ وعلى سبيل المثال فإن الذي يترك صلاة الفرض لأي سبب من الأسباب أو يمتنع عن تأدية الزكاة هو في نظره خارج عن الدين كافر(١١٣). بل إن هذا الأسلوب من التفكير صار معياراً أساسياً في تحديد الموقف الذي يأخذه أنصاره من المسلمين الآخرين.

ويمكننا استعراض أفكار محمد بن عبد الوهاب الأساسية في النقاط التالية:

أ - التوحيد:

يشكل مبدأ التوحيد أساس التعاليم التي جاء بها محمد بن عبد الوهاب، بل إن المعتنقين لهذا المذهب يصفون أنفسهم بالموحدين أو أهل التوحيد(١١٤). أما اسم (الوهابيين) فقد أطلقه عليهم معارضوهم نسبةً إلى مؤسس المذهب. ومع عدم

---

(١١١) Hassan Saab, *The Arab Federalists of the Ottoman Empire*, Amsterdam 1958, p154

(١١٢) A. Vehbi Ecer, *Üç Tebliğ*, Kayseri 1985, s.14

(١١٣) الأرشيف العثماني (HH 3799 A). ورحلة الحجاز، ص٢٨٤. وانظر أيضاً: Ecer, *a.g.e.*, s.14-15

(١١٤) العثيمين، المصدر السابق، ص١١٣.

معرفتنا متى أطلق هذا الاسم تحديداً فإننا نلاحظ استخدام اسم (عبد الوهابيلر=أي أتباع عبد الوهاب) علماً عليهم في الوثائق العثمانية الأولى التي تناولت تلك المسألة[١١٥]. ومبدأ التوحيد الذي هو مصدر الاسم الذي اصطلحوا عليه لأنفسهم هو جوهر الدين الإسلامي نفسه. ويقول محمد بن عبد الوهاب إن التوحيد ثلاثة أقسام؛ أولها الفكرة القائلة بتوحيد الربوبية وأن الله هو خالق كل شيء، ولا فرق في هذا الموضوع مع المفاهيم الإسلامية الأخرى. أما الثاني فهو توحيد الألوهية (أو العملي)، الذي يعني هو الآخر عدم النظر إلى الأوامر والنواهي من غير أوامر الله وسنة رسوله. وبتعبير آخر ترك كل ما صدر في غير عهد النبي (ص.ع)، أي البدع بحسب قوله، وترك التضرع لغير الله أو التوسل بسواه، أي توحيد الله. ومن لا يتفق في هذا فهو كافر، ويحل ماله ودمه للموحدين. لأن حق الشفاعة هو لله وحده. ولهذا السبب فليس من الصواب البحث عن مرشد آخر سوى القرآن، أو طلب الهداية من غير الله. وكما أنه ليس من الجائز طلب الشفاعة من الأنبياء أنفسهم فإن التوسل بالأولياء عند الله، سواء في حياتهم أم بعد مماتهم أمر يُخرج المسلم عن دينه، ويؤدي به إلى الشرك[١١٦]. أما القسم الثالث فهو مبدأ توحيد أسماء وصفات الله عز وجل، ويقول محمد بن عبد الوهاب إنه أمر لا تكتمل الأسس السابقة بدونه، وما أقرّ الله من شيء في القرآن عن نفسه كصفة فلا يجب التفكير في شيء عداه، أي من ناحية الجسم والجوهر والعرض. وفي رأيه أيضاً أن الله ليس له صفات محددة بعدد[١١٧]. كما لا يكفي في التوحيد أن يتعين الله بذاته وصفاته وأفعاله. ومعرفة وحدانية الله ثم ذكرها باللسان أمر لا يكفي، بل يجب على العبد أن يكشف عن ذلك في أفعاله وتصرفاته[١١٨].

---

(١١٥) الأرشيف العثماني (HH 56704).

(١١٦) جودت باشا، المصدر السابق، ٧/١٨٣. والعثيمين، المصدر السابق، ص١٢١-١٢٧. وانظر: Ecer, *a.g.e.*, s.15

(١١٧) العثيمين، المصدر السابق، ص١٢٨.

(١١٨) Ecer, *a.g.e.*, s.15

ب- محاربة البدع

يرى محمد بن عبد الوهاب أن كل شيء ليس له مكان في القرآن والسنة بدعة، ويقول إن اتباعها أو تطبيقها خروج عن الدين، ويظل المسلم كذلك ما لم يترك تلك البدع. ومن هذه الزاوية فإن المجتمعات الإسلامية تعيش في الضلال والمروق منذ عصور. وهو بهذا المعنى قد أعلن الحرب على ثلاثة أشياء يعيشها المسلمون؛ أولها مسألة التقدير والاحترام الزائدين للأولياء، والتبرك بهم في حياتهم، أو زيارة أضرحتهم بعد مماتهم وطلب الشفاعة منهم. ويزعم أن من يتوسل بذلك مشرك، ومن ثم فقد أعلن الحرب على هذا الفهم السائد بين المسلمين منذ عصور، وخاصة تحت تأثير المتصوفة[١١٩]. حتى إن هذا الفكر كان مما أدى إلى إخراجه من عيينة كما سبق وأسلفنا. أما الأمر الثاني الذي رأى فيه بدعة كبيرة فهو مرتبط بالأمر الأول، ويتمثل في التبرك بالأضرحة، وإقامة القباب وغيرها، وذبح القرابين عندها[١٢٠]. وهي أمور يرى فيها محمد بن عبد الوهاب كفراً، وهي التي دفعته حتى لمحاولة هدم قبر الرسول نفسه كما سنذكر فيما بعد. أما الأمور الأخرى التي حاربها الشيخ فهي الأمور التي وصفها بأنها بدع وخرافات، بينما هي تعني الحياة في الأساس من كافة أوجهها. وهي في نظره: مشاركة النسوة في تشييع الجنازات، وتزيين الجوامع والمساجد، والإسراف في الأفراح والأعراس، وشرب التبغ والقهوة، وقراءة شيء آخر عدا الأذان في المآذن، وحلقات الذكر التي يقيمها المتصوفة بشتى الأشكال، بل وصلاة النوافل، واستخدام المسبحة بعد الصلاة[١٢١]، وغير ذلك من الأمور التي لا يمكن للمسلم أن يكون مسلماً ما لم يتركها جميعاً.

(١١٩) هناك كثير من علماء الإسلام كتبوا يردون على هذه الأفكار التي تخالف المذاهب الأخرى. وللتعرف على بعض ما كتب في ذلك انظر :جودت باشا، المصدر السابق، ٧/١٨٣-١٨٤. والأرشيف العثماني (HH 3799 A).

(١٢٠) العثيمين، المصدر السابق، ص١٣٠. والشيخ، المصدر السابق، ص١٣٢-١٣٤.

(١٢١) نفسه، ص١٣٤. وانظر: Ecer, *a.g.e.*, s.15

جـ- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لقد تمسك محمد بن عبد الوهاب بشدة بالمبدأ الإسلامي القائل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسعي – في نظره– للقيام بهذا الواجب أمر من أوامر الدين، وفرض من فروضه. والواقع أن جمهور علماء المسلمين متفق على ذلك. ولكن الفرق بينه وبينهم هو دعوته إلى تطبيق ذلك المبدأ على المفاهيم السابقة عليه، والتقاليد الإسلامية التي يبدو بوضوح أنها ليست من القرآن ولا السنة. وفي هذا الموضوع يكرر محمد بن عبد الوهاب آراء ابن تيمية بعينها، فيرى إمكانية إتمام ذلك الواجب على ثلاث مراحل، الأولى هي التعرف على المعروف والمنكر، والثانية هي المبادرة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والثالثة هي الصبر على الأذى والجفاء الذي يمكن ملاقاته عند النهوض بهذا الأمر[١٢٢]. ولا يكون من المبالغة القول بأن هذا الفكر هو الذي يكمن وراء فكر الجهاد عند الوهابيين، أو بتعبير آخر، في أساس العقلية التوسعية. حتى إن البحث الدؤوب من محمد بن عبد الوهاب عن سيف يظاهر أفكاره إنما هو ثمرة لذلك المفهوم.

٣- تحالف محمد بن عبد الوهاب مع ابن سعود وإضفاء البعد السياسي على الحركة الوهابية

كان محمد بن عبد الوهاب – نتيجة للغضب الذي ثار ضد بني خالد حكام منطقة الأحساء وضده في عيينة – قد اضطر للجوء إلى الدرعية الواقعة تحت حكم آل سعود (١٧٤٤م)، وهناك استقر في منزل أحمد بن سويلم الذي كان تلميذاً له من قبل. وكان يرى في ذلك الموضع مكانا مناسباً له، ولما يفكر فيه من نشاط، وخاصة مع وجود هذا التلميذ ووجود مريديه الآخرين أخوة أمير الدرعية ثنيان ومشاري وفرحان. وظهر بعد مدة وجيزة أنه لم يجانب الصواب في ذلك.

---

(١٢٢) العثيمين، المصدر السابق، ص١٥٤-١٥٧.

وقد قوبل وصوله إلى الدرعية بالتوجس أولاً من قبل حاكم المنطقة. ولكن مع إصرار أقربائه، ولاسيما زوجة الأمير موضى بنت أبي وهطان، رضي الأمير ببقاء محمد بن عبد الوهاب هناك. وتقول الروايات إن زوجة الأمير سمعت بأفكار محمد بن عبد الوهاب واستحسنتها، وأقنعت زوجها قائلة:"إن هذا الرجل غنيمة لك، ولابد من الاستفادة منه"[١٢٣]. وإذا كانت تلك الروايات صحيحة – وأغلبها نقلته المصادر – فيمكننا أن نزعم أن امرأة هي التي وقفت خلف الستار لتمهيد الجو لانتشار الحركة الوهابية.

وكان أمير الدرعية (التي هي قصبة صغيرة بدائية لا تتعدى ثلاثين داراً) وهو محمد بن سعود (ت ١٧٦٥م) شيخاً ضعيفاً ينتسب إلى قبيلة المسالح المنسوبة لعشيرة عنزة المنتشرة في كافة أرجاء الجزيرة[١٢٤]. وكان جده مانع المريدي قد انتقل من القطيف إلى تلك المنطقة في أواسط القرن الخامس عشر واستقر فيها، ومنذ ذلك التاريخ وحُكم الدرعية واقع تحت سيطرة تلك العائلة[١٢٥]. وهي على خلاف دائم مع بني خالد حكام الأحساء الذين كانوا يرسلون الحملات المتتالية على تلك المنطقة. ولعل هذا الأمر واحد من الأسباب التي دفعت محمد بن عبد الوهاب لاختيار هذا المكان أو للترحيب به هناك. فقد كان لبني خالد دورهم في إخراجه من عيينة كما أسلفنا من قبل. فيكون هذا الأمر قد ساعد على نشوء تحالف طبيعي بين الشيخ وبين شيخ الدرعية ضد خصم مشترك.

ولكن التحالف الأساسي وقع مع قيام المحيطين بمحمد بن سعود أمير الدرعية بإقناعه، ثم مجيئه إلى دار أحمد بن سويلم، وحديثه مع محمد بن عبد الوهاب. وبعد أن عرض الأخير أفكاره بإيجاز في هذا اللقاء راح يعيد عليه ما ذكره من قبل لأمير

---

(١٢٣) الريحاني، المصدر السابق، ص٤٠-٤١. وخزعل، المصدر السابق، ص١٥٨-١٥٩.

(١٢٤) الأرشيف العثماني (DH-MUİ, 1328 Ca 17-4).

(١٢٥) للمزيد من المعلومات حول العائلة انظر: خزعل، المصدر السابق، ص١٤٩-١٥٦.

عيينة، وأقنعه أنه في حالة قبوله لأفكاره فإنه قد يصبح حاكماً لنجد كلها. واقتنع محمد بن سعود، لكنه طرح شرطين لأجل التحالف؛ أولهما أنه إذا قدر النجاح لهم نتيجة مساعدته ألا يتركهم محمد بن عبد الوهاب، والثاني هو عدم المعارضة في تحصيل الجبايات التي يأخذها من القبائل التابعة له زمن الحصاد. وهنا مد محمد بن عبد الوهاب يده إليه على عادة العرب، وقال له: الدم بالدم والهدم بالهدم (أي دمك دمي ودارك داري)، وبعد أن أوضح أنه يقبل الشرط الأول، قال له مصرحاً على الشرط الثاني:" بفضل الفتوحات التي سيفتحها الله علينا سوف تحصل على غنائم تزيد بكثير عما تجمعه الآن من خراج"[١٢٦]. ونتيجة لتحالف (١٧٤٤-١٧٤٥م)[١٢٧] اكتمل على هذا الشكل شرع محمد بن سعود في جعل محمد بن عبد الوهاب يقيم في دار قريبة منه. بل وتقول بعض الروايات أنهما تقاسما المهام والواجبات في هذا التحالف، فكان أمير الدرعية يدير الشؤون السياسية والإدارية، بينما أصبح محمد بن عبد الوهاب مرجعاً استشارياً في الأمور الدينية والأمور الأخرى. وحتى إذا لم يكن هناك تقاسم عمل من مثل ذلك أثناء عقد التحالف فإن كافة المصادر تجمع على أن الوضع الفعلي قد تطور في هذا الاتجاه[١٢٨].

وقد فتح ذلك التحالف صفحة جديدة في تاريخ نجد خلال عام ١٧٤٥م، لكنه ابتعد عن شكله الأول كما ظهر، وأقيم على أسس كان القصد منها كسب القوة المادية على حساب الجانب الديني. أو على الأقل كانوا يبتغون النفع المادي من وراء النشاط الديني. وبتعبير آخر لقد اكتسبت تلك الحركة إذن بعداً سياسياً. ولعله من جراء ذلك أيضاً يزعم البعض أن هذا التحالف هو الذي شكل الأسس لقيام

---

(١٢٦) الألوسي، المصدر السابق، ص١١٠. وخزعل، المصدر السابق، ص١٥٩-١٦٠. وانظر: Saab, op. cit., pp. 155-156.

(١٢٧) يرد تاريخ التحالف بصور متباينة في مختلف المصادر بين ١٧٤٠-١٧٤٤م. ونحن فضلنا التاريخ الذي ورد في المصادر التركية، وهو التاريخ الأكثر شيوعاً.

(١٢٩) جودت باشا، المصدر السابق، ص١٩١. والعثيمين، المصدر السابق، ص٥٩-٦٢.

الدولة السعودية الأولى. ومع قابلية هذا التوجه للجدل فإن الواقع أيضاً أن الحركة التي تقدمت بفضل هذا التحالف قد فتحت باباً واسعاً للجدل مازال مستمراً إلى اليوم في العالم الإسلامي، كما أن سلطة الدولة العثمانية – وهي دولة ذات طابع ديني – قد تزعزعت في العالم الإسلامي مع ظهور تلك الحركة الدينية(١٢٩). حسنٌ، فماذا كان عليه موقف الدولة العثمانية ورد فعلها في خضم كل هذه التطورات؟

ثانياً: دخول السلطة العثمانية هناك مرحلة الخطر: استيلاء الوهابيين على الأحساء والحجاز

١- سياسة الوهابيين في التوسع ومحاولاتهم الأولى

مع وصول محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية بدأ النشاط يدب فيها، فمن ناحية أخذ مريدوه القدامى في التقاطر عليها، ومن ناحية أخرى شرع العديد من الناس في الإقامة داخل الدرعية حتى يشاركوا في سماع دروس الشيخ. كما تم توطين الدعاة بها بشكل منظم وتحالفاً مع محمد بن سعود. وراح محمد بن عبد الوهاب يبعث الرسائل المؤثرة في كل اتجاه(١٣٠). حتى ظهرت النتيجة خلال مدة وجيزة، وبدأت ترد البيعات من القبائل المحيطة. وهنا استشعر الوهابيون قوتهم والنفوذ الذي حصلوا عليه، فتخلوا عن سياستهم السلبية، وبدأوا يندفعون بشكل فعال يميناً ويساراً، ويفرضون أفكارهم وينشرونها بين القبائل. فقد كانت القوة هي الأسلوب الوحيد الذي تفهمه القبائل البدوية آنذاك، وكان الحليفان يدركان ذلك جيداً. وبعد أن أشرك الوهابيون عدداً من القبائل الضعيفة المحيطة بهم في التحالف كان أول هجوم كبير لهم هو الذي قاموا به على الرياض، وهي قصبة تقع بالقرب من الدرعية. والسبب

(١٢٩) يقول يوسف آقچورا وهو يتحدث عن الحركة الوهابية: "إن الوهابيين –عدا أنهم أجروا تعديلاتهم الدينية في أوائل القرن التاسع عشر– قد أخرجوا الجزيرة العربية من الحكم العثماني، وكان هدفهم إقامة دولة عربية مستقلة"، ويؤكد ذلك مدى حجم الضعف الذي بلغته السلطة العثمانية في المنطقة. انظر: Yusuf Akçura, *Osmanlı Devletinın Dağılma Devri (XVIII. Ve XIX. Asırlarında)*, Ankara 1988, (3. baskı), s.25

(١٣٠) للتعرف على تلك الرسائل انظر: خزعل، المصدر السابق، ص١٦٥–٢٠٤.

غاية في البساطة والوضوح؛ فقد دعي ابن دوّاس أمير الرياض وصديق محمد بن سعود للدين، فلما رد الدعوة ساروا عليه[١٣١]. وبعد ذلك الهجوم أعقبه هجمات أخرى، وشرعوا في التوسع داخل نجد كلها شيئاً فشيئاً، ونَهْب القبائل المحيطة بهم لنفس الأسباب، فلم يكن أمامهم من خيار آخر، لأن المعارضة لهم في نجد قد تزايدت، وهم أيضاً مضطرون لتشديد ضرباتهم توازياً مع ذلك. حتى إنهم بلغوا الأحساء في أثناء ذلك، لكنهم عادوا أدراجهم دون تحقيق نجاح. ولم يكن هذا السلوك غريباً قط على البدو العرب، فتقبلوه بسهولة. كما أن قيامهم بذلك باسم الدين قد أكسب المشروعية أيضاً لعملياتهم في النهب والسلب. ولكن محمد بن سعود لم يستطع – رغم رغبته في ذلك – أن يقترب من المدن الكبرى المجاورة خوفاً من رد فعل الدولة العثمانية[١٣٢]، وتوفي عام ١٧٦٥م. بل ويروى أنه نادى ولديه عبد الله وعبد العزيز قبل مدة وجيزة من وفاته، وأوصاهما بالتعايش جيداً مع الدولة العثمانية، والامتناع عن القيام بشيء قد يلفت نظرها[١٣٣]. ولما توفي تولى بدلاً منه عبد العزيز بن محمد (ت ١٨٠٣م) ولده وصهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

أما محمد بن عبد الوهاب فقد ذاعت شهرته كثيراً، وعُرف بالشيخ النجدي[١٣٤]، وهو في الأصل كان معروفاً من قبل في أنحاء البصرة والأحساء ومكة المكرمة والمدينة. ولكن انتشار شهرته سريعاً بهذا الشكل قد أثار كثيراً من الجدل بين العلماء، حوله وحول أتباعه. وكان هناك من رماه منهم بالخروج والمروق والكفر، ويأتي في مقدمتهم أخوه سليمان بن عبد الوهاب قاضي حريملاء[١٣٥]. بل إن الوهابيين قتلوا رجلاً لأخيه جاء برسالة إلى الدرعية تتضمن أفكاراً مناهضة له

(١٣١) الريحاني، المصدر السابق، ص٤٤.

(١٣٢) خزعل، المصدر السابق، ص٢٦٤.

(١٣٣) رحلة الحجاز، ص٢٩٨.

(١٣٤) الأرشيف العثماني، (HH 3826)؛ وجودت باشا، المصدر السابق، ص١٩١.

(١٣٥) الريحاني، المصدر السابق، ص٤٣.

قرأها هناك(١٣٦). أما أكثر الأماكن التي عاشت هذا النوع من المجادلات بشكل مكثف فكانت مكة المكرمة والمدينة، لأن الشيخ النجدي الذي يصف بالبدعة أسلوب المعيشة السائد فيهما من قديم كان يرمي بوجه خاص أشراف مكة المكرمة(١٣٧) الذين يحكمون باسم الدولة العثمانية بالكفر(١٣٨). وهذا الأمر كان يثير - بالطبع - هواجس الأشراف أصحاب الكلمة دون غيرهم في المنطقة؛ لأنهم كانوا يدركون أن هذه الاتهامات لن تبقى قولاً دون فعل، وإنما سوف تنتهي بهجوم فعلي. وكان أقل ما يتخوفونه أن يصبحوا وجهاً لوجه أمام انقطاع مصالحهم المادية التي توفرها لهم القبائل إذا حدث وتأثرت بتلك الدعاية فأدارت لهم ظهرها ومالت إلى جانب الوهابيين. وذلك لأن الوهابيين لم يتحركوا في سياستهم التوسعية مثل غيرهم، بل كانوا يدعون أنهم سوف يسيرون في الناس بالعدل حيثما حلوا في ظل المذهب الذي يعتنقونه، ويسعون لاستقطاب القبائل البدوية الواقعة تحت حكم

---

(١٣٦) خزعل، المصدر السابق، ص٢٠٥.

(١٣٧) عقب أن دخلت الشام ومصر تحت الحكم العثماني على يدي السلطان سليم الأول عام ١٥١٧م بادر أشراف مكة المكرمة الذين كانوا يخضعون للحكم المملوكي في مصر حتى ذلك التاريخ ويسيطرون على منطقة الحجاز بالاعتراف بالسيادة العثمانية. وكان يحصل الشريف الذي يجري تعيينه في إمارة مكة المكرمة على براءة أو منشور يحمل طغراء السلطان علامة على وظيفته. وفي هذا المنشور يجري بعد تعداد المهام الملقاة على عاتقه توصيته بالعدل بين الناس، ورعاية مصالحهم. وكان من بين مهام الأشراف رؤية مصالح العربان في منطقة الحجاز، والنظر في قضاياهم؛ والعمل على راحة الحجيج وأمنهم، وخاصة الحيلولة دون تسلط العربان فيما بين مكة المكرمة والمدينة عليهم؛ وكذلك ضمان توزيع الصُرر المرسلة كل عام من استانبول ومصر على الفقراء وعلى أصحاب الحق فيها بالعدل. وكان المنشور الممنوح للشريف يكتب بالتركية، ولكن لأنهم لا يعرفونها في الغالب فقد كانت ترسل إليهم رسائل همايونية كل عام في موسم الحج باللغتين العربية والتركية. كما كان يعمل تحت إمرة الشريف أمير مكة المكرمة دائرة تعرف بالديوان التركي مهمته المكاتبات مع مركز الدولة. وقد استمر ذلك الوضع حتى تمرد الشريف حسين عام ١٩١٦م إلا بعض الانقطاعات التي كانت تطرأ من حين لآخر. ومهما شاء الشريف حسين في هذا التاريخ الانفراد بحكم المنطقة مستقلاً عن الدولة فإن العثمانيين واصلوا سيادتهم حتى عام ١٩١٨م مع شريف آخر نصّبته (هو الشريف علي حيدر) حتى ولو كان بصورة اسمية فقط. انظر: İsmail Hakki Uzunçançılı, *Mekke-i Mükerreme Emirleri*, Ankara 1984 (2. baskı), s.146-49; Ecer a.g.e., s.28-32

(١٣٨) الأرشيف العثماني (HH 3826).

الأشراف (أو على الأقل القبائل التي سئمت حكمهم)[١٣٩]. ولهذا السبب استفتى الشريف مسعود بن سعيد (ت ١٧٥٢م) علماء مكة المكرمة، فحصل منهم على فتاوى لأول مرة عام ١٧٤٩م تبيح قتل محمد بن عبد الوهاب إذا لم ينصرف عن أفكاره، ثم أخبر الباب العالي بهذه الفتاوى[١٤٠]. وجاء في الرد القادم من استانبول أن يسعى الشريف لإقناع الشيخ وإنقاذ الأهالي من الضلالة. كما جرى إطلاع عثمان باشا (والي الحبش وشيخ الحرم المكي مع سنجقية جدة في نفس الوقت) على الأوضاع، وأمره الباب العالي بالتعاون مع شريف مكة المكرمة، والسعي الحثيث لحل المشكلة[١٤١]. وجاء كذلك في رسالة أخرى وجهت للشريف بأن يجري تجهيز جيش عند الضرورة وإعداد الإمدادات المادية اللازمة من أجل القضاء على الشيخ محمد بن عبد الوهاب[١٤٢]. وكان عبد العزيز قد تولى حكم الوهابيين، وكان رجلاً يفوق والده في حدة المزاج، وأكثر منه تمسكاً بالتعاليم الوهابية. كما كان أكثر جرأة واندفاعاً؛ فلم يتحرك بحذر في مواجهة الدولة العثمانية مثل والده، واختار – بدلاً من ذلك – التضييق عليها، وراح يوجه غاراته نحو أطراف الحجاز والعراق.

---

(١٣٩) الأرشيف العثماني (HH 3788 A.).

(١٤٠) أيوب صبري، المصدر السابق، ص٣٥.

(١٤١) Uzunçarşılı, *a.g.e.*, s.105.

(١٤٢) تقول صورة الفرمان الذي أصدره السلطان محمود الأول في هذا الصدد:".. لقد أعلمتمونا في خطابكم الذي وصل إلى باب سعادتنا أنه لما بادرتم بالتحرك لاطفاء نار الطغيان طبقاً لما فرضته الظروف والأحوال قام الملحد المذكور وبكل أنواع الحيل باستمالة أهالى تلك المناطق إلى جانبه ولم يعد ممكنا الاقتراب من تلك المناطق، ويوماً بعد يوم ازداد تغلب الأهالي المبتلين به وزادت سطوتهم، وأنه إذا وقع تكاسل أو تهاون في ذلك الأمر فمن الواضح أنه يستلزم في النهاية جهوداً عظيمة لدفعه، ولن السير عليه بالعساكر اللازمة من طرفكم سواء للقضاء على الملحد المذكور أم للقضاء على أعوانه إنما هو أمر يحتاج من دولتنا العلية للامدادات والإعانات. إن القضاء على الملحد المذكور وعلى أتباعه الجهلة بسيف الشريعة، كما أن تحرير الأراضي المقدسة هي من فروض الديانة والسياسة، ولهذا فقد أصدرنا فرماننا الهمايوني بأن تبذلوا همتكم لتجهيز العدة والعتاد وإعداد العساكر والأجناد للسير عليهم وقتل الملحد المذكور واستئصال شأفة أتباعه" (أرشيف رئاسة الوزراء العثماني، جودت داخلية ٦٧١٦)، وانظر أيضاً Uzunçarşılı, *a. g. e*, s. 105 - 106.

وكان اتجاههم إلى أطراف العراق، وسيرهم من على الأحساء بوجه خاص يستهدف بغير شك أموراً اقتصادية واستراتيجية. أما اتجاههم ناحية الحجاز فكان في البداية على الأقل يستهدف غاية دينية. لأن الوهابيين كانوا – كما أسلفنا سابقاً – يرون في تطبيق أوامر الدين جزءاً من الإيمان. أما فريضة الحج التي هي واحد من أسس الإسلام الخمسة فكانت واحداً من تلك الأوامر، وهؤلاء أيضاً يريدون القيام بذلك الواجب. ومن ناحية أخرى فإن طريق الحج لم يعد آمناً بسبب الغارات التي كان الوهابيون يشنونها دون هوادة هنا وهناك، وكانت أعداد الحجاج المتوجهين إلى مكة المكرمة المكرمة في تناقص مطرد. وهذا الوضع بالطبع كان يضر بالحياة الاقتصادية في البلدات المقدسة، إذ كان يزيد نشاطها كثيراً مع وفود الحجيج، وذلك كان يؤدي إلى تقلص موارد شريف مكة المكرمة. ومن ثم أعلن أمير مكة المكرمة الجديد الشريف سرور بن مساعد (ت ١٧٨٨م) في عام ١٧٧٠م أنه قد يسمح للوهابيين بالحج إلى مكة المكرمة إذا قبلوا تأدية ضريبة تشبه تماماً الضريبة التي يؤديها الشيعة. ولم يقبل الوهابيون هذا المقترح، وإنما فضلوا سبيل الحل بالسيف، وشرعوا في شن غاراتهم على أطراف الحجاز(١٤٣).

وكان الشريف سرور يدرك خطورة الأوضاع، فكتب إلى الباب العالي مطالباً إياه بالتنكيل بالوهابيين. وبادر الباب العالي بمذاكرة الأوضاع، ثم قرر استطلاع الرأي بسؤال ولاة بغداد والموصل والشام وجدة، وطالبهم بالتحقيق في الأمر. ونتيجة للمكاتبات التي تمت في هذا الموضوع، وخاصة القادمة من جدة وصل الباب العالي إلى قناعة بأن المسألة ليست بهذا القدر من الأهمية، ومن ثم لم ير بُداً لتعقبها(١٤٤). وسمع محمد بن عبد الوهاب أن الشكاوى في حقهم بلغت الباب العالي، فأرسل أحد رجاله إلى والي الشام يخبره:" بأنه يعلم [أي الوالي] بحاله

(١٤٣) جودت باشا، المصدر السابق، ص١٩٢.

(١٤٤) رحلة الحجاز، ص٢٨٠.

وتصرفاته عندما كان في الشام، وليس له في الدرعية من عملٍ سوى التدريس لطلابه، وبناءاً على ذلك فإنه ليس هناك إمكان أيضاً لحركة كالتي يزعمها الشريف". وبعد أن أضيفت تلك الأقوال عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الخطاب القادم من الشام ذكر فيه أنه ليس رئيساً لقبيلة، ومن ثم فليس بإمكانه التمرد، وأن ما أخبر به الشريف أمور من قبيل المبالغة[١٤٥].

والمعروف أن العصبية عند العرب البدو، أي الولاء للقبيلة أمر مهم جداً، ولأجل هذا فالواقع أن حركةً على هذا النحو لا يستطيع أحد أن يديرها إلا إذا كان شيخاً أو أميراً لقبيلة من القبائل. في حين أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نظر والي الشام ليس من ذوي العصبية، وإنما هو زعيم ديني فقط مثل الكثيرين غيره. وفي هذا الموضوع يقول جودت باشا إنه لم يكن من أصحاب العصبية، ولهذا تحالف مع محمد بن سعود، واختار سبيل الاستفادة من قوته، وقام بكتابة خطابه المذكور حتى يخفي نواياه، ثم يضيف الباشا:" إن غفلة موظفي الدولة العلية أنفسهم آنذاك في مثل هذه الأمور السياسية كانت في ذروتها، ولأجل هذا لم يفطنوا إلى أهداف الوهابيين ومقاصدهم "[١٤٦]. بل ويقال أيضاً إن محمد بن عبد الوهاب اختار نجد، وهي البعيدة عن رقابة الدولة، حتى يتمكن من نشر أفكاره[١٤٧]. وعلى الرغم من كل ذلك يتبين أن المسألة اتسعت بسبب إهمال أشراف مكة المكرمة وأطماعهم وسياساتهم الخاطئة. ويجب علينا أن نتمهل فيما زعمه جودت باشا حول أن رجال الدولة لم يعطوا المسألة الأهمية اللازمة لعجزهم عن فهمها. لأنهم أعلنوا الأشراف في عام ١٧٥٠م أن هناك ضرورة دينية وسياسية للقضاء على محمد بن عبد الوهاب إذا لزم الأمر. وفي مقابل ذلك لم يقم هؤلاء بمبادرات جادة في هذا الموضوع حتى العقد

(١٤٥) جودت باشا، المصدر السابق، ١٩٣.

(١٤٦) نفسه، ص١٩٣

(١٤٧) أنيس، المصدر السابق، ص٢٢٩.

الثامن من القرن الثامن عشر، ولعل ذلك هو الذي جعل الباب العالي يخطئ التقدير في حجم الخطر. والدليل على ذلك أن هناك محضراً بغير تاريخ قُدم للسلطان من طرف شيخ الإسلام يؤكد ذلك الرأي، ويسرد في الوقت نفسه المعلومات التالية التي تبين كيف انتقلت المسألة إلى الباب العالي، فيقول:" إن شيخ نجد محمد بن عبد الوهاب رجل على المذهب الحنبلي، ويتعصب لمعتقدات الأشعرية. وهذا التعصب هو السبب في انتقاده لتصرفات ومواقف أشراف مكة المكرمة. كما يزعم أنهم زيديون ويرميهم بالكفر، مما أبرز العداوة بينه وبين الشريف. وكان الأخير قد راجع الدولة مطالباً بالتصدي لهم. ولما تبين من التحقيقات التي أجريت لمعرفة كنه الأمر (أن الشكاوى مبنية على أهواء نفسانية) لم تنهض الدولة لتلبية طلباته. ولكن بناءاً على المراجعات التي جرت من جديد في أوائل عهد السلطان عبد الحميد الأول تقرر أولاً أن يقوم والي جدة بالسير على نجد، ومن بعده والي بغداد "[١٤٨].

وكما أسلفنا الذكر أن السبب الرئيس وراء تضييق الوهابيين على الحجاز كان دينياً. والهدف الأساسي لهم هو الاستيلاء على أطراف الأحساء التي هي بمثابة الباب الذي يفتح لهم على العالم الخارجي. فإذا تحقق لهم ذلك فسوف يكون من اليسير عليهم الامتداد إلى أطراف الحجاز والعراق على السواء. كما كانوا يدركون أنهم لو دخلوا الحجاز بشكل مباشر فإن الدولة العثمانية قادرة على طردهم منه. لأن الدولة مع خشيتها أن تتزعزع هيبتها في نظر كل المسلمين سوف تتصدى لهم بكل ما لديهما من قوة. في حين أن الدعم اللوجستي الذي يمكن للوهابيين الحصول عليه من نجد لم يكن كافياً. ولهذا السبب كانوا يضيقون على الحجاز من ناحية، ويتوجهون إلى الأحساء من الناحية الأخرى.

---

(١٤٨) الأرشيف العثماني (HH 3826).

٢- احتلال الوهابيين الأحساء ومحاولات العثمانيين لاستردادها

بعد أن استقطب الوهابيون القبائل المقيمة في القرى والقصبات القريبة من الدرعية، مستخدمين القوة مع بعضهم والإقناع مع البعض الآخر، اتجهوا ناحية القصيم واستولوا عليها[١٤٩]، وهي تقع على طريق الحج إلى المدينة المنورة، وعُرفت بمعارضتها للوهابيين، وهي الباب المفتوح على الأحساء[١٥٠]. ولكن على الرغم من سيرهم على الأحساء مدة إلا أنهم اكتفوا ببعض الغنائم ثم عادوا.

وكان حكم منطقة الأحساء في أيدي مشايخ قبيلة بني خالد، يتولونه باسم الدولة العثمانية. وبفضل حسن إدارتهم لها تقدمت الحركة التجارية فيها كثيراً، ففي عام ١٧٩٠م مثلاً كانت الضريبة الجمركية في ميناء القطيف من الأحساء بنحو واحد في المائة. ولهذا السبب كانت مكاناً يقبل عليه التجار الأجانب[*]، ومركزاً يلبي كافة احتياجات نجد تقريباً، ومن ثم كانت تشكل نقطة جذب للوهابيين. أضف إلى ذلك أن حكامها كانوا أول من عارضوا الحركة الوهابية بالفعل، ولهذا كانت الخصومة بين الطرفين قديمة. فكان أن شرع الوهابيون في توجيه حملاتهم على الأحساء عام ١٧٩٢م بعد أن أحكموا مواقعهم في دواخل نجد. واستطاعوا خلال تلك الغارات التي استمرت نحو ثلاثة أعوام أن يهزموا أولاً أهل منتفك الذين سارعوا لمعاونة المنطقة[١٥١]، ثم أعقبوا ذلك أيضاً باستغلال المنازعات بين عائلة بني خالد، والسيطرة في عام ١٧٩٥م على الأحساء بكاملها، ونصبوا عليها حاكماً

---

(١٤٩) منطقة القصيم هي أهم محطة على طريق الحج من سوريا إلى شمال المدينة المنورة، وهي في الوقت نفسه أهم الطرق الموصلة أيضاً إلى الدرعية مركز الحركة الوهابية؛ إذ يمكن المرور من القصيم شرقاً نحو الشمال والوصول إلى المدينة، وكذلك من الشرق إلى الجنوب على الدرعية إلى المدينة (John Lewis Burckhardt, *Travels in Arabia*, London 1986- الطبعة الثالثة -p.458)

(١٥٠) خزعل، المصدر السابق، ص٢٩٢-٢٩٧.

(*) Lorimer, op.cit., p.1422

(١٥١) جودت باشا، المصدر السابق، ص ١٩٦.

منهم[١٥٢]. ويبدو – كما قال الدكتور خليل اينالجيق – أن سيطرة الوهابيين على القصيم والأحساء أمر له الأولوية في سياسة التوسع عندهم، وهي أولوية منطقية جداً[١٥٣]. ولو كان همهم هو التوجه أولاً ناحية الحجاز لكانوا أثاروا غضب الدولة العثمانية وبلدان العالم الإسلامي الأخرى. كما كانوا سيعدمون الدعم اللوجستي اللازم لترسيخ أقدامهم هناك.

وكانت الدولة وكأنها صامتة تجاه كل هذه التطورات بسبب ما كانت تعانيه من أزمات واضطرابات داخلية أعقبت حروبها مع الروس (١٧٦٣ و ١٧٦٨). ولكن الأشراف الذين أدركوا وخامة الكارثة الوهابية، وكذلك أهالي مكة المكرمة المكرمة والمدينة وكبار رجالهم كانوا يراجعون الباب العالي باستمرار مطالبين إياه بحل للمسألة. ففي أحد المحاضر الذي قدمه قاضي مكة المكرمة وعدد من الأشراف – مثلاً – ذكروا فيه أن أنصار محمد بن عبد الوهاب يقتلون وينهبون العرب المجاورين للشام وعنيزة وبغداد والبصرة والمدينة المنورة، ويريدون الاستيلاء على مكة المكرمة؛ وطالبوا الباب العالي بالقضاء على تلك الحركة[١٥٤].وهناك أيضاً وبنفس الشكل عريضة بغير تاريخ قدمها قاضي المدينة عطاء الله أفندي وأشراف المدينة تحدثوا فيها عن الخطر نفسه، وطالبوا الباب العالي بحمايتهم منه[١٥٥]. وكان الأشراف – مع زيادة نفوذهم في الحجاز نتيجة ضعف الدولة في سنواتها الأخيرة – يقومون بتصعيد الأمور بحجة اتخاذ التدبير ضد الوهابيين دون تشاور مع الدولة وتوجساً من ضياع نفوذهم تماماً، ويسعون من الطريق الآخر إلى التضييق على الباب العالي. حتى إن الشريف غالب (ت ١٨١٧م) الذي تولى إمارة

---

(١٥٢) أنيس، المصدر السابق، ص٢٣٠. وانظر أيضاً: Lorimer,op.cit., p.1579; Montagne, op.cit., p.135

(١٥٣) Halil İnalcık, (Recession of the Ohoman Empire and the Rise of the Saudi State), Studies On Turkish-Arab Relations, 1988/3, p 72. (STAR ومن بعد ذلك)

(١٥٤) الأرشيف العثماني (HH 3855 B).

(١٥٥) الأرشيف العثماني (HH 3855 B, İ).

مكة المكرمة عام ١٧٨٨م قام بعدة حملات على الوهابيين[١٥٦]، ولكنه لما لم يحقق نجاحاً في ذلك كتب إلى الباب العالي، وأخبره أن شوكة الوهابيين قويت، وأنهم يمنعون دخول المؤونة والماشية إلى مكة المكرمة، وأنهم يعانون الضيق من ذلك، وبناءً عليه يطلب إحالة الموضوع إلى سليمان باشا والي بغداد (ولايته ١٧٨٠-١٧٨٢م)، والتنكيل بالوهابيين على يديه[١٥٧]. كما قام والي الشام وصيدا وأمير الحج في نفس الوقت أحمد باشا الجزار بإرسال خطاب في نفس المعنى (٩ ربيع آخر ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م)، وذكر أن المسألة أخطر بكثير مما نقله الشريف غالب، وأن الوهابيين يضمرون في أنفسهم تخريب مكة المكرمة بدعوى أنها لا تعتقد ما يعتقدون[١٥٨]. وبناءاً على ذلك اجتمع في استانبول مجلس مشورة مثلما حدث في السنوات السابقة، وتدارس أعضاؤه الموضوع.

وقد تبين أن الجانب الديني في الأمر هو الذي جرت مناقشته في ذلك المجلس أكثر من البعد السياسي. فقد كان فيه عدد ممن عملوا بالقضاء في الحجاز من قبل، فذهب بعضهم إلى "أن الأفكار التي طرحها محمد بن عبد الوهاب – الذي توفاه الله قبل مدة قصيرة في يونيه ١٧٩٢م –[١٥٩] ليست خطأ من حيث الأساس، ولا يمكننا أن نقول شيئاً في رجل يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، فظهروا وكأنهم يوافقونه الرأي؛ أما البعض الآخر فقد زعم "أنه رجل يحمل فكر تخريب

---

(١٥٦) يقول إسماعيل حقي أوزون جارشيلي "إن المصادمات التي وقعت بصغيرها وكبيرها بين قوات الشريف غالب أمير مكة المكرمة وقوات ابن سعود تربو على الخمسين، واستمرت تلك المصادمات من عام ١٧٩٠ حتى عام ١٨٠٥م (Uzunçarşılı, *a.g.e.*, s.117).

(١٥٧) الأرشيف العثماني (HH 3855 C, D, F, J, K, 3856) وانظر: Uzunçarşılı, Osmanlı Tarihi, Ankara 1983 (طبعة ٢)، IV-II/40.

(١٥٨) الأرشيف العثماني، (HH 3803, 3949).

(١٥٩) هناك من أرخ لوفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عام ١٢٠٦هـ بحساب الجمل بعبارة "بدا هلاك الخبيث" (الأرشيف العثماني YEE 33/331/73/90).

مكة المكرمة المكرمة مثل أصحاب الفيل[١٦٠]، وهو بلا شك رجل خارجي من الضرورة تأديبه". بينما ذهبت مجموعة ثالثة إلى" أن المشكلة ظهرت من الخلاف بين عائلة سعود والشريف غالب، ولأجل هذا لا بد من سؤال والي بغداد هو الآخر عن الأمر"[١٦١].

ويبدي جودت باشا دهشته تجاه هذا القدر من الجهل في مجلس مشورة حول هذا المذهب الذي ذاع منذ مدة طويلة، ووضعت الكتب للرد عليه في أنحاء الحجاز والعراق، ويقول[١٦٢]: "أمر لا يمكن تصديقه أن تظهر مسألة مذهبية تكون سبباً في تشكيل حكومة مستقلة في داخل ملكها [أي ملك الدولة] ثم هاهي تعيش منذ خمسين أو ستين سنة ولا يستطيعون إلى اليوم الحصول على معلومات صحيحة حولها"[١٦٣]. ولكن يبدو أن المسألة تطورت بهذا الشكل ليس من جراء الجهل بها،

---

(١٦٠) إشارة إلى أصحاب الفيل وأبرهة الذي شاء هدم الكعبة كما جاء في القرآن الكريم.

(١٦١) جودت باشا، المصدر السابق، ص ١٩٤ – ١٩٥.

(١٦٢) المصدر نفسه، ص ١٩٥.

(١٦٣) ورغم ذلك يطرح الباشا الرأي الطريف التالي حتى يبرز أن ذلك كان ممكناً، فيقول : " ولكن لو كان لأحد اطلاع آنذاك على حقائق الأمور فإنه ليس بالأمر المستبعد كثيراً؛ لأن رجال العلم في استانبول كانوا ينقسمون وقتها إلى ثلاثة أقسام، أحدها العلماء الرسميون الذين يشغلون المناصب العلمية، والثاني هم القضاة والكتبة الذين يمارسون بالفعل الوظائف الشرعية، والثالث هم المدرسون والأساتذة والطلاب. وأصحاب المعرفة بين القسم الأول يندر وجودهم كثيراً، أما القسم الثاني فإن رأسمال معلوماتهم لايزيد عن تطبيق القضية الواقعة على المسائل المدرجة في كتب الفتوى ثم صياغة الإعلامات طبقاً لأصول الصك، وهم بعيدون عن أمر المباحثات العلمية، وأصحاب الصنف الثالث فهم يحصرون جل جهدهم في جرح ودحض الأفكار الفلسفية مرة ثم في جرح ودحض عقائد المعتزلة مرة أخرى، مع أنهم محرومون من نظريات وعمليات العلوم الشرعية، ويرمون بالجهل لصحاب القسمين السابقين. ولأنهم بمثابة صنف مخصوص بعيد عن موظفي الدولة فمن المحتمل أنهم لم يتمكنوا بعد من متابعة ما يجري من مباحث مذهبية منذ عشرات السنين في جزيرة العرب. وهذا هو حال أصحاب طريق العلم، أما حال الموظفين المدنيين فهم عاجزون عن تمييز وتقويم التهويلات والمبالغات التي يطلقها عدد من الوعاظ من لصحاب التعصب البارد الذين لا يفهمون في نزاع مذهبي يجري في الصحراء . وعلى الرغم من أنهم بدأوا في التيقظ والتنبه بعد المهاترات التي شهدوها عندما بدأ الوهابيون اعتداءاتهم على أطراف الحجاز والعراق إلا أن مركز السلطنة لم يدرك بعد كنه الأمر وسلك سبيل التعصب السابق، وظل الأمر على ذلك تماماً مثل ما حدث مع

وإنما من قلة الحيلة بالدرجة الأولى. والدليل على ذلك أن مجلس المشورة قرر في النهاية تكليف والي بغداد بدراسة المسألة كما ينبغي، على اعتبار أنه الأقرب إلى نجد ويجاورها، وكذلك مراعاةً لما اقترحه الشريف غالب.

وبناءاً على طلب الباب العالي قام والي بغداد بإرسال هيئة خاصة إلى نجد لدراسة الأوضاع، كما أرسل خطاباً إلى عبد العزيز ينهاه فيه عن الاعتداء على أطراف الحجاز. وقام عبد العزيز هو الآخر بإرسال خطاب إلى الوالي سلَّمه إلى الهيئة القادمة، وسلَّمها معه عريضة منه يقدمها للسلطان. وبعد أن شرح الأوضاع في خطابه أنكر اعتداءه على أطراف الحجاز، وطلب راجياً التحقق من ذلك جيداً. كما قدم للهيئة تعهداً كتابياً حول عدم الاعتداء على أطراف الحجاز بشكل قاطع، ولكنه طالب الهيئة أيضاً بعدم منع رجاله من الذهاب إلى الحج(١٦٤).

وكشفت الهيئة الذاهبة إلى نجد أيضاً أن قوة عبد العزيز في قمتها، ويأتي إليه كل يوم وفود من اليمن والجهات الأخرى لتعلن له البيعة في نجد.

وقام والي بغداد بنقل الصورة إلى الباب العالي. وتولى الصدر الأعظم بدوره نقل المعلومات التي وَصلَته إلى السلطان. كما نقل التعهد الذي أخذه عبد العزيز على نفسه إلى شريف مكة المكرمة، وأضاف الصدر الأعظم أيضاً أنه سوف يكون من المفيد إبلاغ الشريف بعدم منع الوهابيين من أداء فريضة الحج. وقد تبين من نتائج تلك التحقيقات أن المسألة بلغت حداً لا يمكن السكوت عليه(١٦٥).

وطلب الباب العالي من والي بغداد سليمان باشا السير على الدرعية، فهو الأقرب إلى المنطقة، والرجل الذي قام بجهود هامة أخرى مشابهة من قبل، مثل

اتباع قاضي زاده، ذلك العراك الذي استمر مدة مثل عراك الكناش. ولم تحظ المسألة الوهابية بالاهتمام اللازم" (جودت باشا، المصدر السابق، ص ١٩٥-١٩٦).

(١٦٤) الأرشيف العثماني (HH 56704).

(١٦٥) نفس الوثيقة. وأيوب صبري، المصدر السابق، ص٤٦-٤٧.

محاربة عشيرة مليلي واليزيديين وتأديبهم. ولكن تبين أن سليمان باشا كان غير راغب في ذلك، وساق العديد من الذرائع. فقد كان الرجل يتابع الأمر عن كثب، ويدرك جيداً قوة الوهابيين، ويرى أنه لا يمكن بمفرده أن ينهي الأمر بنجاح. كما كان يعلم من ناحية أخرى أن جيشه ليس من القدرة بحيث ينطلق بسرعة في الصحراء مع وجود الظروف الجغرافية والمناخية المعروفة(١٦٦). ولهذا السبب أعلن سليمان باشا الباب العالي أنه مشغول بتحكيم وتقوية بغداد وأطرافها ضد الخطر الوهابي، وليس لديه الآن قدرة على القيام بحملة في هذا الاتجاه. أما الباب العالي فقد رد عليه بأن الانشغال بأمور التحكيم والتقوية إزاء مسألة بسيطة من مثل ذلك لا يليق به وهو "والي بغداد والبصرة وشهرزور.. والعظيم صاحب المقدرة والسلطة"، ثم أخطره بضرورة التحرك على الفور للسير على الوهابيين(١٦٧). وقد استمرت تلك المكاتبات بضع سنوات، إلا أنها لم تقنع والي بغداد بأي شكل. وفي النهاية عندما بلغت غارات الوهابيين مشارف الحلة عام ١٧٩٨م تخلى سليمان باشا هو الآخر عن عناده، وشرع في تجهيز جيش يمكنه السير على الوهابيين. وفي خريف نفس العام جهز جيشاً نظامياً قوامه خمسة آلاف جندي، وقوة أخرى يقرب قوامها من نصف ذلك تتشكل من محاربي العشائر المعادية للوهابيين من شمر ومنتفك وظافر. ثم وضع كل ذلك تحت إمرة وكيله وكتخداه علي باشا، ثم أرسله إلى الدرعية. وأمرهم بالسير من على الأحساء للوصول إلى هناك، وهي أطول مسافة ولكنها أكثر أمناً. وتحرك علي باشا واستطاع في البداية أن يستولي على كل الأماكن الواقعة على الطريق واحتلها الوهابيون قبل ذلك، فأخذها واحداً تلو الآخر، ثم دخل الأحساء. ولكن الجيش عجز عن تخطي الاستحكامات القوية في قصبة الحفوف، فأخذ طريقه نحو الشمال. وفي تلك الأثناء وقع خلاف بين علي باشا

---

(١٦٦) رحلة للحجاز، ص٢٨٦. ونوار، داود باشا، ص٣٨.

(١٦٧) الأرشيف العثماني (HH 57033).

وأمراء العشائر المصاحبين له، فقد كان الرجل عنيداً مغروراً، وعاجزاً عن إقامة علاقات مع الآخرين، مما أضعف أمور الضبط والربط في الجيش. وقامت القوات التي يقودها سعود بن عبد العزيز أيضاً في تلك الأثناء بالسيطرة على شمالي الأحساء، وتكون بذلك قد قطعت طريق العودة إلى البصرة. ولحقت الهزيمة بعلي باشا وجيشه بعد أن قطع مسافة طويلة في صدامات استمرت عدة أيام بين الطرفين المتحاربين، بل إن الجيش العثماني فَقَدَ كل قدراته على الحركة. وكانت النتيجة أن رضي علي باشا بعقد اتفاق عدم اعتداء مدته ست سنوات مع الوهابيين في مايو ١٧٩٩م بوساطة من بعض كبار زعماء القبائل؛ وبذلك استطاع أن يأخذ جيشه ويعود منسحباً. كما اصطحب في نفس الوقت رجلاً من طرف الوهابيين إلى بغداد ليتسلم من والي بغداد تصديقاً على الاتفاق المعقود. أما سعود فقد سارع بالدخول إلى الأحساء، وأمر أولاً بضرب رقاب كل من تعاون مع القوات القادمة من بغداد، ثم صادر أموالهم[١٦٨]. ثم أعقب ذلك أيضاً بالهجوم على القطيف المجاورة للأحساء واستولى عليها في غارة دامية[١٦٩].

وعدا ما أسفر عنه الفشل في ذلك التحرك الجاد الأول في مواجهة الوهابيين من ترسيخ أقدامهم في الأحساء فإنه قد مهد الطريق لهم بما أمدهم به من دعم معنوي شجعهم على التوسع نحو أطراف العراق والحجاز بسهولة، وكذلك بما وفره لقواتهم من مصادر إمداد سهلة. وهكذا بدأت الأحساء تتحول إلى قاعدة عسكرية ساعدت الوهابيين على الإنطلاق خارج حدود نجد نحو الكويت والبحرين وقطر وأطراف عمان. ففي السنوات التي أعقبت ذلك أمكنهم مواصلة توسعهم في الشمال نحو أطراف العراق وسوريا، وفي الغرب نحو الحجاز. ولكنهم جعلوا البداية خلال

---

(١٦٨) نوار، المصدر السابق، ص٣٩. وانظر: Russau, op.cit., p.85; Lorimer, op.cit., p.1581-82

(١٦٩) Lorimer, op.cit., p.1423

سنوات ١٨٠٠-١٨٠٣م بأن أخضعوا البحرين وعمان ومسقط لطاعتهم(١٧٠)، وحصلوا من تلك المناطق على أموال كثيرة تحت اسم الزكاة(١٧١). وكان يكمن وراء هذا التوسع عاملان، أحدهما عادة السلب والنهب عند البدو، والثاني تعصب الوهابيين لمذهبهم. ولما وجدوا أنهم يحصلون على موارد دائمة من المناطق التي يخضعونها لنفوذهم شرعوا بعد ذلك في تشكيل جيش نظامي. أما القبائل الموجودة في جنوب نجد بوجه خاص، وقد رأى العديد منها مدى ما بلغه الوهابيون من قوة، فقد دخلت في الوهابية، وشرعت تستقبل الحكام والعمال الذين يعينهم الوهابيون (لجمع أموال الزكاة). كما نجح الوهابيون أيضاً – باعتبارهم أصحاب الكلمة على الساحل – في لفت أنظار القوى الأوربية بعد هذا التاريخ كما سنشير إلى ذلك لاحقاً. ولو كان سليمان باشا سار على الدرعية عندما تم إخطاره في المرة الأولى بعدد محدود من القوات لكان لقي العون من قبائل وعشائر عدة كانت لا تزال تناهض الوهابيين واستطاع التغلب عليهم.

٣- الإغارة على كربلاء ونهب المزارات الشيعية المقدسة

مثلما لم يكن الوهابيون على وئام مع أهل السنة فإنهم كانوا ينفرون من الشيعة أيضاً بسبب معتقداتهم. فكيفما كانوا ممنوعين على أيدي أشراف مكة المكرمة

---

(١٧٠) لقد قام الوهابيون خلال عامي ١٧٩٣-١٧٩٥م بشن عدة حملات على الكويت، ولكنها باءت بالفشل. غير أن تهديدهم المستمر للكويت أعطى الفرصة للإنجليز للعمل النشط فيها، فكانوا وكأنهم وضعوا أمير الكويت تحت حمايتهم، وقاموا بنقل الممثلية الإنجليزية في البصرة إلى الكويت بشكل مؤقت. وتذرع الوهابيون في تلك النزاعات بالوقوف إلى جانب الشريف غالب شريف مكة المكرمة وتقديم بعض المساعدات له فقاموا خلال سنوات ١٨٠٠-١٨٠٣م أيضاً بنهب مسقط عدة مرات وأعقبوها بنهب البحرين والقواسم ورأس الخيمة. وفي عام ١٨٠٣م قاموا باحتلال بريمي. وعلى ذلك قام شيخ عمان بعقد اتفاق مع الوهابيين يؤدي لهم بموجبه كل عام ١٢٠٠ روبية والسماح بدخول المذهب الوهابي إلى بلاده. (انظر: الأرشيف العثماني HH 3777 D وجودت باشا، المصدر السابق، ص١٩٨-١٩٩ ورحلة الحجاز، ص٢٩٩-٣٠٤. وانظر أيضاً: Lorimer, op.cit., p.1578,1580; J. B. Kelly, بريطانيا والخليج، 1795-1870 ترجمه إلى العربية محمد أمين عبد الله، عمان [بدون تاريخ] ١/١٦٤-١٦٦).

(١٧١) نعلم من وثيقة مؤرخة في ١٢٦٤هـ أن شيخ نجد أي الوهابيين كانوا يحصلون من البحرين وحدها على أربعة آلاف فرنك فرنسي باسم الزكاة (الأرشيف العثماني MKT 19/5).

المكرمة من الذهاب إلى الحج بدعوى أنهم كفرة كذلك كان الوهابيون أيضاً يمنعون الشيعة القادمين من إيران وكذلك الشيعة المقيمين في أنحاء بغداد من العبور عبر أراضيهم والذهاب إلى الحج(١٧٢). وكان الحجاج القادمون من أطراف بغداد مضطرين للمرور بنجد، فكان الوهابيون يستغلون ذلك للإغارة على قوافلهم ونهبها. ورغم أن هذه الظاهرة كانت تبدو دينية، إلا أنها كانت تنطوي أيضاً على دوافع اقتصادية. لأن الوهابيين كانوا كلما قويت شوكتهم كان يزداد عدد معارضيهم، وانحسرت ساحات نشاطهم الاقتصادي، وخاصة قبل احتلالهم الأحساء. ومن ثم كانوا يصادرون أموال الشيعة، ويعتدون على أرواحهم بعد أن ألبسوا عمليات النهب والسلب - الموجودة من الأصل في تقاليد البدو - حلة دينية هذه المرة. وهذا بالطبع قد ولّد نوعاً من النفور والعداوة الشيعية الوهابية. أما احتلال الأحساء والمظالم التي كانت تقع للأهالي الشيعة هناك فقد زادت من حدة تلك العداوة أكثر وأكثر.

وفي خلال عام ١٨٠٠م يشتعل صدام بين عدد من الشيعة من عشائر خزعل القادمين إلى النجف بقصد زيارة أماكنهم المقدسة وبين الوهابيين الموجودين هناك بقصد التجارة، وقتل من الوهابيين أثناء الصدام نحو ثلاثمائة رجل. فلما سمع سليمان باشا والي بغداد بذلك النبأ تكدر كثيراً؛ إذ كان يدرك أن الوهابيين سوف يتعللون بتلك الحادثة لإثارة المشاكل، ولهذا أصدر أوامره على الفور بتأديب بعض الفرق المنسوبة لعشائر خزعل الذين كانوا لا يزالون حتى عقب تلك الحادثة يقطعون طريق الوهابيين. غير أن ذلك لم يكن كافياً لإرضاء الوهابيين. لأنهم كانوا يرون في ذلك الوضع - كما توقع سليمان باشا - أمراً يخالف اتفاق عدم الاعتداء الذي عقدوه من قبل مع علي باشا(١٧٣). ولو أنه يصعب القول إن الوهابيين ظلوا

(١٧٢) Lorimer, op.cit., p.1583

(١٧٣) جودت باشا، المصدر السابق، ص١٦٦.

صادقين لذلك الاتفاق، ولكن الفرصة واتتهم في وقتها لكي يتحللوا منه، وكانت نواياهم تتجه لعدم تفويتها. أما سليمان باشا فلم يكن يرغب في اتساع الخرق، فأرسل إلى الدرعية رسولاً من طرفه يطلب تجديد الاتفاق. ولكن عبد العزيز أمير الوهابيين عرض طلباً مستحيلاً في مقابل تجديد الاتفاق، وهو الحصول على منطقة الشامية الممتدة من مقاطعة عنّة حتى البصرة، وكَشَفَ بذلك عن نواياه الحقيقية. وعلى ذلك شرع والي بغداد في إعداد العدة للعمل العسكري لما وجد أنه الحل الوحيد للمسألة. وقامت القوات التي وضعت تحت إمرة وكيله علي باشا بالزحف حتى أطراف هندية، وعملت على إقرار الأمن هناك، والقيام بنوع من استعراض القوة[١٧٤]. أما الوهابيون فقد كانوا قد تحركوا في نفس هذه الأثناء للثأر للتجار المقتولين منهم، وإلقاء الرعب في قلوب حكام بغداد. وعلى الرغم من اقتراب القوتين بشكل كبير إحداهما من الأخرى بالقرب من عين تمر فقد توقف الوهابيون دون حركة خلف متاريسهم ولم يشرعوا في الهجوم، مما دفع علي باشا هو الآخر إلى العودة إلى بغداد دون مهاجمتهم. وانتهز عبد العزيز الفرصة، فأرسل قوة تزيد على عشرة آلاف جندي تحت قيادة ابنه سعود (بن عبد العزيز) إلى كربلاء التي كانت تخلو من الجند وأهلها مشغولون بمأتم شهر المحرم.

وعلى الرغم من أنهم تحركوا في الأساس للثأر لمن قتل منهم في النجف، إلا أنهم بدلاً من الهجوم عليها – وهي المكان المستحكم – فضلوا الهجوم على كربلاء. وهذا الوضع كان سمة عامة لغارات الوهابيين التي كانوا يقومون بها حتى ذلك اليوم. فهم يتمترسون أولاً للدفاع، ثم يغيرون بعد ذلك غالباً على الأماكن التي تعدم وسائل الدفاع، ويحرصون على توقي مواجهة الجند المقاتلين. وعندما يتعرضون للضيق من جانب يسارعون هاربين نحو دواخل الصحراء. وهذا بالطبع كان يجعل من مطاردتهم أمراً صعباً على الجيش النظامي، بل ويصبح اللحاق بهم مستحيلاً.

(١٧٤) نفسه، ص١٦٦-١٦٧.

وعند الصباح في ٢٠ إبريل ١٨٠١م دخل الوهابيون كربلاء من بابها الغربي، وقاموا أولاً بتخريب المشهد الحسيني الذي رأوا فيه بدعة كبيرة. ثم خربوا قباب المزارات والزينات التي كانت تعلوها، ثم نهبوا العديد من الأمتعة المصنوعة من المعادن القيمة الموجودة فيها من الذهب والفضة وغيرهما[١٧٥]. ثم أعقبوا ذلك بتقتيل الأهالي الذين أعياهم التعب من احتفالات المأتم التي أقاموها ليلة أمس، وقلبوا المدينة رأساً على عقب. ولما انتهوا من كل ذلك في نصف يوم انسحبوا عائدين إلى الدرعية ومعهم العديد من الغنائم التي جمعوها[١٧٦]. ففي تلك الغارة قتل الوهابيون نحو خمسة آلاف شخص أغلبهم من الشيعة، كما صحبوا معهم العديد من الأسرى. وهذا الوضع قد أثار غضباً شديداً لدى رجال الدولة العثمانية، كما أثار أيضاً سخط الإيرانيين[١٧٧]. فقد كان من بين القتلى والأسرى الشيعة عدد كبير من الإيرانيين، حتى إن حاكم إيران أمر كافة رجال دولته بعد هذه الحادثة أن يلبسوا لباس المأتم. كما قام بإرسال إنذار إلى سليمان باشا والي بغداد، طالبه فيه بالانتقام لدم الشيعة الذين قتلوا، والتعويض عن الأضرار التي لحقت بالرعايا الإيرانيين، وهدده في حالة عدم القيام بذلك بأنه سوف يصحب جيشاً للسير على الوهابيين، ثم يدخل بعدها إلى بغداد نفسها[١٧٨]. وهنا أصبح سليمان باشا – وهو والي الدولة – في وضع لا يحسد عليه، وحتى إذا لم تُقدم الدولة على عزله بسبب فشله فإنها كانت تشعر بالتهديد الإيراني على بابها. وإزاء احتمال نهب مدينة النجف هي الأخرى سارع سليمان باشا على الفور بنقل العديد من الأشياء المقدسة لدى الشيعة هناك إلى ضريح موسى الكاظم الموجود في الكاظمية بالقرب من

---

(١٧٥) الأرشيف العثماني (HH 3793, 3793 A).

(١٧٦) جودت باشا، المصدر السابق، ص١٦٨. خزعل، المصدر السابق، ص٣٨٦-٣٨٧.

(١٧٧) الأرشيف العثماني (HH 3797 C).

(١٧٨) أحمد واصف أفندي، محاسن الآثار وحقايق الأخبار (مكتبة جامعة استانبول، مخطوط تركي ٦٠١٣، ورق ١٥/ب). وجودت باشا، المصدر السابق، ص١٦٨.

بغداد[179]، ثم راح يخابر الباب العالي بمكاتباته[180]، وطالبه بإرسال رسول خاص وخطاب إلى شاه إيران حتى يقطع الطريق على التدخل المحتمل من الإيرانيين[181]. أما الباب العالي فقد أعلن سليمان باشا بإعداد العدة على الفور لمحاربة الدرعية[182]. وشرع الوالي في إعداد العدة، وكان على قناعة بأن الحرب بطريق البر وحده لن تكون كافية، فكتب إلى الباب العالي بالرجوع إلى الإنجليز في الهند وَطلبِ مساعدتهم حتى يمكن التضييق على الوهابيين من الساحل أيضاً. ولكن على الرغم من أنه أعلن مراراً وتكراراً أنه لم ير من المناسب مراجعة القنصلية الإنجليزية في بغداد بمفرده، وطلبه من الباب العالي السماح له بذلك[183]، فقد تبين أن الباب العالي رأى في ذلك أمراً محذوراً، ولم يتعرض له. ومن المحتمل أن الإنجليز كانوا ينتظرون ذلك برغبة كبيرة. لأنهم كانوا قبل فترة قصيرة لا يزالون على امتعاضهم لاحتلال الفرنسيين مصر. وطلبٌ من مثل ذلك سوف يدعم بالطبع نفوذهم في المنطقة.

وفي النهاية قام سليمان باشا بإرسال جيش على الدرعية يتشكل في غالبيته من بدو منتفك وشمر وظافر وكعب.غير أن تلك الحملة أيضاً لم تأت بنتيجة مرضية في مواجهة الوهابيين. وكان سليمان باشا قد اهتز كثيراً مع الأحداث الأخيرة، فلما وصله ذلك الخبر اعتلت صحته أكثر وأكثر، ووافته المنية في أوائل أغسطس ١٨٠٢م. وحل محله وكيله وصهره علي باشا (ولايته ١٨٠٢-١٨٠٧م)[184]. وعقب تصديق الباب العالي على ولايته طالبه بمواصلة الكفاح مع الوهابيين، وكان

---

(١٧٩) Lorimer, op.cit., p.1585

(١٨٠) الأرشيف العثماني (HH3765).

(١٨١) الأرشيف العثماني (HH 3797 F).

(١٨٢) الأرشيف العثماني (HH 3838 E).

(١٨٣) الأرشيف العثماني (HH 3765, 3799).

(١٨٤) جودت باشا، المصدر السابق، ص١٩٨. ونوار، المصدر السابق، ص٣٩. وانظر أيضاً Lorimer, op.cit., p.1585 :

هو الشخص الذي يتابع بالفعل تلك المسألة. وفي تلك الأثناء قام شخص يدعى حاجي عثمان بالتوجه إلى الدرعية متخفيا في زي درويش بتحريض من والي بغداد، ثم قتل أمير الوهابيين عبد العزيز بن محمد وهو داخل الجامع[١٨٥]. وتولى بدلاً منه سعود بن عبد العزيز الذي كان يقود القوات الوهابية من زمن طويل في غزواتها، ويُعرف في الحوليات الوهابية باسم سعود الكبير. وكان الوهابيون في أيام عبد العزيز بن محمد والده صاحب الحنكة والتجربة قد مدوا نفوذهم إلى مناطق واسعة، ووصلوا حتى حدود الحجاز.

وكانت غارة كربلاء قد أثارت سخطاً عظيماً في العالم الإسلامي، سواء كان بين السنة أو بين الشيعة. أما الدولة العثمانية فكانت لا تزال تعقد آمالها على والي بغداد سليمان باشا، فلما توفي الرجل فجأة تبدلت طبيعة المسألة، وبناءاً على ذلك تم عقد مجلس الشورى في استانبول مرة أخرى.

والواقع حسبما يشير جودت باشا أن رجال الدولة لم يكونوا يرجون فائدة من نتائج القرارات التي ستخرج بها تلك المجالس. ولكنهم لكي يتقاسموا المسئولية فيما بينهم قاموا بعقد مجلس شورى آخر في شهر جمادى الآخرة ١٢١٧هـ (١٨٠٢م) في منزل شيخ الإسلام، وبعد مناقشات ومداولات طويلة جمعوا رأيهم على أن المهم في الظروف الراهنة هو ضرورة الحفاظ على حدود الدولة دون التقليل من الأهمية الكبيرة التي تنطوي عليها إزاحة كافة الأضرار التي جاءت بها حركة الوهابيين. كما رأوا من التدابير المؤقتة إرسال قوة محدودة إلى المدينة تتشكل من

---

(١٨٥) الأرشيف العثماني (HH 3381)، ورحلة الحجاز، ص٣٠٧ وانظر كذلك: Ecer, *a.g.m.*, s.17 وتشير المصادر العربية إلى أن تلك الحادثة كانت من ترتيب إيران (انظر: خزعل، المصدر السابق، ص٣٧٧). وهذا في حين أن قائمة والي بغداد التي قدمنا رقمها تقول إن الشخص المذكور هو الذي طلب من الوالي القيام بهذه المهمة من تلقاء نفسه معتبراً إياها واجباً دينياً، وأن الوالي عرض عليه تقديم مساعدة مادية لكنه لم يقبل ذلك، وأن الذي فعله الوالي هو فقط حثه على القيام بهذه المهمة. ومن ناحية أخرى فإن كتابة تلك القائمة عقب وقوع الحادثة تجعلنا نتوقع أن الوالي شاء كسب ود الباب العالي فكتب إليه معلناً أن الحادثة من تدبيره.

سبعمائة أو ثمانمائة جندي، وعلى رأسها محافظ من ذوي الحنكة والخبرة، وذلك على اعتبار أن إرسال قوات كثيفة إلى المنطقة أمر صعب. كما تقرر في الوقت نفسه تعيين والٍ جديد على جدة، ونزع جمركها من الشريف غالب الذي كان يضع يده منذ مدة ليست بالقصيرة على وارداته(١٨٦)، وكذلك إرسال أحد العلماء إلى الدرعية ممن يستطيعون فهم الوهابيين جيداً، والقدرة على الحوار معهم، ومعرفة اللغة العربية والتحدث بها(١٨٧).

وهذا القرار كان له أهمية من وجهين؛ الأول هو موقف الشريف، إذ كانت الدولة – بسبب عجزها عن مواجهة الوهابيين، وربما كذلك لأنه كان العامل الأساسي في تفاقم المسألة إلى هذا الحد – تريد منعه من تصرفاته التي جرى عليها نتيجة تغاضيها عن وجود جمرك جدة تحت سلطته منذ مدة طويلة(١٨٨). أما الوجه الثاني فهو أن الدولة العثمانية تفتح باب الحوار لأول مرة مع الوهابيين. وهذا الأمر الثاني إنما يدلنا على أن المسألة قد اكتسبت إذن أهمية كبيرة في نظر الدولة. حتى إنها حرصت على أن يكون الرجل المقرر إرساله إليهم ليس من ولاية بغداد التي طالما تنازعت معهم، وإنما اختارته من مركز الدولة نفسها.

وفي إطار القرارات التي تم اتخاذها في مجلس المشورة صدر أمر منح رتبة الباشوية إلى محمد شريف الذي عُزل عن دفتردارية مصر، وكان لا يزال موجوداً

---

(١٨٦) أحمد واصف أفندي، المصدر السابق، ورق ١٥٣/أ.

(١٨٧) الأرشيف العثماني (HH 3793).

(١٨٨) يقول M. Abir إن أشراف مكة المكرمة لم يكونوا راضين أبداً عن تقاسم موارد جمرك جدة –الذي تأسس في القرن السادس عشر– مع الدولة العثمانية، ثم يعزي استيلاء الشريف غالب على عائدات الجمرك بكاملها عام ١٧٩٩م بشكل خاص إلى تقدم الوهابيين حتى فلسطين في أعقاب الحملة الفرنسية على مصر، وغاراتهم على شمال العراق التي كانت وكأنها فصلت الحجاز عن الدولة العثمانية (انظر: M.Abir, "The Arab Rebellion of Amir Galib of Mecca (1788-1813", *MES*, May 1971 vol.7.Nu.2.p.193

فيها، ثم توليته على سنجق جدة وأيالة الحبش [١٨٩]. وقام هو الآخر بتجهيز ألف جندي مع مقدار كافٍ من المدافع والجبخانة، ثم تحرك إلى جدة. كما تقرر أيضاً تعيين محمد سعيد آغا – الذي كان يعمل وكيلاً لقوجه يوسف باشا – محافظاً على المدينة بدعوى أنه يعرف أحوال المنطقة. غير أنهم عادوا ورأوا بعد ذلك أن محمد سعيد آغا لا يستطيع القيام بأعباء تلك المهمة نظراً لغارات الوهابيين فصرفوا النظر عنه، واختاروا لذلك ميرميران أحمد باشا من أشراف (إيچل) ومحافظ دمياط الذي أبلى بلاءً حسناً أثناء الحملة المصرية[١٩٠]. كما جرى إرسال آدم أفندي وهو أربيلي الأصل وأحد المدرسين المشهورين في اسناتبول إلى نجد للتفاوض مع سعود بن عبد العزيز أمير الوهابيين.

وكان سعود بن عبد العزيز مع جيشه على أطراف الحجاز، والتقى به آدم أفندي في الثامن من محرم ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) بالقرب من الطائف. وخلال إقامة آدم أفندي التي استمرت هناك ثلاثة عشر يوماً اجتمع بالأمير سعود خمس مرات، وحاول أن يشرح له مدى أهمية أن تبعث الدولة إليهم رسولاً لأول مرة. أما الأمير سعود بن عبد العزيز فقد راح يتحدث إليه عن الوهابيين أنفسهم، وعن الحروب التي خاضها هو ووالده ضد الشرك والبدع، ويروي له كفاحهم الذي قاموا به لإنقاذ المسلمين من الضلالة إلى الطريق القويم. وعلى ذلك اضطر آدم أفندي هو الآخر أن يخوض في الموضوعات الدينية، ويفند له بمختلف الأدلة مدى تهافت معتقداتهم في مواجهة المذاهب السنية الأربعة. وعلى ذلك كان رد سعود عليه وهو المعروف

---

(١٨٩) لقد جاء في حكم كتب إلى محمد شريف باشا والي جدة أن يتخابر مع أمير مكة المكرمة الشريف غالب ويتوجه بنفسه إلى نجد، ويقوم بالتنكيل بالخارجي عبد العزيز. كما أشير أيضاً في الحكم إلى أن أصوات الوهابيين وصلت حتى أطراف مكة المكرمة والمدينة، وضرورة الاهتمام بهذا الأمر. لأنه –على حسب ما ورد في الحكم "لا يقارن بغيره من الأمور، ولابد من توسل كافة السبل لدفع تسلط ومفسدة الخارجي المذكور من أشرف بلاد الأرض وقبلة الموحدين مكة المكرمة ومن البلدة المنيفة لجناب سيد المرسلين ومحط نظر رب العالمين المدينة المنورة.." (الأرشيف العثماني: جودت داخلية ٢٦٨٦).

(١٩٠) الأرشيف العثماني (HH 3784 K). وجودت باشا، المصدر السابق، ص٢٠٠.

بتعصبه:" هاهي أقوالكم تلك التي أضلت المسلمين "، ثم راح يحدثه عن تمسكه بالتعاليم الوهابية. ولما ذَكّره آدم أفندي بأنه سئل في الخطاب الذي حمله إليه من الصدارة العظمى عن أسباب اعتدائه على كربلاء، رد عليه سعود بأنهم فعلوا ذلك بسبب أن والي بغداد كان يعمل على تعجيزهم والضغط عليهم بواسطة عساكره أحياناً، وبواسطة القبائل الموجودة في محيطه أحياناً أخرى. كما صرح له بأن الشيعة المقيمين في النجف وكربلاء قد خرجوا عن الدين بسبب أساليب عباداتهم ومعتقداتهم، وأن أموالهم وأرواحهم أُحلت للوهابيين. بل وذكر له أن الإيرانيين لو فكروا في الإضرار بالدولة العثمانية بسبب هؤلاء فإنه سوف يتصدى لهم دون انتظار أي مساعدة من الدولة، وكشف سعود بذلك عن الخصومة الوهابية الشيعية التي لا زالت موجودة حتى اليوم(١٩١).

ويستبان من ذلك أن محاولات الدولة العثمانية لإقامة أول حوار مباشر مع الوهابيين قد باءت بالفشل، ولم يعد أمامها ثانية إلا اللجوء إلى الحل العسكري. حتى إن سعود بن عبد العزيز استشعر القوة في نفسه، وراح يكتب الخطابات إلى السلطان والولاة، حتى وصلت به الجرأة إلى دعوتهم إلى الإيمان(١٩٢). ولكن الوضع الذي كانت عليه الدولة كان – وكما سلف القول سابقاً – لا يتيح لها إمكانية التدخل العسكري في المنطقة بشكل مباشر. ومن ثم عاد الأمر ليُلْقى – وبالدرجة الأولى – على عاتق والي بغداد وغيره من الإداريين المحليين. ورغم أن والي بغداد كان معنياً بهذا الموضوع إلا أن الهزائم التي مني بها أمام الوهابيين من قبل كانت تفت في عضده. ولهذا السبب سارع هو الآخر – مثل سلفه – بحفر الخنادق

(١٩١) الأرشيف العثماني (HH 3784 L). وجودت باشا، المصدر السابق، ص٢١٠-٢١٢.

(١٩٢) في خطاب كتبه سعود بن عبد العزيز إلى والي بغداد علي باشا بدون تاريخ (ويحتمل أنه عقب مداهمته كربلاء) ذكر أنه إذا صدق معتقداتهم ودخل في الإسلام فإن سعود بن عبد العزيز سوف يقدم إليه مائتي ألف جندي بغير أجر. كما زعم له في الخطاب أن شريف مكة المكرمة وكذلك والي الشام عظم زاده عبد الله باشا قد لبيا دعوته ودخلا في الإسلام (الأرشيف العثماني HH 3830).

حول بغداد خوفاً من هجوم محتمل للوهابيين عليها، وأقام الطوابي[١٩٣]. كما قام بتحريض عدد من العشائر العربية المعارضة لمسلك الوهابيين، وأرسلهم للحرب على الدرعية. ورغم أنه حقق بعض النجاح في ذلك إلا أنه لم يغير الأمر في شيء، واستمر الوهابيون في قوتهم واشتداد عودهم[١٩٤].

٤- دخول الوهابيين الطائف ومكة المكرمة والمدينة، وأصداء هذا الوضع الجديد

كنا قد تحدثنا سابقاً عن هواجس أشراف مكة المكرمة التي كانوا يشعرون بها تجاه الوهابيين منذ خمسينيات القرن الثامن عشر، ولكن من المفيد هنا أن نشير إلى النقطة التالية؛ وهي أن الأشراف رغم مخاوفهم وهواجسهم كانوا عاجزين عن تصور خطورة المسألة. حتى إن هذا العجز قد انعكس بنفس الشكل على الباب العالي، مما حال دون اتخاذ التدابير المؤثرة في وقتها. أضف إلى ذلك أنه عندما تضاف إلى ذلك أطماع الأشراف الشخصية يصبح الأمر أكثر تعقيداً. وكنا قد ذكرنا قبل ذلك مراجعة الشريف مسعود للمسئولين في الدولة عام ١٧٥٢م، وفي أعقاب تلك المراجعة أرسلت الدولة – لحل تلك المسألة – خمسة وعشرين كيساً رومياً من الأقجة من مال إرسالية مصر لعام ١١٦٣هـ (١٧٤٩م)[١٩٥]، ورغم ذلك لم تجد من الأمر شيئاً. وكان الإجراء الوحيد الذي لجأ إليه الأشراف هو منع الوهابيين من الدخول إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج. وهذا الأمر بالطبع قد أدى إلى ظهور العداء والتحرش بين الطرفين، فضلاً عن الأثر السلبي الذي تركه ذلك التصرف على الحياة الاقتصادية في مكة المكرمة. ولهذا السبب اضطر الشريف سرور كما أسلفنا سابقاً إلى السماح لهم بالتردد على مكة المكرمة بعد عام ١٧٧٥م، وعلى مناطق النفوذ الأخرى التابعة له.

(١٩٣) الأرشيف العثماني (HH 3844).

(١٩٤) الأرشيف العثماني (HH 3757, 3832 A).

(١٩٥) الأرشيف العثماني (جودت داخلية ٦٧١٦). وانظر كذلك: Uzunçarşılı, *a.g.e.*, s.105

وكان الشريف غالب (ت ١٨١٧م) الذي تولى إمارة مكة المكرمة المكرمة عام ١٧٨٨م قد اضطر في السنوات الأولى من إمارته لإخماد الاضطرابات التي أثارها ابن أخيه عبد الله بن سرور من أجل تولي الإمارة، ولم يجد الوقت للانشغال بالمسألة الوهابية. وبعد عام ١٧٩٠م الذي استطاع خلاله ترسيخ قدميه في الحكم راح يكتب إلى الباب العالي من ناحية، ويتشكى إليه منهم، ويقوم من الناحية الأخرى بإعداد عدته للحرب عليهم. غير أن الحملات التي شنها عليهم[١٩٦] لم تحرز شيئاً يتعدى الحصول على بعض الغنائم، كما أنها أشعلت حدة العداوة بين الطرفين. وعجز الشريف غالب في الحصول على نتيجة من مكاتباته مع استانبول، فقام في عام ١٧٩٦م بإرسال أحد رجاله إليها ويدعى الشيخ أحمد تركي، فعرض عليه مدى خطورة الموقف. أما الباب العالي فقد أحال الأمر - كما أشرنا باستفاضة قبل ذلك - إلى والي بغداد الذي قام هو الآخر ببعض التدابير، إلا أنه كان يسعى للصلح بين الطرفين معزياً الغارات التي كان يشنها الوهابيون إلى السياسة التي كان يجري عليها الشريف أكثر من أي شيء آخر. ونرى في قائمة أرسلها والي بغداد سليمان باشا إلى استانبول بهذه المناسبة أنه يشكو من قوة سعود وعناد الشريف، ويتحدث عن فشله في الصلح بين الطرفين[١٩٧]. أما الدولة العثمانية فقد كان جل اهتمامها منصباً آن ذاك على الجهد المكثف الذي تبذله ضد من يريدون استمرار نظام الأعيان الذي اضطرت لإلغائه عام ١٧٨٦م من ناحية،[١٩٨] ومنصباً كذلك على مسألة احتلال نابليون لمصر من ناحية أخرى. حتى أن الباب العالي نبّه الشريف غالب عام ١٧٩٨م إلى احتمال أن يقوم الفرنسيون بالاعتداء على الأراضي المقدسة، وطالبه بالتيقظ، ثم طلب منه المشاركة في الجهاد

---

(١٩٦) لأجل هاتين الحملتين انظر جودت باشا، المصدر السابق، ص١٩٣-١٩٤.

(١٩٧) الأرشيف العثماني (HH 3841).

(١٩٨) للمزيد من المعلومات حول هذا النضال ومؤسسة الأعيان في الدولة العثمانية انظر: Özcan Mert, (Ayan) *TDVİA*, c. IV, s.195-98

الذي تم إعلانه ضد الفرنسيين في أعقاب ذلك[١٩٩]. وقد أسفر كل ذلك عن قيام الشريف بعقد اتفاق في نفس العام مع سعود بن عبد العزيز، فكان ينص على دخول الوهابيين إلى مكة المكرمة وأداء فريضة الحج بأمان، ويكف الشريف يده – في الوقت نفسه – عن تحريض القبائل الموجودة خارج منطقة الحجاز، ويمتنع سعود هو الآخر في مقابل ذلك عن التدخل في شئون الحرمين الواقعين تحت حماية الشريف، وعدم التعرض للقبائل الموجودة في الطائف والمناطق الساحلية[٢٠٠]. وكان هذا الاتفاق ينطوي على أهمية كبيرة لدى الشريف؛ لأن عدداً كبيراً من القبائل التابعة للشريف كان قد بدأ يميل ناحية الوهابيين[٢٠١]. وبالإضافة إلى أموال الزكاة التي كان يجمعها الشريف – كما هو معروف – من تلك القبائل، فإنها – في الوقت نفسه – كانت بمثابة القوة العسكرية الوحيدة التي يعتمد عليها ضد معارضيه[٢٠٢]. ومن ناحية أخرى كان ذلك الاتفاق يضمن للوهابيين حرية الدخول إلى مكة المكرمة والخروج منها[٢٠٣]. ففي عام ١٧٩٩م عندما كان سعود بن عبد العزيز مشغولاً بحملاته على أطراف الأحساء لم يستطع الذهاب إلى الحج فأرسل أحد رجاله بدلاً منه، إلا أن الوهابيين في العام التالي دخلوا مكة المكرمة بعشرين ألف رجل، وأدوا مناسك الحج. وعلى الرغم من وقوع بعض الصدامات بين

---

(١٩٩) Abir, op.cit., p.188

(٢٠٠) الأرشيف العثماني (HH 3830).

(٢٠١) أحمد عاصم، عاصم تاريخي، جريده" حوادث مطبعة سي (تركي عثماني-بدون تاريخ)، ١/١٥٠.

(٢٠٢) كان يتعاقب على إمارة مكة المكرمة فرعان من عائلة أبي نمي هما ذوو زيد وذوو عون ثم عائلة آل بركات. وكانت تلك العائلات في حالة صراع فيما بينها للسيطرة على مقاليد الإمارة. وحرصت الدولة العثمانية من جانبها على الحياد بين هذه العائلات، وما كان منها هو أن تبعث بمنشور الإمارة إلى الطرف الرابح. وهؤلاء كانوا يعتمدون –في صراعهم فيما بينهم– على القبائل المختلفة القاطنة في المنطقة. فكان ذوو زيد –مثلاً– يعتمدون على تأييد ودعم العشائر المقيمة بجوار مكة المكرمة والطائف، وخاصة عشائر الخزاعل وسقيف وعتيبة؛ بينما كان آل بركات يحظون هم الآخرون بدعم بني حرب المقيمين في المدينة وجوار ينبع في الأكثر (انظر: Uzunçarşılı, *a.g.e.*, s.149، وانظر أيضاً: Abir, op.cit., p.186-187).

(٢٠٣) جودت باشا، المصدر السابق، ص١٩٧.

الوهابيين والقبائل التي دعاها الشريف إلى مكة المكرمة استعداداً لكافة الاحتمالات فقد تم درء تلك الصدامات خلال مدة قصيرة.

وكان عبد العزيز وابنه سعود قد سعيا لنشر الوهابية في نواحي اليمن أيضاً، وشرعا في تلك الجهود بين القبائل الداخلة تحت نفوذ الشريف هناك[٢٠٤]، ثم حاولا تحريض قسم من القبائل التي أقنعوها للاعتداء على القبائل الأخرى التابعة للشريف. وهنا بادر الشريف غالب بإرسال رسالة إلى عبد العزيز ذَكّره فيها بأن ذلك العمل إنما هو إخلال بشروط الاتفاق المعقود بينهما. فاقترح عليه عبد العزيز هو الآخر أن يأمر بإجراء تحقيق في المنطقة، وأن يرسل أحداً من رجاله المعتمدين للتباحث معه في ذلك الموضوع عقب ذلك.

وعلى هذا قام الشريف غالب بإرسال شقيق زوجته عثمان المضايفي مع بعض من رجاله إلى الدرعية للتباحث مع الوهابيين. غير أن الوهابيين استمالوا المضايفي إلى جانبهم ضد الشريف، فقام هو الآخر – وهو في طريق عودته من الدرعية – بجمع عدد من بدو القبائل التي يتبعها هو بالقرب من الطائف. ثم أرسل رسولاً من طرفه إلى أمير الطائف عبد المعين أخي الشريف غالب، ودعاه إلى الدخول في الوهابية؛ ثم هدده بالهجوم على الطائف إذا رفض ذلك. وإزاء هذا التهديد نهض عبد المعين للسير على المضايفي، وهو وإن نجح في إبعاده عن المنطقة، إلا أن ذلك كان يعني أن خطر الوهابية قد أصبح على أبواب الطائف التي هي الحديقة الخلفية لمكة المكرمة[٢٠٥]. ولما وصل الخبر إلى استانبول وحزن له السلطان سليم الثالث كثيراً

---

(٢٠٤) لقد وردت العبارات التالية في خطاب من والي الشام في هذا الموضوع يبدو أنه اعتمد فيه على خطاب ورد إليه من سعود في الأساس: "إن الوقائع الحادثة بينه وبين سمو الشريف غالب أمير مكة المكرمة المكرمة ليست مما دبره سعود المذكور، ولكن بعض المشاحنات وقعت بين رعايا الطرفين قضاءً وقدراً، ثم استمرت حتى تحولت إلى شقاق بينهما. ومع وقوع بعض حالات من الطرفين مثل الاقتتال وعمليات الاستيلاء على الأرض والأموال أخذ أمر الشقاق في الاتساع حتى أن قرار الصلح والصلاح نفسه لم يعد ممكناً.." (الأرشيف العثماني HH 3771).

(٢٠٥) جودت باشا، المصدر السابق، ص٢٠١.

أمر بعقد مجلس على الفور، وطلب منه اتخاذ التدابير الممكنة. والمؤسف أن هذا المجلس أيضاً اجتمع وانفض دون أن يصدر قراراً مختلفاً عن القرارات السابقة. وقد واصل الوهابيون غاراتهم خلال عام ١٨٠١م على القبائل القاطنة في أطراف الطائف وقنفدة، حتى استطاعوا في النهاية أن يستولوا على الطائف عام ١٨٠٢م، وبعد أن قاموا بنهبها ولّوا عثمان المضايفي أميراً عليها(٢٠٦). أما الوظيفة التي اضطلع بها آدم أفندي المار الذكر فقد كانت تجري في تلك الأثناء.

وشرع الباب العالي مع عوز الحيلة في سيل من الأوامر على والي بغداد علي باشا مرة أخرى للسير على الدرعية(٢٠٧). أما هو فقد كان حديثه الدائم إلى الباب العالي عن مصاعب الخروج في حملة على السعوديين، وعن أطماع إيران وروسيا، ومغبة ترك العراق دون قوة دفاعية(٢٠٨). فلما أصر الباب العالي على رأيه أخبره أن مخلفات سليمان باشا لن تكون كافية للصرف على حرب من هذا النوع، وذكر له في الوقت نفسه أن إعداد الستين ألف جمل اللازمة من العراق لنقل الذخيرة والمياه أمر لم يكن ممكناً، ثم راح يشرح له ضرورة أن تشارك الولايات المجاورة هي الأخرى في تلك الحرب(٢٠٩). وبناءاً على ذلك تقرر منح أحمد باشا الجزار قيادة الحجاز العسكرية مع الشام وجوارها، وصدرت إليه الأوامر بالسير على الوهابيين بالمشاركة مع والي بغداد. وكان ذلك في الوقت الذي أُلقي فيه أحمد باشا الجزار في أتون حرب أخرى على تلك الشاكلة، فقد كان عبد الله باشا عظم زاده الذي حصل على ولاية أضنة قد انسحب مع القوات التابعة له إلى دواخل البلاد، وراح يهدد خصمه أحمد باشا الجزار، ويحول دون دخوله إلى الشام. أما استانبول فقد حذرت الجزار، وكانت تطالبه بالقبض على عظم زاده في

---

(٢٠٦) نفس المصدر، ص٢٠٦، وأيوب صبري، المصدر السابق، ص٨٠.

(٢٠٧) الأرشيف العثماني (Cevdet Dahiliye 2686).

(٢٠٨) الأرشيف العثماني (HH 3782).

(٢٠٩) الأرشيف العثماني (HH 3844)، وجودت باشا، المصدر السابق، ص٢٣٩، ٢٧٥-٢٧٦.

أسرع وقت بالاتفاق مع العربان والمشايخ خشية احتمال قيامه بالانضمام إلى جانب الوهابيين[٢١٠]. وكان علي باشا من ناحية أخرى يضج بالشكوى لعدم حصوله على رد من أحمد باشا الجزار رغم الرسائل المتعددة التي أرسلها إليه من أجل محاربة الوهابيين[٢١١]. والخلاصة أن كل المصاعب والموانع كانت قد اجتمعت.

وكان موسم الحج قد أزف في الوقت الذي قام فيه الوهابيون بدخول الطائف وإعمال النهب فيها، إذ شرع حجاج بيت الله في الوفود على مكة المكرمة المكرمة من كل حدب وصوب، كما وصل إليها في تلك الأثناء شريف باشا والي جدة، وأمير الحج الشامي عبد الله باشا عظم زاده، وأمير الحج المصري كورجي عثمان بك. ومع الحجاج القادمين من مسقط والمغرب العربي أيضاً بدأ موسم الحج بازدحام كبير. وكان سعود بن عبد العزيز يشن الغارات قبل ذلك على أطراف مكة المكرمة بين الحين والآخر، فلعله هاب هذه المرة ذلك الازدحام فلم يقترب من تلك الأطراف، وانتهى موسم الحج تلك السنة في أمان. ولكن عندما شرع الحجاج في مغادرة المنطقة، وجاءت الأخبار مرة أخرى بعزم سعود الهجوم على مكة المكرمة بادر الشريف غالب بدعوة أهالي وأمراء الحج ومن معهم إلى فريضة الجهاد. ولعل عبد الله باشا عظم زاده وكورجي عثمان بك رأيا الأولوية في أمن الحجاج الذين أتيا بهم، فلم يعبأ أحدهما بتلك الدعوة، بحجة أن الموسم غير مناسب، وعدم توفر الذخيرة الكافية لمثل ذلك العمل، وبعد أن أقاما مدة في مكة المكرمة لم يلبثا أن غادراها. وعلى ذلك شعر الشريف غالب أنه لن يستطيع الصمود في مكة المكرمة، فترك أخاه فيها وكيلاً عنه، وخف متوجهاً إلى جدة مع واليها[٢١٢]. فكانت

---

(٢١٠) الأرشيف العثماني (Cevdet Dahiliye 1924).

(٢١١) الأرشيف العثماني (HH 3817, 3818).

(٢١٢) يبدو بهذه المناسبة أن عبد الله باشا شعر بمسؤوليته هو الآخر عن تلك الحادثة فأرسل في ٢٦ صفر ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) قائمة إلى للصدر الأعظم ذكر له فيها أن شريف مكة المكرمة هو المسبب في تلك الأحداث، وأنه هرب

مكة المكرمة وكأنما تُركت لكي يدخلها الوهابيون ويقوموا بنهبها مثلما حدث في الطائف. وإزاء ذلك وخوفاً من وقوع عمليات تقتيل محتملة بادر وكيل الأمير عبد المعين ومعه أشراف مكة المكرمة بإرسال رسول إلى سعود في ربيع عام ١٨٠٣ م، وأخبروه أنه يمكنه دخول مكة المكرمة شريطة الأمن والأمان لأهاليها. فقام هو الآخر بتقديم تعهد كتابي منه في هذا الموضوع، ثم قام في شهري إبريل ومايو من نفس السنة بغزو مكة(٢١٣). فكان ذلك أعظم الانتصارات التي حققها حتى ذلك اليوم، كما كان في الوقت نفسه ضربة كبيرة موجهة للنفوذ الديني الذي تحظى به الدولة العثمانية على كافة المسلمين في أرجاء الأرض.

ومكث سعود بن عبد العزيز مدة في مكة المكرمة تقل عن أسبوعين، قام خلالها بعدد من الترتيبات(٢١٤). وأمر بهدم كافة الأضرحة ذات القباب وغيرها من أماكن الزيارة حول الكعبة المشرفة، إلا مقام الخليل إبراهيم (عليه السلام) بدعوى أنها تخالف معتقداتهم(٢١٥). وقام رجاله بنهب الأمتعة القيمة والعديد من الأمانات المقدسة. وأمر الإمام سعود بمنع إقامة الصلاة على المذاهب الأربعة كلاً على حدة، رغم أن ذلك كان أمراً جارياً من قديم في الكعبة(٢١٦)، وأجبر الناس كافةً على الصلاة خلف إمام واحد، كما أبطل الأذكار والأدعية داخل الكعبة. وجعل من شروطه في تلك

إلى جدة مع واليها (انظر: الأرشيف العثماني HH 3805. وجودت باشا، المصدر السابق، ص٢٠٦-٢٠٧، وانظر أيضاً: Uzunçarşılı, *a.g.e.*, s.118).

(٢١٣) جودت باشا، المصدر السابق، ص٢٠٧-٢٠٨.

(٢١٤) يصور عاصم في تاريخه تلك الحادثة فيقول: "ما إن تواترت الأخبار أن رئيس الخوارج والمردود المدعو سعود قصد مكة المكرمة المكرمة بدعوى الحج حتى تطايرت قلوب المسلمين مثل أوراق الخريف، ففي عدة أيام قدم الآلاف بغتة من فرسانهم المسلحين بالحراب راكبين الجمال والأفراس، وآلاف المشاة المشاغبين متقلدين السيوف؛ ومدوا أقدام الشؤم على الحرم المحترم. ووردوا على الحرم الشريف وقدموا جماعات جماعات بهذا الفسق قدر عشرة أيام، ثم قرروا أن يقوم عدة أشخاص بقراءة رسالتهم المذهبية كل يوم وجهراً داخل الحرم الشريف وفرضوا معتقداتهم الباطلة" (عاصم تاريخي، ٣٠٦/١-٣٠٧).

(٢١٥) الأرشيف العثماني (Cevdet Dahiliye 9994, 4110).

(٢١٦) الأرشيف العثماني (HH 3804 B).

الأثناء أيضاً أن يُقرأ في الكعبة كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المعروف بكشف الشبهات، ويضم أفكار ومعتقدات الوهابية، بحيث يسمعه كل شخص. ونهى بصورة قاطعة عن تدخين التبغ وتعاطي المخدرات وغيرها مما يعد من المحرمات عند الوهابية، ونهى عن لعب الشطرنج والنرد وغيرهما من الألعاب، وأمر بإغلاق المقاهي والملاهي التي يجري فيها تعاطي تلك المكيفات وممارسة تلك الألعاب، ومَنَعَ أيضاً كافة أنواع الملاهي والتسلية. وبعد كل ذلك قام بإلباس خلعة لأخي الشريف غالب ووكيله عبد المعين، ثم نَصبّه أميراً على مكة[٢١٧]. وبعد أن غادر الأمير سعود بن عبد العزيز مكة المكرمة قام بمحاصرة جدة لمدة قصيرة لم يلبث أن اضطر بعدها لفك الحصار. فاتجه إلى المدينة عقب ذلك، وحاصرها هي الأخرى، وقطع عليها سبل الإمداد من مؤونة وذخيرة وغير ذلك.

وكانت الدولة العثمانية قد اشتعلت غضباً لاستيلائهم على مكة، وبادرت على الفور بإخبار الولاة المجاورين بالمنطقة بما جرى، وأرسلت إليهم الأوامر المشددة للتحرك واتخاذ التدابير اللازمة. ففي قسم من الأحكام المكتوبة إلى إبراهيم باشا والي حلب مثلاً (أوائل ١٢١٨هـ/١٨٠٣م) نراها – بعد إيجاز الأحداث المذكورة له – تخبره أن "سعود الخارجي" حاصر المدينة المنورة، وتطالبه باستقدام المؤونة والجنود من الشام ومصر لأجل إنقاذها. كما نبهت ولاة حلب وأورفة ودياربكر إلى أنها عينت والي بغداد علي باشا قائداً عسكرياً للسير على الدرعية، وأمرتهم بعدم التواني في أن يهبوا لمساعدته ومع كل واحد منهم ألف جندي مسلحين بالبنادق[٢١٨]. وفي غضون ذلك أيضاً أمرت الدولة والي مصر بإرسال جنود ومهمات من مصر إلى المنطقة[٢١٩]. وكان ذلك أشد الأوامر التي أصدرها المركز حتى ذلك اليوم في هذا الموضوع، فقد كان المفهوم حتى ذلك

---

(٢١٧) الأرشيف العثماني (Cevdet Dahiliye 1369). وعاصم تاريخي ٣٠٦/١-٣١٠. وجودت باشا، المصدر السابق،ص٢٠٩. وانظر أيضاً: Lorimer, op.cit., p.1576 وكذلك Uzunçarşılı, *a.g.e.*, s.114-115.

(٢١٨) الأرشيف العثماني (Cevdet Dahiliye 2718, 3993, 4110).

(٢١٩) الأرشيف العثماني (Cevdet Dahılıye 5716).

التاريخ أن المسألة مجرد مناوشات محلية، فإذا بها تصل إلى هذا الوضع الخطير. لأن الكعبة المشرفة التي اضطلعت الدولة العثمانية منذ مئات السنين برعايتها وحمايتها قد وقعت في أيدي أناس وصفتهم الوثائق الرسمية للدولة بجماعة الأفاقين. وهذا كان بمثابة أكبر ضربة يمكن أن توجه إلى هيبة الدولة. وقد انكشف ذلك الغضب الكبير في مركز الدولة من حكم (أمر) أرسلته إلى عبد الله باشا عظم زاده والي الشام وأمير الحج الشامي في تلك الأثناء. وجاء في ذلك الحكم بعد الثناء على الخدمات التي قام بها في موسم حج ذلك العام أن إقدام الوهابيين على غزو مكة المكرمة قد أثار حزناً عميقاً في نفس السلطان، وأشار عليه "بضرورة أن يترك النوم والراحة كل إنسان يعمر قلبه بالدين والإيمان وكل إنسان يقول أنا مسلم، فيسعى للعمل في ذلك السبيل بالنفس والنفيس"، كما طالبه الحكم بناءاً على ذلك بالسعي بكل السبل والوسائل لإنفاذ المؤونة إلى المدينة، وأن يبذل ما في الوسع والطاقة عقب ذلك لإنقاذ الأراضي المقدسة من قبضة الوهابيين[٢٢٠]. ويبدو أن الدولة كانت قد فقدت الأمل أيضاً من وصول المساعدات التي يمكن الحصول عليها من مصر بسبب الاضطرابات التي كانت تعيشها[٢٢١]. ولأجل هذا قامت – من ناحية – بتكليف والي بغداد علي باشا بالسير على الدرعية، وأمرت عبد الله باشا من ناحية أخرى بتلبية احتياجات المدينة المنورة[٢٢٢]، كما أمرته بإقامة الاستحكامات اللازمة لها والدفاع عنها، ومع أن ذلك كان تدبيراً حسناً من الناحية النظرية الاّ أنه أثبت عدم جدواه من الناحية العملية. فلم تمض فترة وجيزة حتى بدأ أهالي المدينة وأشرافها يجأرون بالشكوى من ظلم سعود وطغيانه[٢٢٣].

---

(٢٢٠) للاطلاع على الفرمان السلطاني الصادر حول ذلك انظر: الأرشيف العثماني، جودت داخلية ١٣٦٩.

(٢٢١) أمرت الدولة علي باشا والي مصر بإرسال ٣٠ ألف أردب مؤونة وجنود من علي بغداد إلى الأراضي الحجازية لأجل محاربة الوهابيين، ولكن علي باشا كان قتل في تلك الأثناء، وعمت الفوضى في مصر (جودت باشا، المصدر السابق، ص٢٤٦-٢٤٧).

(٢٢٢) نفس المصدر، ص٢٣٢-٢٣٣-٢٣٧.

(٢٢٣) الأرشيف العثماني (HH 3789, 3789 A).

ولما رأى الشريف غالب أن سعود بن عبد العزيز ترك وراءه قوة صغيرة في مكة المكرمة استغل هو فرصة مغادرته إلى المدينة، فقام مع والي جدة شريف باشا بالوصول بقواتهما إلى هناك، واستطاعا بعد مقاومة ضعيفة أن يستعيدا مكة، وقاما بإعدام عدد من الوهابيين الذين كانوا هناك(٢٢٤). أما سعود فلم يعد إلى مكة المكرمة وفضّل عدم الرد معترفاً بالأمر الواقع، بينما قبل الشريف غالب في مقابل ذلك مطالبه حول المدينة المنورة، كما اضطر للتعهد أيضاً بعدم جباية ضرائب من الوهابيين من جمرك جدة(٢٢٥).

وكانت عمليات التعجيز المستمرة التي يمارسها الوهابيون على مكة المكرمة والمدينة، وكذلك سيطرتهم على الطرق أمراً أخل كثيراً بأداء فريضة الحج. ولو أنهم في الظاهر يزعمون بأنهم لم يمنعوا أحداً من أداء فريضة الحج، وأنهم كانوا فقط يعارضون البدع التي كانت تمارس بمناسبة الحج فإن العديد من الناس كانوا يحجمون عن الذهاب إليه. ففي موسم الحج لعام ١٨٠٤م لم يستطع أهالي مكة المكرمة أنفسهم الصعود إلى جبل عرفات الذي لا يتم الحج إلاّ به، وقام أمير الحج الشامي إبراهيم باشا في ذلك العام بدفع عشرة قروش عن كل حاج إلى الوهابيين ضريبةً للمرور حتى استطاع أن يعود(٢٢٦). وكان من الطبيعي في تلك الظروف أن يؤدي ذلك إلى القحط وارتفاع الأسعار في المنطقة(٢٢٧). ولو أن المؤن والذخائر كانت تصل إلى مكة المكرمة عن طريق جدة إلاّ أن القادم منها إلى المدينة من ينبع لم يكن طريقها آمناً، وكان الناس يعانون الكثير من الضيق. وقد كتب محافظ المدينة إلى استانبول في إبريل عام ١٨٠٥م يخبرها أن خطر الوهابيين قد بلغ حداً لا يمكن التغلب عليه(٢٢٨).

---

(٢٢٤) الأرشيف العثماني (HH 3777, 3784).

(٢٢٥) Lorimer, op.cit.,1578

(٢٢٦) جودت باشا، المصدر السابق، ٨/٢٢-٢٣ و Lorimer, op.cit., p.1595

(٢٢٧) الأرشيف العثماني (HH 3787 C).

(٢٢٨) جودت باشا، المصدر السابق، ٧/٢٧٣.

وفي غضون ذلك كان عبد الله باشا عظم زاده موجوداً في المدينة بقصد الحج، ومن ثم لم يستطع الوهابيون دخولها نتيجة للصدامات التي وقعت بينهما لمدة قصيرة. ولكنهم عادوا إثر عودته واحتلوا المدينة، ثم أمنوا الأهالي على أرواحهم شريطة قبولهم للوهابية(٢٢٩)، وقاموا بهدم قباب المقامات والمزارات، وفعلوا بها ما فعلوه في الأماكن الأخرى بعينه. واستولوا كذلك على قدر كبير من المرصعات التي كانت محفوظة داخل القبر النبوي، بل وطالبوا بهدم القبر نفسه، ولكنهم خوفاً من إثارة غضب شديد اكتفوا ببعض التشويه لقبته فقط(٢٣٠). أما أمر نهب القبر النبوي على تلك الشاكلة فقد أسفر هذه المرة أيضاً عن نفور بين الوهابيين والسنة، تماماً كما حدث في كربلاء من قبل. وعلى هذا النحو اكتسب أتباع تلك الحركة نفور المسلمين شيعةً وسنةً على السواء، ولم يعودوا مقبولين أبداً من هذين الطرفين، بل إن هناك تباعداً نفسياً جاداً لا يزال إلى الوقت الحاضر تكمن وراءه تلك الحادثة وما شابهها فيما بين المملكة العربية السعودية ممثلة الوهابية – رغم أنها تغيرت كثيراً – وبين الدول الإسلامية الأخرى.

وفي عام ١٨٠٥ حاصر الوهابيون مكة المكرمة المكرمة من جديد بعد أن أحدثوا خسائر كبيرة في مدينة جدة التي هي بمثابة عصب الحياة لمكة المكرمة مستفيدين من تجربتهم في حصارهم للمدينة المنورة، وبذلك قطعوا الطريق على الإمدادات التي يمكن أن تصل من جدة. وعندما ظهرت آثار الحصار في مكة المكرمة وانتشرت الفاقة بين الناس، تم السماح للوهابيين بدخولها للحج بوساطة ودلالة بعض الأشراف. واضطر عبد الله باشا القادم بقافلة الشام إلى الحج مع

---

(٢٢٩) كان وضعهم لهذا الشرط نتائج اقتصادية أيضاً؛ فقد كان على الداخلين جديداً في الوهابية أن يؤدوا ضريبة دخول إلى المذهب تحت اسم (نكال) كما أشير في الهامش ٨٥ في قسم المدخل. وعلى الجانب الآخر كان من يصر على رفض الدخول في مذهبهم يحل لهم نهب ماله.

(٢٣٠) جودت باشا، المصدر السابق، ١٢٣/٨ و Lorimer, op.cit., p.1594

الوهابيين الذين قاموا بتحذيره من إحضار المحمل أو دق الطبول والمزامير[٢٣١]، ولم يتمكن المصريون أيضاً من إرسال محملهم لعدة سنوات بسبب الوهابيين.

وأمام عجز الدولة العثمانية وبقاؤها مكتوفة الأيدي أمام ما يجري، وإخفاق ولاة المنطقة في التغلب عليهم، تجرأ الوهابيون على محاصرة مكة المكرمة من جديد وكانت ضربتهم القاصمة في أوائل عام ١٨٠٦ حيث اضطر الشريف غالب إلى الاستسلام عندما رأى عدم وصول أي نجدة أو معونة[٢٣٢] وسلّم مكة المكرمة بعد موافقة الوهابيين على بقائه في الإمارة. وما إن استلم الوهابيون مقاليد الأمور حتى منعوا ذكر اسم السلطان في خطبة الجمعة[٢٣٣]. ولا يمكننا القول إن منع اسم السلطان من خطب الجمعة هو إلغاء لحاكمية الدولة العثمانية، لأن الوهابيين أنفسهم لم يذكروا اسم أميرهم في الخطبة بدعوى أنها بدعة. وكما فعلوا في السابق ألغوا المقامات وأماكن زيارة المذاهب الأربعة، ورفعوا الضرائب والقوانين الموجودة وأحلوا مكانها أحكام الفقه الوهابي، واستبدلوا الضرائب بتحصيل زكاة الأموال، وعزلوا القضاة والموظفين الذين عينتهم الدولة، وعينوا رجالهم في تلك الوظائف[٢٣٤].

وبالاستيلاء على مكة المكرمة المكرمة اهتز أمن الحج، حتى إن حجاج الشام اضطروا للعودة إلى بلادهم دون أداء الفريضة على الرغم من وصولهم إلى مسافة ٣٠ ساعة عن مكة[٢٣٥]، وذلك لتأويل الوهابيين لآية في سورة التوبة، وحكمهم بالشرك على غيرهم من المسلمين، لما ظهر من أحوالهم واعتقاداتهم، فمنعوهم من

---

(٢٣١) جودت باشا، المصدر السابق ص: ٢٩، ٧٩

(٢٣٢) تاريخ عاصم، ١/٣٠٦؛ عبير، المصدر السابق ص: ١٨٩

(٢٣٣) الأرشيف العثماني، (HH 3839 B).

(٢٣٤) M. Hanefi Kutluoğlu ظهور وإمتداد دولة الوهابيين الأولى وردة فعل الأمبراطورية العثمانية، دائرة دراسات الشرق الأوسط-جامعة مانشستر ١٩٨٨ (رسالة ماجستير).

(٢٣٥) الأرشيف العثماني (HH 53916).

دخول الكعبة(٢٣٦). من جهة أخرى لم تستطع المجالس المنعقدة في استانبول من عمل شيء، وكانت ترى أن ما حصل إنما هو بسبب الإهمال في الماضي، وعدم اتخاذ التدابير الضرورية، والعجز التام عن فعل أي شئ جديد، وتتحدث عن عدم الاختيار الصحيح لولاة المنطقة. حتى كان من حصيلة الأفكار المطروحة طلب تعيين الشاب يوسف باشا والياً على الشام، وإرساله على رأس ثلاثة آلاف جندي للهجوم على الدرعية(٢٣٧). كذلك تم منح ولاية حلب إلى عثمان باشا ابن محافظ هانية أحمد باشا الحلبي وعين محافظاً على المدينة المنورة(٢٣٨) برتبة والي جدة. وعلى الرغم من كثرة الأفكار والاقتراحات المطروحة في مجالس المشورة المنعقدة في الباب العالي إلا أن أحداً منها لم يستطع أن يولد رأياً يشفي الصدور، لأن الأخبار الواردة من الولاة كانت تقترح تأخير الحج لانعدام أمن الطريق، وكانت من جهة أخرى تتحدث عن صعوبة اتخاذ تدابير عسكرية. ولذلك كان الإجماع على أن إرسال حملة إلى الدرعية لن يجدي شيئاً، لأن قوات الوهابيين لا تستقر في مكان واحد، وإنما تتحرك بشكل دائم.[1] وملاحقتهم تقتضي السير مدة طويلة داخل الصحراء وهذا مستحيل بالنسبة للجيش النظامي(٢٣٩). واجتمع الرأي على أن إرسال قوات ومهمات عسكرية لهذا الغرض لا يمكن أن يتم إلا بواسطة مصر. في هذه الأثناء كان الوهابيون الذين استحكموا في الحجاز، يقومون بغاراتهم على الشام

---

(٢٣٦) " يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم" تتفق المذاهب الثلاثة ما عدا المذهب الحنفي على عدم جواز دخول كافة المشركين الكعبة ومايجاورها سواء كانوا مواطنين أو أجانب. أما بالنسبة للمذهب الحنفي فإنهم يستثنون من ذلك المشركين الذين تم عقد معاهدة معهم. إلا أن جميع المذاهب – عدا المذهب الوهابي – تتفق على عدم منع من يقول أني مسلم عن دخول الكعبة.

(٢٣٧) طلب الباب العالي من كنج يوسف باشا التصدي للوهابيين على وجه السرعة.إلا أنه تراخى وطلب مقابل ذلك أن يتم تخصيص مرسى يافا وغزة له.، وعلى ذلك تم تكليفه للعمل في جيش نيش وتعيين سليمان باشا بدلا عنه (الأرشيف العثماني: HH 3788, 3788A, 54115).

(٢٣٨) جودت باشا، المصدر السابق، ٨/٨٠-٨١.

(٢٣٩) الأرشيف العثماني، HH 54019؛ جودت داخلية ١٣٩٢٨.

وبغداد[٢٤٠] من ناحية، ويرسلون إلى الولاة يدعونهم إلى اتباع مذهبهم الوهابي من ناحية أخرى. وقد استمر زحفهم نحو الشام بعد أن سقطت الجوف في أيديهم عام ١٧٩٠ ثم احتلوا الكرك عام ١٨٠٦ وحوران عام ١٨٠٩م[٢٤١].

٥- محاولات الإنجليز والفرنسيين لإقامة علاقات مع الوهابيين

لقد كان انتشار الحركة الوهابية بشكل سريع ووصولها إلى خليج البصرة أمراً لفت أنظار القوى الأوربية التي كانت تتنازع السيادة على الخليج سعياً وراء الأهداف الاقتصادية وخصوصاً الإنجليز والفرنسيين. وكان من الطبيعي جداً أن يحاول هؤلاء الاتصال بهذه الحركة والاهتمام بها.

إلا أن الإنجليز لم يلقوا اهتماماً زائداً بهم إلى حين نزولهم بخليج البصرة، وذلك عندما ظهر النفوذ المعنوي للوهابيين على بعض مشيخات الخليج اعتباراً من عام ١٧٧٨ وقيامهم بالاتفاق مع قبائل كثيرة في المنطقة، مما دفع بهم إلى دائرة اهتمام الإنجليز. غير أن هذا الاهتمام كان في البدء ذا طابع عدائي، لأن اتفاق الوهابيين مع شيوخ السواحل كان يتعارض مع مصالح الإنجليز، لدرجة أن شركة الهند الشرقية (E.İ.C.) اضطرت إلى نقل ممثليتها إلى الكويت عندما وصلت التيارات الوهابية إلى الأحساء. وعندما وصل الوهابيون إلى الكويت رأى الإنجليز أن العداء معهم سوف يعرض بريد الصحراء إلى الخطر، ولهذا كانوا يسعون دائماً للبقاء على الحياد، ويرسلون الهدايا والسفراء إلى الوهابيين عندما دخلوا الأحساء عام ١٧٩٩ لضمان أمن البريد. ولما لم يحصل الإنجليز على الضمانات المطلوبة انتهجوا سياسة أشد تجاه الوهابيين[٢٤٢]. واكتسبت هذه السياسة بعداً جديداً[٢٤٣] عندما دخل شيخ القواسم (جزر

---

(٢٤٠) يفهم من كتابات والي الرقة دمير باشا عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م بأن الوهابيين قد اتفقوا مع بعض القبائل في جوار الشام، وأنهم قد إستولوا من حوران على ١٥٠٠٠ كيلة من الحبوب و ٣٥٠٠ جمل وعلى ١٥٠ ألف من الخراف والأبقار من سروج (الأرشيف العثماني H H 3802, 3802 A).

(٢٤١) Frederik C. Bey، تاريخ شرقي الأردن وقبائله (ترجمه للعربية : بهاء الدين طوقان) عمّان بلا تاريخ ص.١٧٧.

(٢٤٢) عبد الرحيم، المصدر السابق. ص، ١٨٤- ٨٥.

(٢٤٣) لدراسة أشمل أنظر :كيللي .المصدر السابق،١/١٥٦ ومابعده..

القراصنة) الشيخ سلطان بن صقر القاسمي في المذهب الوهابي. حيث كان هذا الشيخ يمارس القرصنة ويهاجم سفن الإنجليز عند رأس الخيمة. وبتأثير الوهابية أخذت عملياته طابعاً دينياً جهادياً جعلت الإنجليز يغيرون نظرتهم إلى الوهابيين، فقد كان الإنجليز في صدامهم مع سلطان بن صقر يتغافلون عن علاقته بالوهابيين حتى لا يثيرون العداء نحوهم. وفي عام ١٨٠٩ عندما بدأ الإنجليز حملتهم ضد القراصنة في رأس الخيمة أعطوا تعليمات شديدة كي لا تحصل مشكلة مع الوهابيين[٢٤٤]. ولكن الوهابيين عندما سمعوا باحتلال رأس الخيمة تحركوا من البريمي لمهاجمة الإنجليز مع حلفائهم من القبائل الأخرى. فأرسل الإنجليز رسالة إلى ابن سعود يطلبون منه أن يمنع سفن حلفائه من القبائل من التعرض لسفنهم. ورد عليهم ابن سعود أن ما يقومون به هو بأمر الله وأنه لا مجال في صدهم عن ذلك، غير أنهم أخبروهم أنهم لن يمنعوا قدوم التجار الإنجليز إلى المنطقة[٢٤٥]. ولكن الوهابيين بعد ازدياد المشاكل التي تعرضوا لها اعتباراً من عام ١٨١٠ واتساع دائرة معارضيهم أرادوا الدخول في علاقات جيدة مع الإنجليز، فقاموا بالاتصال مع بروس القنصل الإنجليزي في بندر بوشير لعقد اتفاق بعدم تعرض أحد الطرفين لتجارة الطرف الآخر. وأعلم بروس الحكومة البريطانية في الهند بنيّتهم فقوبل ذلك بالاستحسان واكتفوا بالاتفاق شفهياً وقرروا عدم عقد أي اتفاق خطي مع الوهابيين[٢٤٦]. ولكنه قبل أن يصل قرار الإنجليز إلى الوهابيين كان الفرنسيون قد دخلوا مسرح الأحداث.

---

(٢٤٤) يدّعي بعض الكتاب العرب بأن هذه الحركات ليست قرصنة بل هي جهاد إسلامي. للإطلاع على آراء مختلفة أنظر:الشيخ، دراسات في تاريخ العرب الحديث القاهرة ١٩٨٣.

(٢٤٥) *Memorial* ص.١٢٩-١٣٢.

(٢٤٦) لوريمر، المصدر السابق، ص، ١٦٠ – ١٦٠٧.

وكانت فرنسا قد بدأت سياسة استعمارية جديدة اعتبارا من النصف الثاني من القرن الثامن عشر، إذ كانت تريد نفوذاً أقوى في مصر والبحر الأحمر وخليج البصرة، وتراه حقاً لنفسها منذ أن بدأ لويس الخامس عشر محاولات إعادة جدولة حقوق الأجانب في المنطقة، وكان التنافس الفرنسي الإنجليزي[٢٤٧] في بلاد ما وراء البحار يلعب دوراً هاماً في إظهار هذه السياسة. ولذلك عندما احتل نابليون مصر في عام ١٧٩٨ بدأ بمراسلة الشريف غالب في مكة المكرمة لأنه كان يظن أن له تأثيراً كبيراً على المسلمين، وكان هذا الاتصال محاولة منه للتدخل في تجارة البحر الأحمر التي بقيت حكراً في يد الإنجليز سنوات طويلة، بالإضافة أنه كان يرغب في تأسيس قاعدة له في البحر الأحمر لمهاجمة الإنجليز في الهند[٢٤٨]. ولهذا الغرض كتب نابليون إلى الشريف غالب طمعاً في استمالته قائلاً : إنه سوف يعيد لأهل مصر ما اعتادوا عليه من إرسال المحمل وأن تجّار الحجاز القادمين إلى مصر عن طريق السويس سوف يكونون في حمايته[٢٤٩]. وعلى الرغم من استمرار هذه المراسلات بين نابليون والشريف غالب واتخاذ بعض الخطوات، إلا أن نابليون أدرك بعد فترة قصيرة أن محاولاته مع الشريف غالب لم يكن لها تأثير كما كان يتوقع، وأحس بضرورة الاتصال مع باقي المشايخ العرب. وفي نفس السنة بدأ بالاتصال مع قسم من مشايخ الخليج الذين تأثروا بالحركة الوهابية وكانوا يدفعون الزكاة للوهابيين[٢٥٠]. وبذلك كان اللقاء الأول بين الفرنسيين والوهابيين ولو بشكل غير مباشر. ومن جهة أخرى كانت احتمالات وقوع حرب بين فرنسا وإنجلترا بدأت تظهر في أوائل القرن التاسع عشر وهذه دفعت الفرنسيين إلى البحث عن وسائل جديدة لتحقيق التكافؤ، ولذلك أراد نابليون أن يحاصر الإنجليز بتحريض العالم

---

(٢٤٧) Robert M. Rayner، التاريخ الأوروبي ١٦٤٦-١٧٨٩، لندن ١٩٥٦(الطبعة الخامسة) ص ٢٤٥.

(٢٤٨) James A. Williamson، تاريخ مختصر عن التوسع البريطاني، لندن ١٩٥٣،ص.١٣٦.

(٢٤٩) Abir، المصدر السابق، ص ١٨١.

(٢٥٠) *Memorial* ص ١١٢ ١١٣.

العربي في الشرق، والقوى المحلية في جنوب شرق آسيا ضدهم، ولذلك أرسل سبيستيان[٢٥١] إلى مصر وسوريا وأرسل الجنرال ديكين إلى (تيبو) التي ثارت ضد الإنجليز في جنوب الهند. ولم يحقق نابليون نجاحاً يذكر من هاتين المهمتين ولكن تقدمه السياسي أحرزه عندما وقع معاهدة تيلسيت عام ١٨٠٧ مع القيصر الروسي ألكسندر[٢٥٢] حيث بدأ من جديد بالبحث عن حلفاء له في أراضي الدولة العثمانية بعد الضمانات التي حققتها له هذه المعاهدة في سياسته التوسعية، فأرسل دي لاسكارس عام ١٨١١ إلى الدرعية للاتصال مباشرة بالوهابيين الذين كانوا موضع اهتمامه منذ فترة طويلة، وعرض عليهم المساندة في سورية والعراق ضد العثمانيين لقاء مساندتهم في الخليج لقواته التي سيرسلها إلى الهند[٢٥٣]. مما أثار حفيظة الإنجليز عند سماعهم لذلك فأرسلوا إليهم وعداً بالوساطة لدى الدولة العثمانية للاعتراف بدولتهم بشرط إيقاف غاراتهم على سورية وعدم الاتفاق مع الفرنسيين[٢٥٤]. لكن الوهابيين كانوا يميلون للاتفاق مع الفرنسيين، ولعل سبب ذلك هو رغبتهم في نشر الدعوة في الشام، وما اقترابهم من سواحل البحر الأبيض المتوسط إلاّ نتيجة طبيعية لهذه الرغبة. ولكن الحرب التي بدأت بين فرنسا وروسيا وإلغاء الاتفاقية[٢٥٥] الفرنسية–الروسية عام ١٨١٢ كانت إيذاناً بانتهاء علاقات الوهابيين بفرنسا.

---

(٢٥١) في هذا الخصوص يقول ن.بركس، أن نابليون أرسل سباستيان إلى الجزيرة العربية في مهمّة التدقيق عن الحركة الوهابية. Niyazi Berkes, *Türkiye'de Çağdaşlaşma*, İstanbul 1973, s. 110.

(٢٥٢) تشارلز داونر هازن، التاريخ الأوروبي الحديث، لندن بلا تاريخ (الطبعة الرابعة)ص ٢١١- ١٢؛ريتشارد لودج، التاريخ الأوروبي الحديث منذ الإستيلاء على القسطنطينية،١٤٥٣،إلى معاهدة برلين ١٨٧٨، لندن /١٩٠٩، ص.٥٩٧-٩٩؛ E. Ziya Karal *Osmanlı Tarihi* (2. baskı) V/ 98 – 99.

(٢٥٣) أنيس،المصدر السابق،ص٢٣١- ٣٢.

(٢٥٤) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القاهرة ١٩٨٦ (الطبعة الرابعة)، ص١٩٣.

(٢٥٥) هازن، المصدر السابق، ص٢٣٤.

ثالثاً: محاولات البحث عن حلول

١- تكليف والي مصر محمد علي باشا بالحرب على الوهابيين ونتيجة ذلك:

منذ ظهور الحركة الوهابية والباب العالي يرسل الأمر تلو الأمر إلى الولاة من أجل إرسال الجنود وأحياناً من أجل سوق الأرزاق والمهمات من مصر والشام وبغداد إلى الحجاز. وكانت هذه الأوامر تنفذ رغم التقصير الذي كان يحدث أحيانا. ولكن تغير الأوضاع وضعف نفوذ الدولة في السنوات الأخيرة، قطعت آمال الباب العالي من الشام ومصر وبغداد. فالواقع أن الولاة كان قد أصابهم الملل من جدالهم مع الوهابيين سنوات وخاصة والي بغداد، مما كان يجعلهم يتغاضون عن تنفيذ الأوامر القادمة من استانبول[٢٥٦]. أما الشام وحلب فكان الولاة فيهما يتغيرون باستمرار بحجة ضعف الإدارة، ولكن بدون جدوى في تحسين الأوضاع. وبعد احتلال الطائف ومحاصرة الوهابيين للمدينة المنورة أدرك الباب العالي عدم جدوى أي حملة بواسطة الولاة في الشام وبغداد، فأوعز إلى والي مصر خسرو باشا بالتنكيل بالوهابيين. ولكن خسرو باشا كان في هذه الأثناء هارباً في دمياط بسبب الاضطرابات والقلاقل التي وقعت في مصر. هذا الخبر الذي اهتز له الباب العالي جعله يكلف طاهر باشا، الذي أرسل على رأس قوات غير نظامية للتصدي لنابليون، بإدارة دفة الأمور بشكل مؤقت في مصر حتى يتم تعيين والٍ جديد. وفي أعقاب ذلك أيضاً تم عزل خسرو باشا عن ولاية مصر لعجزه عن القيام بأي حركة ضد الوهابيين، وقرر تعيين علي باشا الجزائري الموجود في الإسكندرية في تلك الأثناء والياً على مصر[٢٥٧]. وفي الوقت الذي استطاع فيه طاهر باشا، الوالي بالوكالة السيطرة على الأمور في مصر، وكان ينتظر قدوم الوالي الجديد من الإسكندرية، قامت القوات التابعة لخسرو باشا بخلعه عن الوظيفة وقتله، مما أدى إلى حدوث

---

(٢٥٦) جودت باشا، المصدر السابق، ١٢٢/١٠.

(٢٥٧) الأرشيف العثماني، HH 3855؛ جودت باشا، المصدر السابق، ٢٢٨/٧، ٢١٦.

اضطرابات وقلاقل عجز الوالي الجديد من السيطرة عليها. هذه الاضطرابات وتلك القلاقل أدت إلى ظهور محمد علي باشا الذي أصبح قائداً للقوات غير النظامية بعد مقتل طاهر باشا والرجل الذي غيَّر قدر مصر فيما بعد(٢٥٨).

وأمام هذه التطورات الجديدة في مصر، وجد الباب العالي نفسه أمام وضع فعلي فأصدر فرماناً عام ١٨٠٥ بتعيين محمد علي والياً على مصر(٢٥٩)، والواقع أنه لم يكن أمام استانبول خيار آخر لأن الاضطرابات الداخلية ومقتل السلطان سليم الثالث جعلت اهتمام الباب العالي بالولايات البعيدة أمراً صعباً. أضف إلى ذلك معاهدتي تيلسيت وأرفورت اللتين وقعهما نابليون بعد أن أنهكه العداء مع روسيا

---

(٢٥٨) قام محمد علي بمرافقة القوات المرسلة عن طريق البحر ومجموعة أخرى من القوات الألبانية الغير نظامية الذاهبة إلى مصر لطرد نابليون منها. وبعد أن أخلى الفرنسيون مصر (اغسطس ١٨٠١) وتعيين خسرو باشا واليا عليها ، أستقر محمد علي في مصر وأصبح قائدا للقوات الغير نظامية. إلاّ أن خسرو باشا وعلى عكس رغبة القوات الإنجليزية المتواجدة بالإسكندرية - بدعوى مساعدة العثمانيين- قام بالتوجه إلى مواقع المماليك الذين كانوا حتى ذلك الوقت يتحكموا في مصير مصر. إلا أن جيش خسرو إنهزم في دمنهور مما تسبب في إنقطاع المرور بين مصر العليا ومصر السفلى. وفي هذه الأثناء أراد الوالي التخلص من القوات الألبانية الغير نظامية والتي أظهرت ميلا للمماليك إلا أنه كان عاجزا عن تسديد مستحقاتها (الأمر الذي جعله يقترض من القنصلية الإنجليزية ١١٩ ألف قرش مما جعل الباب العالي يطلب من الوالي الجديد تسديد المبلغ (الأرشيف العثماني، جودت داخلية ٦٣٥٦) وقد ثاروا وقاموا بحصار قصر الوالي الذي فرّ إلى دمياط. أعقب ذلك تكليف طاهر باشا بإدارة أمور مصر بصفة مؤقتة إلاّ أنه قتل نتيجة قلاقل جرت وحلّ محمد علي محلّه. وفي هذه الأثناء تم تعيين علي باشا الجزائري واليا على مصر إلا أنه لم يتمكن من إستلام زمام الإدارة. بعد وقت قصير قام المماليك بالتناحر فيما بينهم مما جعل من محمد علي يقود القوات المتواجدة بالقاهرة ومناداة الوالي السابق خسرو باشا واليا لمصر، لكن الألبان ثاروا في اليوم التالي وأخرجوا الوالي من القاهرة وقاموا بتعيين محافظ الإسكندرية أحمد خورشيد باشا واليا (١٨٠٣) .إلا أن الأحداث قد إشتدت من جديد بمحاولة خورشيد باشا الذي أصبح ألعوبة في يد الألبان التخلص منهم وذلك بإحضار قوات كردية من سوريا ، ورغبة الباب العالي بإبعاد محمد علي من مصر بتعيينه واليا على جدة ، وقام أهالي القاهرة في مايو ١٨٠٥ بالثورة على الوالي الجديد ومناداة محمد علي واليا .وبعد مرور اسبوعين ورغبة في التحرك بناء على تطوّر الأحداث قدم إلى مصر من استانبول صالح بك - وهو صديق قديم لمحمد علي - وقام بتسليم فرمانين لمحمد علي وخورشيد باشا وقراءة فرمان تعيين محمد علي واليا (نظارة خارجية الباب العالي، المسألة المصرية، استانبول ١٣٣٤، ص٤-٦).

(٢٥٩) عن حياة محمد علي باشا وولايته لمصر أنظر: Şinasi Altındağ / عصيان قوله لى محمد علي باشا والمسألة المصرية١٨٣١-١٨٤١/ أنقرة ١٩٨٨(الطبعة الثانية).

وانجلترا ونصت هاتان المعاهدتان على تقسيم أراضي الدولة العثمانية إذا لزم الأمر – كما أسلفنا، فإن هاتين المعاهدتين قد خيبتا أمال الدولة في فرنسا. ومن جهة أخرى مشاكل الحركة الوهابية التي شغلت الباب العالي لفترة طويلة جعلت من محمد علي باشا أملاً جديداً، لأن ما يحدث في الحجاز لا سبيل للقضاء عليه سوى إرسال جيش كبير من طرف مصر يتولى هذه المهمة. وقد أسلفنا أن محمد علي باشا تعهد بالاهتمام بمسائل الحجاز وإنقاذ الحرمين من السعوديين إذا وُجهت له ولاية مصر[٢٦٠]. ولهذا كانت استانبول تريد منه بناءً على تعهده هذا توجيه الاهتمام بمسألة الوهابيين وتحثه على ذلك بشكل مستمر. لكن محمد علي الذي كان يطمح إلى تأسيس حكم قوي في مصر لم يستطع آنذاك تشكيل إدارة مستقرة فيها، وكان على الرغم من تعهده للباب العالي مشغولاً بملاحقة المماليك الذين انسحبوا إلى جنوب مصر. فكان يحاول كسب الوقت بإرسال التبريرات وكتابة الرسائل[٢٦١]. وهناك أمر آخر جعله يتأخر عن الالتفات إلى المسألة الوهابية هو أن إنكلترا بعد أن شكلت اتفاقاً مع روسيا ضد الدولة العثمانية أرسلت أسطولها الجنرال (دوق وورث) إلى مضيق چنق قلعة، ولكنها لم تستطع تحقيق أملها فسحبت الأسطول وأرسلت أسطولاً كبيراً آخر باتجاه مصر[٢٦٢].

إلا أن أول تدبير اتخذه محمد علي ضد الوهابيين وهو يخوض حرباً شديدة ضد المماليك في الجنوب لتأمين الاستقرار في مصر[٢٦٣]، هو ما قام به من منع التجارة مع الحجاز بعد استيلائه على أطراف السويس. وكان يهدف من وراء ذلك إلى التضييق على أهالي الحجاز الذين كانت معظم أرزاقهم تأتي من السويس حتى

(٢٦٠) الأرشيف العثماني، (HH 3848).

(٢٦١) الأرشيف العثماني، (HH 3806, 3819).

(٢٦٢) الأرشيف العثماني، (HH 3839)؛ جودت باشا، المصدر السابق. ١٢٥/٨.

(٢٦٣) عن كفاح محمد علي باشا ضد المماليك وعن سياسته أنظر :جودت باشا،المصدر السابق، ص٨١-٨٢؛ عبد الرحمن الرفاعي ،عصر محمد علي، القاهرة ١٩٨٢(الطبعة الرابعة) ص١٠٤-١١٦.

يهبوا للثورة على الوهابيين[٢٦٤]. واستمر على هذه السياسة في منع تجارة الحجاز وتقديم الأعذار إلى الباب العالي حتى عام ١٨١١ حيث استطاع التغلب على المماليك، فبدأ بالتجهيز للحملة ضد الوهابيين. ولم يكن أمامه مفر من هذه الحرب، لأنه مهما استقر له الأمر في مصر سيبقى في نظر الباب العالي عاصياً استفاد من الفرص وحالفه الحظ. ولذلك فإن أي نصر سيحرزه في الحجاز سيوطد دعامة حكمه على مصر ويكسبه المشروعية.

بعد الانتهاء من تجهيز الجيش[٢٦٥] الذي بلغ عدده ٣٥٠٠ جندياً أغلبهم من الأتراك والألبان، أرسله إلى الحجاز[٢٦٦] بقيادة ابنه أحمد طوسون باشا في شهر أيلول من عام ١٨١١، وبقي هو في مصر تحسباً لأي انقلاب قد يقع ضده. وكانت الخطة في الوصول إلى المدينة المنورة من جهتين: من جهة البر بقيادة أحمد طوسون باشا، ومن جهة البحر بقيادة طاهر أفندي كاتب ديوان مصر. وبعد مناوشات بسيطة استطاع الجيش المصري القادم من البحر التمركز في شهر أكتوبر في ميناء ينبع[٢٦٧]. أما القوات البرية بقيادة أحمد طوسون باشا فقد تغلبت على من صادفها من قوات الوهابيين من العقبة إلى مضيق جديدة، واستطاعت تأليب القبائل والعشائر ضد الوهابيين. ولكنها تعرضت لهجمات قوية مفاجئة من الوهابيين بقيادة فيصل وعبد الله أولاد سعود عند وصولها في مطلع عام ١٨١٢ إلى جديدة. فتفرقت هذه القوات وانهزمت أمام ضربات الوهابيين، ولم يتمكن أحمد طوسون باشا من الوصول إلى ينبع إلا بشق الأنفس. وسبب هذه الهزيمة هو عدم طاعة أمراء الألبان لأوامر قائد

---

(٢٦٤) لوريمر، المصدر السابق، ص١٥٩٧.

(٢٦٥) استفاد محمد علي باشا من كل فرصة أثناء صراعه مع المماليك بمصر. فعلى سبيل المثال وبمناسبة حملته المشهورة على الحجاز قام بجمع وقتل كافة المماليك بعد مناداتهم لحفل في قلعة القاهرة وبهذا تم له القضاء على كامل نفوذهم.عبد الرحمن الجبرتي، تاريخ الجبرتي، القاهرة بلا تاريخ، ١٨٢/٤-١٨٧.

(٢٦٦) جودت باشا،المصدر السابق، ٢٤٩/٩-٢٥٠؛لوريمر، المصدر السابق،ص١٥٩٧.

(٢٦٧) الجبرتي،المصدر السابق، ص١٩٣.

الجيش الشاب الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة، ولكنه مع ذلك أثبت جدارة وبسالة فائقة في الحروب مع المماليك. فليست الهزيمة لعدم مقدرته على الحرب وإنما بسبب استخفاف أمراء الألبان من الدخول تحت إمرة شاب صغير، ومن جهة أخرى بسبب غيظهم بعد أن أدركوا أن محمد علي باشا لم يرسلهم في حملة الوهابيين إلا لإبعادهم عن مصر لخوفه من معارضتهم لما يقوم به من إصلاحات. ولذلك تفرقوا ببساطة غير مبالين بأحمد طوسون باشا الذي خاض حربا ضروسا أمام خصم قوي وعنيد مثل الوهابيين[٢٦٨].

وما إن سمع محمد علي باشا بخبر الهزيمة حتى قام بتجهيز جيش جديد قوي بلغ عدده ١٥٠٠٠ من المشاة وألفان من المغاربة وثلاثة آلاف من الزنوج وأرسله لنجدة ولده مع تجهيزات كافية من المؤن والعتاد بشكل أسعد الإدارة في استانبول[٢٦٩]. وبوصول هذا الجيش إلى ينبع في شهر ديسمبر من عام ١٨١٢، اتجه أحمد طوسون باشا من جديد نحو المدينة المنورة تدعمه القوات التي جهزها الشريف غالب باشا، وقوات العشائر المعارضة للوهابيين من عربان حرب. وبعد حصار استمر خمسة عشر يوماً استطاع تخليص المدينة من أيدي الوهابيين. وأقيمت احتفالات كبيرة في استانبول ومصر بعد قدوم الأخبار عن استعادة المدينة المنورة، وأقيمت الاحتفالات عند مسجد أيوب الأنصاري في استانبول وأطلقت المدافع طلقاتها سبعة أيام ابتهاجاً بهذا النصر كما كان يفعل في العيدين. وصار السلطان محمود الثاني يذكر في خطب الجمعة باسم "الغازي"[٢٧٠]، كما حصل أحمد طوسون على رتبة الوزارة، مع درجة مشيخة الحرم المكي وأيالة الحبش مع سنجق جدة، وطلب منه العمل على "تخليص مكة المكرمة مما لحق بها من أذى الخوارج الذين أحدثوا مذهباً باطلاً ووضعوا أحكاماً غير مشروعة وقاموا بإضلال

---

(٢٦٨) جودت باشا، المصدر السابق، ٢٥٧/٩-٢٥٨؛ ٩٥/١٠-٩٦.

(٢٦٩) الأرشيف العثماني، جودت داخلية ٢٨٦٤.

(٢٧٠) جودت باشا، المصدر السابق، ١٠٢/١٠.

الكثير من العشائر"[٢٧١]. وهكذا استمر جيش مصر في مهمته حتى استطاع قبل أوائل عام ١٨١٣ تطهير مكة المكرمة ثم جدة والطائف من الوهابيين، وألقى القبض على أميرهم عثمان المضايفي وأرسله إلى استانبول[٢٧٢]. وهكذا تنفست استانبول الصعداء بحلول الأمن في الحرمين بعد اضطرابات استمرت زمناً طويلاً. ولكن كان الخطر لا يزال قائماً لأن قسماً كبيراً من القبائل المحيطة بالحرمين كانت لا تزال على ولائها لسعود، ولديها المقدرة على إحداث المشاكل في كل لحظة.

كان الباب العالي يريد أن يتوجه محمد علي باشا بنفسه إلى الحجاز ويتولى شخصياً تنظيم الأمور. وقد استجاب الباشا لهذا الطلب وتوجه في شهر أغسطس من عام ١٨١٣ بقسم من قواته إلى جدة أولاً، ثم إلى مكة المكرمة المكرمة[٢٧٣]. وهناك طلب إعدام الشريف غالب بزعم أنه اتبع سياسات غير مناسبة في مسألة الوهابيين. والحقيقة أن الشريف غالب كان يعارض محمد علي باشا في إجراءاته. ولكن السلطان محمود الثاني رأى أن إعدامه غير مناسب وأخبر الباشا أنه باستطاعته عزله ونفيه إلى مكان آخر[٢٧٤]، فقبل الباشا بذلك وعَيَّنَ مكانه الشريف يحيى بن سرور[٢٧٥]. ورغم أن الباب العالي رأى في طلبات محمد علي باشا نية خفية في بسط النفوذ على الحجاز، ولكن الواضح أنه تغاضى عن ذلك للخدمة التي أسداها محمد علي في القضاء على الوهابيين. ولم يبق محمد علي في الحجاز كثيراً، وإنما عهد أمر الحفاظ على النظام الذي أسسه وملاحقة العصاة من العشائر إلى ولده أحمد طوسون ثم عاد إلى مصر. واستمر أحمد طوسون في ملاحقة الوهابيين خلال

(٢٧١) الأرشيف العثماني، جودت داخلية ٢٧٠٤.

(٢٧٢) جودت باشا، المصدر السابق، ص ١٠١-١٠٢.

(٢٧٣) لوريمر، المصدر السابق، ص ١٦٠١؛ أحمد السيّد درّاج - السيّد رجب حرّاز، دراسة في التاريخ المصري، القاهرة بلا تاريخ، ص٣٥٩.

(٢٧٤) الأرشيف العثماني، تصنيف علي أميري، محمود الثاني،٣٠٦٤.

(٢٧٥) Uzunçarşılı، المصدر السابق، ص١١٨-١٩.

العامين ١٨١٣-١٨١٤ وإن لم يحقق أي نصر يذكر في هذه الملاحقات، حتى أنه تعرض للهزيمة في (التربة) ووالده لا يزال في مكة[٢٧٦]، فما كان منه إلا أن قام باستدعاء قوات جديدة من مصر للهجوم على منطقة القصيم التي كانت لا تزال تحت سيطرة الوهابيين. وبدأت التجهيزات لهذا الغرض. وفي هذه الأثناء توفي سعود بن عبد العزيز في الدرعية في شهر مايو عام ١٨١٤ وخلفه ابنه عبد الله بن سعود في قيادة الحركة الوهابية[٢٧٧]. وكانت في الواقع فرصة لا تعوض لأحمد طوسون باشا[٢٧٨]، لأن عبد الله لم يكن بقدر أبيه في الشجاعة والدراية، ورغم ذلك فقد أشيع أنه يريد الهجوم على المدينة المنورة التي كان أميرها سابقاً أثناء سيطرة الوهابيين، وبعد خرج إليه أحمد طوسون من المدينة المنورة بقواته، وقام في ربيع ١٨١٥ بإخضاع الكثير من الأماكن التي مر بها إلى أن وصل إلى القصيم. ولكنه عندما رأى قوة الوهابيين وكثرتهم لم يشأ إرهاق الجند بسماع الخبر وتعريضهم للهزيمة، فقرر الانسحاب. وأثناء التحضير للعودة حصل أمر غير متوقع إذ أرسل إليه عبد الله من يفاوضه على الصلح. والذي يفهم من هذا التطور المفاجئ أن كلا الطرفين كانت لديه معلومات مبالغ فيها عن الطرف الآخر. وهكذا عقد أحمد طوسون باشا صلحاً مع قائد الوهابيين الجديد عبد الله بن سعود في شهر حزيران ١٨١٥ ينص على التخلي عن منطقة القصيم وحواليها بالكامل للوهابيين لقاء ابتعادهم عن مكة المكرمة والمدينة، وعدم تعرضهم للقبائل التي دخلت في طاعة الدولة[٢٧٩]. ولكن هذا الصلح كان مشروطاً بموافقة محمد علي باشا، فأرسل إليه هيئة لإعلامه بشروط الاتفاق والواضع القائم. غير أن محمد علي كان يدرك أن الباب العالي ينتظر منه نصراً ساحقاً على الوهابيين، وأن بقاءه في حكم مصر مرهون بهذا النصر. ولذلك أرسل

(٢٧٦) الرفاعي، المصدر السابق، ص١٣١.

(٢٧٧) *Memorial*، ص ١٣٧.

(٢٧٨) المصدر السابق، ص١٣٤.

(٢٧٩) لوريمر، المصدر السابق، ص١٦١٧-١٨،الرفاعي،المصدر السابق، ص ١٣٧.

إلى ابنه يخبره أنه يقبل الاتفاق في حالة تسليم الدرعية والدخول في طاعة الدولة، وردّ جميع الأشياء التي أخذها الوهابيون من قبر النبي (ص)[٢٨٠] وذهاب عبد الله شخصياً إلى استانبول لإثبات حسن النية.

لم يكتف الوهابيون برد هذه الشروط القاسية التي جاءتهم، وإنما بدؤوا فوراً بالتجهيز للحرب. أما محمد علي باشا فقد أدرك أن ولده أحمد طوسون لن يقدر على القضاء عليهم، فجهز جيشاً جديداً بقيادة ابنه الآخر إبراهيم. وبعد هذه التجهيزات التي استمرت ستة أشهر، تحرك الجيش من مصر في شهر سبتمبر عام ١٨١٦ بقيادة إبراهيم باشا الذي رافقه في حملته خبراء عسكريون أجانب مثل: وايسيري الفرنسي الذي حارب في جيش نابليون، ومن إيطاليا: سكوتو وجنتيلي وتودس تشيني. ووصل هذا الجيش إلى المدينة في أوائل شهر أكتوبر[٢٨١]. وأثناء ذلك كانت مجموعة من الحرفيين والصناع تتجه من استانبول إلى مكة المكرمة والمدينة لإصلاح التخريبات التي أحدثها الوهابيون[٢٨٢]. وبعد إجراء الترتيبات اللازمة تحرك إبراهيم باشا من المدينة في شهر فبراير من عام ١٨١٧ متجهاً نحو أعماق نجد. وأخضع الأماكن التي مر بها وعيّن عليها أمراء جدد[٢٨٣]. ولم يتمكن من الوصول إلى الدرعية مركز الوهابيين ومحاصرتها إلا في ٦ شهر إبريل ١٨١٨ بسبب صعوبة الطريق وسوء أحوال الإقليم. وبعد مناوشات استمرت لفترة طويلة، وإحكام القبضة على الوهابيين وانقطاع المعونات الخارجية من الوصول

---

(٢٨٠) بعد أن جرى التحقيق بحق الوهابيين فيما بعد إتضح قيام عبد العزيز بن سعود بتوزيع قسم من الأشياء المأخوذة من قبر الرسول وبيع القسم الآخر في الهند (الأرشيف العثماني، HH 36096).

(٢٨١) عن حملة إبراهيم باشا على نجد من الناحية العسكرية أنظر:عبد الحميد البطريق، "إبراهيم باشا في بلاد العرب" ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا" القاهرة ١٩٤٧، ص ٣-٣١؛ وعن وجهة نظر الوهابيين عن نفس الحملة انظر: إبراهيم بن صالح بن عيسى،تاريخ بعض الحوادث في نجد، الرياض ١٩٦٦، ص ١٣٥-١٥٩.

(٢٨٢) Burkhardt، المصدر السابق، ص ١٧٢،١٧٠.

(٢٨٣) حول تقرير محمد علي باشا حول الصراع ضد القبائل المجاورة لليمن التي قامت بدعم الوهابيين أنظر:الأرشيف العثماني، (HH 3602).

إليهم، اضطر عبد الله بن سعود في التاسع من سبتمبر عام ١٨١٨ إلى إرسال هيئة إلى إبراهيم باشا للتفاوض. فأرسل إليه أنه يقبل الاتفاق بشرط تسليم الدرعية وذهاب عبد الله بن سعود إلى مصر، فرفض عبد الله قبول هذه الشروط. ولما استسلمت الدرعية في شهر نوفمبر ١٨١٨ تم القبض على عبد الله بن سعود وأرسل مع ٤٠٠ من رجاله إلى القاهرة[٢٨٤].

وسرعان ما انطلقت فرحة عظيمة في استانبول[٢٨٥] عندما أرسل محمد علي باشا الأخبار باستسلام الدرعية. ووزعت الرتب على كثير من الناس في استانبول وأبقي على لواء جدة ومشيخة الحرمين مع ولاية الحبشة ووجهت إلى إبراهيم باشا[٢٨٦]. ومن جهة أخرى تم إرسال عبد الله بن سعود من الدرعية مع بعض أقاربه إلى القاهرة ومنها إلى استانبول[٢٨٧]. وبعد استجوابه والتشهير[٢٨٨] به في

---

(٢٨٤) مشاهدات المؤلف عن جلب عبد الله بن سعود للقاهرة وموقف محمد علي أنظر:الجبرتي، المصدر السابق، ص ٤٢٤-٢٥. ويورد المؤلف بأن عبد الله بن سعود أفاد بأن والده قد سلّم محمد علي علبة فيها مسروقات قبر الرسول وهي: ثلاثة مصاحف، حوالي ثلاثمائة قطعة زمرّد ولؤلؤ، وشريط من الذهب. وعلى الرغم من أن محمد علي ذكر بأن المسروقات أكثر من هذا إلاّ أن عبد الله قال بأنها المنقولة عن والده . ومن ناحية أخرى أن موجودات حجرة السعادة لم تكن كل هذه وأن بعض وجهاء العرب وأهالي المدينة وحتى شريف مكة المكرمة قد أخذوا منها. المصدر السابق، ص ٤٢٥. وقام محمد علي بإرسال هده الأمانات إلى استانبول وبعد تدوينها في دفتر ثم اعادتها إلى أماكنها (الأرشيف العثماني، HH 25731).

(٢٨٥) أهدى محمد علي إثنين من حاملي هذه الأخبار فرو السمّور وأعطية مقدارها خمسة آلاف قرش (الأرشيف العثماني، جودت داخلية ٣١١٠).

(٢٨٦) بعد فتح الدرعية أدرجت هذه الأقوال في الخط الهمايوني بحق إبراهيم باشا: " أنت إبراهيم باشا يا متصرف ولاية الحبشة ولواء جدة. قمت في هذه المرة بفتح الدرعية وضبطها وأسر عبد الله بن سعود حيّا ونلت حظوة مقلم السلطان بإقدامك على تطهير الأماكن المقدسة من الخارجيين وأنت بهذه الخدمة الجليلة قد أظهرت سعيا عظيما نال رضا وإعجاب تستحق من أجله كل تشريف ورفعة شأن. دعني أراك دوما تسعى لخدمة الدولة العليّة التي تفتخر بأن رأس مالها هو الخدمة والمحافظة على الحرمين الشريفين كما ينبغي والدعاء بدوام دولة البادشاه. داعين المولى لك ولكل من سعى معك بالخير والسعادة في الدارين بحرمة النبي آمين "الأرشيف العثماني، جودت داخلية ١٠٧٨٢،٦١.

(٢٨٧) جودت باشا،المصدر السابق،١١/١٥-١٦.

(٢٨٨) هناك روايات مختلفة عن إحضار عبد الله بن سعود إلى استانبول. ويذكر الباحثون العرب على وجه الأخص بأن إبراهيم باشا قد اقسم له بشرفه بأن لا يصيبه أي سوء ، وأن حسن إستقباله في مصر هو دليل على ذلك.لذا كان إعدامه في استانبول أمرا سيئا. وفي الحقيقة، فإن محمد علي وإبراهيم باشا كانا يعملان بإسم الدولة العثمانية

شوارع استانبول تم إعدامه[٢٨٩]. وبذلك انتهت الجولة الأولى من المسألة الوهابية لصالح الدولة العثمانية بعد أن شغلتها لأكثر من نصف قرن[٢٩٠].

٢) انسحاب الجيش المصري من نجد وما تلا ذلك:

انتهت المسألة الوهابية – أوالمصالح الحجازية كما تسميها الوثائق العثمانية- بعد أن شغلت الدولة العثمانية لسنوات طوال بالاستيلاء على الدرعية. وتم تهجير الأهالي إلى مناطق أخرى، وخاصةً إلى منطقة الأحساء، ثم دمرت القصبة تماماً حتى أشجار النخيل تم قلعها. وكان من بين السلاح والذخائر التي تم الإستيلاء عليها ثمانون مدفعاً، وفي ذلك إشارة إلى مدى قوة تسلح الوهابيين. وللأسف لا توجد معلومات عن مصادر هذه الأسلحة. غير أنه يمكننا القول إن الوهابيين حصلوا عليها من الإنجليز والفرنسيين، ولو بطريقة غير مباشرة عن طريق مشايخ الساحل. والصحيح أيضاً أن العتاد والذخائر التي غنموها في حربهم مع أحمد طوسون باشا ساعدتهم أيضاً في التسلح.

أما عبد الله بن سعود أمير الوهابيين، فقد أرسله إبراهيم باشا مع من قُبض عليه من رجاله المقربين إلى مصر حتى يتم إرسالهم إلى استانبول. فيما أعدم عمّه سعود وأخاه إبراهيم في الدرعية، ولكنه أبقى على حياة أبناء عمومته الآخرين،

ليس إلاّ. لذا وإحتمال إعطائهما وعدا لم تعطه الدولة هو أمر يبدو ضعيفا.لذا يورد عبد الله البطريق في دراسته القيمة بأن عبد الله بن سعود طلب وعدا من إبراهيم باشا بسلامته إلاّ أن إبراهيم باشا أفاده بأنه لن يتدخل في تصرّف والي مصر أو السلطان (عبد الله البطريق،المقالة السابقة، ص ١٩-٢٠) ويُظهر إعدام عبد الله بن سعود نتيجة محاكمته بتهمة قيامه ووالده بنهب حجرة السعادة بالمدينة المنورة أنه كان قرارا سياسيا. عن أمر التحقيق مع عبد الله بن سعود ورفاقه وتقرير بوسطانجي باشي أنظر (الأرشيف العثماني، HH 25751, 36096).

(٢٨٩) الأرشيف العثماني، (HH 36068).

(٢٩٠) طبقا لمصادر الوهابيين والآراء التي بنيت على أسسها فإن تأسيس الدولة الوهابية الأولى كان في ١٧٤٤م وانتهائها كان في ١٨١٨م.

وهما محمد بن مشاري وعلي بن الشيخ وابنه سعد، بينما قبل طلب العفو الذي تقدم به بعض شيوخ العربان من حلفاء الوهابيين وأطلق سراحهم[٢٩١].

وبهذا الشكل الذي شلّت به حركة عائلة سعود زعماء الوهابيين وحلفائهم، تم تحقيق الاستقرار داخل نجد. غير أن إبراهيم باشا رأى أن الاكتفاء بهذا القدر من الإجراءات سوف يؤدي إلى ظهور النتائج التي ظهرت سابقاً. ولذلك قرر تأديب القبائل التي لا تزال في حالة عصيان، وقرر أيضاً إحكام قبضته على الأحساء شريان الحياة في المنطقة. ولو أن والي بغداد داود[٢٩٢] باشا في تلك الأثناء حاول الاستفادة من الفرصة في السيطرة على الأحساء لأنها ضمن منطقة نفوذه، فتظاهر أنه يريد مساعدة الجيش المصري، وقام بتجهيز ماجد ومحمد من رؤساء قبيلة بني خالد اللذين قاما باللجوء إلى بغداد بعد احتلال الوهابيين للمنطقة فأرسلهما إلى الأحساء. وهناك قاما بالسيطرة على المدينة [٢٩٣]، ولذلك لم يعد من ضرورة لذهاب إبراهيم باشا إلى هناك. غير أنه كان يعتقد أن هذه الحملة لن تكتمل إلا بذهابه إلى الأحساء، فكتب إلى والده يعلمه بهذه النية[٢٩٤]. ولم يكن مخطئاً في اعتقاده، لأن حلفاء الوهابيين من قراصنة الساحل تحركوا في أواخر سنة ١٨١٨ لنصرتهم، وحشدوا أسطولاً مؤلفاً من ١٨ سفينة[٢٩٥]، ولكن اقتراب إبراهيم باشا إلى مشارف الأحساء منعهم من القيام بأي حركة. ورغم عدم وجود معلومات مفصلة عن مدة إقامة إبراهيم باشا في الأحساء لكن الواضح أنه استخدمها قاعدة لتأديب الكثير من العشائر. إلا أن قواته التي أرسلها إلى قبيلة حرب خاصةً عجزت

---

(٢٩١) الأرشيف العثماني، جودت داخلية ١٠٧٨٢.

(٢٩٢) عن نبذة مختصر حول داود باشا أنظر: زكريا قورشون "داوود باشا"(*TDVİA*, c. IX, s. 38).

(٢٩٣) جودت باشا، المصدر السابق ١٥/١١.

(٢٩٤) نوّار، داوود باشا، ص ٢٢٩.

(٢٩٥) لوريمر،المصدر السابق، ص ١٤٢٥. ولدراسة موسعة عن علاقة الوهابيين مع قراصنة الساحل أنظر: كيللي، المصدر السابق ١/١٥٦-٢٧٦.

عن تأديبهم. وسبب هذا الإخفاق ما يحكيه تقرير متأخر عن تاريخ الحملة، حيث يذكر قائمقام المدينة المنورة وقائد الفرقة النظامية الفريق خالد في عريضته بتاريخ ١٩ رمضان ١٢٧٨ الموافق ١٨٦٨ ميلادي أن سبب النجاح الذي حققه إبراهيم باشا في جهة الشرق هو أن المهمات والأرزاق العسكرية كانت تنقل بقوافل وجمال الدولة. أما المهمات والأرزاق المنقولة لأجل حملة قبيلة حرب فقد استخدمت فيها جمال العربان، حيث أن الجماليين تركوا جمالهم وهربوا، ولم يمكن تأمين ونقل إمدادات العساكر[٢٩٦]. واستمرت فعاليات إبراهيم باشا إلى أواسط عام ١٨١٩ حيث قام بتعيين الوجهاء من البدو وكلاء للدولة في جميع مناطق القصيم ونجد، أما الأحساء فتركها لولاتها القدماء من بني خالد. وفي نوفمبر ١٨١٩ عاد إلى مصر بعد أن بقيت جدة وولاية الحبشة في عهدته[٢٩٧].

والسبب في مغادرة إبراهيم باشا للأحساء بهذه السرعة، هو داود باشا والي بغداد. إذ رأى الخطر في بقاء قواته بجانب قوات رجل مثله أثبت كفاءته في الحروب، تماماً مثلما أثبت محمد علي باشا تفوقه ضد المماليك، بالإضافة إلى أن داود باشا نفسه واحد من المماليك، وهذا هو إذن السبب الحقيقي.

أما في الظاهر فقد ذُكر أن مشكلة وقعت بين الاثنين عندما قام إبراهيم باشا بطرد مأمور الضرائب التابع لداود باشا من الأحساء. وتذكر المراجع المحلية في مصر أن داود باشا أدرك أنه لن يستطيع حل المشكلة بنفسه مع ابراهيم باشا، والسبيل الوحيد هو في الرجوع إلى الباب العالي صاحب الكلمة في ذلك، ولهذا قام بالكتابة إلى السلطان محمود الثاني يطلب منه إخراج إبراهيم باشا من الأحساء. وتذكر نفس المصادر أن محمود الثاني كتب إلى محمد علي باشا فرماناً حتى يقوم

(٢٩٦) الأرشيف العثماني، (*İMM* 1098, Lef 7).

(٢٩٧) الجبرتي، المصدر السابق. ٤٣٥/٤.

باخلاء الأحساء[٢٩٨]. ورغم وجود فرمان كهذا إلا أنه كانت هناك مسببات قضت بالضرورة أن تتطور القضية في هذا المنحى، فكما علمنا أن الدولة العثمانية قبلت على مضض ولاية محمد علي باشا على مصر، وكانت تراقبه بحذر، وكان ازدياد نفوذه في الحجاز وتوسعه في خليج البصرة أمراً لا ترتاح إليه الدولة العلية.

وفطن داود باشا لذلك، وكان طلبه موافقاً لرغبة الدولة، ولهذا فإن رواية إرسال الفرمان قد تكون صحيحة. وعلى الرغم من ذلك فإن مغادرة إبراهيم باشا للمنطقة واكتفاء داود باشا بتوطين عائلة بني خالد في الأحساء يجب أن يوصف بضعف البصيرة السياسية لدى الطرفين.

عندما كان إبراهيم باشا في الأحساء، زاره (سادلر) ممثل الحكومة الإنجليزية في الهند وعرض عليه الاتفاق ضد القراصنة الذين يهددون تجارة الإنجليز بشكل مستمر في المنطقة[٢٩٩]. بعبارة أخرى كان الإنجليز يهدفون إلى زيادة نفوذهم في الخليج[٣٠٠]، ويسعون إلى تأمين تجارتهم هناك. ولذلك قاموا بعقد اتفاق مع صاحب أكبر قوة بحرية آنذاك وهم عائلة آل بو سعيد[٣٠١] التي تحكم مسقط، ضد البحارة العرب. وخلال فترة قصيرة بدأت القوات المشتركة الإنجليزية-المسقطية بتهديد مشيخات المنطقة وإجبارهم على الاتفاق مع الإنجليز. وبذلك عقد الإنجليز اتفاقاً في شهر يناير ١٨٢٠ كان ذا أثر على المشيخات الموجودة مثل رأس الخيمة ودبي وأبو ظبي والفجيرة وعجمان والبحرين والشارقة بدعوى منع أعمال القرصنة، ولكن

---

(٢٩٨) نوّار، المصدر السابق، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٢٩٩) لوريمر، المصدر السابق، ص ١٤٢٥-٢٧؛ كيللي، المصدر السابق، ص ٢٥٠ وما بعدها.

(٣٠٠) المعروف أن فعاليات إنكلترا السياسية والتجارية قد بدأت في بدايات القرن ١٧.ومن أجل تسيير هذه المصلحة أنشأت شركة الهند الشرقية (إيست إنديا كومباني). غير أن قيام إنكلترا بإقامة علاقات سياسية مباشرة مع مشايخ خليج البصرة وماجاوره لم تبدأ إلاّ عقب إستيلاء نابليون على مصر. وبعد إحتلال مصر ومن أجل أمن مستعمرة الهند وحرصاً انكلترا على إستمرارية التجارة في الخليج وأقامت علاقات سياسية مع المشيخات العربية، وكانت سياسة إنكلترة تتركز في جعل تلك المشيخات من محمياتها.

(٣٠١) حول عائلة آل بوسعيد أنظر: توماس برترام، العرب تحت حكم آل بوسعيد، لندن ١٩٣٨.

الهدف الحقيقي هو وضع هذه المشيخات تحت حمايتهم[٣٠٢]. وبعد أن أحس الإنجليز عقب ذلك بالأمن في المنطقة قاموا بتأسيس ممثليات لهم عام ١٨٢٣ في القطيف أهم مناطق الأحساء وفي الشارقة[٣٠٣]. وأمام هذه التطورات كان ولاة مصر وبغداد الأقوياء يقفون موقف المتفرج أمام ما يحدث. لأن والي بغداد كان منصرف الاهتمام إلى ما قد تقوم به إيران من هجمات، أما محمد علي باشا فكان منهمكاً بالتحضير للحملة على السودان[٣٠٤]. في حين كان الباب العالي يراقب الأحداث ويرسل الإنذار تلو الآخر إلى داود باشا ومحمد علي باشا. خصوصاً بعد الهجوم الشديد الذي شنه الاتفاق الإنجليزي-المسقطي على آل بو علي النجديين أصلاً، حيث أرسل الباب العالي رسالة إلى محمد علي باشا يحذره للتيقظ أمام الأطماع الإنجليزية للتوسع في المنطقة[٣٠٥]. وكان الباب العالي يشعر بالقلق إزاء دخول الإنجليز للقطيف، وأكد هذه المخاوف التحريرات التي كتبها داود باشا والسفير الفرنسي في استانبول[٣٠٦]. وكانت متابعة الباب العالي المستمرة للموضوع وفعاليات الإنجليز للتمكن في المنطقة قد دفعت الواليين إلى إعداد أسطول قوي، لكن داود باشا فشل في تحقيق ذلك بسبب ضعف الموارد، أما محمد علي باشا فقد استفاد من الإمكانات الاقتصادية التي أوجدتها الإدارة المستقرة التي أسسها في مصر. وكانت واردات نجد كافية لهذا الغرض لأن النواب الذين عينهم إبراهيم باشا في نجد وحواليها كانوا على رأس عملهم، وكانوا لا يزالون يدفعون الضريبة السنوية لمصر.

(٣٠٢) J. C. Hurewitz،الدبلوماسية في الشرق الأدنى والشرق الأوسط، الولايات المتحدة ١،١٩٥٨/٨٨-٩٠.

(٣٠٣) لوريمر،المصدر السابق، ص ١٤٢٧؛ عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، الرياض ١٩٨١، ص ١١٤.

(٣٠٤) نوّار، مصر والعراق، ص ١١٠.

(٣٠٥) عن دار الوثائق المصرية،(أرشيف مصر الوطني) دفتر٤، معيّة تركي ص ٦٣(١٣ رمضان ١٢٣٦) نوّار، المصدر السابق، ص ١١١.

(٣٠٦) دار الوثائق المصرية،الوثائق التاريخية محفظة ٧، معية سنيّة مسلسل ٢٠٩ (٩ جمادى الأخرة ١٢٣٦) ونوّار، داوود باشا، ص ٢٣١.

بعد تدمير الدرعية، لجأ كثير من الوهابيين الهاربين منها ومن مناطق نجد الأخرى إلى السواحل الشمالية الشرقية للبصرة وإلى منطقة البريمي التي لا يزال المذهب الوهابي فيها قوياً. وكان أغلب هؤلاء الهاربين من مقاتلي الحركة الوهابية. وتذكر المصادر البريطانية أن عدد الهاربين من نجد واللاجئين إلى مناطق أخرى خمسة عشر ألف[٣٠٧]. ولعل هذا الرقم الذي ذكره الإنجليز صحيح لأن الوثائق العثمانية أيضاً ذكرت أن عدد الوهابيين الذين تم التنكيل بهم خلال فتح الدرعية يبلغ ٢٠ ألف مسلح[٣٠٨].

وتفرق الوهابيون يميناً وشمالاً بعد بقائهم بلا زعيم. ولو أن محمد بن مشاري الذي عفا عنه إبراهيم باشا قام عام ١٨١٩ بتجميع فلول الوهابيين ونادى بالإمارة لنفسه، ولكنه لم ينجح. وحاول بعده مشاري بن عبد الله بن سعود، وأعلن نفسه أميراً عام ١٨٢٠. هذه التحركات لم تتم إلا بعد أن خفّت ملاحقة الموظفين الذين أرسلتهم الدولة لرصد تحركات الوهابيين من أطراف الأحساء إلى أعماق نجد، خصوصاً بعد أن رأى هؤلاء الموظفون بعد مدة أن نفوذ الوهابيين وشهرتهم قد انتهت، وأنهم أصبحوا تحت السيطرة[٣٠٩]. وهذا هو الواقع فعلاً لأنه بعد قتل هذين الزعيمين عام ١٨٢٠ لم تظهر أي حركة من عائلة سعود أو غيرهم في نجد تنادي بالوهابية حتى عام ١٨٢٤[٣١٠]. ولكن على الرغم من ذلك كانت تحدث حركات المقاومة بين قبائل العرب البدوية وبين القوات التركية - الألبانية التي كلفت بأمور الضبطية في مناطق مختلفة من نجد كانت تنتهي حتى بذبح الجنود[٣١١].

---

(٣٠٧) منقول عن سدلر الذي قام بزيارة المنطقة في ١٨١٩، *Memorial* ص ١٤٦.

(٣٠٨) الأرشيف العثماني، جودت داخلية ١٠٧٨٢.

(٣٠٩) الأرشيف العثماني، HH 36178 E ؛ و *Memorial*، ص ١٤٩-٥٠.

(٣١٠) تورد المصادر السعودية بأن السنوات فيما بين ١٨١٨-١٩ و ١٨٢٠-٢٤ كانت إنقطاعا للحكم السعودي. *Memorial*، ص ١٤٦،١٥١.

(٣١١) أنيس، المصدر السابق، ص ٢٣٤.

وفي عام ١٨٢٤ قدم تركي بن عبد الله أحد أبناء عبد الله بن سعود المشهور بالإمام تركي من العريض إلى منطقة الرياض القريبة من الدرعية، وقام بطرد رجال الدولة الذين تركهم إبراهيم باشا، وأعلن نفسه أميراً على مجموعة المناصرين الذين تجمعوا حوله. وبدلاً من إعادة بناء الدرعية التي خربت تماماً، اتخذ من الرياض التي هي اليوم عاصمة المملكة العربية السعودية مركزاً له. واستفاد من الأزمات الحاصلة بين القبائل وبين الدولة بسبب بعض الأوضاع التي أظهرها الموظفون الذين كانت ترسلهم مصر(٣١٢)، واستطاع ضم بعض القبائل التي كانت تدين بالولاء للوهابيين مرة أخرى، وكان الدليل الوحيد على انضمامهم إليه أنهم بدؤوا عام ١٨٣٠ بدفع أموال الزكاة إليه كما كان الأمر في السابق. أما هو فكان كغيره من مشايخ نجد يدفع ضريبة سنوية إلى خزينة جدة. ومن الملاحظ أن جمع أموال الزكاة كانت الهم الوحيد لدى آل سعود. ولاشك أن هذا الاهتمام يأتي من جهتين: التعصب في المذهب وتأثير المنفعة المادية التي كانت الشغل الشاغل للعائلة منذ أول تبنيها للحركة، وكانت المرجعية الوهابية تعتبر كل عشيرة تقبل دفع الزكاة داخلة ضمن الاتفاق.

ولابد التحفظ تجاه تلك الفكرة لأن بعض القبائل الصغيرة كانت تدفع بين الحين والآخر قسماً من الضرائب حتى وإن لم تكن تحت اسم الزكاة لإنقاذ نفسها من تسلط القبائل القوية وتنقذ نفسها من عمليات الإغارة والنهب. ولذلك يكون من الطبيعي أن يدفع هؤلاء أموال الزكاة لاتقاء هجمات أناس يقاتلون باسم الدين والمذهب.

وهكذا بدأ الإمام تركي يقوى، واشتد عوده شيئاً فشيئاً بفضل ما عقده من اتفاقات، وبفضل أمول الزكاة التي جمعها، ثم شرع الوهابيون بزعامته في الإغارة على الأحساء التي تركتها الدولة مرة أخرى تحت حكم عائلة بني خالد. ولم تفلح القوة التي أرسلتها مصر بقيادة حسين باشا واستطاعت الوصول إلى أعماق نجد أن

(٣١٢) سياحة نامة الحجاز، ص ٣٣٨-٣٩.

تحرز أي نصر ضد الوهابيين الذين بدؤوا تنظيم صفوفهم من جديد. وفي البداية وقعت بعض المناوشات الخفيفة مع بني خالد في محاولة للاستفادة من النزاع الداخلي في عائلتهم، واستطاع فيصل ابن الإمام تركي ان يزحف حتى الأحساء على رأس القوات الوهابية في عام ١٨٣٠م. ثم تبعه الأب من الرياض بقوة بلغت ١٢٠٠ من الرجال، ثم انضم إلى قوات ابنه عند مشارف الأحساء واصطدموا مع قوات بني خالد الضعيفة في الإدارة والعدة، واستولوا على الحفوف مركز الأحساء ثم على القطيف[٣١٣]. وهكذا وصل الوهابيون من جديد إلى الساحل، وقاموا كأجدادهم بالاتصال مع الحكومة الإنجليزية في بومباي عام ١٨٣١ طالبين الاتفاق معها. وتذكر المصادر الإنجليزية أن الحكومة لم ترد عليهم بجواب رسمي[٣١٤]. ومن المحتمل أن إنجلترا لم ترغب في إثارة استياء الدولة العثمانية بعقد اتفاق مع الوهابيين، ولعل سبب ذلك أيضاً هو اطمئنانها على مصالحها في المنطقة بفضل الاتفاقات التي عقدتها مع مشيخات الساحل قبل مدة قصيرة. ثم حاول الوهابيون مد نفوذهم إلى جزر البحرين، ولكنهم لم يتمكنوا من السيطرة عليها، وحصل العكس، إذ بدأت البحرين تهددهم في الأحساء بصورة مستمرة.

وفي عام ١٨٣٤ قتل الإمام تركي على يد أحد أقربائه ويدعى مشاري بن عبد الرحمن الذي أعلن نفسه أميراً على الجماعة[٣١٥]. وهكذا بدأت صفحة من الاضطراب سوف تستمر مدة داخل إدارة آل سعود. وفي نفس العام استطاع فيصل ابن الإمام تركي اغتيال قاتل أبيه مشاري بمساعدة عبد الله بن الرشيد مؤسس العائلة الرشيدية التي سوف تصبح الخصم الأول فيما بعد للعائلة السعودية، وحل محله. ولم يكن الباب العالي آنذاك في وضع يتيح له الاهتمام بما يجري في أطراف نجد، لأنه كان مشغولاً بتضميد الجراحات التي خلفتها الحرب الروسية التي انتهت بعقد اتفاقية (خنكار اسكله

(٣١٣) لوريمر، المصدر السابق، ص ١٤٣٢؛ *Memorial*، ص ١٥٩.

(٣١٤) نقلا عن وثائق حكومة بومباي، *Memorial*، ص ١٦٠.

(٣١٥) المصدر السابق، ص ١٦٨.

سى). ولم يكن فيصل بن تركي يقطع طريق الحج، بل كان يعمل على وصول الحجاج سالمين، وهذا في حد ذاته كان كافياً لتسلي الدولة العثمانية.

وكانت المعارضة المحلية لفيصل بن تركي وما خلفته من فوضى وانعدام للأمن، وامتناعه عن دفع الضريبة المفروضة عليه إلى خزينة جدة قد دفعت محمد علي باشا للاهتمام بأمور نجد التي أهملها لفترة طويلة. ولذلك كلف خورشيد باشا بحفظ الأمن في نجد، فأرسله على رأس جيش وصلت قواته إلى الرياض في نهاية نوفمبر ١٨٣٨. واستطاع خورشيد باشا القبض على فيصل الذي انسحب إلى جنوب الرياض دون أي مقاومة تذكر، وأرسله إلى القاهرة[٣١٦]. وفي تلك الأثناء تحركت ولاية بغداد هي الأخرى، فكانت تسعى إلى استمالة العربان وعشائر نجد للخضوع للدولة بعد الضيق الذي وجدوه من أفعال خورشيد باشا، وتسعى من جهة أخرى إلى جعل خورشيد باشا الموجود في نجد يلجأ للدولة على الرغم من المهمة التي يتواجد لأجلها في نجد باسم محمد علي باشا، لدرجة أنها دفعت القنصل الإنجليزي في بغداد للوساطة في هذا الغرض[٣١٧]. والواضح في تلك الأثناء أن الدولة كانت ترغب في القضاء الكلي على النفوذ المصري في هذه المنطقة بعد أن تحولت مصر بموجب بروتوكول لندن إلى ولاية ممتازة. حتى إن الدولة أرسلت بعض الأوراق باللغة العربية إلى عربان نجد، وإلى مكة المكرمة وجدة أعلنت فيها أن مسؤولية المنطقة هي للباب العالي وحده، وليس لمصر من الآن أي شأن فيها[٣١٨].

وكان إبراهيم باشا أثناء حملته على الحجاز، قد نقل بين الأشخاص الذين نقلهم من الدرعية إلى القاهرة خالد بن سعود، الذي تلقى تعليمه في القاهرة، فقام خورشيد باشا

---

(٣١٦) سياحة نامة الحجاز، ص ٣٤٠، لوريمر، المصدر السابق، ص ١٤٣٧؛ *Memorial*، ص ١٧٨؛ أنيس، المصدر السابق، ص ٢٣٤.

(٣١٧) الأرشيف العثماني، جودت داخلية ١٨١٤.

(٣١٨) نفس الوثيقة.

وعينه أميراً على نجد باسم الدولة العثمانية[٣١٩]. ويبدو أن هذا التعيين كان مقبولاً لدى الباب العالي. فقد كان الباب العالي يريد قطع الطريق أمام سياسة محمد علي باشا بعد أن تبلورت ملامحها التوسعية في المنطقة، ويعلن على الجميع أن خالداً لا يمثل والي مصر، وإنما يمثل الباب العالي. ولكن خالداً كان يميل إلى المصريين، لأنه نشأ في مصر ولم يكن لديه تعصب الوهابيين، بالإضافة إلى أن مزاجه لم يكن يتفق مع البداوة، ولذلك لقي معارضة كبيرة بينهم. وكانت النهاية أن أرغم على ترك الإمارة ومغادرة الرياض في نهاية عام ١٨٤١، والعودة إلى القاهرة بضغط من عبد الله بن الثنيان من آل سعود الذي استفاد من فراغ السلطة بعد انسحاب القوات المصرية من الحجاز[٣٢٠] بموجب بروتوكول لندن (١٥ تموز ١٨٤٠) الذي وضع حداً للمسألة المصرية القائمة بين محمد علي باشا والدولة العثمانية. وبعد أن وضع عبد الله الثنيان يده على إمارة نجد أعلن ولاءه للدولة العثمانية، وحصل بواسطة شريف مكة المكرمة على أمر التعيين، وأرسل إليه مصطفى بن صاچلى زاده أفندي من أهالي المدينة المنورة، وأخذ منه تصديق خطي بطاعة الدولة[٣٢١]، وتعهد بدفع مقدار من المال ضريبة إلى الخزينة[٣٢٢]. واستمر هذا الوضع الفعلي إلى حين إطلاق سراح فيصل بن تركي المسجون في مصر حتى أوائل عام ١٨٤٣[٣٢٣].

---

(٣١٩) سياحة نامة الحجاز، ص ٣٤١؛ *Memorial*، ص ١٨٧-١٩٠.

(٣٢٠) بناء على المستند الأول الملحق بالبروتوكول يقوم محمد علي خلال عشرة أيام بإخلاء الأماكن المقدسة الداخلة ضمن ولاية جدة (تدخل نجد ضمن ولاية جدة). نظارة خارجية الباب العالي،المسألة المصرية، استانبول ١٣٣٤، ص ١٧-١٨.

(٣٢١) الأرشيف العثماني، *İMM* 1799؛ جودت داخلية،٣٤٢٥٧.

(٣٢٢) سياحة نامة الحجاز، ص ٢٤٢. وقد جاء في عريضة مختومة من عبد الله بن الثنيان وبعض أمراء نجد سنة ١٢٥٧هـ مرسلة إلى والي جدة عثمان باشا أن قائمقام نجد خالد بن سعود يظلم الأهالي ويقوم بأعمال مناوئة للإسلام ، ويشرح أسباب الحركة التي قاموا بها ضده. وقد أعلن عبد الله من خلال رسالة إلى الوالي في شهر جمادى الأول من نفس العام عن طاعته للدولة وإرساله عدداً من الخيل وتضمين أنسابها بملحق في نفس الرسالة (الأرشيف العثماني، *İMM* 1788, Lef: 3, 4, 7)

(٣٢٣) تورد الوثائق السعودية بأن فيصل فر من السجن، وفي مقابل هذا تومئ المصادر العثمانية بأن إجبار الإدارة المصرية على إخلاء الحجاز كان السبب في إخلاء سبيل فيصل. *Memorial*، ص ١٨٩؛ (الأرشيف العثماني، *DH-MUİ*, 1328 Ca/ 17-4).

٣) نظرة الدولة العثمانية إلى الوهابية كحركة دينية وسياسية:

إن التأثيرات الكبيرة التي خلفتها الحركة الوهابية منذ ظهورها في العالم الإسلامي وإلى يومنا باعتبارها حركة دينية إنما هو أمر يستلزم دراستها من عدة جهات. ولكننا هنا سنكتفي بتقييم هذه الحركة من الجهة الدينية والجهة السياسية التي تمس موضوعنا، بالقدر الذي تتيحه المعلومات التي وردتنا عن تلك الفترة الزمنية.

أخذت الحركة الوهابية أسس وجهها الديني من الأفكار التي نادى بها محمد بن عبد الوهاب، وتحدثنا عنها من قبل. وهناك توافق كبير بين أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي تهدف إلى العودة بالدين إلى أصله وشكله الأول وبين أفكار البدو وطبيعتهم التي قبلت ذلك. ولم يدفع البدو إلى هذه الحركة إلا أن هذا الفكر يتفق وطبيعة أفكارهم وشكل معيشتهم وليس أسس هذا الفكر. والأصل أن ما نادى به محمد بن عبد الوهاب لم يكن جديداً على العالم الإسلامي. وهو بنفسه يقر أن أفكاره تستند إلى المذهب الحنبلي مذهب ابن تيمية الذي عاش في نهاية القرن الثالث عشر. فمن الإصابة إذن أن توصف هذه الحركة، أو ما تدعى به (السلفية)، على أنها دعوة إلى العودة وإحياء الأصول، وليست مذهباً أو معتقداً جديداً. إلا أن مثل هذه الأفكار على كثرة ظهورها في العالم الإسلامي لم تنتشر بهذه السهولة، ولم تأخذ طابعاً سياسياً كما أخذته الحركة الوهابية. ولا ريب أن العامل الأساسي في انتشار الوهابية كونها تمس طبيعة الحياة البدوية التي تفرض على أهلها مواجهة أقسى الظروف بشكل دائم، وتعكس هذه الخشونة وهذه القساوة في تصرفات البدو. لا اعتدال ولا تسامح أو تساهل، فالقساوة والغدر ضد الآخرين من أجل العيش. ولذلك تقبلوا بسهولة هذا المفهوم الديني المتطرف الذي يربط الحياة بقواعد قاسية لا تقبل التغيير. أضف إلى ذلك أن عاداتهم وتقاليدهم تبيح لهم الغارة وغزو الغير، وهذا الفكر الوهابي الجديد أوجد لهم ذريعة لمهاجمة واستباحة من يخالفهم في الرأي والاعتقاد، مما ساعد على الانتشار السريع لهذا الفكر بين البدو. ويذكر الرحالة بروكهارد Brukhardt الذي زار

نجد في أوائل القرن التاسع عشر أنه وجد اعتقادات متعددة عن الوهابية، ووجد بعض من يدعي نفسه وهابياً لكنه لا يفقه من المذهب شيئاً[٣٢٤]. وهذا يظهر أن البدو لم يكونوا مهتمين كثيراً بالأسس التي قامت عليها الوهابية. كما يذكر القنصل الفرنسي في حلب الذي زار المنطقة في ذلك التاريخ وكتب عن أحوال الوهابيين بشكل مبالغ فيه، أنهم ظالمون وقتلة متعطشون للدماء ولا يرحمون من يقع تحت أيديهم (ما عدا النساء)[٣٢٥]، ويفسر ذلك بالتوافق بين روح الغزو والعدوان الموجودة لدى الوهابيين وبين شكل عقيدتهم الجديدة. ومما سهل قبول المذهب الوهابي لديهم دون أي مناقشة هو أن نجد ومناطقها لم تكن تعرف من الإسلام قبل ذلك التاريخ إلاّ اسمه. ويضاف إلى ذلك أن العهد لم يكن عهد ازدهار بالنسبة للمسلمين، ثم ظهور مفاهيم دينية مشابهة يمكنها ملء الفراغ في سلطة سياسية قوية، وهذا ساعد أيضاً على انتشار هذا المذهب. فما هو إذن موقف علماء المسلمين، وخصوصاً علماء الدولة العثمانية من هذه الحركة؟

وكان أول رد على الوهابية جاء من علماء مكة المكرمة والمدينة والبصرة. وكان هذا الرد قاسياً لدرجة وصلت إلى تكفير محمد بن عبد الوهاب، وأجبرته على أن يغادر تلك المناطق وينسحب إلى نجد، وبذلك انعدم هذا التيار المعارض له، أو خفت حدته على الأقل. ولو أن الفتاوى التي أخذها الأشراف من العلماء في مكة المكرمة بحق الوهابيين وأرسلوها إلى الباب العالي، ولكن الملاحظ أن محتوى تلك الفتاوى كان موجهاً بالدرجة الأولى لحماية نفوذهم. كما قام بعض علماء المغاربة وبعض من علماء المسلمين الآخرين بكتابة الرسائل للرد على الوهابية كمذهب ديني[٣٢٦]. ويلاحظ أن المراكز الدينية القريبة من استانبول، ومنها الشام قامت بمثل هذه الفعاليات. وأحسّ بعض علماء المسلمين بضرورة الرد على الوهابيين، فكان منهم من رد عليهم هذه الأفكار كلّية، ومنهم من كتب المؤلفات بضرورة تصحيح العقائد التي نادى بها

(٣٢٤) Saab، المصدر السابق ص ١٥٦-٥٧.

(٣٢٥) Russoua، المصدر السابق ص ٨٣.

(٣٢٦) حول بعض الرديّات المكتوبة أنظر :جودت باشا، المصدر السابق،٧/١٨٣-٤.

الوهابيون (خصوصاً زيارة القبور ومسألة التقليد في المذهب)[٣٢٧] ولكن أحداً من هؤلاء لم يستطع الوقوف أمام المد الوهابي. وفي قناعتنا أن السبب الأول وراء ذلك هو أن العلماء لم يأبهوا لهذه الحركة، وأنهم عارضوها ليس إلا لإظهار ولائهم للدولة العثمانية، لأن معارضة الوهابيين كانت مقياساً لمدى الولاء للدولة، خصوصاً في الفترات التي هدد فيها الوهابيون سيادة الدولة على الحجاز والأماكن المقدسة. ومع ذلك لا بد من البحث عن سبب آخر وراء عدم اهتمام العلماء بالمسألة الوهابية، وأول هذه الأسباب بلا ريب هو الطريقة التي استخدمها الوهابيون في عرضهم لأفكارهم. فقد كان محمد بن عبد الوهاب وغيره من أئمة الوهابيين يرسلون كتبهم ورسائل الدعوة إلى الأطراف ويضمنونها آيات وأحاديث هي في الأصل معلومة لدى جميع المسلمين، ويرتبونها على نسق معين بحيث أن من يؤمن بهذه الآيات والأحاديث يكون في نظرهم من أهل الإسلام[٣٢٨].

وهذه الرسائل كانت تجذب اهتمام البدو أو الذين يعيشون حياة شبه بدوية من قبائل نجد البعيدين في حياتهم اليومية كل البعد عن الإسلام. أما أهل المدن الذين يشكل الإسلام حياتهم اليومية فلم تكن هذه الرسائل تعني لهم أي شيء، حتى أن علماء المدن كانوا يجدون في تلك الأفكار والمقترحات أمراً يثير السخرية. لأن أوامر الإسلام التي يدعو إليها الوهابيون هي إيمانهم وهي ما تقوم عليهم حياتهم اليومية، ولهذا لم يروا ضرورة للرد على مثل هذه الأفكار.

وأصدق مثال على ذلك هو رد والي الشام يوسف كنج باشا على رسالة عُلَيّان أحد علماء الوهابية التي يقول فيها بعد سرد أفكار ومعتقدات الوهابية "أسلم تسلم"[٣٢٩]. فقد كتب له رداً (من المحتمل أن يكون كاتبه الحقيقي أحد علماء الشام

---

(٣٢٧) مطالعات دايفيد دين، حركة الإصلاحات في سوريا العثمانية (ترجمة:صلاح الدين أيلظ) استانبول ١٩٩٣، ص ٤٧-٤٨.

(٣٢٨) رسائل محمد بن عبد الوهاب أنظر:حظمل،المصدر السابق،ص ٨٣-١٣٧، ١٦٥-٢٠٤.ورسائل عبد الله بن سعود إلى بعض رؤساء القبائل أنظر: الأرشيف العثماني، ، وثيقة ٣٦٠٧٠ ي.

(٣٢٩) جودت باشا، المصدر السابق، ٩/٣٠٢-٣٠٣.

في زمن سليمان باشا الذي عين والياً بدلاً من يوسف باشا) نكرت الآيات والأحاديث بموجب عقيدة أهل السنة والجماعة، وقال له إن هذه الاعتقادات تلفيق وبدع سببها الجهل والضلال، وإن كان الوهابيون مخلصين وصادقين في أفكارهم وادعاءاتهم، فحري بهم أن يواجهوا أعداء الدين وليس المسلمين(٣٣٠). أما انتقادهم لانتشار عادة التدخين بين المسلمين واتخاذ القبور مقامات ومساجد فهذا ليس بجديد، ورأي العلماء أن الوهابيين يريدون التميّز بشيء لجذب الانتباه من قبيل خالف تعرف. فمن المعلوم أن العلماء العثمانيين قد اختلفوا في مسألة تحريم التدخين وشرب القهوة ثم انتهى هذا الخلاف بعد أن انتشرت هاتين العادتين في المسلمين، ولم يعد أحد ينظر في المسألة من باب عموم البلوى. أما الوهابيون فيرون المسألة تهاوناً في الدين. وهناك أيضاً مسألة التكفير، إذ أجمع العلماء في الرد على الوهابيين على اعتماد الحديث "من كفر مسلماً فهو كافر". ولكن العلماء لم يتخذوا موقفاً واضحاً من هذه النقطة في عقيدة الوهابيين لأنهم رأوا أن المسألة أخذت بعداً سياسياً، ولذلك تركوا الفصل في المسألة إلى الدولة.

أمّا العلماء في استانبول فكما أسلفنا أنهم لم يهتموا بالمسألة إلا بقدر ما نقلت إليهم. وكانوا يعتبرونها في أول الأمر مسألة بسيطة ليست بذات خطر، جرت في زاوية صغيرة من أراضي الدولة العثمانية الواسعة، لأن العالم الإسلامي آنذاك كان يعيش أحداثاً مشابهة. وقد زاد من ارتياحهم لعد خطرها أن العلماء في نجد لم يهتموا بها كثيراً وكانوا يأملون أن يكون حلها سياسياً وليس حلاً دينياً. ولذلك فإن عدم كتابة العلماء في استانبول شيئاً في هذه المسألة يظهر عدم اهتمامهم بها.

(٣٣٠) المصدر السابق، ص ٣٠٨-١٠.

وأول حركة سياسية ترتكز على مفاهيم دينية في تاريخ الإسلام هي دعوة الخوارج[٣٣١]، وثانيها بلا شك حركة الوهابيين. ويوجد تشابه في الحركتين: الغلو والإفراط، وأن أنصار الدعوتين كانوا من الأعراب. إلا أن روح الرفض لدى الخوارج[٣٣٢] كانت تأتي من عدم انقياد الإدارة المركزية. وهذا أيضاً ظهر في الوهابيين، إلا أن مفهوم الحرية القبلية تغير شكلاً وتحول إلى التعصب في المذهب. أما الصفة السياسية فكانت تظهر في ميل الخوارج للشورى[٣٣٣] بينما كان الوهابيون يتبعون الأئمة الذين كانوا يمسكون بزمام الإدارة، وهذا بالطبع ما أدى إلىخروجهم على الإداريين الذين ليسوا على مذهبهم. ولأن الوثائق العثمانية ربطت بين الحركتين أو أنها نظرت إلى الحركة الوهابية على أنها ثورة فإن ابن سعود أكسب الحركة صفة سياسية وكان يطلق عليه وعلى من خلفه اسم "الخوارج" ولذلك يصعب علينا فهم العجز الذي أظهره الإداريون في المراكز أمام الحركة على الرغم من أن الدولة هولت من أمرها وجعلتها في مصاف الخوارج. في بداية الأمر لم يكن الوهابيون أنفسهم يتصورون أن هذه الحركة ستنتشر هذا الانتشار الواسع، وقد ذكرنا سابقاً أن الأمير الذي اتبع أفكار محمد بن عبد الوهاب وأخبره أنه سيحكم جميع نجد بهذه الدعوة، ظهر أن خياله كان محدوداً بنجد فقط ولم يكن يتصور أن هذه الدعوة ستبلغ في انتشارها خارج نجد. ومن جهة أخرى فإن الأفكار التي نادى بها صاحب المذهب كانت توافق رأي أهل السنة والجماعة في

(٣٣١) أتهمت فرقة الخوارج كل من لا يفكر مثلهم بالكفر بعد رفضهم بشدة حادثة التحكيم للنظر في الخلاف الذي جرى بين علي ومعاوية .ويقوم فكرهم على تكفيرأصحاب الذنوب الكبيرة وعصيان الحكام الذين يرون بأنهم ظلمة باختصار هم ممثلوا الفردية في الدين والنشوز والفوضى في الإدارة . عن فكر الخوارج أنظر:البغدادي،الفرق بين الفرق(الفرق بين المذاهب)، (ترجمة أ. روحي فيغلالي) استانبول ١٩٧٩، ص ٦٦-١٠٠؛ م. صائم ييرم/ المذاهب الإعتقادية في الإسلام و أسس العقائد/ استانبول ١٩٨١/ص ٧٣-٩١.عن واقعة الجمل وحادثة التحكيم الناتجة عنها أنظر غيليب ك. حتي/تاريخ الإسلام السياسي والثقافي/(ترجمة:صالح طوغ) استانبول ٢، ١٩٨٠/٢٧٥-٢٨١.

(٣٣٢) ييرم، المصدر السابق ص ٧٦.

(٣٣٣) المصدر السابق ص ٧٧.

فرضية الحكم والإمامة ، يعني أن هذا المذهب لم يكن في بادئ الأمر يحتوي صفة سياسية أو أهدافاً ستقلب العالم الإسلامي رأساً على عقب. ويساند هذا الرأي أن أعضاء الحركة مكثوا سنوات طويلة وكان هدفهم الغلبة على القبائل النجدية فقط مع الحرص على عدم جذب انتباه الإدارة السياسية في المنطقة. صحيح أن الوهابية لم تكتسب بعدها السياسي إلا بعد الاتفاق الذي حصل بين ابن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١٧٤٤، إلا أن هويتها السياسية ظهرت عندما جمع عبد العزيز بن سعود بين الإمارة والإمامة في شخصه. فقد استطاع عبد العزيز توحيد القبائل التي انتشرت فيها الوهابية. ثم بدأ بعد ذلك بالانتشار شمالاً إلى جبل شمر وشرقاً إلى الأحساء التي هي تحت سيطرة بني خالد وغرباً إلى الحجاز التي هي تحت إدارة الهاشميين ونحو مناطق الشمال الشرقي حيث عشائر المنتفك بحجة "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[٣٣٤]. هذا الانتشار البطيء المتمكن أزعج الإدارة المحلية، ولكنه لم يتسبب في قلق الإدارة المركزية في استانبول التي رأت أن ما يحصل هو واحد من الخلافات المحلية بين القبائل، ولذلك لجأت إلى حلول مادية وبعض المساعدات لحل هذه المسألة. كما لجأت إلى طريق الحوار مع ابن سعود واستمالته بتأمين بعض المصالح المادية ولذلك عندما جاء محمد أفندي إلى استانبول أغدقت عليه الكثير من الهدايا[٣٣٥] معتبرة إياه "كتخدا" [أي وكيل] شيخ عشائر نجد عبد العزيز بن سعود، مع أن الرسائل التي وردت من المنطقة كانت تظهر أن توسع ابن سعود هو خطوة نحو السيطرة والاستقلال السياسي. وكانت هذه الرسائل تجذب انتباه الإدارة إلى أن الوهابيين يستخدمون الدين لهذا الغرض السياسي، وأن هؤلاء لا يشبهون غيرهم من العصاة، ولا يمكن السيطرة عليهم وتسكينهم بتأمين بعض المصالح المادية، لأن الوهابيين يعتبرون من ليس على

(٣٣٤) ب.م.هولت/ مصر والهلال الخصيب١٥١٦-١٩٢٢/ لندن ١٩٨٠(الطبعة الثالثة) ص ١٥٢.
(٣٣٥) الأرشيف العثماني، جودت داخلية ١٢٨٥.

مذهبهم مشركاً يهدر دمه وتستباح أمواله(٣٣٦). فالنتيجة الطبيعية لهذا الفكر أنهم سوف يثورون على الإداريين الذين ليسوا على مذهبهم في أول فرصة، خصوصاً الإدارة في الحجاز التي يعتبرونها إدارة مشركة. فالانقضاض على هذه الإدارة أصبح أمراً لا ريب فيه.

غير أن الأزمات السياسية التي مرت بها الدولة آنذاك منعت من الاهتمام بهذه التخذيرات(٣٣٧). حتى الرسالة التي أرسلها الوهابيون إلى سليم الثالث يدعونه فيها إلى الإسلام على غرار الرسالتين إلى والي بغداد ووالي الشام لم تلق تأثيراً لدى المركز. لأن اهتمام الدولة في ذلك الوقت كان منحصراً في تأمين طريقي الحج، وأحدهما طريق الشام شمال الحجاز عبر وادي (سيرهان) مروراً بجبل شمر والثاني من ساحل خليج البصرة إلى جزيرة العرب، وكلاهما في منطقة نفوذ الوهابيين(٣٣٨). لكن الملاحظ أن هذين الطريقين كانا مفتوحين حتى منتصف القرن التاسع عشر على الرغم من فعاليات الوهابيين. وكان هناك من يتفاءل في أن سيطرة الوهابيين على القبائل منعت من الهجمات الفردية التي يقوم بها البدو على قوافل الحج خلاف هجمات الوهابيين أنفسهم على هذه القوافل. هذا التفاؤل المخادع

---

(٣٣٦) الأرشيف العثماني، (HH 3841).

(٣٣٧) خرجت الدولة العثمانية من الحرب الروسية والنمسوية (١٧٩٢-١٨٨٧) وحروب القرن الثامن عشر ضعيفة ومنهكة القوى .وقد أضعفت المشاكل التي جاءت بها الحروب من نفوذ مقام السلطنة. وعلى الأخص لم تنجح مساعي سليم الثالث في عمل إصلاحات لوجود معارضات داخلية. وقد تسبب ضعف السلطة المركزية وتسيُّب ولاة المنطقة وعدم إعتبار فئة الأعيان لهم في خلق القلاقل .وقام الأعيان وأصحاب القوى المحلية بتغذية وتقوية جيوشهم الصغيرة ومحاربة بعضهم البعض لو إقتضى الأمر لزيادة نفوذهم.ونتيجة لازدياد تلك الحوادث وجدت الدولة نفسها تواجه متاعب جمّة. وقد نحت الدولة سبيل إتخاذ تدابيرليّنة لتفادى تفاقم تلك المشاكل.وتولّد عن ذلك ظهور إدارات شبه مستقلة في الأناضول والروملي. وقام البعض بالعصيان الدولة .مثل عجم أوغلو في الأناضول وفي إشقودرة والي إشقودرة محمود باشا وباسبان أوغلو عثمان باشا في فيدين وفي جهة بلاد الشام أحمد باشا الجزار رئاسة أركان الحرب،١٧٩٨-١٨٠٢ الحرب العثمانية الفرنسية(حملة نابليون لمصر) ص ١٠-١٢.

(٣٣٨) للتعرف على مدى الأهمية التي أولتها الدولة لطرق الحج أنظر: Karl K. Barbir, "The Ottomans and the Muslim Pilgrimage" *Türk Arap İlişkileri*.. s. 76 -18.

استمر إلى حين استيلاء الوهابيين على مكة المكرمة وباقي الحجاز. وعلى الرغم من ظهور نية الوهابيين في السيطرة على طريق الحج بعد احتلال الأحساء عام ١٧٩٩ وتخريب كربلاء في عام ١٨٠١، إلا أن رجال الدولة لم يدركوا سوء العاقبة إلا عندما منع الوهابيون الحج. والدولة كان يكفيها من الهم ما حدث في ذلك الوقت من احتلال نابليون لمصر. ولذلك عهدت طريق تأمين الحج إلى ولاة المنطقة الذين تولوا وهذه المهمة في مناطق نفوذهم فقط، وتركوا الحجاز لقمة سائغة إلى الوهابيين. هذه المسألة التي ضعضعت أركان الدولة كان العزاء الوحيد فيها لرجال الإدارة أن الوهابيين لم يدعوا في مساجد مكة المكرمة لأمرائهم على عكس المتوقع، وكان تخليص مكة المكرمة من الوهابيين وتأمين طريق الحج مسألة مصيرية بالنسبة للدولة العثمانية التي كانت تعتبر في نظر المسلمين حامية العالم الإسلامي السني. ولكن الحروب التي هزت الدولة والأحداث المأسوية الأخرى أخرت من ذلك(٣٣٩).

والجدير بالذكر أن استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية وقضاءه على السلطة التي شكلها الوهابيون داخل أراضي الدولة لم يكن يعني القضاء على الفكر الوهابي. ولا بد أن الدولة فطنت لذلك، فقامت بتعيين أمراء الوهابيين قائممقامين

(٣٣٩) كان تفكير الوهابيين صائبا في تطوير فكر صائب يتزامن مع ضعف الدولة العثمانية وفقدانها لقوتها.فعندما قام الوهابيون بالخروج من نجد كانت الدولة العثمانية قد دخلت في حرب مع روسيا (١٧٦٨م). وفي أعقاب ذلك نشبت الحرب مرةً أخرى في ١٧٧٣، وأنتهت بمعاهدة "كوتشوك كاينارجا" سنة ١٧٧٤، وكانت بمثابة بداية الإنحطاط للدولة. وبنشوب الحرب مع النمسا وروسيا عام ١٧٨٨ وانتهائها بمعاهدتي "زيشتوف" و "ياش" واجهت الدولة حالة إنهيار أخرى. ثم أعقب هذا أن قام نابليون باحتلال مصر سنة ١٧٩٨، مما جعل الدول تحصر جل جهودها في تلك الناحية. ومن جهة أخرى جاءت الإضطرابات الداخلية واستيقظ الحس القومي لدى رعايا الدولة المسيحيين وزاد الطين بلّة إتفاق الفرنسيين مع الروس وقيام الأخيرين بإعلان الحرب على الدولة العثمانية في ١٨٠٥، وأعقب ذلك أن رسا الأسطول البريطاني في مقابل استانبول، ما جعل من إمكانية تكثيف رجال الدول دقتهم للحركة الوهابية أمر شبه مستحيل. وحدوث تبدل بالقوة في السلطنة وقصرمدّة حكم مصطفى الرابع وتقلّد محمود الثاني للعرش كانت جميعها فرص سانحة لإنتشار الحركة الوهابية.لذا فعندما استقر الأمر لمحمود الثاني إستطاعت الدولة معالجة المسألة الوهابية بشكل أكثر جديّة.

على المناطق كنوع من الحل السياسي المؤقت لهذه المسألة. ولكن الحق يقال إن هذه الحركة جعلت مشروعية الحكومات المسلمة موضع الجدل والنقاش في جميع بلاد المسلمين من الهند إلى نيجيريا(٣٤٠). وليس من المستبعد أن المعارضة التي واجهت سليم الثالث أتت من فكرة أن السلطان الذي يعجز عن حماية الحجاز يفقد مشروعيته، إضافة إلى أن حركات التجديد التي بدأت في عهد سليم الثالث إلى زمن محمود الثاني والتي كانت نتيجتها الطبيعية قبول التنظيمات قد لقيت معارضة شديدة في بعض المناطق. ولم تكن هذه المعارضة إلا لأن الوهابية تعتبر كل تجديد بدعة، وهذه النقطة جديرة بالبحث والتمحيص.

(٣٤٠) Montangc، المصدر السابق ص١٣٦.

الفصل الثاني

محاولات إقرار التوازن
تطورات جديدة وتشكيل متصرفية نجد



الفصل الثاني

محاولات إقرار التوازن: تطورات جديدة وتشكيل متصرفية نجد

أولاً: التطورات الجديدة في نجد

١- أعمال فيصل بن تركي وتنصيبه على قائممقامية نجد

حصل توازن نسبي وبصورة مؤقتة بين الدولة العثمانية وبين القوى المحلية والإنجليز الذين ازداد نفوذهم في خليج البصرة والبحر الأحمر وانتهى باحتلالهم لمدينة عدن. غير أن هذا التوازن اختلّ لغير صالح الدولة بعد بروتوكول لندن عام ١٨٤٠ الذي قيّدت من نفوذ محمد علي باشا. وكان من أبرز مظاهر هذا الخلل في التوازن استعادة الوهابيين قوتهم بزعامة آل سعود بعد هروب فيصل بن تركي من سجن القلعة في مصر أو التعمد في إطلاقه للهرب. وقامت إدارة مصر بإرسال ابنه وابن أخيه وأفراد عائلته إلى جدة عن طريق البحر. وهناك في نجد التف الوهابيون حول فيصل الذي كان من المتعصبين لهذا المذهب، إذ قام عام ١٨٤٣ بالتوجه إلى الرياض، وانتزع الأمارة من عبد الله الثنيان وحبسه وعين نفسه أميراً على الرياض. والحقيقة أن الدولة كانت تصوب منح الأمارة لعبد الله الثنيان أكثر من فيصل بن تركي، لأن فيصل كتب خطاباً إلى والي جدة في تلك الأثناء التي انتزع فيها عبد الله الثنيان الأمارة من خالد بن سعود، وذكر في ذلك الخطاب أنه

يتعهد بالطاعة والولاء للدولة إذا أخذت القائمقامية من عبد الله ووجهتها إليه، وأنه سيضع أخاه رهينة لدى الدولة كدليل على صدقه.

وقد نقل والي جدة هذا الموضوع إلى الباب العالي للسؤال عن السياسة التي يجب سلوكها في القضية، فاجتمع المجلس العالي وقرر إبقاء عبد الله على الأمارة نظراً لتزكية أمراء نجد وعدم تعيين فيصل. ولعل صدور هذا القرار كان لعدم ثقة الدولة في فيصل بن تركي(٣٤١).

وفي أكتوبر ١٨٤٣ كتب والي جدة إلى الباب العالي رسالة ذكر فيها "أن بعض الأشخاص يسعون بالتحريض لعودة المشاكل والمسائل القديمة للظهور من جديد" وأكد على ضرورة التصدي لذلك بالنصيحة أو إظهار القوة وسوق العساكر على أسرع وجه(٣٤٢). غير أن إرسال الجند كان صعباً في تلك الأثناء، لأن إعاشة العساكر كانت مرهونة بالمؤن التي ستأتي من مصر. ولكن مصر لم تكن لتفي بوعودها بسبب سوء العلاقات. ومن جهة أخرى كان إصلاح وترميم القلاع التي سينزلها هؤلاء العسكر تحتاج إلى مال كثير. ولم تكن الدولة ترى جواز إرسال عساكر من مصر بسبب أطماع محمد علي باشا في المنطقة. وبعد هذه المحاذير التي سردها والي جدة عثمان باشا قال: إنه من أجل إرسال عساكر إلى نجد لا بد من الضغط على محمد علي باشا لإرسال المؤن التي تعهد بها، وطلب إرسال ٢٠٠٠ أقجة لإصلاح القلاع وإرسال ٤٠٠ فارس و٤٠٠ جندي مشاة مع الصرة السلطانية إلى جدة(٣٤٣). وعلى الفور اجتمع المجلس الأعلى لمناقشة القضية، وقرر تأديب فيصل بن تركي الذي استولى على إمارة نجد وتنفيذ مطالب والي جدة(٣٤٤).

---

(٣٤١) الأرشيف العثماني، (İMM 1798) لف ٥، ٨.

(٣٤٢) الأرشيف العثماني، جودت داخلية ١٩٨٦.

(٣٤٣) نفس الوثيقة.

(٣٤٤) الأرشيف العثماني، جودت داخلية ٢٢٣٥.

أما فيصل بن تركي الذي استقرت له الأمور في الرياض، فكان يسعى إلى عقد الاتفاقات من جهة، ويتصل بالإنجليز أصحاب النفوذ على مشايخ المنطقة[٣٤٥] سعياً في كسب مشروعية حكمه على نجد من جهة أخرى. وكانت التحذيرات بخطر عودة المشاكل والحوادث القديمة التي قدمها والي جدة على وشك التكرر مرة أخرى، إذ جاءت أيضاً من إمارة الحجاز وولاية بغداد، خصوصاً المعلومات المثيرة التي كتبها أمير مكة المكرمة محمد بن عون في ١٤ أكتوبر ١٨٤٦ إلى الصدارة بعد وفاة والي جدة عثمان باشا والتي تحدث فيها عن فساد طباع أهل نجد وأهالي الشرق من أتباع المذهب الوهابي وعن سوء مشربهم. ويذكر أنهم في السابق قاموا باحتلال الحرمين وأن فيصل بن تركي لا يختلف عن خالد بن سعود، لأنهما من نسب واحد. ويضيف أمير مكة المكرمة أن حكومة فيصل بن تركي التي يمتد من جوار المدينة إلى أطراف البصرة يوجد فيها مناطق خصيبة وذات غلال وافرة مثل الرياض والقطيف، وذهاب موارد هذه المناطق إلى رجل مثله فيه محاذير وأخطار. ولذلك يجب تقسيم هذه المنطقة الواسعة وتسليمها لعدد من الحكام. فإذا خرج أحدهم على الدولة قام الآخرون بردعه وتأديبه.

ويضيف محمد بن عون أنه ذكر هذه المقترحات لوالي جدة المرحوم عثمان باشا قبل أن يستفحل أمر فيصل بن تركي. ولكن المرحوم اغترّ بوعود فيصل بالطاعة والولاء والهدايا التي وصلته منه حتى أعمت بصره عن حقيقة المسألة[٣٤٦]. وهذه العبارات رغم ما توحي به أن هناك إهمال حصل فعلاً من والي جدة، ولكنه يمكن تفسيرها من وجهة نظر أخرى. فمن المعلوم أن منطقة نجد ومثيلاتها تحكمها العادات والتقاليد، وبموجب هذه التقاليد فإن الحكم لصاحب الغلبة. وقد رأينا قبل ذلك أن الدولة وجدت أنه من المستحيل تأسيس إدارة مركزية في هذه

---

(٣٤٥) *Memorial*، ص١٩٢.

(٣٤٦) الأرشيف العثماني، (İMM 1800)لف ٣.

المناطق. لذلك كان من السياسة أن تعترف الدولة بسيادة القوي الذي يمكنه إدارة المنطقة مادام يدين بالولاء والتبعية للدولة. وما قام به فيصل بن تركي من إرسال الهدايا إلى والي جدة وإظهاره الولاء للدولة ولو بالقول كان كافياً لعثمان باشا في قبول سيادته على نجد.

وهناك عريضة مماثلة قدمت من بغداد بتوقيع محمد نجيب بتاريخ ٨ تموز ١٨٤٧ إلى الباب العالي تتحدث عن ظهور كيانات سياسية في المنطقة ضد الدولة. ويذكر محمد نجيب في عريضته تحركات الوهابيين والإنجليز في المنطقة ويقترح البحث عن الأسباب والحلول لإعادة تأسيس حاكمية الدولة العثمانية التي انهارت في مناطق الكويت والقطيف والأحساء وقطر ورأس الخيمة ومسقط والبحرين[٣٤٧]. ورغم كل هذه التحذيرات لم يجر اتخاذ إجراءات جدية حتى عام ١٨٤٧.

وفي النهاية عندما أحس الباب العالي باحتمال تهديد العربان للبلاد المقدسة طلب من شريف مكة المكرمة محمد بن عون (إمارته على مكة المكرمة من ١٨٢٧-١٨٥٨) اتخاذ التدابير اللازمة شخصياً لتأمين الأمن في تلك البقاع. حيث قام بالتوجه نحو الرياض بقوة مؤلفة من العساكر النظامية ومن المجندين غير النظاميين[٣٤٨]. وأدرك تركي أنه لا قبل له بهذه القوة وأدرك أن الوفاق مع الدولة سيكون لصالحه فقام بإرسال أخيه عبد الله وبعض المشايخ إلى مقر محمد بن عون طلباً للعفو والأمان. ونتيجة للمفاوضات تم تعيين فيصل بن تركي قائمقاماً على نجد بعد العفو عنه بشرط قراءة الخطبة باسم السلطان في جوامع نجد وما يجاورها، وإقامته هو نفسه في الرياض وتيسير دفة الأمور طبقاً للقوانين المعمول بها وجمع الضرائب من الأهالي باسم الدولة[٣٤٩]. وكانت الدولة قد اعتبرت هذه المسألة مسألة إعتبار فقامت

---

(٣٤٧) الأرشيف العثماني، (İMM 2067) لف ٢، ٣.

(٣٤٨) الأرشيف العثماني، (HR-MKT 18/55).

(٣٤٩) الأرشيف العثماني، جودت داخلية ١٥٣٧، ١٧٣٥، İD 2B250 ; İMM 1802؛ أنظر: لطفي، تاريخ لطفي، دار السعادة ١٣٢٨، ١٤٨/٨.

بنشر خبر القضاء على عصيان فيصل والإصلاحات الجديدة في جريدة تقويم الوقائع(٣٥٠). وبعد فترة أرسلت مرسوم القائمقامية إلى فيصل في شهر مارس ١٨٤٨.

وكما مر سابقاً فان الانسحاب الكلي للقوات المصرية من نجد والأحساء وخليج البصرة، وعجز الدولة العثمانية رغم جهودها في تأسيس إدارة على المنطقة قد دفعت فيصل بن تركي للاستفادة من هذا الفراغ، وبسياسة حكيمة وذكية استطاع توسيع نفوذه خلال فترة قصيرة على سواحل نجد. وكان يحطى بشخصية قوية مثل جده الأمير سعود الكبير، وعلى نفس طريقة الجد قام بدعوة القبائل إلى الإسلام، وبالتهديد والقوة استطاع ربط القبائل به. وسار على قبائل آل مرّة والعجمان وبني هاجر ممن كانوا في الأحساء وسواحلها ولم يتقبلوا الوهابية من قبل قط فأخبرهم على الخضوع بالقوة بحجة عدم تطبيق الإسلام في حياتهم، وأسّس قاعدة في الحفوف وبدأ يهدد مشيخات العرب في الخليج وأراد جمع الضرائب من البحرين تحت اسم الزكاة بالقوة(٣٥١). وهذا ما كتبه والي بغداد إلى الباب العالي أن شيخ البحرين دفع مبلغ ٤٠٠٠ ريال زكاة إلى فيصل بن تركي(٣٥٢). وحتى أن هناك بعض المصادر تشير إلى أن فيصل بن تركي استطاع بناء أسطول في خليج البصرة بلغ ٣٠٠ سفينة(٣٥٣).

وكنا قد أسلفنا أن الدولة العثمانية استطاعت بواسطة شريف مكة المكرمة أن تجعل فيصل بن تركي يدخل إلى دائرة الطاعة. ولكن يبدو أن هذه الطاعة كانت

---

(٣٥٠) الأرشيف العثماني، جودت داخلية ١٥٣٥؛ تقويم الوقائع، دفعة ٣٥٠،٢٢ رقم ١٢٦٣.

(٣٥١) الأرشيف العثماني، (HR-MKT 19/5)، ويقول لوريمير إن الحاصلات الضريبية للوهابيين في عام ١٨٦٥ بلغت ٨٠٠ ألف روبية (أنظر لوريمير، المصدر السابق، ص ١٦٥٣).

(٣٥٢) الأرشيف العثماني، (A. MKT 106/ 82).

(٣٥٣) جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية (١٨٤٠ – ١٩١٤م)، القاهرة ١٩٦٦، ص ٧٦ – ٧٧.

ظاهرية لأنه على الرغم من وعوده بطاعة الدولة وتنصيبه قائمقاماً على نجد، بقي يمارس الدعوة إلى المذهب، ويدعو القبائل العربية إلى طاعته، حتى تعد هناك قوة موجودة آنذاك تستطيع الوقوف أمامه. وإن كانت هناك عساكر نظامية وبعض التشكيلات من العربان لدى إمارة مكة المكرمة إلاّ أنها لم تكن تكفي إلا للمحافظة على أمن طريق الحج والتصدي للعربان الذين يغيرون على قوافل الحجيج. ولذلك لم يكن لدى الدولة من حيلة سوى أخذه بالنصيحة وإرسال موظف بين الحين والآخر لهذا الغرض(٣٥٤). أما هو فعلى الرغم من نشاطاته كان يدفع الضريبة السنوية للدولة. وكان يعلن أنه داخل في تبعية الدولة العثمانية كما فعل أمام المندوب السياسي الإنجليزي في الخليج إثر إحدى الحوادث التي وقعت عام ١٨٥٥م(٣٥٥). وكانت الدولة تستغل ذلك بين في كل فرصة وتسعى جاهدة لإبقائه داخل حدود الطاعة. فمثلاً عندما أراد الإنجليز احتلال الدمام عام ١٨٥٨ احتجّت الدولة بدعوى أن هذه الأراضي عثمانية وأن قائمقام نجد هو فيصل بن تركي التابع لها.

ولكن فيصل بن تركي كان مع ذلك يستغل هذه الظروف لإرسال الرسائل إلى القبائل العربية، ولم يكن يتردد في دعوتهم إلى الإسلام. ولا شك أن ما قصده في بالاسلام هو المذهب الوهابي. وكان يذكر في الرسائل أن أصحاب البيعة يأتون ظالمين ويعودون سالمين، مشيراً بذلك إلى رأيه في أصحاب المذاهب الأخرى(٣٥٦). ولذلك كان أمير مكة المكرمة عبد الله باشا يحذر الدولة في العرائض (١٨٥٨ – ١٨٧٧م)

---

(٣٥٤) الأرشيف العثماني، (İD 28250 Lef: 1-2). وكان فيصل عندما شعر بأن الدولة لن ترسل العساكر عليه طلب عدم دفع الضرائب التي تعهد بتأديتها. وعلى ذلك قام خالد أمير نجد الأسبق بمراجعة الباب العالي في مايو ١٨٥٥، وأعلنه بأنه في حالة إمداده بالعسكر والعون المادي يستطيع السير على فيصل الذي أثبت بتصرفاته العصيان على الدولة، وينتزع الإمارة منه، ويدفع لخزانة الحجاز مائة ألف ريال فرنسي في السنة. (جودت باشا، تذاكر ١ – ١٢، ص ١٣٩ – ١٤٠).

(٣٥٥) لوريمير، المصدر السابق، ص ١٦٥٣.

(٣٥٦) للإطلاع على خطاب من مثل ذلك لفيصل بن تركي أنظر: الأرشيف العثماني (İD 28066).

التي يرسلها أن رسائل فيصل إلى مشايخ العربان التي يدعوهم فيها إلى المبايعة على الإسلام هي دعوة إلى المذهب الوهابي، ومحاولة منه إلى إحياء الوهابية من جديد[٣٥٧].

وعلى ذلك قام الشريف عبد الله باشا – وبأمر وصله من الباب العالي – بإرسال رسالة إلى فيصل مع أحد رجاله حتى يوقفه عن الأعمال التي يقوم بها. وفي شهر كانون الأول من عام ١٨٥٩ أرسل الشريف أحد أتباعه إلى فيصل بموجب الأمر الذي جاءه من الباب العالي بإيقاف نشاطات الدعوة إلى المذهب. وجاء في الرسالة التي حملها إلى فيصل أن الدعوة إلى الإسلام قد انتهت بتبليغ النبي عليه الصلاة والسلام، ولذلك ما يقوم به فيصل من دعوة العربان إلى الإسلام من جديد هي بتمامها بدعة باطلة. لأن المسلمين جميعهم وبالاتفاق بايعوا الدولة العثمانية على الإسلام، وأن الدولة تقوم بحق بحماية الإسلام وأهل الإسلام. فلا يجوز الخروج عن هذه البيعة بشكل من الأشكال وكانت لهجة الرسالة تحمل نوعاً من التهديد، وكانت تُذَكّر فيصل أنه موظف لدى الدولة وهو مكلف بتنفيذ جميع أوامرها، صغيرها وكبيرها، وطلبت منه كف يده عن القبائل التي تدفع زكاتها إلى ولاية جدة[٣٥٨]. ثم قام الشريف عبد الله بإظهار قوة الدولة بأن جمع العساكر العونية الموجودة في مكة المكرمة وعددها ٧٠٠ جندي وأحضر ثلاثمائة جندي آخر من بيشة، وأمرها بالسير إلى نجد لاستعراض القوة لمدة عشرين يوماً[٣٥٩]. ولكن هذه التدابير بقيت ضعيفة، لأن فيصل كان يستطيع بفضل الأحلاف التي أقامها مع القبائل أن يجمع آلاف المقاتلين بسهولة وفي فترة قصيرة.

---

(٣٥٧) نفس الوثيقة، لف ٢.

(٣٥٨) نفس الوثيقة، لف ١.

(٣٥٩) الأرشيف العثماني، (İMM 1098) لف ١.

والشاهد على ذلك ما يقوله خالد محافظ المدينة في أحد تقاريره المؤرخ في ٢٠ مارس ١٨٦٢م، إذ يذكر أن فيصل صار يتحرك مع القبائل الخاضعة له وكأنهم حكومة مستقلة، وأنه جمع بعض أموال الجمارك من جوار البصرة وقام بجباية الضرائب من أهاليها، كما قام بتحصيل قدر من الضرائب تحت اسم هدايا من بعض المحلات في البحرين ومسقط شبه المستقلتين. وفي مواجهة هذا الوضع الفعلي يقترح محافظ المدينة المنورة: أن يجري ربط تلك المناطق الواقعة ضمن حدود الدولة العثمانية بالمدينة المنورة، أما مقدار الضريبة الذي تؤديه لمكة المكرمة (لولاية الحجاز) كل عام والبالغ عشرة آلاف ريال فيجب زيادته، وتُفرض الطاعة على المنطقة بوضعها رسمياً تحت إدارة فيصل. كذلك فإن منطقتي جبل شمر والقصيم الواقعتين الآن تحت نفوذ فيصل يجب تخليصهما منه وإعطاء جبل شمر لابن الرشيد وإعطاء القصيم لأحد مشايخنا المحليين هناك، ثم جعل تحصيل الضرائب والإدارة فيهما منوطاً بالمدينة المنورة. وكان خالد محافظ المدينة مؤمناً بأن هناك فوائد جمة سوف تتحقق حالة تطبيق تلك المقترحات، ولهذا أشار بضرورة تكريم فيصل وابنه عبدالله، وتكريم ابن الرشيد بمنحهم نياشين حتى يمكن التأثير عليهم[٣٦٠].

وبدلاً من أن يضع الباب العالي تلك المقترحات في الحسبان، ويقوم بتقليص صلاحيات فيصل نراه – على العكس – يقوم بعدد من الاجراءات الجديدة التي تساعد حتى على توسيع صلاحياته، وذلك مراعاة للتطورات الحادثة في المنطقة وانطلاقاً من أن ذلك هو أهون الشرور. ويظهر أوضح الأمثلة على ذلك في حل مشكلة ظهرت في تلك الأثناء بين البحرين وفيصل بن تركي.

فقد كان فيصل يحصل – كما مر سابقاً – على ضريبة سنوية تبلغ أربعة آلاف روبية من شيخ البحرين محمد خليفة. فلما شاء فيصل قائممقام نجد زيادة تلك الضريبة لم يقبل محمد خليفة بذلك، وألمح إليه أنه قد يلجأ إلى الإنجليز الذين

(٣٦٠) الأرشيف العثماني (İMM 1098 Lef: I).

تربطه بهم علاقات منذ مدة طويلة. هذا ولو أن والي بغداد نامق باشا هو الآخر كان كتب إلى استانبول، وأخبرها أن البحرين الواقعة تحت سلطة قائممقامية نجد تتعرض لاعتداءات الأجانب، ولمنع ذلك لا بد من الحصول من وجهائها على إقرار وتصديق بأنهم رعايا للدولة العثمانية وذلك بتكريمهم وتشجيعهم. وقبل أن يتمكن من الحصول على الجواب من الباب العالي وصل إلى بغداد واحد من رجال فيصل، وأخبر الوالي أن شيخ البحرين يتعاطف مع الإنجليز، ومن ثم فإنهم يطلبون تغييره، ثم طلب منه أن يسمح لهم بذلك. وعلم نامق باشا من المعلومات التي وصلته أن فيصل يريد خلع شيخ البحرين وتنصيب ابن عمه عبد الله المعارض له حتى يحصل على الزيادة التي يريدها في الضرائب. ولأجل هذا أيضاً قال الوالي إن شيخ البحرين الحالي أجبر على دعوة الإنجليز، وكتب إلى الباب العالي يخبره أنه سوف يسعى لحل المشاكل الأخرى أيضا(٣٦١). وفي أعقاب ذلك مباشرة توجه إلى بغداد واحد من رجال شيخ البحرين محمد خليفة، وسلّم الوالي رسالة من الشيخ يقول فيها إنه منذ القديم وهم يخضعون لنفوذ الدولة العثمانية(٣٦٢)، وإنهم يتبعون نجد ويؤدون الضريبة السنوية لها، ثم راح يبث شكواه إلى الوالي من فيصل الذي يطالبهم بأمور ليست مما جرت به العادة، ثم يخبره بأنه يريد أن يؤدي ضريبته السنوية من بعد إلى بغداد. ويقوم نامق باشا بعرض ذلك الوضع على الباب العالي في مايو ١٨٦٢م، ويسرد في العريضة التي أرسلها أفكاره على النحو التالي:

"إن التنافس الحاصل بين أمراء جزيرة البحرين وكذلك الطمع الزائد من فيصل قد أجبرا محمد خليفة على دعوة الإنجليز إلى الجزيرة. وعلى هذا النحو فإن الإنجليز من ناحية والإيرانيين من ناحية أخرى يتطلعون للتدخل في شئون المنطقة والادعاء بأن حكمها يرجع إليهم. ومهما انعدمت الشكوك حول أن المنطقة من

---

(٣٦١) الأرشيف العثماني (İMM İD 33349, Lef: I).

(٣٦٢) نفس الوثيقة، لف ٣، ٤.

أملاك العثمانيين فإنها قد بقيت منذ مدة وكأنها مستقلة، ولذلك فإن إدارتها اليوم من بغداد حسب رغبة شيخها سوف تجلب معها عدداً من المشاكل الجديدة. وحتى لو فكرنا في ربط البحرين ببغداد مباشرة فسوف تصعب حمايتها بسبب عدم كفاية ترسانة البصرة. والواقع أن فصل البحرين عن نجد ثم ربطها ببغداد البعيدة عنها إنما هو أمر ينافي القواعد المتبعة. وبدلاً من فعل ذلك يجب علينا أن نفرض على شيخ البحرين التعهد بزيادة الضريبة المقررة عليه بقدر ما، وجعله يقبل بتأديتها إلى قائممقام نجد الذي يتبعه. وعلى الجانب الآخر أيضاً علينا بإرسال رسول إلى فيصل يقنعه بضرورة التخلي عن أطماعه في البحرين، والحل الأمثل هو إصلاح ذات البين(٣٦٣)".

وقد تم عرض تلك المقترحات من نامق باشا على المابين الهمايوني في ٧ يولية ١٨٦٢م؛ وفي اليوم التالي صدرت الإرادة السلطانية بالسماح للباشا بتنفيذ ما كتبه(٣٦٤).

وعلى الرغم من عدم وجود معلومات حول الإجراءات التي قام بها نامق باشا بعد ذلك فإننا إذا نظرنا إلى أن تبعية البحرين لنجد قد استمرت، أو أنها – على الأقل – قد واصلت تأدية الضريبة لها فسوف نفهم أن التدابير السابقة قد تم اتخاذها. وكما نرى فإن الدولة نفسها هي التي ساعدت فيصل لكي يزيد نفوذه على البحرين. ولكن يجب ألا ننسى أيضاً أن الدولة هي التي نصبت فيصل قائممقاما على نجد، وبالتالي فإن نفوذه على البحرين هو نفوذ للدولة العثمانية عليها. كما أن الدولة باتخاذها تدبيراً على ذلك النحو تكون قد أبدت رغبتها في عدم ترك البحرين وشأنها، ومواصلة تبعيتها للدولة العثمانية ولو بصورة إسمية.

---

(٣٦٣) نفس الوثيقة، لف ١.

(٣٦٤) نفس الوثيقة، لف ٥.

وعلى الجانب الآخر كان الإنجليز والفرنسيون أيضاً قد دخلوا في علاقات مع فيصل الذي كان نفوذه في اطراد يوماً بعد يوم. وكان هدفهم إقامة علاقات وطيدة معه حتى يحافظوا على مصالحهم في خليج البصرة، أو على الأقل لكي يدفعوا عن أنفسهم عداء الوهابيين. وكان فيصل عندما تولى الإمارة للمرة الثانية قد شاء – كما سلف سابقاً – إقامة علاقات طيبة مع الإنجليز. ولكنهم لم يروا في محاولات فيصل للتوسع في الخليج آنذاك بأساً على مصالحهم.

كما أنهم لم يردوا بالإيجاب على تلك الرغبة حتى لا يقع تدخل في سياسة المناطق الداخلية، واكتفوا بالقول إنهم فقط مع سياسة الحفاظ على السلم في الخليج. أما الآن فقد أدركوا إذن أنهم لن يستطيعوا الوقوف صامتين أمام توسع فيصل في اتجاه منطقة مسقط وعمان التي تحالفوا معها قبل ذلك، فكانوا يدعمون مشايخ تلك المنطقة ضد الوهابيين من ناحية، ويسعون من ناحية أخرى لإقامة علاقات مع فيصل. وبهذه المناسبة كان بيلي الموظف السياسي البريطاني في الخليج قد توجه إلى الرياض في مارس عام ١٨٦٥م، لكنه عاد أدراجه دون أن يحصل على نتيجة ملموسة[٣٦٥]، وعلم آنذاك أن پالغراف سبقه باسم نابليون إلى الرياض وطاف كل منطقة نجد[٣٦٦]. وقد تحدث پالغراف في كتابه[٣٦٧] الذي وضعه عن كافة تفاصيل رحلته في نجد، إلاّ أنه لم يذكر الكثير عن مباحثاته التي أجراها مع فيصل باسم نابليون. فقد كان نابليون إلى جانب أنه ما يزال – على حد علمنا – يشعر بالأهمية الكبيرة نحو مصر والشام، يهتم كثيراً بمنطقة نجد أيضاً وخاصة عقب حصول فرنسا على امتياز حفر قناة السويس.

---

(٣٦٥) Lorimer, op.cit., p. 1665; *Memorial*. P. 232 وانظر: جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص ٧٩.

(٣٦٦) نفسه، ص ٧٨.

(٣٦٧) حول تقييم كتاب پالغراف ذي المجلدين الذي نشره في لندن عام ١٨٦٥م تحت عنوان (*Through Central and Eastern Arabia*) وحول رحلة نجد انظر: (*Explorers of Arabia*, P. 152 - 192)

ومن ناحية أخرى كانت صحة فيصل الذي أمضى حياة مليئة بالحركة والنشاط قد بدأت في التدهور، وضعف بصره بحيث لم يعد قادراً على العمل في ستينيات القرن التاسع عشر. فهو إذن يرى التقدير والاحترام بين أتباعه باعتباره إمامهم. وأصبح ابنه عبد الله بن فيصل هو الذي يتولى تسيير الأمور الأخرى بدلاً منه. وكان عبد الله بما تميز به في شبابه من الحيوية والحركة يقوم بقيادة الغزوات، ولا سيما على القبائل المجاورة للقصيم وعنيزة التي لم تقتنع في أي وقت وبصورة جادة بالوهابية. حتى إنه في إحدى غزواته التي قام بها على القصيم في عام ١٨٦٢م قتل ابن عبد العزيز أمير العربان هناك مع اثني عشر رجلاً من رجاله. وكان من الطبيعي أن تؤدي تلك الأعمال إلى ظهور فوضى عظيمة بين العربان. ولكي تتم الحيلولة دون ذلك جرى مرتين تشكيل وحدة من العسكر، قسم منها من جدة وقسم آخر من المدينة المنورة بقصد إرسالها إلى هناك، ومع ذلك لم يتحقق هذا التصور. ففي المرة الأولى اقتضت الضرورة تأديب عربان حرب بعد اعتدائهم على المدينة، بينما جرى تأجيل حملة القصيم. وفي المرة الثانية عندما جاءت ساعة خروج الحملة تقرر فصل منصب محافظ المدينة عن أيالة جدة وتنصيب حافظ باشا محافظاً وجرى صرف النظر عن إرسال الجند، والاكتفاء بإرسال موظفين خصوصيين إلى عبد الله بن فيصل وإقناعه بشروط الطاعة. وتبين في تلك الأثناء أن شريف مكة المكرمة أرسل إلى عبد الله بعض الأوامر ليُظهر له نفوذه السياسي من ناحية، ويسعى من ناحية أخرى لتحريض قسم من العربان المتحالفين معه في نجد ضد عبد الله[٣٦٨].

والإجابة التي رد بها عبد الله بن فيصل على البلاغات التي وصلته من أمير مكة المكرمة بواسطة عبيد بن الرشيد شيخ جبل شمر هي جد طريفة؛ إذ تكشف لنا عن موقعه والسياسة التي يجري عليها. إذ يقول لشريف مكة المكرمة في خطابه إليه إن

(٣٦٨) الأرشيف العثماني (İMM 1098 Lef: 1).

كافة الأوامر والنواهي والتدابير في منطقة نجد قد تُركت لهم بمقتضى المعاهدة المعقودة بينهم وبين الشريف محمد بن عون (يذكِّره بتنصيب فيصل بن تركي قائممقاماً في عام ١٨٤٨م). ثم يضيف عبد الله أنه بمقتضى تلك المعاهدة والقرار "قائم على عبوديته للدولة العثمانية". كما يذكر مبررات السياسة التي يتبعها تجاه العربان في المنطقة، ويقول إنها لا تتعدى عقاب المعارضين ومتجاوزي الحدود خلال القلاقل التي ظهرت بين القبائل، فإذا لم نفعل ذلك صعب علينا إقرار النظام. وترد في خطابه عبارة تدلنا على أنه لا يأبه بشريف مكة المكرمة عند قيامه بإجراءاته في المنطقة، إذ يقول: "إن نجد وأهاليها هم رعايانا، فإذا كان هناك أمر من طرف الدولة العلية فنحن عبيدها، ونمتثل لأوامرها ونتجنب نواهيها. أما إذا كان ذلك الأمر صادراً منكم فإننا لا نأمل ذلك منكم"[٣٦٩]. والواقع أن الشريف هو الآخر كان يرى في عبد الله شخصاً عاجزاً عن التمييز، وأنه "عدا خلل عقله شخصٌ ضارٌ خُلق من أجل الشر في الغالب، وخاصةً إذا نظرنا إلى أفعاله وأطواره ونظرنا إلى أحواله الحاضرة في إدارة الأمور والمصالح"[٣٧٠]. وهذا الوضع كان يشير إلى أن التوازن في المنطقة عاد إلى الخلل من جديد، وظهرت الحاجة إلى وسائل جديدة لإقرار النظام.

وهنا تطفو على السطح من جديد مظاهر تضارب المصالح بين الشريف والأمير الوهابي؛ فقد كان أعظم ما يقلق شريف مكة المكرمة من وجود تلك العائلة في نجد هو بلا شك حرمانه من مال زكاة القبائل التي انتقلت إلى جانب الوهابيين. ولهذا السبب كان شريف مكة المكرمة يريد أن يظل الحديث جارياً عن مسألتين؛ إحداهما أن الوهابيين هم مصدر الاضطرابات بين القبائل، والثانية أن أموال الزكاة التي تُجمع من بعض القبائل إنما جُمعت في الأساس من القبائل الداخلة في إطار

(٣٦٩) نفس الوثيقة.

(٣٧٠) نفس الوثيقة.

أيالة جدة، ومن ثم فهي حق الأيالة. وقد كان الشريف يحصل على قدر من عوائد جدة. ومن المحتمل هنا أن المشكلة من حيث الأساس كانت ناجمة عن عدم تعيين حدود المشايخ والإداريين المحليين على الرغم من ربط نجد بأيالة جدة والحبش في عهد ابراهيم باشا. وهذا الغموض قد ظهر أيضاً عند تعيين فيصل بن تركي في منصب القائممقامية. ولكن الواقع أن المسئولين، سواء من أمراء مكة، وسواء من ولاة جدة الذين كثيراً ما يتحركون على هوى الأمراء، كانوا يرون صلاحيات آل سعود المضطلعين بإمارة الوهابيين محددة بالرياض وجواريها. غير أن الواقع الفعلي كان مختلفاً، إذ كان البدو الرحل يقومون – نتيجة للمصاعب التي تفرضها عليهم طبيعة المنطقة – بتغيير أماكنهم بين الحين والآخر، ويتنقلون بين مواضع مختلفة. ومن ثم كان كثيراً ما يجري جمع الزكاة أو الضرائب منهم على أيدي الأشخاص المكلفين بذلك في الأماكن التي يجدونهم فيها. أضف إلى ذلك أن القبيلة أو العشيرة التي تشعر بالملل من إجراءات أحد الأطراف كانت تلجأ إلى الطرف الآخر، وتؤدي إليه الضريبة تبعاً لذلك. ولهذا السبب كان من الواضح أن الفوضى والقلاقل سوف تظل سائدة ما دام التركيب الاجتماعي قائماً على حاله في المنطقة.

وفي تلك الأثناء وعلى عكس المنتظر بادر عبد الله بن فيصل بمناورة منه فكتب رسالة إلى شريف مكة المكرمة في ابريل ١٨٦٣م، أفصح فيها عن رغبته للتوافق والتواؤم معه، كما يتبين من العريضة المشتركة التي قدمها والي جدة أحمد عزت باشا وأمير مكة المكرمة عبد الله باشا إلى الباب العالي أنه في موضوع القبائل سوف يخضع للأوامر التي ترد من ولاية جدة وإمارة مكة[٣٧١]. فالواضح أن عبد الله بن فيصل كان قد تحرر في كافة تصرفاته عقب وفاة والده في أواخر عام ١٨٦٥م، وهذه السياسة الجديدة منه سوف تؤدي إلى تدعيم نفوذ الدولة العثمانية في المنطقة.

---

(٣٧١) الأرشيف العثماني (İD 34428, Lef: I).

٢- عبد الله بن فيصل قائمقاماً على نجد

كان عبد الله بن فيصل يقوم بالفعل ومنذ مدة طويلة بإدارة منطقة نجد والمناطق التابعة لها، فلما توفي والده وقع في أتون نيران كثيرة من حوله. إذ وجد نفسه وجهاً لوجه أمام تحركات أخيه سعود بن فيصل [٣٧٢] الذي لا يريده من ناحية، والضغوط القادمة من الحجاز من ناحية أخرى، فضلاً عن المشاكل التي أثارها الإنجليز في منطقة الخليج. فقبيل وفاة والده عندما جرى الاعتداء على تاجرين من الإنجليز في صور فقُتل أحدهما وجُرح الثاني وتم الاستيلاء على بضاعتهما وأموالهما التي تقدر بسبعة وعشرين ألف دولار تعلل الإنجليز بأن ممثل الوهابيين في بريمي ظاهَرَ البدو الذين قاموا بتلك الفعلة، وجعلوا من الأمر حادثة ضخمة. وبدعوى أنه أصبح ضاراً لمصالحهم قرر الإنجليز تحريض المعارضين للوهابيين وتشجيع بعض المشيخات العربية - التي سئمت تأدية الجزية إليهم - على مناهضتهم[٣٧٣]. وبهذه الوسيلة أرسل الإنجليز إنذاراً إلى الأمير الوهابي في يناير ١٨٦٦م، ثم قاموا بعد ذلك بمساعدة المشايخ في مسقط وعمان على الغارات التي سيقومون بها ضده، كما وضعوا أيديهم على سفينة لشيخ البحرين حتى يمنعوه من مساعدة الوهابيين. وفي أعقاب ذلك أيضاً راح الإنجليز يستعرضون قوتهم البحرية على سواحل الأحساء، وحاولوا غزو الدمام. وهنا صرح عبد الله بن فيصل أن قبيلة الجنَابة هم السبب وراء تلك الحادثة، وأنه لن يقبل إنذاراً على هذا النحو[٣٧٤]. ولكن بعض المصادر الإنجليزية ذهبت إلى أن تلك المشكلة انتهت بتحالف تم في

---

(٣٧٢) ولد عبد الله وأخوه محمد من والدتين مختلفتين من آل سعود، وكانا أكثر تعصباً للوهابية. ولكن أخويهما الآخرين سعود وعبد الرحمن هما من أم بدوية وكانا يحظيان بحب البدو أكثر من غيرهم. ولهذا السبب استطاع سعود عقب وفاة والدهم أن يسير على أخيه بعدد من الرجال الذين جمعهم من قبائل الدواسر بوجه خاص (انظر: Lorimer, op. Cit., p 1668 - 69).

(٣٧٣) المصدر السابق، ص ١٦٦٩ - ١٦٧٠.

(٣٧٤) المصدر السابق، ١٦٧٣ - ٧٤.

ابريل ١٨٦٦م وقُدمت فيه الضمانات بحماية الرعايا الإنجليز في أي مكان يخضع لنفوذ الوهابيين[٣٧٥]. أما المصادر السعودية فهي تنفي وقوع تحالف من هذا النوع[٣٧٦]. وفي حادثة أخرى أغفلتها هذه المصادر نفسها، تجعلنا نذهب إلى أن هذا التحالف لم يتم، وإنما كانت هناك فقط بعض الوعود التي تم تعاطيها من خلال الرسائل. وهذه الحادثة التي ذكرتها المصادر الإنجليزية أيضاً قد مر ذكرها في الوثائق العثمانية. إذ تدلنا تلك الوثائق على أن عبد الله بن فيصل قد كاتب والي بغداد آنذاك نامق باشا، وأكد له أن تلك المسألة قد تجاوزته، وأن على الدولة أن تتدخل في الأمر[٣٧٧]. ويذكر عبد الله في خطابين أرسلهما إلى نامق باشا وقام الأخير بإيصالهما إلى استانبول أن الساحة الممتدة من عمان حتى اليمن، ومن دواخل نجد حتى الكويت إنما هي أراضي الدولة العثمانية، وأنها متروكة لولاية آل سعود، ثم طلب من الباشا ضرورة التصدي للتحركات العدائية التي يقوم بها الإنجليز في السنوات الأخيرة، وخاصة على سواحل البحرين والقطيف[٣٧٨]. كما يخبره عبد الله في هذين الخطابين أيضاً بأنه أرسل خطاباً إلى الإنجليز مصرحاً لهم فيه بضرورة القبول بأن التعويضات التي طالبوا بها مقابلاً لبضائع التاجرين التي نهبت في صور إنما يقابلها ما أوقعوه من أضرار على سواحل نجد، وأنه لم تعد هناك حاجة أمام أي طرف لتعويض الطرف الآخر. أما نامق باشا والي بغداد فقد أرسل عريضة إلى الصدر الأعظم في ٣ أكتوبر ١٨٦٦م معلقاً فيها على خطابي عبد الله بالصورة التالية:

"إن القصد الأول من هذين الخطابين اللذين أرسلهما شيخ نجد للإعلان عن مكاتباته مع الحجاز حتى يحصل من الدولة على وظيفة مثل والده – هو أن تضاف

---

(٣٧٥) لهذا التحالف انظر: Hurewitz, op. Cit., I/172.

(٣٧٦) *Memorial*, p. 139 – 40.

(٣٧٧) Lorimer, op. Cit., p. 1674.

(٣٧٨) الأرشيف العثماني (İMM 1381, Lef: 6).

عمان والكويت على قائممقامية نجد التي يتولاها، وأن يكشف عن رغبته في مد نفوذه إلى دواخل اليمن وسواحلها. والشاهد على ذلك أنه يتحدث في خطابيه عن الحدود. إن أقصى ما يطمح إليه عبد الله أن تصبح الكويت ومسقط موضوعة تحت تصرفه. هذا في حين أن الكويت معدودة من ملحقات البصرة، وتجري تقوية روابطها الرسمية مع الدولة خطوة بخطوة. إن عبد الله بأطواره تلك ينشد التصرف مثل أجداده إذ يسعى لتوسيع ساحة نفوذه. حتى إنه لهذا السبب يسعى من ناحية لكسب رضا الحكومة، بينما قام هو نفسه من الناحية الأخرى بالسير على عشائر المنتفك وعشائر الزبير التابعة لبغداد بقصد نهبها لكنه عاد مهزوماً.

ويردف والي بغداد في عريضته بقوله إن إرسال أربع أو خمس سفن إلى سواحل نجد جدير بجزع أنف عبد الله بن فيصل، والحيلولة دون الاستبداد الذي يمارسه. ولكنه لعلمه أن الحكومة لن تتخلى عن حسن معاملته يقترح ألاّ ينص فرمان الوظيفة التي ستمنح لعبد الله على تحديدٍ للحدود على الأقل، ويرى الاكتفاء بعبارة "قائممقامية نجد" فقط(٣٧٩).

وكان عبد الله في تلك الأثناء يعيش مشكلة أخرى مع الدولة، أو بتعبير آخر مع ولاية الحجاز وإمارة مكة المكرمة اللتين هما أقرب الممثلين للدولة في المنطقة. فقد كان من المفروض أن يسدد إلى خزانة الحجاز كل سنة عشرة آلاف ريال من الضرائب التي تجبيها قائممقامية نجد كما مر سابقاً، بينما الواقع أن ذلك لمْ يحدث منذ خمس سنوات، وتضاعف الدين على قائممقامية نجد. ومن المحتمل أن إمارة مكة المكرمة استغلت فرصة وفاة فيصل والقلاقل التي نشبت في أعقابها فكانت تطالب بسداد الدين المتراكم. ولهذا القصد أيضاً تم إرسال موظف معتمد يدعى يونس أفندي إلى نجد حاملاً بعض التعليمات(٣٨٠). فلما وصل الرجل إلى نجد أبلغه

---

(٣٧٩) الأرشيف العثماني (İMM 1381, Lef: 2).

(٣٨٠) الأرشيف العثماني (Ayniyat Defteri 871, s. 9. nr. 8).

عبد الله وبإصرار أنه لا يملك القدرة على سداد مبلغ الضريبة نقداً. وزعم عبد الله أنهم كانوا يقومون بسداد الضريبة المذكورة من المخصصات التي يرسلها – من مصر منذ زمن – الخديوي عباس باشا، وأنه بعد وفاة الخديوي انقطعت تلك المخصصات، ونظراً لما يعانيه أهالي نجد من الفقر فليس في وسعهم سداد تلك الضريبة نقداً، ثم صرح أنه في حالة الموافقة يمكنه تقديم ثمانين جواداً مقابلاً لها[٣٨١]. والواقع أن هذا الزعم لم يكن صادقاً، لأن الضريبة المذكورة تم سدادها ثلاث سنوات أخرى بعد وفاة عباس باشا. كما يذكر يونس أفندي من ناحية أخرى أن عبد الله كان يجمع ضريبة تربو على مائتي ألف ريال في السنة (٨ – ١٠ أكياس) تحت اسم زكاة من عشائر القصيم والقطيف والأحساء فضلاً عن قبائل نجد[٣٨٢]. وعلى الرغم من ذلك فإن العشرة آلاف ريال التي كان يجري سدادها في زمن أبيه كانت عسيرة عليه. وقال عبد الله بن فيصل ليونس أفندي رافضاً سداد الضريبة نقداً: "على الرغم من أن الجميع يعلم أن الدولة العثمانية لا تبخل بإحسانها على أحد إلاّ أنها على العكس مع فقراء نجد تطالبهم بالمرتبات فإذا كانت ترغب في ذلك فلدينا الكثير من الجياد والهجين، والصحراء هنا شاسعة، نركب ونفر إلى أحد الأطراف، ولتأت الدولة العثمانية وليحكموا البلاد حسب هواهم، وإلاّ فالواقع أننا لن نقدم نقداً"[٣٨٣]. ويقول يونس أفندي إن عبد الله يتصرف على هذا النحو "لأنه لا يعرف الدولة العلية، ويتطلع لأن يكون حاكماً مستقلاً"[٣٨٤].

---

(٣٨١) الأرشيف العثماني (İMM 1381, Lef: 1).

(٣٨٢) تقول المعلومات التي حصل عليها يونس أفندي أن عبد الله كان يحصل على ضرائب تقدر بخمسين ألف ريال من مسروح وبني علي والعمري وبني سالم ومطير والدواسر وسبيع وقحطان وعتيبة في نجد، ويحصل على ثمانين ألف ريال من قبائل القصيم وعيزة، وعلى عشرين ألف ريال من القطيف، وعلى نحو مائة أو مائتي ألف من الأحساء (نفس الوثيقة، لف ٣).

(٣٨٣) نفس الوثيقة، لف ١.

(٣٨٤) نفس الوثيقة.

وكان وجيهي باشا والي الحجاز هو الآخر قد قدم عريضة إلى الصدر الأعظم في ٢٣ نوفمبر ١٨٦٦م وصرح فيها أنه يتفق في الرأي مع يونس أفندي. ولهذا السبب أيضاً اقترح ربط نجد ببغداد حتى يمكن تحصيل الضريبة المذكورة من بغداد. ورأى – إذا تعذر تحقيق ذلك – أن يجري تعيين سعود المتنازع مع أخيه عبد الله قائممقاماً وإمداده بقدر من العساكر الموظفة وتمكينه من السيطرة على المنطقة أو القيام باحتلال المنطقة بعدد من القوات التي يتم إرسالها من الحجاز، وتعيين شخص من قبل الدولة مباشرة على نجد. كما رأى وجيهي باشا أن الحل الأخير في حالة عدم تحقيق أي من كل ذلك هو أن تُترك المنطقة على حالها في الظروف الراهنة شريطة القيام باصلاح نجد في وقت مناسب(٣٨٥). وبناءاً على تلك المكاتبات جرت مناقشة الموضوع في استانبول في "مجلس الشورى المخصوص"، وعلى الرغم من رغبة المجلس في تحصيل الضريبة المقررة بشكل منتظم إلاّ أنه كشف عن قناعته عن ضرورة تجنب حوادث جديدة قد تؤدي إلى ظهور أوضاع صعبة في تلك المنطقة فضلاً عن بعض الكوارث التي كانت تعيشها الدولة. كما أوضح المجلس أن مقترح وجيهي باشا حول ربط نجد ببغداد أمر لا يمكن بسبب بعد المسافة بينهما، أما مسألة تولية سعود لزمام الأمور فليس بالأمر الصائب، لأنها قد تكون سبباً في احتدام النزاعات المحلية. أما المقترح الثاني من الوالي حول إرسال العساكر فقد تم رفضه بدعوى استحالة تحقيقه آنذاك، وتقررت الموافقة على تنفيذ مقترحه الرابع. ولكن المجلس رأى أيضاً عدم الإقدام على شئ يدفع عبد الله إلى التخلي عن ولائه للدولة تماماً، فقرر في تلك الظروف قبول الجياد والهجين التي اقترحها مقابلاً للضريبة ليجري استخدامها في الحجاز حتى تتبدل الظروف في المستقبل وتجري العودة إلى الضريبة القديمة. وهنا أيضاً أجمع أعضاء المجلس على ضرورة المعاملة الطيبة لعبد الله وتطييب خاطره مادام يعلن عن طاعته

---

(٣٨٥) نفس الوثيقة، لف ٧.

للدولة، فقرر منحه منصب قائممقام نجد الذي شغر عن والده شريطة أن يظل في إطار الأسس الذي ذكرها قبل ذلك والي بغداد. وفي أعقاب ذلك وافق المجلس على تبليغ تلك القرارات إلى وجيهي باشا حتى يبلغ عبد الله بمنحه القائممقامية، وتبليغها أيضاً إلى والي بغداد نامق باشا ليكون على علم بما يجري[٣٨٦].

وعلى هذا النحو، وبناءاً على المكاتبات التي وقعت من قبل الحجاز بعد وفاة فيصل القائممقام، تم التصديق من قبل الباب العالي على تعيين عبد الله قائممقاماً على نجد حتى يحول ذلك دون وقوع كارثة هناك تضاف إلى الكوارث التي تمر بها الدولة داخلياً وخارجياً[٣٨٧]. غير أن مرسوم القائممقامية لم يقدم إليه بسبب المشاكل السالفة الذكر والتحريرات القادمة من ولايات الأطراف. وبعد كتابة القرار الذي أصدره المجلس إلى ولايتي الحجاز وبغداد في ١٧ فبراير ١٨٦٧م كُتب مرسوم القائممقامية لعبد الله مع منحه رتبة "مديرية الاصطبل العامر" في ٢٥ فبراير.

وجاء في المرسوم أن القائممقامية قد تم منحها لعبد الله مع تذكيره بأنها منحت لوالده فيصل في عام ١٨٤٨م شريطة أن يؤدي عشرة آلاف ريال في السنة لخزانة الحجاز (جدة)، وأن يعمل على حماية أموال وأرواح وأعراض العربان في نجد وجوارها وخاصة منطقة القصيم، ويسعى لتوفير الأمن على الطرق والممرات في نجد، وأن يسعى كذلك لضمان مرور الحجاج القادمين من إيران عبر نجد بأمان والعمل على سلامة الحجاج الآخرين، وأن تقرأ الخطبة باسم السلطان في جوامع نجد وجواريها، وأنه تم تعيينه هو الآخر قائممقاماً بنفس تلك الشروط. كما جاء في المرسوم أن السلطان يوقن بأن عبد الله سوف يخدم الدولة والسلطان بكل الصدق والإخلاص، وأخطره بأن يظل دائماً على اتصال مع ولاية الحجاز وإمارة مكة

---

(٣٨٦) الأرشيف العثماني (Ayniyat Defteri 851, s. 15 -16 nr 56; Ayniyat Defteri 871, s. 23 – 24.).

(٣٨٧) الأرشيف العثماني (Ayniyat Defteri 851, s. 21, nr. 1168.).

المكرمة وتنفيذ الأوامر القادمة منهما[٣٨٨]. وقد صدر المرسوم دون تعيين لأي حدود تحد نجد كما طلب والي بغداد، وفي مقابل ذلك سلك المرسوم طريقاً وسطاً في موضوع الضريبة؛ إذ سمح بتقديم الخيول والجمال بالقدر الذي يحتاجه الحجاز، ثم خَصْم أثمانها من مبلغ الضريبة وتسديد الباقي نقداً.

وكان لإرسال مرسوم القائممقامية أثره الطيب على نفس عبد الله بن فيصل؛ حتى إنه بعد وصوله صرح آنذاك بأنه سوف يكون في عون الدولة بالفعل في كافة التدابير التي تراها لتأديب قائممقام عسير الذي كان في حالة تمرد على الدولة[٣٨٩]. وسارع عبد الله بإرسال خطاب شكر إلى ولاية الحجاز مع الموظف الذي حمل إليه مرسوم القائممقامية، وكشف فيه عن سعادته، كما صارح الموظف مشافهة بأنه يرغب في نيل رتبة الباشوية[٣٩٠]. وقد جاء في العريضة التي كتبها وجيهي باشا والي الحجاز إلى الصدر الأعظم في ٨ يولية ١٨٦٧م قوله "على الرغم مما هو معلوم لدينا من أحواله وأطواره إلا أننا مضطرون الآن لمعاملته المعاملة الحسنة، ولأجل هذا علينا منحه رتبة (ميرميران) [أي أمير الأمرا] التي يطلبها حتى يسهل علينا تحصيل الضريبة المقررة عليه"[٣٩١]. وقد قُدم ذلك الطلب إلى المابين الهمايوني من قبل الصدر الأعظم في ١٤ أغسطس، فتم قبوله، وصدرت الإرادة السلطانية به في اليوم التالي[٣٩٢]. وعلى هذا النحو يكون عبد الله بن فيصل هو أول من حصل من الدولة على الباشوية بين آل سعود.

(٣٨٨) الأرشيف العثماني (ADVN. NMH 17/7).

(٣٨٩) الأرشيف العثماني (Ayniyat Defteri 851, s. 21).

(٣٩٠) الأرشيف العثماني (İD 39324, Lef 1-2).

(٣٩١) نفس الوثيقة لف ١.

(٣٩٢) نفس الوثيقة، لف ٢ ودفتر العينيات ٨٧١ ص ٤٧، رقم ٤٦.

ثانياً – حملة مدحت باشا على الأحساء

١- خلفية الحملة: الصراع العثماني الإنجليزي في الخليج وقيام الدولة العثمانية بتغيير سياستها في المنطقة

عند محاولة بسط الدولة العثمانية سيطرتها على منطقة نجد أغفلت الاهتمام، لمدة من الزمن بخليج البصرة. وإلى جانب الجهود التي كانت تبذل منذ مدة طويلة من أجل إعمار بغداد وإصلاحها[٣٩٣] كانت الدولة العثمانية تبذل جهودا أخرى من أجل إعادة السيطرة على الخليج.

وأبرز مثال على ذلك، ومثلما ذكرنا من قبل هو أن نامق باشا والي بغداد كانت له مساعي لربط – ذات الحكم الذاتي – مباشرة بالبصرة. بيد أن نشاطات الدولة العثمانية بقيت ضعيفة إزاء الاتفاقات التي عقدها الإنجليز مع بعض الشيوخ العرب في الخليج، ثم إن سياسة الحماية التي كانت موجودة في الأصل جعلت للإنجليز اليد الطولى في المنطقة. وكما قال مدحت باشا فإن طبيعة سياسة الإنجليز تعمل على كسب الشيوخ والزعماء المحليين في المناطق التي يرون أنها لا تخضع لأحد بدل السيطرة عليها بشكل مباشر. وهكذا فإنهم لم يتدخلوا في شئون الإداريين المحليين كما أنهم عملوا على حمايتهم بكل السبل إزاء المخاطر والتجاوزات، وبهذا الشكل رسخوا حمايتهم تدريجيا

---

(٣٩٣) قبل مدحت باشا كان يوجد على ولاية بغداد كل من گوزلكلى رشيد باشا(١٨٦١-١٨٦٧) ومحمد نامق باشا (١٨٦١- ١٨٦٩) وتقي الدين باشا (١٨٦٧- ١٨٦٩)، وبهدف تنشيط الاقتصاد في إيالة بغداد، عملوا على الاهتمام بالمواصلات في المجال التجاري مستفيدين بشكل خاص من نهري دجلة والفرات. وفي عهد رشيد باشا كانت هناك محاولة لإنشاء أسطول، وقد تكفلت الدولة بتوفير نصف المبلغ في حين تم توفير النصف الآخر من قبل أفراد آخرين. وكان الهدف من ذلك منافسة شركة لينغ الأنجليزية. وفي عهد نامق باشا تم القيام بخطوة أخرى وتتمثل في إنشاء شركة "إداره" عماني عثمانيه" والهدف منها هو منافسة الشركة الأنجليزية. وإضافة إلى السفينتين اللتين كانتا تعملان في المنطقة تحت اسم (بغداد) و(البصرة) تم إرسال طلبية إلى أوروبا لتوفير ثلاث سفن تحمل اسم "الموصل" و"الفرات" و"الرصافة". وللإطلاع على المزيد من المعلومات في هذا الموضوع وفي الاصلاحات التي قام بها الولاة المذكورون أنظر:

Yaşar Yücel, "Midhat Paşa'nın Bağdat Vilayetindeki Alt Yapı Yatırımları", *Uluslararası Midhat Paşa Semineri Bildiriler ve Tartışmalar*, Ankara 1986, p. 175-183.

مع مرور الوقت. وبهذه السياسة تمكن الإنجليز من وضع مسقط والمكلا وعمان وحضرموت والبحرين تحت حمايتهم. وإذا كانت الإدارة شكليا في يد الشيوخ فإن الكلمة الفصل هي فعليا في يد الإنجليز(٣٩٤). ولاشك أن الوجود الإنجليزي في هذه المناطق جاء بالتوازي مع تنامي قوة الوهابيين وتراجع نفوذ الدولة العثمانية واكتفائها بانتهاج سياسة دفاعية. وهذه السياسة تبدو واضحة من خلال المراسلات التي أرسلت إلى تقي الدين باشا والي بغداد في ديسمبر عام ١٨٦٨.

ينبه والي بغداد الحكومة إلى الاضطرابات الواقعة في مسقط ومحاولات الإنجليز لبسط نفوذهم على تلك المنطقة و كذلك على البحرين، كما يطلب إعادة باخرة إزمير الموجودة في جدة إلى البصرة. ولهذا الغرض تشكل مجلس مخصوص من الوكلاء في الباب العالي لمناقشة الأمر، وتوصل إلى النتائج التالية: "لا يجوز للأجانب التحكم في البلاد الإسلامية، كما لا يسمح لهذه البلاد أن تتوسع على حساب جيرانها، ولن تتردد الدولة العثمانية في بذل ما في وسعها من أجل حماية ممتلكاتها ورعاياها. وهذه قاعدة عامة، ومن أجل أن تدخل إدارة ما أو بلاد ما في حماية دولة معينة لابد أن تكون تلك البلاد على علاقة وصلة بتلك الدولة. والحال أن منطقة مسقط كانت تدار منذ زمن بعيد بشكل مستقل على هيئة إمارة، وليس هناك إشارات أو آثار تدل على ارتباطها بالدولة العثمانية، ولهذا السبب فإن الادعاء بالأحقية في تلك المنطقة لن يكون ذي جدوى. وحتى إذا تم التدخل في هذا الموضوع تحت مسمى الرابطة الإسلامية فلن تكون لها أية فائدة، لأن الشيوخ العرب الذين كانوا موجودين في تلك المنطقة قد ردوا هم أنفسهم هذا الادعاء، فعندما كان الأمن سائدا في أرجاء الدولة العثمانية رفض هولاء الاعتراف بالباب العالي، في حين أنه عندما وقعت الدولة في المصاعب طلبوا منها العون والمساعدة وبعد أن سرد المجلس قناعته بأن التضحيات التي سيتم بذلها في هذا الصدد لن تجدي شيئاً قال: "إن السلطنة السنية تبذل ما في وسعها من جهد ومال من أجل حماية

---

(٣٩٤) أنظر: Midhat Paşa, p. 106.

ممالكها ورعاياها الحقيقيين وتدافع عن حقوقهم ومصالحهم المشروعة، وعندئذٍ فإن تحويل شئ – لا يرجع إليها مباشرة – إلى مسألة دولية وتعيين ما قد يستتبعها من خير أو شر أمر يجب أن تستخدم فيه ميزان الرشد والسداد..". ثم بين المجلس أن المسألة التي يجب التفكير فيها بالدرجة الأولى هي توفير خطوط الحماية لأجزاء الدولة الأصلية وإصلاح إدارتها وتعميرها وتوفير الأمن فيها، ثم طلب المجلس من الولاة أن يهتموا لتلك الأمور بالدرجة الأولى[٣٩٥].

أما في موضوع البحرين فقد أكد نفس المجلس أن منطقة البحرين تعد من أراضي الدولة العثمانية، وبين أن دفع أهاليها للضرائب إلى شيخ نجد الذي عينته الدولة العثمانية يعد مؤشرا مهما على هذه التبعية. وطلب من والي بغداد بذل المساعي في هذا الموضوع واتخاذ التدابير المناسبة وإعطاء الضمانات وتقديم التشجيعات من أجل استمرار تبعيتهم للدولة[٣٩٦].

وكما يبدو واضحا فإن الدولة العثمانية كانت تميل إلى المحافظة على الوضع القائم باعتبار أن الظروف السائدة كانت تتطلب ذلك، بيد أن استمرارها في هذه السياسة كان من الممكن أن يجعلها تفقد نفوذها في الخليج وحتى في شبه الجزيرة العربية كلها. فإنجلترا، باستفادتها من الأوضاع التي تسير ضد الدولة العثمانية كانت تعتزم إنكار جميع الحقوق التاريخية للدولة العثمانية وزيادة بسط نفوذها في المنطقة. فمثلا كانت البحرين منذ عام ١٨٤٧ تشهد مشاكل دبلوماسية، وتولدت عنها أحداث كانت تنتهي باستمرار في غير صالح الدولة العثمانية. والسبب في ذلك هو السلطة الاسمية للدولة العثمانية في هذه المناطق. وفي موضوع مسقط، وكما تم توضيح ذلك فقد كانت تدار كيفما اتفق من قبل إداريين محليين، وبعضهم يضطر إلى إعلان التبعية للدولة عند الضرورة ثم ينكرونها أحيانا أخرى. وهذا هو بالضبط ما كان يتفق

---

(٣٩٥) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٥١، ص. ٤٦.

(٣٩٦) *الوثيقة نفسها*.

مع مصالح إنجلترا. غير أن الفترة التي أعقبت الاصلاحات التي بدأت مع محمود الثاني شهدت تغييرا كبيرا في مفهوم سلطة الدولة، فقد كان الباب العالي يهدف إلى جعل السلطة المركزية[٣٩٧] مؤثرة في كل مكان، ولكن الظروف الفعلية الموجودة لم تكن تسمح بذلك. ولهذا السبب كانت هناك مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الولاة والإداريين، وخاصة في الولايات البعيدة. ففي الفترات التي كان فيها هولاء الولاة يتمتعون بالقوة والخبرة كانوا يحققون نجاحا كبيرا في مهماتهم، كما كانوا يلعبون دورا مؤثرا في إنفاذ سلطة الدولة إلى المناطق المجاورة لمناطقهم، فمن خلال ما يبدونه من مقترحات وآراء كانوا مؤثرين حتى في السياسة المركزية، وأبرز هولاء الإداريين محمد نامق باشا (ولايته ١٨٦١- ١٨٦٧) ومدحت باشا. وإذا لم توضع في الاعتبار ولاية تقي الدين باشا التي لم تستمر إلاّ مدة قصيرة على بغداد فإن هذين الواليين بذلا جهودا كبيرة، أثناء وجودهما على رأس الولاية، من أجل بسط نفوذ الدولة وإعادة اعتبارها في خليج البصرة وشبه الجزيرة العربية.

ففي فبراير عام ١٨٦٩ عُين مدحت باشا واليا على بغداد[٣٩٨]، وفي مارس شرع في أداء وظيفته. وبعد مدة قصيرة شرع في بذل الجهود اللازمة لتطبيق التجربة نفسها التي كانت له في ولاية الطونة عندما كان واليا عليها.

وقد تمكن من تحقيق نجاح كبير في نشاطات الإعمار والإنشاء التي قام بها في بغداد[٣٩٩]، فقد قام بتوزيع أراضي الدولة (الميرية) المسجلة وفق نظام الالتزام على الأهالي، ووزع على أصحابها سندات الطابو، كما عمل على تطوير

---

(٣٩٧) للاطلاع على بعض الأعمال التي تتناول مسألة تأسيس الادارة المركزية في الولايات العربية أنظر:
Nejat Göyünç, Ottoman Central Administration and Arap Provinces (1860-1910), *STAR* 1986, p.76- 80.

(٣٩٨) أنظر: Midhat Paşa, p. 66-67.

(٣٩٩) من أجل تسهيل التنقل أمر مدحت باشا بإنشاء خط حديد يربط بين بغداد وكربلاء، ولمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر: الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٥١، ص٦٨-٦٩.

الزراعة[٤٠٠]، وإلى جانب ذلك حقق تقدما كبيرا في ردع العشائر التي تنشر الفوضى وعدم الاستقرار[٤٠١]، ووفر إمكانية الاستفادة، كما ينبغي من نهري دجلة والفرات[٤٠٢]، ولم يدخر جهدا في إصلاح أسطول البصرة[٤٠٣]، وإحلال البضائع العثمانية محل البضائع الإنجليزية التي كانت منتشرة على نطاق واسع. ولفت الباشا نظر الحكومة إلى الأهمية الاستثنائية التي كان يمثلها فتح قناة السويس التي تمثل جسرا رابطا بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر، فتحريك النشاطات التجارية البحرية بين السويس والبصرة سوف يعود بمنافع جمة على الدولة العثمانية. إضافة إلى أنه أكد على الأهمية القصوى التي تتميز بها القناة في ما يتعلق بزيادة النفوذ العثماني في المنطقة، وفي هذا المجال حصل على موافقة الباب العالى من أجل اقتناء سفينة بحرية[٤٠٤] غير أن هذه الاقتراحات لابد لها من وال في حزمه حتى يتم القيام بها. فقد كان مدحت باشا يعتقد أن السيطرة على شبة الجزيرة العربية مرتبط بتقوية الوضع السياسي والاقتصادي في بغداد[٤٠٥]. وإلى جانب الإصلاحات التي بدأ في تنفيذها، فقد سرع من وتيرة المساعي التي كانت بدأت منذ عام ١٨٦٦ والتي تهدف إلى ربط الكويت بالبصرة وتحويل سلطة الدولة العثمانية في تلك المنطقة من سلطة شكلية إلى سلطة فعلية. ولا شك أن الخلفية التي

---

(٤٠٠) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات*، ٨٥١، ص. ٩٧-٩٨.

(٤٠١) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٥١، ص. ٧٢؛ الزوراء، ١٤، ٢١، ٢٧، تشرين الأول ١٢٨٥، رقم ٣٠، ٣١، ٣٢؛ ١١ تشرين الثاني ١٢٨٥، رقم ٣٤ .

(٤٠٢) للاطلاع على الجهود التي بذلها مدحت باشا من أجل القيام بدراسة نهري دجلة والفرات وتطهيرهما وإعداد دليل لهما انظر: الأرشيف العثماني، (*İD* 42521).

(٤٠٣) الزوراء، ٥، ٢٦ أغسطس ١٢٨٥، رقم ١٠، ١٣.

(٤٠٤) في ٢ مارس عام ١٨٧٠ أرسل مدحت باشا إلى الباب العالي مذكرة طلب فيها تأسيس إحدى الشركات المفلسة في لندن بحوالي ثمانين ألف ليرة، وشراء باخرة من أجل تنشيط المواصلات بين السويس والبصرة. وبعد أن تمت مناقشة هذا الموضوع في الباب العالي من قبل اللجنة المعنية بهذا الأمر عرض على السلطان، وفي العاشر من شهر نيسان عام ١٨٧٠ صدر القرار السلطاني في هذا الشأن.الأرشيف العثماني،(*İD* 42572).

(٤٠٥) Yücel, a.g.e, s. 177.

تستند إليها هذه الجهود هي إعادة تقوية نفوذ الدولة العثمانية في منطقة الخليج، من الكويت إلى حدود مسقط، بل وحتى في كامل منطقة شبه الجزيرة العربية، هذه المنطقة التي تم إهمالها لمدة طويلة.

وفي ما يتعلق بالكويت[٤٠٦]، فقد أرسل مدحت باشا لائحة إلى الباب العالي يتحدث فيها عن أهمية الكويت وعن نوايا الإنجليز في الوصول إلى سواحل الأحساء والقطيف الواقعة بين البحرين والكويت بعد أن تم احتلال البحرين، وبين أيضا أن الهدف بعد ذلك هو احتلال الكويت، ولهذا السبب فإنه لابد من إنشاء إدارة عثمانية في هذه المنطقة، وخلص إلى القول بأن هذه الخطوة من شأنها أن تمكن من حماية الأحساء واستعادة البحرين من يد الإنجليز[٤٠٧]. ومن أجل تحقيق هذا الهدف قام مدحت باشا باستدعاء عائلة آل الصباح الحاكمة في الكويت ووجهاء القوم واستقدمهم إلى البصرة وأقنعهم بضرورة البقاء تحت مظلة الدولة العثمانية لما في ذلك من المنافع.

وبعد المراسلات التي جرت مع الباب العالي تم الاتفاق على تعيين شيخ الكويت في منصب القائمقام (١٨٦٩)، ونزولا عند رغبته تم تعيين الشافعي المذهب محمد بن عبد الله الثاني نائبا شرعيا. كما تم بعد المكاتبات مع دار الفتوى تعيين أئمة لخمسة جوامع كبيرة في الكويت (مارس ١٨٧٠)[٤٠٨].

وبعد حل مسألة الكويت وضع مدحت باشا يده على ترسانة البصرة. وفي هذا الموضوع قدم إلى الصدارة العظمى لائحة بتاريخ ٢٨ مارس عام ١٨٧٠ بين فيها

---

(٤٠٦) في هذا الموضوع انظر: باب عالي خارجيه نظارتي، كويت مسأله سى، درسعادت ١٣٣٤؛ وآخر ما كتب في هذا الموضوع انظر: Cevdet Küçük, *Kuveyt Üzerinde Osmanlı-İngiliz Nüfuz Mücadelesi* رسالة للحصول على درجة الأستاذية غير مطبوعة، استانبول ١٩٨٩.

(٤٠٧) الأرشيف العثماني، (*DUİT* 69/2)؛ Küçük, a.g.e., s.4

(٤٠٨) تم تعيين الشيخ خالد إماما لجامع العدساني والشيخ عبد الرحمن العدساني إماما لجامع السوق وسيد عبد الوهاب إماما لجامع اليعقوبية والشيخ عبد السلام إماما لجامع الخليفة والشيخ علي أفندي إماما لجامع أبو النصير. (الأرشيف العثماني، دفاتر العينيات ٨٥١، ص.٧٤).

أن خليج البصرة يعتبر من أكثر المناطق أهمية في المحيط الهندي بالنسبة إلى الدولة العثمانية، ولذلك وقع إنشاء (ترسانة) البصرة من أجل إصلاح السفن العثمانية وصيانتها، هذه السفن التي كانت تتنقل في البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج، ولاحظ في تقريره أن هذا الميناء تعرض إلى الإهمال والخراب. ويقول مدحت باشا إنه كانت ثمة جهود قبل مجيئه من أجل تنشيط هذا الميناء من قبل، فقد جرى جلب سفينتين حربيتين عن طريق رأس الرجاء الصالح إلى خليج البصرة وتدعيان "إزمير" و"بورصة"، وتم جلب حوالي ٨٠٠ جندي مع ضباطهم إلى هاتين السفينتين وإلى السفن الأخرى الموجودة، غير أن السفينة المسماة "إزمير" اتجهت إلى جدة قبل ثلاث سنوات وبقيت هناك. أما السفينة التي تدعى "بورصة" فلم تعد صالحة للعمل بسبب تعرضها للإهمال. أما العساكر الذين يأتون إلى هذا المكان فإنهم قليلو الخبرة ولا يفيدون في شيء. وهذه السفن التي أصبحت غير صالحة تحتاج إلى صيانة، غير أنه لا توجد موانئ صالحة لهذا الغرض في حين أن مصاريف كبيرة تقدر كل عام بحوالي ٤٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ كيس أقجة تصرف في أشياء لا نفع منها. وأكد مدحت باشا في تقريره بأن الإنجليز ينوون القدوم إلى هذه المنطقة عبر الهند واحتلال عدن والاستيلاء على مسقط والدخول إلى البحرين والتمركز في هذه المنطقة، كما أن الإيرانيين يزعمون بالباطل أن لهم الحق في البحرين، بينما نلاحظ أن الدولة العثمانية قطعت صلتها بهذه المنطقة منذ مدة. ونبه الباشا إلى أن الأهالي إذا لم يحسوا بقوة الدولة وهيبتها فإنهم سوف يلجأون إلى الأجانب ويميلون إليهم، ولهذا السبب ينبغي للدولة العثمانية أن تبسط نفوذها وسيطرتها على هذا المكان.

ومن أجل إصلاح ترسانة البصرة يتعين أولا إعادة سفينتي "بورصة" و"إزمير" اللتين لم تعودا صالحتين إلى استانبول واستقدام ثلاث أو أربع قطع حربية أخرى كبيرة وصغيرة. كما طلب أن يُعَيَّن على قيادة هذه السفن شخص مقتدر وأمين لكي يشرف

على تنقل هذه السفن في البحر الأحمر والمحيط الهندي وخليج البصرة، وجعل ترسانة البصرة مركزا لهذه النشاطات، ولكي تقوم ترسانة البصرة بهذه الخدمات بيّنَ مدحت باشا أنه ينبغي توفير بنية تحتية تتمثل في مصنع وتكنة ومرسى للسفن ومرفع وغيرها، والسماح باستبدال السفن القديمة بأخرى جديدة، وكذلك تنقل السفن إلى سواحل الكويت والقطيف والبحرين ومسقط عند الضرورة(٤٠٩).

وفي ٨ مايو أمرت الصدارة العظمى بعرض هذا الموضوع على نظارة البحرية واتخاذ الإجراءات اللازمة(٤١٠) وفي الجواب الذي صدر عن نظارة البحرية في ١٣ يونيو ١٨٧٠ رأت النظارة أن مدحت باشا على صواب في ما ذهب إليه من ضرورة حماية سواحل البصرة واليمن وجدة، وتم تعيين أحمد بك قائدا لترسانة البصرة نزولاً عند طلب الباشا(٤١١)

ومثلما نلاحظ فإن الإداري صاحب الدراية يمكنه أن يؤثر في السياسة المركزية للدولة، فالقائمقام أحمد المذكور تم تعيينه على البصرة قبل أن يصل الرد من الصدارة، لذا لا ينبغي التفكير بأن الموضوع يتعلق فقط بإصلاحات في البحرية. ففي هذه الفترة بشكل خاص، وعلى الرغم من أن العديد من الشؤون قد اصطدمت لمدة طويلة بالعراقيل البيروقراطية للدولة فقد بينت هذه الأحداث، في هذه المنطقة، أن الدولة كانت ترغب في اتباع سياسة أكثر حزما. والملاحظ أن أحمد بك الذي عين على البصرة كان يتفق في الرأي مع مدحت باشا، وكانت اللائحة التي أعدها تحتوي على تسع مواد(٤١٢)، وقد تم عرضها من قبل الصدارة في أغسطس عام

---

(٤٠٩) الأرشيف العثماني، (*İMM*1611)، لف: ٣.

(٤١٠) الوثيقة نفسها، لف: ١.

(٤١١) الوثيقة نفسها.

(٤١٢) الملاحظ أن أحمد بك تم تعيينه في منصبه نزولا عند طلب مدحت باشا قبل أن يصل الجواب من نظارة البحرية. وبعد أن شرع في أداء مهمته أصدر لائحة في ٣٠ أبريل ١٨٧٠ ولفت فيها الانتباه إلى النقاط التالية:

١٨٧٠ على المابين الهمايوني للنظر فيها، وطلب من السلطان الإذن لتطبيق هذه الإصلاحات، وفي اليوم التالي صدر القرار السلطاني في الموضوع[٤١٣].

١- ينبغي إرسال أسطول صغير متكون من ثمانية أو عشرة قطع بحرية وذلك من أجل إخضاع العشائر والقبائل التي تقيم في المناطق التابعة للدولة العثمانية الواقعة على سواحل البحر الأحمر. إضافة إلى ضرورة إنشاء قلاع في الأماكن الاستراتيجية من هذه السواحل وتأكيد سيادة الدولة.

٢- تقوم السفن التي يتم إرسالها إلى البحر الأحمر بالتنقل إلى حدود البصرة وإنشاء مخازن للفحم خاصة بهذه السفن في السويس وجدة ومسقط.

٣- توفير مراسي تمكن من إصلاح الأعطاب التي تصيب السفن التي تتنقل في هذه المنطقة، وإنشاء مرسى في شمال حدة حتى يتم تجنب مزيد من النفقات والمصاريف، وهذا المكان يتم تنظيفه بواسطة سفينة حتى يكون مناسبا لإصلاح السفن المعطبة عند الضرورة.

٤- أطراف هذا المرسى تصلح أن تكون مناسبة لإنشاء ترسانة و مناسبة أيضا لتكون مرسى بريا.

٥- إنشاء قلعة تطل على جدة على مسافة نصف ميل مشرفة على البحر وتجهيزها بعشرة مدافع من نوع أرمسترونغ، وبذلك يمكن إحكام السيطرة على جدة.

٦- إن الطرف الشمالي للسان البحري قريب من الساحل، ولا يسمح إلا بمرور الزوارق الصغيرة والمراكب الشراعية بسبب ضيقه، أما الطرف الجنوبي منه فهو أيضا قريب من الساحل غير أنه لا يسمح إلا بمرور الزوارق لأن عمقه لا يتجاوز أربعة إلى خمسة أقدام. لذا ينبغي تنظيف هذا المكان بواسطة سفينة خاصة بهذا الغرض وزيادة عمقه إلى خمسة وعشرين قدم، وبذلك يصبح صالحا يمكن تحويله إلى مرسى لإصلاح السفن.

٧- إن مضيق باب المندب يعتبر الممر للبحر الأحمر.وفي جزيرة بريم التي تقع على هذا المضيق أنشأ الأنجليز قلعة وجهزوها بالعساكر والمدافع، وإذا أنشأ الأنجليز لا قدر الله قلعة على ساحل اليمن الذي يقع في مقابل هذه المنطقة فإنهم بذلك يكونون قد سيطروا على المضيق الذي يعتبر مفتاحا للمنطقة.وقبل أن يحل هذا الخطر يتوجب على الدولة أن تبني قلعة في سواحل رابغ المقابلة لجزيرة بريم.

٨- لقد تعرضت مدينة مود(؟) التي كانت مشهورة وعامرة عبر التاريخ إلى التخريب وتدمير أسوارها الأربعة، وتعرض سكانها وقبائلها البدوية إلى الإعتداء.ولهذا السبب فإن أكثر سكانها وقعوا تحت السيطرة الأنجليزية وأعفوا من دفع الضرائب ثم نزحوا إلى عدن.وهذه المنطقة إذا وقع إصلاحها من جديد وإعفاء أهلها من دفع الضرائب لمدة سنتين كما فعل الأنجليز من قبل فإن من هاجر من أهلها إلى عدن سوف يعود مرة ثانية إليها.

٩- كما هو معلوم فإن البصرة مكان استراتيجي من حيث الموقع، ولهذا السبب فإن إنجلترا وفرنسا ودولا أخرى تعمل على استعراض قوتها في سواحلها من خلال سفنها الحربية. ونظرا إلى هذه الأهمية فإنه ينبغي توفير أسطول متكون من فرقة خفيفة يرابط باستمرار في المنطقة حتى يرفع علم الدولة العثمانية ويحمي جزيرة العرب من القصير على السواحل المصرية إلى سواحل البصرة من أطماع الدول الأجنبية. (الأرشيف العثماني، İMM ١٦٦١، لف: ٥).

(٤١٣) الوثيقة نفسها.

يتضح أن الباب العالي أحس بضرورة إعادة النظر في سياسته في شبه الجزيرة العربية. ورغم معارضة إنجلترا فإن رفع العلم العثماني على الأبنية والسفن الكويتية يدل على أن هناك تغييرا في السياسة الخارجية للدولة العثمانية التي كانت تتبعها منذ زمن طويل. ومن الإشارات الأخرى على هذا التغيير قدوم سيد فاضل أفندي[٤١٤]، وهو متصوف من أشراف حضرموت إلى استانبول في أكتوبر عام ١٨٧٠، طالبا من الدولة العثمانية إرسال بعض القطع البحرية وعدد من العساكر إلى شحر والمكلا على ساحل حضرموت لإستعادتهما من أيدي شيوخ آل يافع، ويعد طلبه هذا دليلا على ولائه للعثمانيين. وفي هذا الموضوع شكل الباب العالي لجنة، وتبين أن علاقة الدولة العثمانية بمشايخ تلك المنطقة وأمرائها أصبحت ضعيفة بسبب عدم اهتمامها بتلك النواحي منذ زمن بعيد، وطالبت هذه اللجنة باتخاذ الإجراءات اللازمة لأن هذا الأمر يمكن أن يسبب أضرارا بالغة للدولة. وحتى لا تترك هذه اللجنة الأمر للمصادفات فقد قررت أولا البحث في الموضوع بشكل جذري ثم إرسال قوات بعد ذلك[٤١٥] وإذا كانت الدولة العثمانية قد غفلت لمدة طويلة عن المنطقة فإن إرسالها لسفينة حربية أكد حقوقها في هذه الجهات[٤١٦]

إن فتح قناة السويس مكن الدولة العثمانية من تقوية نفوذها في شبه الجزيرة العربية. كما أن الباب العالي بعث إلى اليمن رسالة يتضح من خلالها أن علاقة الدولة العثمانية بالعربان والقبائل العربية الموجودة في سواحل المحيط الهندي والبحر الأحمر والتي تشكل شبه الجزيرة العربية قد ساءت منذ مدة وأن ولاءهم

---

(٤١٤) للمزيد من المعلومات حول علاقة سيد فاضل بالدولة العثمانية أنظر: Ş. Tufan Buzpınar, "Abdülhamid II and Sayyid Fadl Pasha of Hadramavt an Arab Dignitary's Ambitions (1876-1900)", *Osmanlı Araştırmaları* XIII, İstanbul 1993, p. 227- 239.

(٤١٥) الأرشيف العثماني، دفاتر العينيات ٨٧١، ص. ١٣٩- ١٤٠.

(٤١٦) جاء في المراسلة التي وردت إلى نظارة المالية من الصدارة في ١٠ يناير ١٨٧١ مايلي: "قدم سيد فاضل وهو من أشراف حضرموت الواقعة في جزيرة العرب إلى دار السعادة وطلب من السلطنة العلية أن تبسط يدها على تلك المناطق وإرسال السفن الهمايونية إلى سواحل تلك النواحي، وتم منحه عطية مقدارها خمسون ألف غروش." (الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ١٠٩٩، ص. ٣).

للدولة قد ضعف. كما تم التأكيد فيها على أن السبب في ذلك هو ضعف ترسانة البصرة وعدم القدرة على مراقبة هذه المنطقة بشكل مستمر من قبل مركز الدولة في استانبول، وأكدت الرسالة أيضا على الأهمية الاستراتيجية لهذه المنطقة بالنسبة إلى الدولة العثمانية. ومن جانب آخر بينت الرسالة أن لجوء بعض الشيوخ إلى الأجانب يعود إلى أسباب مختلفة. وتم توضيح أن فتح قناة السويس سوف يمهد سبيل الوصول بسهولة إلى هذه المناطق، وإصلاح ترسانة البصرة، وإنشاء ميناء في ساحل البحر الأحمر، وإظهار سيادة الدولة العثمانية ونفوذها في ساحل شبه الجزيرة العربية وتقوية روابط الدولة مع شيوخ هذه المناطق ورؤسائها؛ ولتحقيق هذه الأهداف تقرر إرسال أسطول يضم مجموعة من السفن الحربية[٤١٧].

والحقيقة أن الفوضى التي كانت تعم أوروبا لم تمكنها من إرسال أساطيل إلى المنطقة، وفي الوقت نفسه فقد بدأت مساعي الدولة العثمانية من أجل إصلاح ترسانة البصرة وتطبيق الإصلاحات التي سبق الحديث عنها.

وكما يلاحظ، فإن الأحقية التي تطالب بها الدولة العثمانية في السيادة على الإمارات الخليجية تنبع من الجانب التاريخي، وهذه الإمارات أغلبها سنيّ. وبالفعل فقد شرعت الدولة في اتخاذ جملة من الإجراءات الفعلية إلى جانب العمل على تكوين قناعة فكرية بهذا الخصوص. ولم يبق سوى إقدام الدولة على تنفيذ خطوات شجاعة والتخلص من العجز الذي كان سائدا قبل تلك الفترة. وليس هناك من هو مؤهل لهذا الأمر مثل مدحت باشا. ذلك أنه رجل متمرس تمكن من كسب ثقة المركز، كما كان مخلصا في عملية السعي من أجل بسط سيادة الدولة العثمانية في المنطقة، وكان لونجريج يقول "إنّ الطاقة التي تحرك الباشا في الإخلاص لوطنه أكبر من الطاقة التي تحركه لكسب العلم"[٤١٨]. وكان الباشا ينتظر الفرصة السانحة

(٤١٧) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٧٤، ص. ١.

(٤١٨) Longringg, *Modern Iraq*, p.298.

حتى يبرز هذه الطاقة. وربما يكون عثر على ضالته في الخلاف الذي احتد بين عبد الله بن فيصل قائمقام نجد وأخيه سعود(٤١٩).

بدأ سعود في معارضة أخيه عبد الله بينما كان والده لا يزال على قيد الحياة بعد. وقد زعم "بالغراف" أثناء زيارته إلى الرياض أن عبد الله طلب منه أن يوفر له السم بهدف قتل أخيه سعود(٤٢٠). وبالرغم من صعوبة معرفة مدى صحة هذا الادعاء، فإن هذا الأمر يكشف أن هناك صراعا حقيقيا بينهما. فقبل أن يموت فيصل بن تركي قسم إدارة نجد بين أبنائه، ووفقا لذلك أصبح محمد أميرا للأجزاء الشمالية من نجد، وعُين سعود أميرا على منطقة الخرج والأفلاج، وكلف عبد الله وأخوه عبد الرحمن معا بالإشراف على منطقة الرياض. وفي الوقت نفسه أوصى والدهم بأن يخلفه ابنه عبد الله عند وفاته. وتمّ الأمر على هذا النحو. وقد رفض سعود هذا الوضع، وبدأ مع مجموعة من أتباعه في االتحرك من أجل الاستيلاء على الإمارة. غير أن تعيين عبد الله قائمقاما على نجد من قبل الدولة العثمانية جعل سعود في وضع صعب، ولذلك فقد واصل معارضته مستعينا بأتباعه من البدو الذين يقولون إنهم يحبونه أكثر من أخيه. وفي إحدى المناسبات تمكن من الاستيلاء على الأحساء والقطيف، ومنع الحجاج والزوار الإيرانيين من العبور من تلك المنطقة(٤٢١). وحتى يجمع سعود حوله مزيدا من المؤيدين والأنصار في مواجهة أخيه عبد الله اتصل بشيخ عسير محمد بن عايض الذي كانت علاقته بالدولة العثمانية تشوبها الخلافات، غير أنه لم يجد عنده أذنا صاغية. وإثر ذلك استعان بعشائر آل مرة وآل شمر في نجران، فأمدته فئات منهم ببعض المساعدات العسكرية والمادية، فأغار على أخيه عبد الله، غير أنه انهزم فرجع من حيث أتى(٤٢٢).

---

(٤١٩) *Memorial*, p. 245.

(٤٢٠) *Explorers of Arabia*.. p.186-187.

(٤٢١) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٥١، ص. ٣٥.

(٤٢٢) قاسم، *المصدر السابق*، ص. ١٧٧.

واتصل سعود بعد ذلك بشيوخ البحرين وقطر لطلب المساعدة، واستفاد بشكل كبير من الصراعات الداخلية القائمة ومن النفوذ الإنجليزي فحصل على دعم كبير. كما أن سعود لقي شيئا من الدعم من بعض فئات الشيعة الموجودين في عشائر عجمان الموجودة في الأحساء والتي كانت إلى حد ما تنفر من الوهابيين وترى أن سعود أفضل حالا بالنسبة إليهم بالقياس إلى أخيه.

وفي الوقت الذي كانت فيه المساعي متواصلة قدم مدحت باشا تقريرا إلى الباب العالي بتاريخ فبراير عام ١٨٧٠ عن الوضع في المنطقة جاء فيه مايلي: مايزال الإنجليز ومنذ مدة يواصلون تدخلاتهم في البحرين التابعة لنجد، كما استطاعوا خداع عزّان إمام مسقط، وقبل ذلك جاؤوا إلى البحرين وعرضوا على شيخ البحرين السابق محمد بن خليفة وشيخها الجديد محمد بن عبد الله أن يكونا تابعين لهم إلا أنهم لم يحصلوا على رد إيجابي، لذا قام الإنجليز باعتقال الشيخين وإرسالهما إلى بومباي وتنصيب شخص آخر موال لهم يدعى عيسى. وبسبب الصراع على إمارة نجد وبسبب تعيين عبدالله قائمقام على نجد لجأ أخوه سعود إلى أنصاره في مسقط واتفق مع عزّان حليف الإنجليز وخصم عبد الله. وحاول عبد الله من جانبه الانتقام من خصومه، وهذا ما فتح الطريق أمام القوى الأجنبية للتدخل في المنطقة. وفي هذه الأثناء طلبت الدولة العثمانية من قائمقام الكويت الذي دخل في حماية العثمانيين قبل فترة أن يزودها بمعلومات عن طبيعة هذا الصراع. وحسب المعلومات التي وردت عنه فإن عبد الله اتجه نحو مسقط مع جمع غفير ولكنه لم يتجاسر على التقدم أكثر وأضطر للتراجع إلى الأحساء. أما أخوه سعود وحليفه عزان فقد حصلا على دعم الإنجليز وشرعا في مواجهته، ولهذا الغرض أرسلت إلى سواحل الأحساء ست قطع بحرية انجليزية[٤٢٣]

---

(٤٢٣) الأرشيف العثماني،(١٦٧٧ İMM)، لف: ٦.

وبعد أن كتب مدحت باشا هذه الملاحظات يتضح التالي: إن الدولة العثمانية لم تعر اهتماما للصراعات التي كانت تقوم بين القبائل في أماكن صحراوية معزولة، إذ أن الإنجليز بعد أن بسطوا نفوذهم على مسقط والبحرين كانوا يهدفون بشكل خاص إلى الاستيلاء على الأحساء والقطيف وفصلهما عن نجد، ويضيف أن هذا واضح ومفهوم من خلال تصرفاتهم. وإلى جانب ذلك ينبه إلى أن الاستيلاء على هذه المناطق لا يبقي أية أهمية لنجد الواقعة في الصحراء، ويقود إلى مخاطر أكبر وإلى توسعات جديدة. وكان مدحت باشا يشتكي من أنه ليس هناك تعليمات لاتخاذ تدابير في مواجهة تحركات الإنجليز، وأن الولاية اكتفت بمشاهدة الأحداث. وحذر من أنه إذا حدث تغيير بهذا الشكل في القطيف والأحساء فمن الطبيعي أن تكون الكويت أيضا مهددة بالمصير نفسه. وذكر مدحت باشا بأن الكويت شهدت مجموعة من الاصلاحات الادارية، وأن هناك توصيات لقائمقام نجد عبد الله لكي يتخلى عن عداوته وذلك عن طريق أمراء عشائر منتفك، وأن هناك جهودا تبذل بواسطة الوسطاء أنفسهم لإقناع أخيه سعود المعارض له من أجل استقدامه، بيد أن هذه التدابير تبقى مؤقته وغير كافية، وهو يأمل في اتخاذ إجراءات أخرى أكثر حزما بعد ورود التعليمات اللازمة بهذا الشأن من الحكومة العثمانية(٤٢٤).

ويفهم من العريضة التي أرسلها مدحت باشا أنه يعتقد صعوبة الحد من تحركات سعود، ولا يمكن كذلك نشر الأمن في نجد ما لم يتم إرسال عساكر إلى المنطقة. ولهذا السبب فإن الباشا سعى جهده حتى تمكن من أخذ الموافقة من الباب العالي. ومن أجل الاطلاع على أوضاع هذه النواحي فقد اختار مجموعة من موظفي بغداد وأرسلهم عبر سفينة "آسور" إلى كلّ من القطيف والأحساء والبحرين ومسقط، والحقيقة أنه كان لابد

---

(٤٢٤) الوثيقة نفسها.

من القيام بعملية تجسّسية كهذه. فقد بقيت أوضاع هذه المناطق مجهولة، بل إن أسماء البعض منها ظلت غير معروفة بسبب عدم إرسال العساكر(٤٢٥).

وفي بداية أكتوبر عام ١٨٧٠ وصلت هذه الهيئة إلى القطيف على متن سفينة "آسور" والتي كانت متوجهة إلى الهند لغرض التجارة. وفي أواسط ديسمبر من العام نفسه عادت إلى البصرة، وتم عرض تقرير مفصل على والي بغداد بشأن الأوضاع في المنطقة.

والتقت الهيئة المذكورة في القطيف والبحرين وقطر ومسقط بعدد كبير من الشيوخ، وحاولت فهم الاوضاع هناك بشكل جيد. ووفقا لما تم التوصل إليه من معلومات فإن الإنجليز أشعلوا نار العداوة بين جميع شيوخ المنطقة، ومن أبرز ما حصل مثلا أن الإنجليز أرسلوا عساكر إلى مسقط والبحرين وغيروا شيخيهما. وهاتان الجزيرتان كانتا مرتبطتين ولو اسميا بنجد وتدفعان لها الضرائب. وتم إلقاء القبض على شيخ البحرين السابق مع أسرته ونفي إلى بومباي، وعين مكانه الشيخ عيسى وهو من الموالين للإنجليز، وحثوه على التوقف عن إعطاء الضرائب التي كانت تدفع لنجد. كما أن الإنجليز قدموا جميع أنواع الدعم لسعود لحثه على الوقوف في وجه أخيه عبد الله بن فيصل. ومن جانب آخر تم إقناع شيخي مسقط والبحرين للتيقظ تحسباً أن عبد الله يستعد للهجوم على هذه المناطق(٤٢٦). وعودة إلى موضوع التقرير، فأثناء وجود سفينة "عسير" في مياه خليج البصرة تم محاصرة القطيف بحوالي أربعين سفينة حربية وإيقاف السفن الكويتية في الميناء ومنعها من التحرك. وعندما حمل الموظفون العثمانيون المسؤولية للأنجلير في القيام بهذه الأعمال رد الإنجليز بأنه ليس لديهم علم بالموضوع. وجاء في اللائحة التي قدمها مدحت باشا إلى الباب العالى إثر ذلك التقرير في تعليقه على هذه الأحداث "إنه ليس بإمكان العرب وحدهم فرض حصار على بلاد ما واتباع أسلوب

---

(٤٢٥) أنظر: Midhat Paşa, p. 107

(٤٢٦) الأرشيف العثماني، (*İMM* 1667) ، لف: ٩.

مثل هذا من أجل قطع الطرق التجارية لتلك البلاد". والحقيقة أنه في تلك الاثناء كانت هناك سفينة انجليزية موجودة باستمرار في البحرين، وكان العرب الذين يضربون حصارا على المنطقة لا يفتحون الطريق إلا بمشاورة "دونيك" قائد السفينة الإنجليزية، وهذا دليل على أن هذه الأعمال هي من تدبير الإنجليز(٤٢٧).

وإثر هذه النشاطات التجسسية التي استمرت لأكثر من شهر تم جمع كمية كبيرة من المعلومات بشأن شيوخ المنطقة وبشكل خاص حول سعود وأسلحته وقواته والسفن التابعة له في الساحل والأماكن التي يرسل إليها عساكره والطرق التي يسلكها في اتجاه المناطق الداخلية(٤٢٨).

كان سعود أكثر ذكاءً من أخيه عبد الله، وكان أيضا يتمتع بحظوة بين قبائل نجد لأن أمه بدوية. ومن جانب آخر فلم يكن مناصرا للوهابية مثل أخيه وبالتالي فبإمكانه جمع أنصار بسهولة من بين القبائل المعارضة للوهابية. وبفضل النفوذ الذي يتمتع به بين قبائل نجد والدعم المادي والمعنوي من جانب الإنجليز فقد ازدادت قوته أكثر فأكثر. وذكرت الهيئة الاستخباراتية عند عودتها أن سعود عقد اتفاقا مع كل من أهالي القطيف وشيخ البحرين وذلك من أجل القضاء على أخيه عبد الله. وقد تم التثبت من هذه المعلومات وتأكيدها بعد فترة قصيرة. وذكر مدحت باشا في برقية أرسلها إلى استانبول بتاريخ ٢١ يناير ١٨٧١ أن سعود خصم عبد الله وأخيه قام بجمع عدد من العساكر من نواحي مسقط، وبمساعدة الإنجليز استولى على القطيف والأحساء وبعض المناطق الأخرى الموجودة على خليج البصرة. وأرسل عبد الله بن فيصل جيشا بقيادة أخيه محمد إلا أنه هزم وفَقَدَ أكثر من أربعمائة من جنوده(٤٢٩)، حتى إن أخاه محمد أسر من قبل سعود، وأرسل إلى

---

(٤٢٧) *الوثيقة نفسها*، لف: ١.

Midhat Paşa, p. 108. (٤٢٨)

(٤٢٩) الأرشيف العثماني، (*İMM* 1667) ، لف: ٣.

الدمام وحبس هناك[٤٣٠] وإثر ذلك جهز عبد الله بنفسه حملة على أخيه، إلا أنه انهزم بدوره، ولاحقه أخوه سعود، ففر من الرياض ولجأ إلى الأنحاء الشمالية من نجد (جبل شمر) واختفى هناك[٤٣١] وطلب عبد الله المساعدة من أمير جبل شمر، إلا أنه لم يسعفه بالمساعدة، وربما كان ذلك بسبب العداوة القديمة التي كانت بينهما، كما أن أمير جبل شمر لم يستطع أن يحول دون الاعتراف بسعود باعتبار أنه أميرا لنجد. وإضافة إلى ذلك فإن بعض قبائل نجد التي تحالفت مع أمير جبل شمر وقفت إلى جانب سعود[٤٣٢]، وعلى هذا النحو فإن إدارة نجد قد انتقلت إلى سعود[٤٣٣]، فقد ذكر مدحت باشا في برقيته السالفة الذكر أنه إذا لم يتم نزع هذه المنطقة من يد سعود من خلال إرسال العساكر إليها فإن الوضع فيها سوف يصبح أخطر من المسألة اليمنية[٤٣٤].

وبعد يوم واحد لفت مدحت باشا الانتباه إلى الأمور التالية بعد أن طلب منه الباب العالي تقديم معلومات عن سعود: إن الإنجليز يقدمون الدعم إلى سعود، وباستثناء البحرين فإن دعمهم الفعلي ليس معلنا، ولكن من المؤكد أن دعمهم له يتمثل في تقديم المال والسلاح والخطط. وأكد أنه لابد من إرسال عساكر إلى نواحي القطيف، ودعم أنصار عبد الله وطرد أعدائه وخصومه من منطقة الأحساء، وبذلك يمكن إعادة الهدوء والأمن إلى المنطقة. وبين مدحت باشا أن هذه الإجراءات لا يمكن تنفيذها إلا عبر البحر. وفي الرسائل واللوائح التي تتجاوز العشرة والتي كتبها بشأن ترسانة البصرة بين أنه اعتمد في معلوماته على الحوادث التي حصلت في عمان وشبه الجزيرة العربية. ويذكر الباشا أن الجيش الموجود

---

(٤٣٠) لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٦٧٨.

(٤٣١) *الوثيقة نفسها*.

(٤٣٢) كلي، *المصدر السابق*، ص. ٥٨٣.

(٤٣٣) *Memorial*, p. 247.

(٤٣٤) الأرشيف العثماني، (*İMM* 16679)، لف: ٣.

الآن في بغداد لا يمكن فرز قسم من جنوده لهذه المهمة، غير أنه يمكن تنفيذ هذه العملية باستدعاء قسم من العساكر النظامية الموجودة في حلب والدير، وعندما يتم توفير طابورين من العساكر من طريق الفرات فإنه سوف يتم تجهيز خمسة طوابير عسكرية بمعداتها وإرسالها من بغداد. أما في مسألة نقل الجنود فيقول الباشا إن سفينة بورصة الخربة وسفينة نينوى – المشتراة من لندن ولا زالت في الطريق – لن تستطيعا القيام بتلك المهمة نظراً لضخامة حجمهما وصعوبة اقترابهما من تلك السواحل، ثم يذكر أن هناك حاجة إلى عدة سفن لهذا العمل من سفن الغنبوط في مجموعة سفن (شوكت نما) و (سينه)، أي لسفن القرصنة الصغيرة، وذلك عدا السفن الشراعية التي يمكن تأجيرها. وأضاف مدحت باشا أن مثل هذه الحملة لن تأتي بفائدة من حاكم " جبل شمر"، غير أن الفائدة قد تحصل حسب رأيه من جلب عبد الله قائمقام نجد مع عساكره، ثم اختيار واحد من بين عشائر "منتفك" بسبب مالهم من السيطرة والنفوذ في تلك المناطق[٤٣٥].

وفي هذه الأثناء لم يقف سعود مكتوف اليدين، وكما ذُكر من قبل فبعد أن ضم إلى تحالفه ابن الرشيد أمير جبل شمر قام بتهريب عبد الله من المنطقة التي احتمى بها في القصيم. ويفهم من برقية أخرى وردت من بغداد في ١٦ مارس عام ١٨٧١ أنه عمل على استمالة بعض العربان والعشائر الموجودة في أنحاء العراق[٤٣٦]. وكان مدحت باشا يواصل اتصالاته مع الباب العالي من ناحية، وقام من ناحية أخرى بإرسال رسالة إلى عبد الله بن فيصل في أوائل فبراير من العام نفسه بهدف حثه وتشجيعه على التخلص من وضعه السئ في قلب الصحراء. وبهذه الرسالة قام عبد الله بجلب بعض العشائر مثل عنزة وشكل قوة منهم. وفي ١٨ مارس أبلغ والي بغداد استانبول أن عبد الله أرسل مبعوثا عنه إلى بغداد للحصول على

---

(٤٣٥) *الوثيقة نفسها*، لف: ٤ .

(٤٣٦) *الوثيقة نفسها*، لف: ٥.

المساعدات[٤٣٧]. وفي برقية أخرى أرسلها مدحت باشا في ٢٢ مارس أبلغ أن مبعوث عبد الله وصل إلى بغداد وأنه طلب المساعدة من أجل مقاتلة أخيه الذي يعتبره عدواً، ولخص في البرقية نفسها الخطط العسكرية التي سوف ينفذها في المنطقة وبعد أن ذكر أنه سوف يرسل تفاصيلها عبر البريد أفصح عن هدفه الأساسي بما يلي: "إذا كان لتلك المناطق من خلاص بقوة الدولة ومعونتها فإن تشكيل متصرفية في منتفك مثلاً يتيح الاستفادة مالياً من القطيف والأحساء اللتين تبلغ وارداتهما وحدهما مائتي ألف ريال"[٤٣٨].

ومثلما يلاحظ، فإذا كان عبد الله هو الذي طلب المساعدات من والي بغداد قبل حملة الأحساء فإن الذي أعد طلب هذه المساعدة أثناء الحملة هو أيضا مدحت باشا، ذلك أنه منذ البداية هو الذي حمل هم اظهار قوة الدولة وهيبتها. وكان الباشا يعتقد أن العرب أشد ارتباطا بالدولة العثمانية أكثر من غيرهم وذلك بمقتضى الواجب الإسلامي، ولكن مع الأسف فإنهم لم يلقوا منها الحماية ماديا ومعنويا. ولهذا السبب فإن الإنجليز بعد نزولهم إلى المحيط الهندي ركزوا اهتمامهم على الخليج، ومن أجل تقوية نفوذهم في معابر السفن أجبروا سكان سواحل الخليج على التعامل معهم مستخدمين في ذلك شتى الذرائع. بالإضافة إلى ذلك فإن الإنجليز خصصوا نفقات كبيرة للمنطقة ونشروا فيها عددا من البواخر والسفن، وفي مقابل ذلك فإن الدولة العثمانية رفعت يدها عن المنطقة منذ مدة طويلة. ويذكر مدحت باشا أن هذا هو ماجعل بعض العشائر والقبائل تستنجد بالأجانب لطلب الحماية، ويؤكد على ضرورة أن تعيد الدولة نفوذها في المنطقة من جديد[٤٣٩].

---

(٤٣٧) *الوثيقة نفسها*، لف: ٦ .

(٤٣٨) *الوثيقة نفسها*، لف: ٧ .

(٤٣٩) *الوثيقة نفسها*، لف: ١.

٢- الإعداد لحملة الأحساء وأصداؤه

وكان مدحت باشا كما مر سابقاً على قناعة بأن سعود يتلقى دعما ماليا وفعليا من الإنجليز، وفي حالة استيلائه على منطقة نجد فإن ذلك سوف يؤكد الحماية التي يتمتع بها من وراء الستار. وهكذا فإن جميع سواحل نجد وحتى شط العرب سوف تنزع من أيدي العثمانيين، وفي حالة استيلاء الإنجليز على المناطق الواقعة بين البصرة ومسقط، فإن ذلك يعني وقوع خليج البصرة وحتى مستقبل العراق كله في خطر كبير(٤٤٠). ولهذا السبب فقد تم إعداد مايلزم من البنية التحتية من أجل القيام بحملة عسكرية على المنطقة، وحتى في حالة حدوث تدخل أجنبي فقد تم تأمين مساعدات لعبد الله بن فيصل من الدولة العثمانية. وكثف مدحت باشا من إرسال البرقيات إلى الباب العالي وذلك من أجل الحصول على الإذن قبل وقت كاف من شن هذه الحملة، وإضافة إلى ذلك فقد بين في الرسائل التي أرسلها عبر البريد خطة الحملة على النحو التالي:

إن مناطق القطيف والأحساء وجواريها الموجودة في خليج البصرة والتي استولى عليها سعود بن فيصل تقع على مسافة ٣٤٠ ميلا من البصرة. وفي هذه المناطق يجتمع عدد من المتمردين القادمين من بعض العشائر والعربان، وهم يملكون بعض المدافع في قلاعهم. ولهذا السبب فإن الوحدات العسكرية التي سوف يتم إرسالها يجب أن تكون قوية، ويجب نقل جميع مستلزماتها عبر البحر. ومن جانب آخر فقد تم زيادة عدد الجنود في الجيش السادس في بغداد من ٩٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠ فرد إثر الاصلاحات التي تم إدخالها هذا العام، ومن جملة الطوابير الستة عشرة فإن قسما صغيرا منها فقط لم يشارك في تأديب العشائر والعربان المتمردين في العراق. حتى إن من بينها ما شارك في هذه العمليات ست أو سبع مرات في سنة واحدة. لذا يصعب تخصيص ستة أو سبعة طوابير من الجيش السادس. وبعد

---

(٤٤٠) Midhat Paşa, p. 107.

هذا التوضيح يقترح مدحت باشا ما يلي: في حالة ارتفاع المياه في نهر الفرات وأصبح بالإمكان تحرك السفن عبره، وتم التعهد بإرسال قسم من العساكر الموجودين في حلب والدير إلى بغداد، فإنه يمكن القيام بهذه الحملة، وذلك بإرسال التالي من بغداد: ثلاثة طوابير من الطلائع وطابورين من المشاة ومائة من الفرسان النظامية وعدد من الضبطية يقودها قائد محنك. وحسب تصور مدحت باشا وخطته فإن هذه العساكر سوف يتم نشرها في المناطق الخالية التي تبعد عن القطيف مسافة خمس إلى ست ساعات. ومن أجل تحقيق ذلك فإن هناك مستلزمات وأمتعة يتعين نقلها عن طريق القوارب والدواب، كما يتعين إرسال ما قدره ٣٠٠ من البغال التابع للدولة مع العساكر. والهدف من هذه العملية هو تقديم المساعدة لعبد الله بن فيصل، ويذكر الباشا أنه سوف يتم مراسلة هذا الرجل قبل مدة من الزمن حتى يأتي بما معه من رجال والمشاركة في الفرقة العسكرية، وبين مدحت باشا أن مشاركة منصور بك أحد أمراء قبائل "منتفك" في هذه الفرقة العسكرية سوف يكون ذا فائدة كبيرة وذلك لما يحظى به من نفوذ وهيبة في المنطقة.

وفي هذه الأثناء، يعتقد أن الشيخ سليمان الزهير سوف يجمع مجموعة من رجاله من زبير ويشترك في هذه العمليات. وبين مدحت باشا أنه مقيد في جميع هذه الإجراءات بالإرادة السلطانية. كما تحدث أيضا عن أن الإنجليز يمكن أن يقفوا في وجه هذه الإجراءات ويعرقلوها، ولذلك ينبغي أن يُزَوَّدَ القائد الذي سوف يتم إرساله من قبل الحكومة بالتعليمات التي يجب اتباعها، وركز بصفة خاصة على هذا الموضوع[٤٤١].

ومثلما يلاحظ فإن مدحت باشا لم يكتف بالاقتراحات، بل عمل على متابعة أدق المسائل المتعلقة بالعمليات العسكرية ثم طلب الإذن من أجل تنفيذ مخططاته. كما

---

(٤٤١) الأرشيف العثماني، (*İMM*1667)، لف:١.

أن الصدارة العظمى عرضت على المابين الهمايوني بتاريخ ٢٤ مارس عريضة توضّح فيها جميع مطالب الباشا ومخططاته.

أما ما أعلنه سعود ضد أخيه من نشاط معاد له فهو ليس مجرد معارضة وعداوة نابعين من العادات البدوية، فقد تبين من التحقيقات التي تم إجراؤها أن الهدف الأساس لسعود هو الاستيلاء على نجد وما جاورها بعد التخلص من أخيه، ثم الاستيلاء بعد ذلك على كامل العراق، وأخيرا إعلان العصيان ضد الدولة. وبسبب اتساع المنطقة، إذ تمتد من ناحية إلى المدينة ومن ناحية ثانية إلى العراق والجزيرة العربية (عربستان)، فإن مثل هذه النشاطات سوف تتسبب في خسائر كبيرة، ولذلك فإنه يتوجب إبعاد سعود أولا عن المنطقة وإحلال عبد الله في مكانه. وقد كان يمكن حل هذه المسألة من خلال تطبيق الإجراءات التي اتخذتها ولاية بغداد. وتحسبا للاعتراضات التي يمكن أن تصدر عن الإنجليز فقد صدر التقييم التالي عن الصدارة العظمى: ليس من حق إنجلترا من وجهة القانون الدولي الاعتراض على تدخلات الدولة في أملاكها الخاصة. وفي العريضة التي قدمتها الصدارة إلى المابين تأكيد على أنه إذا لم تتخذ التدابير الضرورية في المنطقة فيمكن أن تسفر عن نتائج وخيمة، كما أن بعض العربان يمكن أن يطلبوا الحماية من الإنجليز، وهذا هو ماعبر عنه أيضا من قبل مدحت باشا. ومن أجل تطبيق الإجراءات التي إرتآها مدحت باشا طلب مقام الصدارة تقدير الدعم اللازم إليه وإعلام مكة المكرمة وجدة بطبيعة الوضع القائم في المنطقة. وبعد يوم واحد أعلم السلطان الصدارة بالإذن الذي منحه لمدحت باشا لتنفيذ الإجراءات التي ينوي القيام بها[٤٤٢].

ويفهم أن الإرادة السلطانية في هذا الموضوع والتعليمات التي سوف تعطى للقائد الذي سوف يقود الحملة، قد تم إبلاغها إلى بغداد في برقية مشفرة. وفي برقية مشفرة أخرى أرسلها مدحت باشا بتاريخ ٢٦ مارس إلى الصدارة ذكر فيها أن الاستعدادات التي تم الحديث عنها سابقا قد اكتملت، وذكر أنه بعد شهر أبريل

---

(٤٤٢) *الوثيقة نفسها*، لف: ٩.

سوف يتم إرسال أربعة طوابير كاملة وعدد من الفرسان والضبطية بقيادة الفريق نافذ باشا[٤٤٣].

توجس الإنجليز شكوكا من النشاطات التي يقوم بها مدحت باشا منذ البداية، ولذلك كانوا يتابعون من جانبهم كل هذه التطورات السابقة. وكان مدحت باشا يحيط الباب العالي علما بالأحداث من ناحية، ومن ناحية ثانية كان يجري استطلاعات سرية كبيرة وتحريات مهمة في المنطقة، وفي هذه الأثناء أعلم الخديوي إسماعيل باشا السفير الإنجليزي في مصر أرجيل(Argyil) ، أن الباب العالي ينوي القيام بتحركات عسكرية في خليج البصرة. فقام السفير بإبلاغ الخارجية الإنجليزية[٤٤٤] بالأمر في ٢٠ يناير ١٨٧١، وإثر ذلك أصبح كل ما يفعله مدحت باشا تحت المجهر. وحسب ماقام به كللي من أبحاث اعتماداً على الوثائق الإنجليزية فإن وزير الخارجية الإنجليزي وباقتراح من أرجيل أصدر الأوامر إلى قنصله في استانبول السير هنري أليوت(Sir Henry Elliot) للتأكد مما قاله الخديوي إسماعيل. وبالشكل نفسه طلبت الحكومة الإنجليزية في الهند من قنصلها في بغداد هربرت (Herbert) مجموعة من المعلومات. ووفقا لما جاء من الطرفين فقد تبين أن هذه الأخبار لا أصل لها من الصحة. حتى إن هربرت أعلم حكومته أنه لم يشاهد أي استعدادات في بغداد، ولكن هناك شائعات تدور حول إرسال أربعة سفن تركية إلى الخليج في وقت قريب. وقد طلب السير أليوت في فبراير ١٨٧١ من الباب العالي تزويده بمعلومات حول هذا الموضوع، فجاء الرد بأنه ليس في نية الحكومة العثمانية إحتلال أي مكان في خليج البصرة. إلا أن قرار الحكومة العثمانية بمرابطة سفينتين في المنطقة الواقعة بين البحر الأحمر والخليج أثار شكوك الإنجليز بشكل كبير. وعندما علم هربرت بأن عبد الله بن فيصل الذي طلب

---

(٤٤٣) *الوثيقة نفسها*، لف: ٨.

(٤٤٤) كللي، *المصدر السابق*، ص. ٥٨٤؛ قاسم، *المصدر السابق*، ص. ١٨٠.

المساعدة من الحكومة قد أرسل رجلا عنه إلى بغداد ووصل إليها في ٢٢ مارس تبين له أن أفكاره السابقة لم تكن صحيحة. ولما استفسر هربرت حول هذا الموضوع من مدحت باشا أبلغه أنه يتصرف وفق ما جاءه من استانبول، ثم أوضح له الأمر التالي: كما هو معلوم فإن الحكومة العثمانية عينت عبد الله قائمقاما في نجد، ولما تمرد عليه أخوه تم إبعاده من وظيفته. وبالنسبة إلى الحكومة فإن هذا الأمر لا يمكن قبوله، كما لا يمكن رفض طلب المساعدة[٤٤٥] الذي ورد من قائمقام نجد[٤٤٦]. ولما علم هربرت بعدد القوات التي سوف يتم إرسالها في الحملة المزمع القيام بها صرح بأن هذا الوضع سوف يخلق حالة من عدم الاستقرار في بغداد، واجتهد في تأكيد أن هذا القرار غير سليم. غير أنه وبعد جملة من اللقاءات اضطر هربرت إلى الاعتراف لحكومته بأن مدحت باشا وبالتالي الباب العالي عاقدون العزم على إظهار نفوذهم في البحرين والقطيف وخليج البصرة وسواحله الجنوبية[٤٤٧]. ومثلما مر بنا من قبل فإن إنجلترا كانت تقوم منذ مدة بنشاطات في هذه المنطقة، وتتكر باستمرار نفوذ الدولة العثمانية فيها. فالإنجليز الذين تنبهوا إلى أن الدولة العثمانية مصرة على إنفاذ هذه الحملة كانوا يريدون أن يعرفوا الحدود التي سوف يتوقف عندها العثمانيون.

ولهذا الغرض طلب السفير الإنجليزي في استانبول في أبريل من عالي باشا أثناء اللقاء الذي أجراه معه معلومات مفصلة بشأن هذه الحملة. ومن جانبه كرر عالي باشا تقريبا الكلام نفسه الذي أبلغه مدحت باشا لهربرت، وأبلغه أيضا أن

---

(٤٤٥) يرى كللي أن ما قاله هربرت بشأن وظيفة عبد الله في القائمقامية ليس صحيحا، وحسب رأيه فإن عبد الله كان حاكما مستقلا، بيد أن التفاصيل التي تم بسطها تبين أن هذا الأمر لم يكن صحيحا وأن المعلومات التي أوردها القنصل الأنجليزي في بغداد كانت سليمة. ولم يبين كللي مصادر المعلومات التي حصل عليها، وربما كان ما قاله لوريمير من أن عبد الله قد تم تعيينه قائمقام بعد طلبه المساعدة وهو ما كان كافيا لتسيير حملة، وهذا الأمر هو الذي حمل كللي لتبني رأيه السابق (كللي، *المصدر السابق*، ص. ٥٨٦؛ لوريمير ، *المصدر السابق*، ص. ١٦٧٩).

(٤٤٦) كللي، *المصدر السابق*، ص. ٥٨٤–٥٨٥.

(٤٤٧) *المصدر السابق*، ص. ٥٨٦.

الحكومة لا تقف بشكل شخصي مع عبد الله، بل بالعكس تهدف إلى حل الخلاف بين الأخوين، وهي عاقدة العزم على بذل الجهود للوصول إلى هذه النتيجة. ولما صرح عالي باشا بأن الحكومة العثمانية لا تنوي القيام بتحركات في الخليج وبشكل خاص في البحرين وأنها تهدف إلى التأكيد على أن نفوذها في نجد أمر لا نقاش فيه، جعل الإنجليز يطمئنون إلى حد ما[٤٤٨]. إلا أن الحكومة الإنجليزية في الهند لم تكن مقتنعة بأن هذه الحملة سوف تقف عند حدود نجد، ورغم جميع هذه التطمينات فإنها لم تسترح. ولهذا السبب فإن أرجيل دخل في جهود متسارعة من أجل الحيلولة دون وقوع هذه الحملة، ولكن الوقت كان قد فات. وبناء على المعلومات التي حصلت عليها الحكومة الإنجليزية في الهند بتاريخ ١٧ أبريل من هربرت فإن الاستعدادات في بغداد لتسيير هذه الحملة قد انتهت، وإن العد التنازلي قد بدأ[٤٤٩]. ورغم كل هذا فقد حاول الإنجليز إجراء شتى المشاورات لمنع حملة الأحساء، غير أن جميع الطرق كانت مسدودة. وقد اقتنع الإنجليز قناعة كاملة أن هذه الحملة سوف تشمل السواحل ومنطقة نجد، ولذلك فإن جهودهم سوف تنصب مستقبلا على منع امتدادها إلى منطقة البحرين.

وبعد أن أرسل الباب العالي العساكر إلى اليمن لتنفيذ الاصلاحات عمل على تأمين حاجياتهم من جدة، وفي الوقت نفسه طلب إجراء بعض الترتيبات في المدينة وهي من أقرب المراكز الحكومية لنجد وذلك بهدف الإعداد لهذه الحملة الجديدة. وفي ١٨ أبريل تم تعيين قاسم باشا محافظ المدينة القديم قائمقاما على جدة، وتعيين المتقاعد خالد باشا صاحب الدراية بالمنطقة والذي عمل هناك منذ القديم محافظا على المدينة[٤٥٠]. وإثر هذه الترتيبات مباشرة تم في ١٩ أبريل إرسال الإذن الذي كان قد منح سابقا لمدحت باشا إلى بغداد من جديد، وتم إعلام نافذ باشا قائد الجيش

---

(٤٤٨) نقلا عن وثائق India Office ، *المصدر السابق*، ص. ٥٨٧- ٥٨٨.

(٤٤٩) *المصدر السابق*، ص. ٥٨٩- ٥٩١.

(٤٥٠) الأرشيف العثماني(*İMM* 1673).

بالتعليمات. وفي الخطاب نفسه حددت أسس السياسة التي سوف يتم اتباعها وكذلك طبيعة التحركات العسكرية، والترتيبات الضرورية التي يمكن أن يعمل بها عند الحاجة وذلك من خلال اتصال القائد بالولاية[٤٥١]. ووفقا لهذه التعليمات فسوف تخصص خمسة طوابير من الجيش السادس وتتحرك بقيادة نافذ باشا وتشترك مع الميرلواء حمدي باشا الموجود في بغداد. وإثر العملية العسكرية يتم إبقاء عدد كاف من العساكر في المنطقة وذلك للحفاظ على النظام العام.

ويبدو أن الصدارة لم تكتف بهذه التعليمات إذ شعرت أنه من اللازم إلحاقها بتعليمات أخرى في ٢٦ أبريل.

بينت الصدارة أنه "بالرغم من التعليمات التي أعطيت سابقا لنافذ باشا وتحسباً لما عليه أحوال أهالي منطقة نجد وأمزجتهم". فقد وجب التذكير ببعض الأمور الجديدة:

١- يتحرك القائد نافذ باشا بجنده من بغداد ويجمعهم في الفاوة، ومن هنا وبعد إرسال المهمات والذخيرة الموجودة في البصرة، يتوجهون مباشرة بواسطة السفن التي تم تخصيصها لهم إلى سواحل القطيف، وأما عبد الله بن فيصل الذي جمع العشائر، فينظر مجيء الجيش ليتحرك من الرياض وحفر العتك، كما ينتظر قائمقام الكويت مقدم الجيش أيضا لكي يتحرك من جهة البر والبحر. ولهذا السبب فإنه قبل تحرك الجيش من البصرة يتم إرسال مخبرين خاصين إليهما يعلمانهما بزمان تحرك الجيش واتجاهاته.

٢- أولا يقوم العسكر بالخروج إلى البر تحت حماية المدافع الموجودة على متن البواخر والانتشار في منطقة مناسبة مع تطبيق القواعد الحربية، ثم يجهزون الاستحكامات على الفور. وبعد ذلك يعمل العساكر المنتشرون على السيطرة على مكان مناسب والمحافظة عليه.

(٤٥١) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٥١، ص. ١٠٧-١٠٨.

٣- ووفقا للمعلومات الإستخباراتية فإن سعود لن يمكث في القطيف والأحساء بل سيفر وذلك بمجرد وصول الوحدات العسكرية. وفي هذه الحالة تقع ملاحقته عن طريق فرسان العشائر، وقبل القيام بالعمليات العسكرية يتم الاستيلاء على القطيف ثم الأحساء وسواحل قطر بشكل محدود، وفي هذه الأثناء توزع المنشورات الضرورية على المواطنين بشكل مناسب.

٤- وبعد إبعاد سعود سواء هربا أو بتقديم تنازلات، ينبغي التعامل بحذر شديد عند دخول القطيف والأحساء. ومن أجل عدم الإخلال بأمن العرب وخاصة بأهالي تلك المناطق يقضي الأمر بالحذر الشديد. وقبل الدخول إلى القطيف يعطى الأمان إلى شيوخ الأهالي ورؤسائهم عن طريق الشيوخ الذين يرافقون وحدات الجيش، ومن جانب آخر يدخل عدد كاف من العسكر إلى القطيف، ويتم أخذ شيوخها كرهائن دون إشعارهم بذلك حتى يتم استتباب الأمن فيها.

٥- وكما تم توضيح ذلك من قبل في التعليمات، فإنه إذا لم يكن من المناسب العبور إلى جزيرة البحرين، فإنه في هذه الحالة سواء فر سعود بمفرده أو مع رجاله إلى تلك الجهات فتتم مطاردته إلى الساحل ومنعه من التقدم إلى الأمام.

٦- وهدف هذه التحركات فضلاً عن تأمين الإدارة من جديد وإعطائها إلى عبد الله بن فيصل، هو بسط النفوذ على كامل المنطقة وإدارتها وتحويل منتفك إلى متصرفية وقائمقامية، وإنشاء ثكنة وإبقاء طابورين من العساكر في المنطقة إلى وقت مناسب. وقبل كل شيء يوضح هذا الأمر بجلاء إلى عبد الله بن فيصل، ويعطى تطمينات بأنه سوف يواصل العمل في وظيفته القديمة، وسوف يلبس هو والشيوخ أصحاب المكانة الرفيعة الخلعة. كما سوف يشرع على الفور في إنشاء ثكنة عسكرية في مكان قريب من الساحل تتوفر فيه المياه العذبة.

٧- وبعد انتهاء هذه العمليات يتم تحويل رتبة عبد الله من قائمقام إلى متصرف. ويقوم باختيار قائمقام لكل من القطيف والأحساء وقطر، وأما الأماكن الصغيرة فيعين على كل واحد منها مدير يحل محل الشيخ.

ولكن إذا تبين أن إحداث هذه الرتب الجديدة سوف يولد مخاوف بين العرب الساكنين في تلك المناطق، فيمكن تأجيل العمل بها حتى وقت مناسب.غير أنه في كل الحالات يتم الإبقاء على عبد الله في منصب القائمقام، ويقع إحداث منصب المدير والقائمقام بالنسبة إلى الأشخاص الآخرين في وقت لاحق. وإضافة إلى ذلك يجري اختيار نائب حنبلي في كل من القطيف والأحساء وقطر وإذا أمكن أيضا في الرياض والقصيم. ويعين بواسطة بيورلدي، وترسل أسماؤهم إلى الحكومة حتى تتم المعاملات المتعلقة بالمشيخة الإسلامية.

٨- تعهد عبد الله بن فيصل بدفع مقدار من نفقات العملية العسكرية التي سوف يقع القيام بها، ومن المستحسن أن يذكر المقدار الذي يمكن أن يشارك به. غير أنه لا يسمح له بأن يأخذ من أهالي القطيف والأحساء ولو قسما صغيرا، والمطلوب أن تكون هذه الأموال من ثروته الخاصة ويعلم بذلك الباب العالي.

٩- يمكن أن يثير دخول الوحدات العسكرية إلى المنطقة ذعرا بين الأهالي بسبب طبيعتهم البدوية، ومن أجل الحيلولة دون وقوع مثل هذه الحوادث سوف يتم اتخاذ التدابير اللازمة. فالعادة في مثل هذه الأوضاع أن تبادر القبائل والعشائر بنشر الأخبار حول أن هؤلاء القادمين سوف يغتصبون أموالهم ويفرضون عليهم الضرائب والرسومات ويجندون الناس في الخدمة العسكرية. وبالرغم من أن أهل الحضر من هولاء يدركون هذا فينبغي استدعاء الشيوخ والرؤساء وتقديم النصائح اللازمة لهم حتى لا تنتشر مثل هذه الأقاويل وتؤدي إلى شكل من أشكال الاضطرابات. وينبغي افهامهم أن هدف هولاء ليس جمع الأموال منهم وإنما المحافظة على حقوق الدولة

العثمانية ورعاياها. وإقناعهم أنه لن يؤخذ في الوقت الحاضر من أحد ضرائب أو رسومات أو ما شابه ذلك، وإنما سوف تؤخذ الزكاة الشرعية اللازمة عندما تكون أحوال الناس مناسبة، وهذه الزكاة سوف تعود لخدمة الأهالي. وليس هناك غير هذا أية ضرائب.

١٠- إذا تأكد الإبقاء على مجموعة من العساكر في المنطقة، فإن أهالي البحرين أيضا يمكن أن يطلبوا الحماية معبرين بذلك عن تبعيتهم للدولة، وهذا ما يفهم في الوقت الحاضر من خلال إظهار ميلهم نحو الدولة. بيد أنه وكما تم توضيح ذلك من قبل فإن وضع اليد على تلك المناطق يمكن أن يتسبب في جملة من المشاكل. وحتى في حالة ما إذا لجأ سعود ورجاله إلى البحرين فينبغي إعلان العفو عنهم لكي لا تشيع التفرقة بين الأهالي ثم يقع بعد ذلك إخراجهم من المنطقة بطرق مناسبة. كما أن سكان جزيرة البحرين، وبسبب رغبتهم في توفير الحماية لهم، يمكن أن يقوموا ببعض التدابير السرية التي تضمن لهم المطالبة بذلك مثل إرسال عرضحالات جماعية وممثلين عنهم. ولهذا السبب يتوجب ترك الأمر لحمدي باشا أحد أركان الوحدات العسكرية الذي يملك معرفة جيدة بالسياسة الخارجية. وهذه الإجراءات حساسة جدا في هذه المسألة، ولذا ينبغي الحذر التام من إثارة شكاوى الأجانب.

١١- لا تُعطي الدولة شيئا للفرسان التابعين للعشائر والمصاحبين للوحدات العسكرية، ولكن يمكن تخصيص علف لا يتجاوز مقدار ألف دابة يوميا لفرسان عنزة الذين ينتظرون في الجهة العليا (الشمالية) من الكويت وللفرسان القادمين من "مُنتفك".

١٢- إن أكثر الأعمال والإنجازات تأثيراً من جانب العساكر هناك هي بلا شك إبراز العدالة المادية والفعلية للسلطان. وكل واحد من الجند ينبغي أن يحسن معاملة الأهالي ويكون رحيما في علاقته معهم، ولا يبخس أحدا شيئا من

حقوقه. وإلى جانب إيلاء الاهتمام التام لهذه المسائل على القائد أن يحتاط في ما يتعلق بمؤن العساكر واحتياجاتهم فلا يأخذ منهم شيئا مجانا ولو كان على سبيل الهدية أو السُّلفة.

١٣- في حالة عدم وصول أي برقية يتم إرسال باخرة صغيرة على الأقل، مرة في الأسبوع، إلى مركز التلغرافات في "الفاو"، وكذلك إرسال مخبر خاصّ عبر البر من طريق الكويت بهدف استطلاع الاخبار.أما إذا كانت الحاجة ملحة لمخابرة ما، ولا توجد ولو باخرة صغيرة، ففي هذه الحالة يتم إرسال "باخرة بورصة" إلى الفاو أو إلى أقرب مكان وأسهله وهو "بندر بوشير"، ومن هناك يقع الإخبار عن طريق التلغراف. وإذا كان الطقس مناسبا لإبحار السفن الشراعية الصغيرة فيمكن أيضا استخدامها لهذا الغرض. ومهما يكن من أمر فلابد من الإبلاغ عن التطورات المستمرة في هذه المنطقة. كما أنه من المهم رسم خريطة الوحدات العسكرية في كل من القطيف والأحساء أثناء الفترة التي يوجدون فيها هناك، وكذلك على ضباط البحرية أن يقوموا بمسح المساحة المائية في تلك المنطقة وتسجيلها.

١٤- وبعد إنهاء هذه الأعمال على النحو المطلوب والتأهب للعودة يتم اختيار أحد الضباط الموجودين هناك وجعله على رأس طابورين عسكريين أحدهما طليعة والآخر مشاة، وذلك في الثكنة الجديدة التي سوف يتم إنشاؤها هناك. وعدا الدواب الخاصة بهؤلاء الجند يُترك مدفعان أو ثلاثة من نوع (قوال) و (ششخنه) وقدر من المؤنة والمال اللازم لإعاشتهم. وبالنسبة إلى "باخرة بورصة" فيقع الإبقاء عليها للعساكر المقيمين في هذا المكان. أما العساكر الذين سيعودون فتخصص لهم بواخر أخرى، ويقع نقل الأمتعة بواسطة القوارب. وإذا لم يوجد أي مانع يتم الإبقاء على قارب خرْجيك(؟) وباخرة ألوس الصغيرة.

١٥- إن تحركات القائد نافذ باشا سوف تظل ملتزمة بتعليمات السلطان في هذه الحالات وفي غيرها، وقد تم بيان ذلك في هذ المذكّرة. بيد أنه، ومثلما هو حاصل في جميع الأمور الأخرى فإنه أثناء التطبيق تظهر تفرعات كثيرة، وحل المشاكل التي تظهر في هذا الموضوع تبقى لتقدير القائد نفسه[٤٥٢].

إن ما نفهمه من التعليمات المذكورة، أن الدولة العثمانية عاقدة العزم على استعادة النفوذ الكامل الذي فقدته، منذ زمن بعيد، في كل من خليج البصرة ودواخل نجد. وفي هذا الاتجاه قررت إنشاء مؤسسات حكومية لم تكن موجودة من قبل، من أجل توفير القدرة على حماية نفوذها. ولعل هذا يكشف إلى أي مدى كانت المطالب التي تقدم بها مدحت باشا مؤثرة وفاعلة، كما إنها تبين المفاهيم الجديدة التي بدأت تظهر في الدولة في السنوات الأخيرة. وفي الوقت الذي يتم العمل فيه على تنفيذ هذه الإجراءات من أجل كسب ثقة الأهالي ورضاهم، كان ثمة حرص على عدم التدخل في موضوع البحرين، وذلك من أجل تجنب إثارة مشاكل ديبلوماسية حقيقية مع أنجلترا. وليس مستبعدا أن تكون التطمينات التي قدمها عالي باشا للسفير الإنجليزي في تلك الفترة من أجل تجنب أي مشكلة، كانت ثمرة لذلك الحرص المذكور. وبالنسبة إلى موضوع الضمانات، فهي تنص على أن الدولة العثمانية لن تقوم بأية عمليات بحرية في تلك المنطقة، ولم تكن على أساس أنه ليس للدولة حق الإدارة على منطقة البحرين. فعلى الرغم من أن الدولة العثمانية أبلغت أنجلترا عام ١٨٧٢ كتابيا وشفاهيا حقها في إدارة البحرين، فإنّ أنجلترا دأبت على القول خلال السنوات اللاحقة، وفي كل مناسبة بأن الدولة العثمانية أعطتها تطمينات بأنها لا تدعي أي أحقية على جزر البحرين. أما طرح الدولة العثمانية فهو أن البحرين، ومثلما هو الأمر منذ القديم، جزء لا يتجزأ من نجد[٤٥٣].

---

(٤٥٢) الأرشيف العثماني، (*İD* 44002)، لف: ١.

(٤٥٣) للاطلاع على مسودة التقرير الذي أعدته نظارة الخاجية في هذا الموضوع انظر: الأرشيف العثماني، (*HR-HMŞ İŞO* 89/2-4).وهذا التقرير نفسه نشر فيما بعد عام ١٩١٨ بعنوان "مسألة الجزر البحرينية".

وفي ٢٦ أبريل أرسلت التعليمات المذكورة سابقا إلى ولاية بغداد. وفي اليوم التالي أعلم الباب العالي ولاية الحجاز وإمارة مكة المكرمة بالموضوع، وذكر لهما أن حملة الأحساء على وشك أن تبدأ، وأمرهم أن يبذلوا أقصى ما في وسعهم لتقديم المساعدات[٤٥٤]. وفي هذه الأثناء تم إرسال برقية من بغداد جاء فيها أن الاستعدادات قد تمت. وكتب مدحت باشا بأنه وحتى قبل ورود الإرادة السلطانية إلى بغداد، انطلق باتجاه البصرة ثلاثة طوابير وعدد من العساكر التابعين للمدفعية على متن بواخر نهرية بقيادة الميرلواء حمدي باشا، وأضاف مدحت باشا بأن بقية القوات سيتم إرسالها بعد يومين تحت قيادة نافذ باشا. وإضافة إلى هذا ذكّر مدحت باشا بأن خلاصة البرقية سوف ترسل إليهم عبر البريد، وهذا يستغرق وقتا طويلا، وبالنسبة إلى نافذ باشا فقد تم إعلامه عبر البرقية بالأسس ثم أضيفت بعض الأقسام من قبل الولاية، ولذلك فإنهم لن ينتظروا نصّ التعليمات حتى يشرعوا في الحملة. وأعلم مدحت باشا الباب العالي بأنه مضطر للبدء في الحملة قبل أن يحلّ موسم الحرّ. ويقدم الباشا المعلومات التالية بشان المنطقة حسب آخر الأخبار التي وصلت إليه: "إنّ أغلب العربان علموا بأن الحملة سوف تتم، وهم يعلنون أنهم يناصرون عبد الله بن فيصل، ولم يبق إلى جانب أخيه سعود سوى قبائل عجمان. وثمة أخبار تروج حول نية سعود الفرار إلى جزيرة البحرين. وينتظر عبد الله بن فيصل رفقة القبائل التي تناصره قدوم العساكر في المكان الذي يُدعى رميمة الواقع بين الأحساء والرّياض". كما أخبر مدحت باشا بأن عربان عنزة ينتظرون بالقُرب من الكويت، وأضاف أنه من الممكن إرسال العساكر إلى القطيف في الأسابيع الأولى من شهر مايو[٤٥٥].

---

(٤٥٤) الأرشيف العثماني، *دفاتر المهمات* ٨٧١، ١٦١-١٦٢.

(٤٥٥) الأرشيف العثماني، (*İD* 44002)، لف:٣.

٣- الدولة العثمانية تحكم قبضتها على المنطقة: حملة الأحساء ونتائجها

مثلما تم بيان ذلك من قبل، فبعد أن فرغت بغداد من جميع التحضيرات شرعت في إرسال العساكر. ففي بداية شهر مارس وصلت جميع القوات، بما معها من تجهيزات عبر البواخر النّهرية من البصرة إلى الفاو. وفي ١٧ مايو تم إرسال العساكر عبر البواخر العادية في حين أرسلت المعدّات والمؤن عبر القوارب إلى الكويت. وعندما وصلت العساكر إلى الكويت استقبلوا باحتفالات كبيرة، ثم أقاموا معسكراً في شرق الكويت ومكثوا هناك يوما واحدا. وفي اليوم التالي، وعندما انطلق الجيش عبر البحر بقيادة نافذ باشا مدعوما بقائمقام الكويت عبد الله الصباح، كانت القوات التابعة للعربان والعشائر والتي تجمعت بالقرب من الكويت لدعم الجيش قد تحركت بدورها للزّحف على القطيف[٤٥٦]

وبعد أربعة أيام من انطلاقها من الكويت، وصلت الوحدات العسكرية إلى الموقع الذي يسمى رأس التنورة، وفي ٢٦ مايو نزلت إلى البر. وأول تقرير أرسله نافذ باشا كان في ٢ يوليو، وصل إلى بغداد عن طريق البصرة. ووفقا لهذا، فإن الجيش الذي نزل إلى البر، وصل إلى الرحيمة التي تبعد مسافة أربع ساعات عن رأس التنورة ووجدها خاوية على عروشها. وأرسل نافذ باشا رسولا عنه إلى صفوة للاستطلاع ودعوة رؤسائها ووجهائها للحضور إلى مقر الجيش. وهذه المنطقة تقع في إحدى أنحاء القطيف، وتبعد عن الرحيمة مسافة أربع ساعات. وقد قابلهم هؤلاء في البداية بالعداء، بل وتأهبوا للحرب، ولكن عندما تم إفهامهم السبب الرئيسي في القيام بهذه الحملة مال أكثرهم إلى ناحية الجيش. وإثر ذلك عبروا من داخل صفوة واستقروا في مكان بالقرب من منابع الماء يدعى "صُفُوته". وفي هذه المنطقة هناك ٣٠٠ من المقاتلين الذين ينتمون إلى أهالي قرى العوامية وقديح وسبهان الموجودة بجوار القطيف، وهؤلاء يناوئون ممثل سعود في القطيف، وهم مستعدون ليكونوا أعوانا للعساكر ويأملون في أن يعاملوا كما عومل أهالي القطيف. وبالشكل نفسه، تم إرسال

---

(٤٥٦) الوثيقة نفسها، لف:٢؛ *دفاتر العينيات* ٨٥١، ص. ١١٤، ١٧٠.

أولمر إلى أهالي عشر قرى وكذلك إلى شيوخها في المناطق القريبة، وخاطبوهم فيها بأسلوب جذاب محاولين بذلك استمالتهم إلى صفوفهم.ووصل نافذ باشا إلى الأماكن الغنية بالتمر الموجودة على مسافة نصف ساعة من القطيف، وتم العثور خارج القلعة على عبد العزيز السّدير نائب (ممثل) سعود في منطقة القطيف، ولاحظ أن الجامع والبنايات التابعة له قد تم تخريبها. وأرسل الباشا نقيب زاده سيد محمد سعيد أفندي مبعوثا عنه مرتين إلى عبد العزيز، وحاول معه إيجاد سبيل للتفاهم، غير أنه لم يحصل على نتيجة. وبعد ذلك أرسل مجموعة من الضباط بلباس مختلف حتى يتمكنوا من جمع المعلومات، وبعد التقصي لتضح أن قوات عبد العزيز غير كافية غير، أنه وفيّ وفاء كاملا لسعود، وبالتالي لا يمكن تسليم القرية بدون قتال. وفي اليوم نفسه تمكن نافذ باشا من محاصرة القطيف بواسطة المدافع، وساعده في ذلك من جهة البحر بالباخرة آلوس عبد الله الصباح الذي وصل قبل يوم واحد إلى رأس التنورة. وفي الأثناء تم الاستيلاء على عدد من القرى والقلاع دون قتال، ورفع عليها علم الدولة العثمانية[٤٥٧]. ورفض أتباع سعود تسليم قلعة القطيف بل ظلوا يدافعون عنها لمدة عشر ساعات، وفي النهاية تمكن العثمانيون من بسط نفوذهم عليها في ٣ يوليو، ورفع العلم العثماني فوق أعلى نقطة فيها. وتركز فيها طابور الطليعة الثالث مع مدفع جبلي. وفي يوم الجمعة أقيمت الصلاة في جامعها، وقرأ الخطبة سيد داود أفندي مفتي الوحدة العسكرية. وفي ٤ يوليو أعلن نافذ باشا عن ذلك الخبر، ثم لم يلبث في الليلة نفسها أن كتب أنه سوف يرسل عساكر لإنقاذ محمد المحبوس في الدمام من قبل لأخيه الأكبر سعود[٤٥٨].

ويفهم من الجواب الذي أرسله نافذ باشا في ٤ يونيو رداً على التلغراف الذي أرسله مدحت باشا في ٢ يونيو أن بغداد قلقة بسبب سير العمليات وأن الولاية غير مرتاحة بسبب عدم سلامة نقل المعلومات. ويوضح نافذ باشا في تلغرافه موضوع

(٤٥٧) الأرشيف العثماني،(*İD* 44196)، لف: ٨.

(٤٥٨) *الوثيقة نفسها*، لف: ٦.

تعطل المعلومات على النحو التالي: إن عبد الله الصباح غادر الكويت ووصل إلى رأس التنورة في اليوم الرابع، وكان ينتظر قدومه عبر البحر، غير أنه وبسبب سوء الأحوال الجوية تأخر في الوصول. ومن جانب آخر فإن أخيه مبارك الصباح الذي تحرك من البر رفقة فرسان المنتفك وعنزة قد تم اعتراض طريقه من قبل عشائر مطير. ومن أجل أن يزيدوا من عدد قواتهم اضطروا للرجوع. وهكذا فإنه من غير المنتظر أن تصل البواخر عبر البحر والفرسان عبر البر في الوقت المحدد، كما أن أهالي القطيف والقرى المجاورة لم يتمكنوا من الحصول على الأخبار وذلك بسبب العداوة التي ينظرون بها إلى العساكر(٤٥٩). وأضاف نافذ باشا بأنه سوف لن تتأخر الأخبار مستقبلا، وشرح المشاكل التي اعترضته إلى ذلك اليوم على النحو التالي:

لقد أصيب عدد كبير من العساكر بالأمراض (يحتمل أن تكون الكوليرا) عند تنقلهم من البصرة إلى رأس التنورة، وتوفي منهم ستون شخصا. غير أنه وبعد خروج العسكر إلى البر تعافى جميعهم، وهم الآن في صحة جيدة. كما أن الماء هنا لم يكن عميقا، وبسبب المد والجزر لم تتمكن البواخر الكبيرة من الرسو على الساحل، وبسبب عدم وصول سفن الكويت في وقتها فقد جابهتنا مشاكل كبيرة في إيصال الذخيرة والمؤن و بقية الأمتعة الأخرى الموجودة على ظهر هذه البواخر. وعلاوة على ذلك فعند الانطلاق نحو رأس التنورة واجهنا شح المياه لمدة أربع أو خمس ساعات، وبعد ارسال عيون إلى مناطق متقدمة تم التأكد من وجود الماء في منطقة الرحيمة، ووقع الانتقال إلى ذلك المكان وحُلت هذه المشكلة. وذكر نافذ باشا في تقريره أنه أرسل خبراً إلى عبد الله بن فيصل للقاء به، غير أنه إلى الآن لم يأت أي رد، كما كتب إلى مدحت باشا يعلمه بأنه لايعرف مكان وجود سعود(٤٦٠).

---

(٤٥٩) *الوثيقة نفسها*، لف: ٧.

(٤٦٠) *الوثقية نفسها*.

أعلم نافذ باشا أنه سوف يتم التحرك باتجاه الدمام بعد بسط النفوذ على القطيف. وبعد ظهر يوم ٤ يونيو تحركت أربع قطع مدفعية وطابوران من المشاة بقيادة الميرلواء حمدي باشا، ووصلوا إلى قلعة عنك التي تبعد مسافة ساعة من القطيف، وانهال العساكر على القلعة بالمدافع والبنادق عبر الفجوات الموجودة في سور القلعة، ثم نشر جنوده في أماكن مناسبة من القلعة. وفي الصباح عندما رأى الموجودون داخل القلعة الجنود استسلموا دون قتال. ومنح العساكر الذين دخلوا القلعة الأمان للأهالي الذين قاموا بتسليم ثلاثة مدافع كبيرة وعدد كبير من المهمات، وتم بسط السيطرة على القلعة ورفع العلم العثماني على برجها. وترك حمدي في هذا المكان بلوك من العساكر بقيادة القول أغاسي ابراهيم أغا وتوجه نحو الدمام. وفي هذه الأثناء تحرك أيضا نافذ باشا من القطيف للاشتراك في هذه العمليات.

وعندما علم عبد العزيز بن سعود باقتراب العساكر من الدمام فر ليلا من هذا المكان. وأرسل العسكر خبرا إلى طحنونة رجل سعود في قلعة للدمام المستحكمة، وطلبوا منه إطلاق سراح محمد بن فيصل المسجون في القلعة دون إراقة دماء وتسليمها. فرد على العساكر بأنه لن يسلم القلعة إلا إذا سقطت القطيف، فأعلموه بأن القطيف قد سقطت في يد العثمانيين عن طريق القتال. ورغم أن خبر معركة القطيف قد وصل قبل يوم إلى هنا، فإن طحنونة لم يكن واثقاً من صحته بسبب قصر المدة.

وإثر ذلك أطلق طحنونة سراح محمد بن فيصل، وفي ٥ يونيو سلم القلعة، وعندما دخلها العساكر العثمانيون أطلقوا إحدى وعشرين طلقة مدفعية، ثم رفعوا العلم العثماني على بروجها. وبعد الاستحواذ على أحد عشر مدفعا وعدد كبير من الأسلحة كانت موجودة داخل القلعة تم تركيز بلوكين عسكريين في هذا المكان، وفي ٧ يونيو رجع العساكر إلى القطيف[٤٦١].

---

(٤٦١) *الوثيقة نفسها*، لف: ٥.

في اليوم نفسه أرسل نافذ باشا برقية إلى ولاية بغداد تضمنت المعلومات التالية: لقد تم بسط السيطرة على قلعة القطيف بالقوة، أما بقية القلاع الموجودة في نواحيها مثل الدمام وعنك والدارين وتاروت فقد استسلمت دون قتال، كما تم الاستحواذ على ما بداخلها من المدافع الحديدية والبرونزية وعدد كبير من الذخائر والمهمات. وإضافة إلى ذلك فقد أعلنت القصبات والقرى الموجودة في نواحي القطيف طاعتها للدولة، ووفد إلى مقر العسكر رؤساء وشيوخ سبع أو ثماني عشائر وأعلنوا طاعتهم، وأوضح الباشا بأن الأمان منح لجميع هولاء، وأضاف أنه لا توجد في الوقت الحاضر أي مشاكل في نواحي القطيف. وفي هذه الأثناء تم القبض على جاسوس أرسل من نواحي البحرين لاستكشاف أحوال الجيش وتم استجوابه، وذكر أنه باستثناء عيسى شيخ البحرين وبعض الرؤساء فإن جميع الأهالي أعلنوا تبعيتهم للدولة العثمانية. وأضاف الباشا أنه سوف يتم العمل على استمالة أهالي البحرين حتى يقع تجنب أي مشاكل سياسية في المستقبل[٤٦٢].

في مقابل أفكار نافذ باشا في موضوع البحرين نبه مدحت باشا إلى أن الإنجليز يولون أهمية كبيرة لهذا الموضوع، وأنهم يبحثون عن الذرائع لخلق المشاكل، وبين كذلك أنه إذا كان الأهالي أنفسهم يطلبون الحماية فإن الإدعاء القائل بأن الشيخ عيسى عقد اتفاقا مع الإنجليز سوف يتسبب في حدوث مشاكل. وعبر مدحت باشا عن قناعته أنه إذا تحرك الشيخ عيسى مع الأهالي فإن هذا سوف يثير الإنجليز ضده بسبب الاتفاق الذي عقده معهم، أما إذا وقف صراحة إلى جانب الإنجليز فإنه سوف يفقد دعم الأهالي، وفي الحالتين سوف يضر ذلك بالجهود التي تبذلها الدولة العثمانية، كما طلب من نافذ باشا عدم التدخل في مسألة البحرين بأي شكل من الأشكال، سواء كان ذلك فعليا أو قوليا[٤٦٣]. وفي متابعة للتطورات أرسل الإنجليز

(٤٦٢) *الوثيقة نفسها*، لف: ٩.

(٤٦٣) الأرشيف العثماني، (*İD* 44196)، لف: ١.

ثلاثة سفن حربية إلى الخليج بين ٣ إلى ١٦ يونيو، وهذا يوضح عزمهم على مراقبة موضوع البحرين بشكل خاص. وفي مقابل ذلك أعلم الباب العالي السفارة الإنجليزية أن الدولة العثمانية لن تتأخر في الاستجابة لطلب الحماية إذا ما تقدم به بعض شيوخ الخليج. ويذهب لوريمير إلى أن إنجلترا وبعد أن بلغتها هذه التصريحات، أعلمت الدولة العثمانية لأول مرة بالإتفاق السري الذي عقدته مع بعض شيوخ منطقة الخليج في عام ١٨٦١[٤٦٤]. غير أن الدولة العثمانية كانت على علم بهذا الإتفاق، وقد كانت سياستها تسير في هذا الإطار، ولذلك فإن هذا الإبلاغ من جانب الإنجليز لم يحدث التأثير الذي كان منتظرا.

أبلغ نافذ باشا هذه التطورات لبغداد في التلغراف الذي أرسله في ١٢ يونيو. وقد جاء في هذا التلغراف أن القطيف وسواحلها قد أصبحت في أمن كامل، وأن الأمان قد أعطي لأهالي هذه المناطق. وقد تم اختيار عنك من أجل إنشاء ثكنة بها عملا بتعليمات الحملة وذلك لوجود الماء واعتدال الهواء، وقد تم إرسال أسطوات (خبراء) للبدء في العمل. وفي هذه الأثناء علم أن عبد الله بن فيصل يوجد في منطقة الديرة الواقعة بين الكويت والأحساء، أما أخوه سعود فلا يوجد بشأنه أي خبر. ومن أجل الزحف باتجاه الأحساء وقع الاختيار على منطقة الجرودية التي تبعد مسافة ساعة عن القطيف لتكون مقرا للجيش، وتم نصب خيم العساكر في هذا الموقع. وتبلغ المسافة بين القطيف والأحساء ست وثلاثون ساعة (وردت هذه المسافة بروايات مختلفة في مواطن متعددة، غير أنه وقع الاعتماد هنا على أول كشف قام به نافذ باشا)، غير أن نقل المدافع والمهمات فيها بالخيل والبغال يعتبر مستحيلا بسبب طبيعتها الرملية. ولهذا السبب فقد طلب خطابيا من القبائل والعشائر التي أعلنت الطاعة أن توفر ألفا من الإبل. ومن المؤمل أن يقع جمع هذه الإبل في خلال خمسة أو ستة أيام لإرسالها قريبا إلى الأحساء. وأعلم الأهالي نافذ باشا أنهم

---

(٤٦٤) لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٤٥٢.

ضاقوا ذرعا بعبد الله وسعود بن فيصل وباختصار بظلم العائلة السعودية كلها، وإذا تركت الدولة الأمر بيد واحد من هولاء وتخلى موظفوها عن تسيير الإدارة في المنطقة فإنهم سوف يتعرضون لظلم أكبر، وفي هذه الحالة سوف يهاجرون إلى البصرة وإيران. ورد عليهم الباشا بأن الدولة العثمانية سوف تحميهم عملا بمقتضيات التبعية، وأنهم لن يتعرضوا لأي ظلم، وذكر في تلغرافه أن سبب الخصومة التي يكنونها لهم ربما يرجع إلى كون القطيف وماحولها من الشيعة(٤٦٥). وفي تقرير مفصل آخر أرسله نافذ باشا في ١٢ يونيو عن طريق البريد، بَيّن فيه التطورات إلى ذلك الحين، وذكر أن الأهالي منشغلون بشؤونهم وأحوالهم، وأنه لم تقع مع الأهالي أية مشاكل في موضوع التسوق منهم، فهم يحصلون على النقود التي يطلبونها مقابلاً لما يبيعونه. ومن جانب آخر دعى نافذ باشا وجهاء القوم إلى مقر الجيش وأحسن إكرامهم ووفادتهم. وقد تم تأخير شؤون الأهالي المتعلقة بالحكومة حتى يتم اللقاء بعبد الله بن فيصل، أما في الوقت الحاضر فقد اتفق أشراف القطيف وأعيان القرى والقصبات ومحمد بن فيصل على اختيار مجموعة من الأشخاص من أجل تشكيل مجلس مؤقت. وتم تعيين البيكباشي ابراهيم بك من أجل النظر في الدعاوى من جانب، وقيادة البلوكات الستة التي تم تركيزها في القلعة الموجودة في وسط القطيف من جانب آخر(٤٦٦).

وكما فعل نافذ باشا من قبل مع أهالي القطيف وأنحائها، فقد أرسل أيضاً بخطابات إلى أهالي الأحساء من تجار وأعيان. وقبل الشروع في الحملة كانت هذه الخطابات قد أعدت في بغداد وتم نشرها في القطيف وسوف تنشر لاحقا كذلك في الأحساء؛ وهذه الرسائل التي تخاطب أهالي الأحساء والقطيف ونجد تهدف إلى بيان الهدف من

---

(٤٦٥) الأرشيف العثماني، (*İD* 44196)، لف: ٤. وقد ذكر مدحت باشا في لائحته التي عرضها على الصدارة بعد زيارته للقطيف الحقائق نفسها، وقال بأن القطيف وماجاورها كلها من الشيعة ولذلك فقد ذاق سكانها أذى كبيرا على يد قائمقام نجد، ومن ذلك أنه وقع تخريب بيوتهم ومتاجرهم (الأرشيف العثماني، *İD* 44930 ، لف: ٤).

(٤٦٦) الأرشيف العثماني (*İD* 44230)، لف: ٣.

هذه الحملة وإلى كسب تعاطف هولاء الأهالي. وهذه الخطابات كانت طويلة جدا وقد كتبت بأسلوب يسهل فهمه من قبل الأهالي، ولكي تكون مؤثرة وفاعلة فقد دعمت بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وهي تحتوي على الأمور التالية:

١- منطقة نجد جزء لا يتجزأ من الدولة العثمانية مثل العراق واليمن ومصر وتونس وطرابلس. وسواء هذه المناطق أو من يعيش فيها من القبائل والعشائر فإنهم تحت حماية السلطان العثماني عبد العزيز خان. وإن مابذله السلاطين العثمانيون منذ القديم من أجل حماية هذه البلاد وأهاليها هو في الوقت نفسه من مقتضيات حقوق خليفة الإسلام.

٢- اهتمت الدولة العثمانية بشكل خاص بالحفاظ على هيبة الإسلام وعظمته، ولذلك أولت اهتمامها منذ قرن بمناطق أخرى، أما هذه المناطق فلم يقع الاهتمام بها بشكل كاف. ولهذا السبب فإن النزاعات التي كانت تنشب من حين لآخر في دواخل الصحراء من مناطق اليمن ونجد كانت تتسبب في إراقة دماء المسلمين، والحال أن الإسلام ينص على أن المسلمين إخوة، غير أنهم هنا يقتلون بعضهم البعض مثل الوحوش من أجل مصالح مختلفة. وإذا كان قد تم غض النظر لمدة من الزمن عن هذه المسائل فإن الدولة العثمانية لن تقف مكتوفة اليدين إزاء الأعمال التي تخالف الشريعة والتي تهدد هذه الأمة المباركة التي هي أمانة بيد الدولة والخلافة. وبهذه المناسبة طُلب إرسال موظفين إلى جميع الأنحاء من أجل منع هذه الأحداث سعياً لأمن الأمة الإسلامية وسعادتها. غير أن كلام الناصحين لم يجد آذان صاغية، فاضطرت الدولة إلى إرسال قوات عسكرية لأنها لا ترضى بأي ضرر ولو كان صغيرا يمكن أن يمس المسلمين.

٣- لقد قام سعود بن فيصل بالتغرير بمجموعة من الجهال وأثارهم ضد أخيه، ثم قدم إلى أنحاء الأحساء والقطيف وأرهب الأهالي وتسبب في الأذى لهم وهو متهم بجريمتين كبيرتين. الأولى أنه تعدى على حقوق أخيه التي منحها

له السلطان، والثانية أنه أثار الفتنة بين أتباع الدولة العثمانية ونشر الفرقة بين المسلمين. ولا شك أن السلطان لن يتسامح في هذه الأوضاع التي لايرضى عنها الله تعالى. ولهذا السبب تم إرسال وحدات عسكرية بقيادة نافذ باشا إلى سواحل القطيف وذلك من أجل المحافظة على الحقوق التي منحت لعبد الله بن فيصل، وكذلك على أمن رعايا الخليفة وسلامتهم.

٤- ينبغي على الجميع أن يعرفوا أن إدارة مناطق نجد وماجاورها قد منحت إلى عبد الله بن فيصل من قبل الخليفة. واليوم أيضا أصبحت قائمقامية نجد التابعة لولاية بغداد ونجد بكاملها تحت إدارته.

٥- إن الغاية من إرسال الوحدات العسكرية هو المحافظة على حقوق الحكومة، وكذلك إظهار عدالة السلطان للصغير والكبير والنساء والرجال والغني والفقير ولجميع الأهالي. وبهذا الشكل إذا ندم سعود بن فيصل على أفعاله وجاء بوحداته العسكرية وسلم نفسه وقبل أن يرسل إلى بغداد فسوف يتم العفو عنه.

٦- إذا لم يعارض أهالي القطيف والأحساء -سواء العشائر أو القبائل أو أي كان- الحكومة ولم يقفوا ضدها فإن أموالهم وأرواحهم وأعراضهم تكون مصونة بموجب أحكام الشريعة الإسلامية وقانون السلطان(٤٦٧).

في ضوء المعلومات التي وصلت إليه قام مدحت باشا بتاريخ ٢١ يونيو بتقديم لائحة إلى الصدارة تتضمن التطورات والتقييمات حتى ذلك التاريخ. وبعد أن بيّن الباشا أنه ليس لديه أي شك في أن هذه الحملة سوف تحقق النتائج المرجوة منها مهما كانت الظروف، إلاّ أنه عبر عن بعض المخاوف التي أحس بها منذ البداية على النحو التالي: إن أكبر صعوبة في هذا المجال كانت تتمثل في المقاومة التي يمكن أن تعترض العساكر عند نزولهم إلى البر، وكذلك المشاكل التي يمكن أن تحصل بسبب التدخل المباشر للإنجليز. وبسبب المد والجزر في خليج البصرة فإنه

(٤٦٧) الأرشيف العثماني،(*İD* 44002)، لف: ٢.

لم يكن بالإمكان إرساء السفن في هذه السواحل وإخراج العساكر إلى البر تحت حماية المدافع، فالمسافة بين المكان الذي ترسو فيه السفن والساحل كانت بمقدار ساعتين ونصف الساعة. ومن جانب آخر قام الإنجليز بقيادة الكولونيل بيللي (Pelly) المقيم في منطقة بندر بوشير والذي كان منشغلا بسواحل نجد ومسقط وعمان بشكل خاص بإرسال ثلاثة قطع حربية وتركيزها بين القطيف والبحرين. وقد تلقت الحكومة الإنجليزية في الهند تطمينات كافية من ممثلها في بغداد في هذا الشأن. ثم إن الوسيلة التي يبحثون عنها لن تكون إلا في الاعتداء على عشائر البحرين وعمان، ولذلك فقد تم تنبيه نافذ باشا عديد المرات حتى لا يقع في هذا المحذور. وإثر تبادل الأخبار مع القطيف بيّن مدحت باشا أن العمليات تسير وفقا لما هو مخطط لها، وأنه تم كسب ود الأهالي، وإن السلطان قد أبلغ تهانيه للقائد. وأضاف الباشا أنه تم الاستيلاء على أقوى موقع في منطقة نجد، وبالنسبة إلى منطقة الأحساء فهي منطقة كبيرة وواسعة واستحكاماتها ضعيفة ولذلك يمكن السيطرة عليها بسهولة، والاستعدادات متواصلة للقيام بحملة من القطيف باتجاه تلك المناطق. وأهم أمر يتعلق بالتفكير في الحملة على الأحساء هو الانطلاق من مينائها "عجير"، وبعد أن يستولي العسكر على الأحساء تأتي مسألة تأمين طريق الرجوع الذي يبلغ سبع ساعات، وبيّن أنه على قناعة بإمكانية تحقيق هذه التدابير بفضل نافذ باشا وحمدي باشا ويحيى بك الذين لديهم خبرة في كافة فنون الحرب وكذلك الضباط المتخرج أغلبهم من المكاتب[٤٦٨].

ومن جانب آخر قدّم عبد الله بن فيصل في الرسائل التي بعث بها إلى ولاية بغداد في الأيام الأولى من بدء الحملة شكره للدولة العثمانية على جهودها. وطُلب منه في الخطاب الذي جاءه من الولاية بأن يتحرك عبر البر بالتوازي مع حركة الوحدات العسكرية. غير أنه بالرغم من هذا الأمر زحف على أخيه وواجهه بين الأحساء

(٤٦٨) الأرشيف العثماني، (*İD* 44196)، لف: ١.

والرياض واستمال إلى جانبه قسما من العشائر التي كانت مع أخيه، ثم هُزم سعود وفر. وهكذا انتقلت إليه الإدارة في الرياض. وفي هذه الأثناء أراد نافذ باشا أن يلتقي به إلا أنه لم يستجب للدعوة، ثم انقطعت الاتصالات معه نهائيا خلال الشهر الأخير. ويفهم من الرسائل التي بعث بها عبد الله إلى بغداد من قبل، ومن قوله إن إرسال العساكر لا يكون مناسبا إلا من جهة البحر أنه لا يريد إخراج الوحدات العسكرية من سواحل القطيف وتقدمها في البر، ولا يرغب كذلك في سيطرتها على القلاع التي توجد بيد أخيه من دون وجوده. وكان على علم أن الأهالي هنا قد ضاقوا ذرعا بعائلة سعود وأنهم يريدون التخلص منها من خلال طلبهم الحماية من الدولة.

وحدث ما توقعه عبد الله، وأغلب الظن أنه لهذا السبب لم يأت إلى مقر العساكر. وأوضح مدحت باشا أنه بالرغم من طلبه المساعدة من عبد الله بن فيصل، إلا أن معارضته لتحركات العسكر بهذا الشكل، وحتى إذا لم يتحالف مع أخيه مستقبلا، يجعل من الصعب إقناعه بالتخلي عن القطيف والأحساء وهما المنطقتان الأكثر إنتاجا في منطقة نجد. وتطرق مدحت باشا إلى أن هدف العمليات العسكرية هو إعادة عبد الله بن فيصل إلى مقامه من جديد وإظهار قوة الدولة في سواحل نجد، وأشار أنه إذا واصل عبد الله بن فيصل في معارضته التي بدأها الآن فإنه يمكن أن يوحد أنحاء الأحساء والقطيف وينشيء فيها متصرفية. ويقول مدحت باشا إن هذه المتصرفية التي سوف يقع إنشاؤها سوف يعين عليها منصور بك أو الشيخ سليمان الزهير وهما يحظيان بمكانة كبيرة بين العشائر، ويذكر أنه بناء على هذه المستجدات يمكن أن تتكون قائمقاميات ومديريات، وأضاف أن التفكير في الإبقاء على طابورين عسكريين في القطيف والأحساء غير كافٍ وأنه من الضروري إرسال آلاي كامل إلى هذه المناطق[٤٦٩].

---

(٤٦٩) الوثيقة نفسها.

وفي هذه الأثناء أرسل عبد الله بن فيصل رسالتين منفصلتين بدون تاريخ إلى إمارة مكة المكرمة وولاية الحجاز[٤٧٠] يشرح فيهما الوضع في دواخل نجد. وفي الرسالة التي كتبت إلى إمارة مكة المكرمة بأسلوب جاف تحتوي على المعاني التالية: " إن الله أعز عبيده وأباد أعداءه، وإن كافة أهل نجد هم تحت راية الطاعة بفضله تعالى".

وكتب بعد هذه الكلمات أن الرياض التي استولى عليها سعود قد عانت من ظلمه، وأنه بعد أن اقترب منها انتفض أهاليها وطردوا سعود، ففر هو ورجاله إلى الحوطة التي توجد بها قبيلة بني تميم، غير أنهم طردوا من هناك أيضا، وإثر ذلك حاولوا الإغارة على بعض الأماكن لكنه وقع التصدي لهم، ففر سعود واحتمى بقبيلة عجمان. ويذكر عبد الله في الخطاب نفسه أنه في هذه الأثناء ربما يكون سعود موجودا في الأجزاء الشرقية من الأحساء.

ومثلما يلاحظ فإن عبد الله لم يتحدث على الإطلاق عن التأثيرات التي أحدثتها العمليات العسكرية، ففي الرسالة التي أرسلها إلى ولاية الحجاز فَضّل التعامل بأسلوب سياسي. وبعد أن لخص في رسالته الوقائع كما حدثت، كتب التالي: "إن نجد وتوابعها خاضعة مطيعة لحضرة السلطان عبد العزيز، وقد بلغتنا خَلِعُه ونياشينه، وجميعنا سمع وطاعة، ونحن مستعدون بعون الله تعالى وتوفيقه لتأمين الطرق والحفاظ على سلامة الحجاج والزوار، وأخذ حق المظلوم من الظالم، وإجراء أحكام الشريعة المحمدية على أحسن وجه وكلنا عازمون على ذلك"[٤٧١].

فعبد الله الذي مُنح من قبل مرسوم القائمقامية، يقول إنه سوف يقوم بهذه الوظيفة على أحسن وجه، وهذا يبين أن ما سعى إليه قد تحقق، ولكنه ينظر إلى الإجراءات الأخرى بعين الريبة.

---

(٤٧٠) تم تقديم صورة من الرسالة التي أرسلت إلى إمارة مكة المكرمة إلى الصدارة بشكل مشترك بين أمير مكة المكرمة ووالي الحجاز في ٢١ يونيو ١٨٧١، ويفهم من ذلك أن الرسائل التي نتحدث عنها قد كتبت في أواسط شهر يونيو (الوثيقة نفسها، لف: ٢).

(٤٧١) *الوثيقة نفسها*، لف: ٢، ٣.

وقام مدحت باشا بإرسال برقية بتاريخ ٣٠ يونيو إلى الصدارة يبين فيها آخر التطورات مستندا في ذلك على البرقية التي أرسلها إليه نافذ باشا بتاريخ ٢٢ يونيو. وكما ذكر من قبل فإن العربان الذين ينتمون إلى ست عشرة قبيلة والذين يقيمون في نواحي القطيف لم يكونوا راضين عن عائلة سعود، ولذلك فقد قدموا إلى مقر الجيش وأعلنوا طاعتهم للدولة، وهناك أخبار تدور حول قدوم عشائر مطير وعجمان وإعلانها الطاعة. وفي هذه الأثناء ترك نافذ باشا في القطيف طابوراً من العساكر، وأتم استعداداته للزحف على الأحساء في ٢٥ يونيو. ومن أجل نقل مؤن العساكر ومهماتهم عبر البر تم إستئجار ١٢٠٠ من الإبل، وإضافة إلى ذلك تقرر إرسال قسم من المؤن والمياه إلى عجير ميناء الأحساء عبر باخرة آسور وبعض البواخر الصغيرة الأخرى. وأثناء هذه الاستعدادات قدم إلى القطيف من أجل المشاركة في هذه العمليات بعضُ رجال شيوخ البحرين السابقين الذين كانوا قد لجأوا إلى قطر[٤٧٢]. ومن المحتمل أن نافذ باشا قد فكر في التوجه إلى قطر بعد الأحساء بناء على المعلومات التي حصل عليها من هولاء الشيوخ، ولذلك طلب المشورة من مدحت باشا. ورد عليه مدحت باشا قائلا إنه بالرغم من أن قطر تعتبر من توابع نجد، إلا أنه وفقا للمعلومات التي تم الحصول عليها فإن الإنجليز سوف يزعمون أنها تابعة للبحرين لقربها منها، أو على الأقل الادعاء بإستقلاليتها. ولهذا السبب فبدل التوجه مباشرة نحو قطر من الأفضل كسب شيوخ البحرين السابقين واستمالة الأهالي بشتى الوسائل، وبذلك يتم قطع الطريق أمام الشكاوى الأجنبية، وتم إبلاغ الباب العالي بهذه التدابير وطُلب الحصول على إذن المابين الهمايوني[٤٧٣].

وقامت الصدارة في ٢١ يوليو بعرض جميع الأوراق المتعلقة بهذه التطورات على المابين، فرأى أن الإجراءات التي ارتآها مدحت باشا ونفذها نافذ باشا كانت

---

(٤٧٢) الأرشيف العثماني، (*İD* 44142)، لف: ٢.

(٤٧٣) *الوثيقة نفسها*، لف: ٣، ٤؛ *دفاتر العينيات* ٨٥١، ص. ١١٦-١١٧.

سليمة، كما تم لفت انتباه السلطان إلى وضعية عبد الله بن فيصل التي وقع الحديث عنها سابقا. وقد ورد في العريضة التي قدمتها الصدارة في هذا الموضوع ما يلي: "إن الأمر الأهم الذي يجب التوقف عنده الآن هو ما سيطر عليه من الأوهام من الإصلاحات [الترتيبات عقب حملة مدحت باشا] وشكاوى العشائر والأهالي إلى الحكومة ولجوئهم إليها. ولأجل هذا كان يتردد في الاقتراب من الفرقة العسكرية والانضمام إليها، وهو الأمر الذي استبان من خطاب إمارة مكة المكرمة، بحيث أنه في مقابل مساعي الدولة العلية وجهودها المبذولة لم يكشف عما هو منتظر منه من ولاء وإخلاص. والواضح أن بقاء عبد الله في موقف المستغني واختياره سبيل المعارضة كان بإيعاز من بعض المقربين إليه.."[٤٧٤].

وحسب ما يمكن فهمه بوضوح من العريضة التي قدمتها الصدارة فإن تصرف عبد الله فُسِّر على أنه معارضة، بل نظر إليه على أنه عصيان. ولهذا السبب، عرضت الصدارة على المابين الهمايوني أنه إذا استمر عبد الله في معارضته فمن الواجب تحويل القطيف والأحساء إلى متصرفية، وجلب شخص آخر ذي اعتبار من نواحي العراق وتنصيبه عليها، كما عرضت الصدارة على المابين الهمايوني أن التدابير الأخرى التي تم إتخاذها تعتبر مناسبة. وفي اليوم التالي صدرت الإرادة عن المابين[٤٧٥]. وفي ٣١ يوليو تم إرسال خطاب إلى ولاية بغداد من قبل الصدارة يوضح أن السلطان قد صدق على هذه الاقتراحات وأعطى الإذن اللازم لتنفيذها[٤٧٦].

ومن جانب آخر فقد أنهى نافذ باشا الترتيبات التي يقوم بها في القطيف والاستعدادات التي تم الحديث عنها من قبل من أجل القيام بالحملة، وفي نهاية شهر يونيو تحرك باتجاه الأحساء. وبعد نحو عشرة أيام أو اثني عشر يوما من السير أتم نافذ باشا عملياته على النحو الذي خُطط له، فسيطر على جميع أنحاء الأحساء

---

(٤٧٤) الأرشيف العثماني، (*İD* 44196)، لف: ٩.

(٤٧٥) *الوثيقة نفسها*.

(٤٧٦) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٥١، ص. ١١٧-١١٨.

بما في ذلك مركزها الحفوف. وعندما علم حراس القلاع الذين يحرسون أنحاء الأحساء باسم سعود بتحركات الوحدات العسكرية فروا دون مقاومة تذكر. غير أن طول السفر والحرارة الشديدة وانتشار مرض الكوليرا جعلت تلك الحملة من أصعب الحملات[٤٧٧]. وفي التلغراف الذي أرسله نافذ في ١٥ يوليو إلى مدحت باشا أعلمه أن الجيش أحكم سيطرته على الأحساء وأن خطبة الجمعة قد ألقيت في جامع الحفوف باسم السلطان من قبل مفتي الجيش سيد داود أفندي، وتم إرسال نسخة من هذه الخطبة ونسخة من الخطب التي كانت تقرأ في الماضي[٤٧٨].

وإثر دخول نافذ باشا الأحساء، استجاب شيوخ قطر ممن يوالون العثمانيين لدعوته، وقام بإرسال قسم من القوات بقيادة قائمقام الكويت إلى الدوحة مركز قطر[٤٧٩]، وتم رفع العلم العثماني. ويذكر لوريمير في هذا الموضوع أن عبد الله الصباح قائمقام الكويت استطاع أن يقنع جاسم بن محمد بن ثاني – الذي تولى الحكم مكان والده محمد شيخ قطر لكبر سنه– برفع العلم العثماني، فلم يرض هذا التصرف والده، ولذلك لم يرفعه في بيته مدة من الزمن[٤٨٠]. ويذكر مدحت باشا أنه ردا على طلبيهما أرسل نافذ باشا أربعة أعلام من أجل رفعها على القلاع والأبنية الرسمية[٤٨١]. أما الإنجليز فكما كان متوقعا من قبل الولاية فقد تحركوا لمناهضة الحكم العثماني في قطر، فهي حسب ادعائهم تمثل جزءا من البحرين.

---

(٤٧٧) الأرشيف العثماني، (*İD* 44230)، لف: ٥؛ لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٤٥٤.

(٤٧٨) الأرشيف العثماني، (*İD* 44409).

(٤٧٩) يعطي مدحت باشا المعلومات التالية حول قطر: تقع قطر شرق الأحساء بين عمان والبحرين، وهي تطل على البحر. يقيم فيها عدد كبير من السكان وأرضها صخرية ومياهها شحيحة. وبسبب عدم صلاحية أراضيها للزراعة كما هو الحال في الأحساء، فإن جميع سكانها تقريبا يشتغلون بصيد السمك وجمع اللؤلؤ. ويوجد لهذا الغرض أكثر من ثلاثة آلاف قارب وسفينة. وأثناء السيطرة على القطيف والأحساء تقرر ضم هذه المنطقة باعتبارها تابعة لنجد. الأرشيف العثماني، İD 44939 ، لف: ٢.

(٤٨٠) لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٢١٧.

(٤٨١) الأرشيف العثماني، (*İD* 44939)، لف: ٢؛ مدحت باشا...، ص. ١١٦.

وهم يعتمدون في ذلك على الاتفاق[٤٨٢] الذي عقدوه مع محمد شيخ قطر السابق في نهاية عام ١٨٦٨ والذي يقضي بدفعه مبلغ تسعة آلاف ريال لشيخ البحرين. فقد حدث بعد رفع العلم العثماني في قطر أن قدمت سفينة أنجليزية وطالبت بدفع الضريبة، وإثر ذلك تكلم شيوخ قطر قائلين " نحن الآن في ظل هذا العلم المرفوع الذي يرفرف، ولا نعترف بأي أحد آخر"، ولم يعطوا الضريبة. واحتجت ولاية بغداد لدى القنصلية الإنجليزية هناك، وطلبت منها توضيحات رسمية ومكتوبة حول هذه السفينة الإنجليزية التي طلبت من قطر دفع الضريبة، في حين أن قطر تابعة للأراضي العثمانية، وهي جزء من الأحساء. غير أن الإنجليز ردوا بأن هذه الحادثة لم تقع وأنكروا هذا الأمر[٤٨٣].

وفي جميع العمليات العسكرية، وفي مسألة قطر أيضا كان لقائمقام الكويت عبد الله الصباح وأخويه مبارك الصباح ومحمد الصباح دور جدّ فعال. وقد لعب دورا مهما، بشكل خاص عند اشتراكه في محاصرة القطيف، فقد يسّر السيطرة عليها من خلال مشاركته بحوالي مائة سفينة (بعض المصادر تذكر ثمانين سفينة). وكمكافأة على ذلك قلده مدحت باشا نيشانا من الرتبة الرابعة نزولا عند طلبه، كما مُنح أخوه مبارك رتبة "القابوجي باشيليق" من الدرجة الرابعة[٤٨٤].

ثالثاً – تشكيل متصرفية نجد

١- تنظيم الأوضاع في الأحساء والقطيف وقطر: تشكيل متصرفية نجد

بعد النجاح في إدارة العمليات العسكرية جاء الدور على إجراء الترتيبات الإدارية. فقد كان عدم ارتباط عبد الله بن فيصل بالوحدات الحكومية وبقائه في

---

(٤٨٢) للاطلاع على نص الاتفاق انظر: لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٢١٦-١٢١٧؛ فتوح الحطاش – عبد العزيز محمد المنصور، *مصادر تاريخ قطر*، الكويت ١٩٨٤ (الطبعة الثانية)، ص. ١١-١٢.

(٤٨٣) الأرشيف العثماني، (*İD* 44930)، لف: ٢.

(٤٨٤) الأرشيف العثماني،(*İD* 44503).

نواحي الرياض قد استلزم إجراء تلك الترتيبات الجديدة. ومن جانب آخر فقد كان مدحت باشا، ومنذ بداية الحملة يرغب في تشكيل إدارات حكومية في هذه المنطقة، ثم إن نتيجة الحملة كانت وكأنها لم ترض عبد الله بن فيصل وبدا بمظهر المعارض، وهذا ما سهل تنفيذ رغبة مدحت باشا.

ولأن موسم الحصاد جاء عقب الاستيلاء على القطيف والأحساء فقد كانت أول مشكلة ظهرت أمام الإدارة الجديدة هي مسألة جباية الزكاة والعُشر. ولذلك لم يتأخر مدحت باشا كثيراً، فكاتب الصدارة في ٢٠ يونيو يعلمها بالتدابير التي اتخذها في هذا الموضوع.

وكان البدء فجأة بحصد المنافع المادية من منطقة مثل نجد (الأحساء) كان ينطوي بلا شك على بعض المحاذير، فقد رأى مدحت باشا أنه من الضروري اتخاذ جملة من الإجراءات من أجل جباية ضريبة العشر لأن وقت جمعها قد حلّ، وذلك لأن عبد الله بن فيصل القائم على إدارة المنطقة بقي في الصحراء ولم يأت إلى الأحساء. ثم إن عدم أخذ الضريبة من أهالي الأحساء والقطيف سوف يمثل سابقة سيئة. ومن جانب آخر فإن الضريبة التي ستأخذها الدولة من هذه المناطق لا تتعدى العشر والزكاة، في حين كانت مطالب العائلة السعودية وما كانوا يأخذونه من الأهالي أضعاف هذه القيمة بمرات. ولذلك فإن مدحت باشا كان يتوقع من الأهالي أن يستجيبوا لدفع الضرائب بكل رضا وسرور.

وإثر التحريات التي قامت بها الهيئة المكونة من أعيان الأهالي، تبين أن ما أعطي للشيوخ في سنة واحدة، وفي منطقة القطيف وحدها، هو ثلاثة آلاف قرش كضريبة على مائة وسبعين حقلا من حقول التمر. وفي القطيف يوجد أكثر من مليون ونصف المليون شجرة من أشجار النخيل، بينما يوجد في الأحساء أربعة أضعاف هذا العدد. ولفت مدحت باشا انتباه الباب العالي إلى المداخيل التي يتم جمعها من الزكاة ومن ضرائب ميناء عجير والقطيف، وقال إنه بالرغم من أن ما

يتم أخذه يعتبر مبلغا متوسطا، إلاّ أن ما سيتم استحصاله سوف يكون مبلغاً كبيراً. وأبلغ الباب العالي أن هذه الضرائب سوف يجري جمعها بواسطة الهيئة التي تم تكوينها[٤٨٥]. ومن جانبه وافق الباب العالي على هذا الموضوع، وأعطى الضوء الأخضر لهذا المجلس المؤقت لكي يقوم بهذه المهام إلى أن يتم تشكيل الحكومة في نجد في المستقبل وجمع هذه الضرائب على النحو المطلوب[٤٨٦]. وفي ذلك العام تم جمع سبعة آلاف كيس كمقابل للزكاة والعشر[٤٨٧].

ومثلما ورد في التلغراف الذي أرسله مدحت باشا إلى الباب العالي في ٢١ يوليو، فقد رأى أنه من الضروري الزيادة في عدد العساكر الموجودين في الأحساء. وقد كان عدد العساكر الموجودين هناك بعد انتهاء الحملة ٣٤٠٠ فرد يتوزعون على خمسة طوابير. ومن بين هذا العدد يتمركز ٢٥٠٠ فرد في الحفوف و٥٠٠ في القطيف و١٥٠ في عجير و٢٥٠ فردا في أماكن أخرى متفرّقة، غير أن ما يقرب من ثلث هؤلاء العساكر أصيب بالأمراض بسبب عدم قدرتهم على تحمل الظروف المناخية القاسية[٤٨٨]. كما أن عددا من القبائل العربية التي اشتركت في العمليات الحربية سابقا انسحبت من الجيش بحجة تهدئة النزاعات التي ظلّت متواصلة في دواخل نجد. ولهذا فقد عُمد إلى الزيادة في عدد العساكر نزولا عند طلب نافذ باشا وولاية بغداد. وفي البداية تم التفكير في تشكيل ألاي سادس جديد يكون مرتبطا بالجيش السادس الموجود في بغداد، ثم تم العدول عن هذه الفكرة باعتبار أنّ مثل هذه العملية تتطلب على الأقل ثمانية أشهر لإتمامها، وتقرر إرسال الطوابير الثلاثة التي تكون ألاي القسم الرابع من الجيش الخامس المُتمركز في الشام مع طابور الطليعة الرابع، إلى بغداد عبر طريق بيروت–الإسكندرية. وهكذا كوّن هؤلاء العساكر الألاي

---

(٤٨٥) الأرشيف العثماني، (*ID* 44230)، لف:١.

(٤٨٦) *الوثيقة نفسها*، لف: ٥.

(٤٨٧) الأرشيف العثماني،(44930)، لف: ٤.

(٤٨٨) لوريمر، *المصدر السابق*، ص. ١٤٥٤؛ كللي، *المصدر السابق*، ص. ٦٠٤.

السادس من الجيش السادس وطابور الطّليعة السادس، وقررت القيادة العسكرية العامة استبدال العساكر الذين سوف يأخذون من الجيش الخامس بألاي من المشاة وطابور من الطليعة ومنحهم مرتبات لمدة ستة أشهر، كما قررت إرسال تعيينات وبدل ملابس بمقدار ٦٧٤٥ كيس و٢٧٩,٥ غروش إلى الجيش الخامس على الفور، واتصلت القيادة العسكرية بنظارة المالية من أجل تنفيذ هذا القرار[٤٨٩].

وتبين، بعد وقت قصير، أن هذا القرار كان في محلّه. وعندما علمت عشيرة شمر التي يرأسها عبد الكريم، والتي تتوزع في المناطق الموجودة بين حلب وأورفة وديار بكر والموصل، أن ثمة نقصًا في عدد العساكر ببغداد أعلنت تمردها، وشرعت في القيام بأعمال النّهب والسلب[٤٩٠].

ورغم إعلان العفو فإن سعود لم يستسلم، بل كان يواصل نشاطاته بشكل سري. ومن جانب آخر فإنه لم يعمد إلى إجراء أي حوار مع عبد الله بن فيصل الذي اعترفت به الدولة رسميا. ووفقا للمعلومات التي تم الحصول عليها فقد كان الأخوان يبحثان عن الفرص المناسبة للإيقاع ببعضهما البعض. كما أن سعود انتهز الفرصة لنشر وحداته العسكرية في أماكن متفرقة من الساحل، ثم تقدم من جديد نحو الرياض رفقة عدد من العشائر التي تمكن من جمعها. ومن جانبه انسحب عبد الله في اتجاه جنوب الرياض وأخذ في الانتظار. وفي تلك الأثناء حاول بعض أعيان القبائل المصالحة بين الأخوين إلا أنّ جهودهم باءت بالفشل[٤٩١]. وذكر مدحت باشا في التلغراف الذي أرسله إلى الصدارة بتاريخ ٢٢ أغسطس، اعتمادا على الأخبار التي حصل عليها من نجد عن طريق بندر بوشير، أن الأخوين قد تحاربا، وأن سعود تمكن من السيطرة على الرياض مرة أخرى. وورد خبر موت

---

(٤٨٩) الأرشيف العثماني،(*İD* 44273)، لف: ١،٢.

(٤٩٠) مدحت باشا..، ص. ١١٠-١١١.

(٤٩١) كللي، *المصدر السابق*، ص. ٦٠٤-٦٠٥.

عبد الله بالرغم من عدم تأكده[٤٩٢]، وباستثناء خبر موت عبد الله، فإن ولاية الحجاز وإمارة مكة المكرمة أكدتا صحة الأخبار الأخرى في الأنباء التي أرسلاها إلى الباب العالي.ووفقا للأخبار الواردة من الحجاز فإن سعود تمكن من عقد اتفاق مع قبيلة عجمان، وعندما استولى على الرياض انسحب عبد الله إلى قبائل قحطان، واستنجد بولاية الحجاز وطلب منها المساعدة. وقد قيل إنه بعد إرسال موظف من الحجاز إلى نجد للتحقق من الأوضاع، تم إرسال وحدة عسكرية صغيرة إلى نجد. وبعد أن نوقش الوضع في الباب العالي تم تحرير خطاب مشترك إلى كل من ولاية الحجاز وإمارة مكة المكرمة في ٢٩ أغسطس تضمن النقاط التالية:

لقد تحققت الفوائد المرجوة من الوحدات العسكرية التي تم إرسالها إلى نجد عبر بغداد. وبفضل هذه الوحدات، يتم الآن العمل على تأسيس إدارة في أنحاء الأحساء والقطيف. فمن ناحية هناك نشاط من أجل الزيادة في عدد هذه الوحدات، ومن ناحية ثانية يتواصل العمل من أجل إتمام النقص الحاصل فيها. ومن أهم النتائج التي وقع تحقيقها حتى الوقت الحاضر، سواء بين الأهالي أو بين البدو، هي إنقاذهم من الظلم الذي كان مسلطا عليهم حتى الآن، وحمايتهم في ظل عدالة الدولة. وإن سيطرة سعود على الرياض، وانسحاب عبد الله بن فيصل ودخوله بين قبائل قحطان وعدم قدرته على الانضمام إلى العساكر المنتصرين، لن يجعل العساكر الموجودين هناك سببا في تغيير مخططاته. وبهذه المناسبة فإن الصدارة توضح أن الفرقة العسكرية لن تلقي بنفسها إلى التهلكة في الصحراء لا بسبب سعود ولا بسبب عبد الله، وأن العساكر إنما يقومون بواجبهم في حماية الأهالي المطيعين الذين تعرضوا للظلم والغدر. وبالنسبة إلى عبد الله بن فيصل، فهو من جهة لم يرد الالتحاق بالعساكر المتمركزين في سواحل نجد، ومن جهة أخرى بعث إلى ولاية الحجاز يطلب منها المساعدة، وهذا الأمر جاء مناقضا لمطالبه قبل حملة الأحساء. وذكّرت الصدارة بأن استيلاء سعود على الرياض

---

(٤٩٢) الأرشيف العثماني، (*İMM* 1703)، لف: ١.

أمر خَطِرٌ، كما أن المعلومات الواردة تقول إن هذا الموقع في غاية الحساسية، ولهذا السبب أصدرت الأمر إلى العساكر الذين تم إرسالهم من مكة المكرمة والمدينة لمساعدة عبد الله بالانسحاب على الفور. وإضافة إلى ذلك فقد صدر الأمر بضرورة التنبه إلى القلاقل التي يمكن أن تحدث في سواحل نجد والتي يمكن أن تكون سببا في عرقلة الإصلاحات التي تم الشروع فيها هناك(٤٩٣).

وهكذا تم رصد تطور الأوضاع على هذا النحو، وتم التأكيد مرة أخرى على ضرورة الإبقاء على الفرقة العسكرية في نجد بصورة كافية وقوية. كما تطرق مدحت باشا في التلغراف المذكور إلى أنه ينبغي إرسال العساكر الموجودين في الموقع إلى الرياض مباشرة، وإرسال الوحدات من الجيش الخامس المخصصة للحملة، وذلك بهدف منع الاضطرابات في دواخل نجد.

وجاء في الرسالة الجوابية التي وردت إلى مدحت باشا من الصدارة في الأول من سبتمبر/ أيلول أنه ينبغي ترك القطيف والأحساء على حالهما لأنه لم تتشكل حكومة إلى حد الوقت الحاضر، كما جاء في رسالة الصدارة أنّه يمنع ملاحقة سعود الذي هزم أخاه، كما طلبت من والي بغداد تأجيل أي عمل عسكري في الدواخل حتى يتم إنشاء إدارة في الأحساء والقطيف وفي القصبات والقلاع والقرى الموجودة في سواحل نجد(٤٩٤).

وفي هذه الأثناء، حاولت ولاية الحجاز تقديم المساعدة لعبد الله، فأرسلت إليه من جهة طابورين عسكريين، ومن جهة ثانية بعثت برسائل إلى القبائل العربية المتنفذة، وأرسلت إليهم كذلك موظفين من أجل توفير الدعم لعبد الله في مواجهة

---

(٤٩٣) الأرشيف العثماني، *دفاتر المهمات* ٨٧١، ص. ١٧٩.

(٤٩٤) الارشيف العثماني، (*İMM*1703)، لف:١.

أخيه سعود[٤٩٥]. فولاية الحجاز على ثقة بأن بعض عشائر نجد تكره سعود، وقد تمكنت من توفير الأمن في سواحل نجد، وهي لذلك على ثقة بأنها قادرة على بسط سيطرتها على المنطقة[٤٩٦]. أما عبد الله بن فيصل، فبالرغم من حصوله على المساعدات فإنه لم يتمكن من توفير الاستقرار، وقبل انتظار الخبر القادم من الحجاز قرر السير في اتجاه الأحساء استجابة لدعوة من أخيه محمد[٤٩٧]. ومن المحتمل أن يكون محمد أعلمه بأنه ليس في نيّة الدولة مساعدته بسبب الموقف الذي اتخذه من أخيه. وبدوره قرر الذهاب إلى الأحساء قبل انتظار الجواب على الطلب الذي تقدم به إلى الحجاز.

وحسب ما يفهم من العريضة التي قدمتها الصدارة إلى المابين بتاريخ ١٥ أيلول ١٨٧١، فإن عبد الله وصل إلى الأحساء واستقبل هناك استقبالا كبيرا من قبل نافذ باشا. ولم تول الصدارة اهتماما كبيرا لموضوع استيلاء سعود على الرياض، بينما أوضحت في العريضة نفسها أن الإصلاحات سوف تمتد أيضا إلى تلك المناطق، بعد أن تشمل المناطق الساحلية. وتمت مكاتبة ولاية بغداد بضرورة ايلاء عبد الله عناية خاصة[٤٩٨]. ويمكن أن نفهم كذلك أن ولاية الحجاز وإمارة مكة المكرمة لم تريدا سحب العساكر التي أرسلتاها، بل عرضت المسألة مباشرة على المابين. غير أن السلطان أيّد الاجراءات التي تم اتخاذها وذلك بالنظر إلى بيان القيادة العسكرية وإلى ما صرحت به الصدارة في هذا الشأن، ولذلك فقد بعث إلى الحجاز يؤكد على دعمه لقرار الصّدارة[٤٩٩].

---

(٤٩٥) مثال ذلك الرسائل التي بعث بها الشيخ حسن بن عبد المحسن وزامل بن عبد الله السليم، وهما من شيوخ منطقة القصيم، إلى ولاية الحجاز وعبرا فيها عن ارتباطهما بالدولة، ووعدا فيها بالدفاع عن عبد الله بن فيصل. الأرشيف العثماني، (*İD*44551)، لف: ٥، ٧.

(٤٩٦) الأرشيف العثماني،(*İD*44551)، لف: ٣.

(٤٩٧) *الوثيقة نفسها*، لف: ٤.

(٤٩٨) *الوثيقة نفسها*، لف: ١.

(٤٩٩) *الوثيقة نفسها*، لف: ٨؛ الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٧١، ص. ١٨٩.

وربما كانت رغبة الحجاز في المدة الأخيرة في مساعدة عبد الله، هي التي مثلت دافعا لأمير مكة المكرمة لكي يستفيد من الوضع القائم ويعمل على جمع الزكاة وباقي المداخيل الأخرى. ومن جانب آخر فقد أخذ مدحت باشا بعين الاعتبار الوضع الذي كان يعيش فيه الأهالي في دواخل نجد وعدم تعيين ممثل رسمي عن الدولة هناك، فأمر بتأجيل جمع ضريبة العشر والزكاة بالنسبة إلى ذلك العام. وهذا الوضع عرقل من جهة، رغبات أمير مكة، ومن جهة ثانية مثّل ثورة على سعود حاكم الرياض. كما أنه وفقا للأخبار الواردة من المنطقة في بداية أكتوبر من عام ١٨٧١، فإن سعود عمل على جمع الضرائب عنوة ومارس على الأهالي ضغوطات بسبب ذلك، بالرغم من أن الدولة أعفتهم من دفعها، وقد دفع ذلك أهالي الرياض إلى التمرد. ومن جهة أخرى فإن العساكر الذين تم جلبهم إلى سواحل نجد شجع الأهالي على التمرد، فتمت محاصرة سعود داخل القلعة واضطر إلى الدفاع عن نفسه بالمدافع، بيد أنه لم يصمد طويلا، ثم فر من تلك المنطقة. وفي تلك الأثناء قدم إلى الأحساء خمسة عشر من أعيان الرياض، والتقوا بنافذ باشا وعرضوا طاعتهم على الدولة العثمانية[٥٠٠].

وفي الحقيقة لقد أدرك نافذ باشا أن قدوم عبد الله بن فيصل إلى الأحساء نابع من عجزه، ولكي لا يقوم مرة أخرى بالإخلال بمقتضيات الحملة فقد استقبله بصفة قائمقام. وفي هذه الأثناء، وإضافة إلى التعيينات اليومية التي كانت تمنح لعبد الله وأخيه ومن كان معهما، فقد خصص لعبد الله مرتب شهري قدره ١٢٠٠ ريال. ومن ناحية أخرى فإن سعود، وبعد أن طُرد من الرياض اغتاظ من المعاملة التي عومل بها أخوه في الأحساء، ولذلك عزم على جمع مؤيديه من جديد خارج الرياض. وبالنسبة إلى قبائل نجد التي كانت تؤمّن أغلب احتياجاتها من الأحساء والقطيف قد لحق بها الفقر والجوع بسبب قطع الطرق نتيجة هذه الأحداث. ولهذا السبب فقد استجابوا بسرعة لنداء سعود الذي دعاهم فيه إلى النّهب والسلب. وهكذا تمكن سعود

(٥٠٠) الأرشيف العثماني، (İD44488)، لف: ١.

من جمع ما بين سبعة إلى ثمانية آلاف شخص من قبيلتي المرة وعجمان، ثم هجم على الأحساء وحاول إلقاء القبض على عبد الله. غير أنه لما اقترب من الأحساء زحف عليه طابوران من العساكر المزودة بالبنادق الإبرية، فاشتبكت مع قواته، فهزم وجُرح، ولم يجد بعد ذلك بدًّا من الفرار. وسعد عبد الله سعادة كبيرة لهزيمة أخيه سعود، وهنأ العساكر الذين شاركوا في القتال فردا فردا، كما بعث برسالة شُكر إلى بغداد. وبهذا الشكل فقد أصبحت عند عبد الله قناعة بانه تخلص من أخيه، وفي تلك الأثناء كانت ترد عليه من الرياض رسائل من العلماء الوهابيين. وفي أواسط شهر أكتوبر جلب إليه أخاه محمد، ولكنه فجأة غادر الاحساء واتجه نحو دواخل نجد. وبعد أن أنهى العساكر الذين طلبهم عبد الله مهمتهم رغب في بقائهم في المنطقة، وعبر عن استعداده لمواصلة تبعيته للدولة، وكانت الدولة تعلم منذ بداية حملة الأحساء، على الرغم من إعلانها في كل مناسبة كونه هو القائمقام، أنّ الأهالي، وخاصة سكان سواحل نجد غير راضين عنه ولا عن عائلته.

فأثناء إقامته في الأحساء تم إبلاغه شخصيا بهذا الأمر. وفي مواجهة هذا الوضع الجديد، التقى نافذ باشا بمدحت باشا للاستشارة، وأعلما عبد الله بأن لا يطلب من الاحساء وقطر والقطيف شيئا، وأن يكتفي بقائمقامية الرياض وما جاورها، ومنحاه مدة خمسة عشر يوما للرد على هذا الموضوع، كما تم إعلامه بأنه إذا لم يرد في هذ المدة فسوف تقع إقالته. وكان المسؤولون في الأحساء على بينة من أنه لن يرسل بأي جواب. غير أن عزله كان من الأفضل أن يرتبط بسبب مشروع، وذلك لكي يقع تجنب إثارة الأهالي، ولذلك فقد اعتبروا هذا الاقتراح مقبولا ومناسبا. وبالفعل فإن عبد الله لم يرد على الرسالة في المدة المحددة، وبعد مدة من الزمن كتب رسالة يوضح فيها أنه مستعد لمواصلة الخدمة إذا بقيت الوظيفة في عهدته، أما إذا تقرر عزله فإنه يطلب تعيين شخص آخر في مكانه. والحقيقة أن هذا الجواب هو بمثابة إعلان استقالة، ولذلك فقد تم عزله على الفور. وإضافة إلى ذلك فقد تم إرسال مجموعة من الأوامر (بيورلدي) لتعيين شيوخ

محليين على رأس الإدارات في أربع وعشرين من المدن والقصبات والقرى مثل الرياض وجبل شمر وعنيزة وبريدة، وذلك إلى أن يتم إرسال قائمقام جديد[٥٠١].

أصبحت مناطق الأحساء والقطيف وقطر آمنة، وذلك بفضل الإجراءات العسكرية التي اتخذها نافذ باشا، أما من الناحية الإدارية فقد اتخذت إجراءات مؤقتة. وفي الحقيقة فإن قسما من الموظفين الذين تم تعيينهم من بغداد أرسلوا إلى هناك على اعتبار أن عبد الله بن فيصل سوف يحافظ على وظيفته، غير ان التطورات الاخيرة التي حدثت أكدت القناعة بأن منطقة غنية بالموارد كهذه لا يمكن أن تُدار من قبل أناس لا علم لهم، أو من خلال تطبيق تدابير مؤقتة. ومن ناحية أخرى، فإن مدحت باشا كان قد أدار هذه الحملة من بعيد، غير أنه يريد الآن أن يرى نتيجتها عن قرب. وإضافة إلى ذلك، فقد قدم نافذ باشا إلى الأحساء ورأى أن تطبيق ترتيبات مدحت باشا الإدارية هناك سوف تكون ناجعة.

وانطلق مدحت باشا من بغداد باتجاه الأحساء في ٢٨ أكتوبر، ومر في البداية بالعمارة ثم بالبصرة وقام فيهما ببعض الترتيبات. وإثر ذلك، وفي ٨ نوفمبر خرج مدحت باشا من الفاو باتجاه الأحساء مصحوباً بطابورين من العساكر جلبهما معه من بغداد، كما شحن كميات كبيرة من المهمات والمؤن في بواخر بابل والاسكندرية ولبنان، وذلك من أجل نقلها إلى العساكر المرابطين في الأحساء. وقد قدم عبد الله الصباح بنفسه إلى الفاو لاستقبال مدحت باشا، ومن جانبه ذهب مدحت باشا معه إلى الكويت[٥٠٢]، ثم أقام هناك نصف يوم شكرا له وتقديرا لجهوده التي بذلها أثناء الحملة على الأحساء.

---

(٥٠١) الأرشيف العثماني،(*İD* 44930)، لف:٢. للاطلاع على هذه الوثيقة منشورة مع بعض اللفوف الأخرى، انظر:
Yusuf Halacoğlu, "Midhat Paşa'nın Necid ve Havalısi ile İlgili bir kaç Layihası", *İÜTED*, October 1972/3, p. 149-177.

(٥٠٢) يقدم مدحت باشا المعلومات التالية حول الزيارة التي قام بها إلى الكويت: "إن قصبة الكويت تحتوي على خمسة إلى ستة آلاف أسرة، وموقعها مرتفع وليس فيها ماء ولا بساتين ولا مزروعات ولكن طقسها لطيف وصحي. وهذه البلاد غاية في الجمال، وفيها ميناء واسع، وهي محصنة إزاء الهجمات التي يقوم بها العرب من جهة البحر،

وفي اليوم نفسه، تحرك الباشا ووصل إلى رأس التنورة، وهي تبعد مسافة مائتين وسبعة وسبعين ميلا عن الأحساء. وبالرغم من أن الوصول من هذه المنطقة إلى القطيف وتوابعها مثل الدمام وتاروت لا يستغرق سوى ساعة أو ساعتين بالبغال، فإن المد والجزر الذي كان موجودا في تلك الفترة أخر نقل المهمات والمؤن، ولم يتسنّ نقلها إلى القطيف إلا في ثلاثة أيام(٥٠٣). ومن أجل نقل المؤن والمهمات من العراق في المستقبل إلى كل من القطيف وعجير وقطر عبر البر، قرر مدحت باشا إنشاء مخزن للفحم وصومعة للمؤن وعدد من مجموعات الحراسة في رأس التنورة الذي اعتبر أنسب مكان لذلك. لكن وبسبب الطقس القاسي هناك فإن عددا كبيرا من العساكر أصيبوا بالأمراض. وبمجرد أن قدم الباشا إلى هذا المكان استبدل قسما كبيرا من هؤلاء العساكر بالعساكر الذين جلبهم معه، كما قام

وأما جهة البر فقد كانت محاطة بعدد من القبائل والعشائر البدوية، ولذلك فإن سكانها عاشوا إلى حد الآن في أمان، وكان المجتمع والعمارة يتطوران من يوم إلى يوم. وأكثر سكان مركز القصبة فيها هم على المذهب الشافعي، وهناك عدد قليل على المذهب الحنفي والحنبلي والمالكي، ولا يوجد بين السكان يهود أو مسيحيون، كما لا يوجد وهابيون ولا شيعة. وجميع سكان هذه البلاد يشتغلون بالتجارة والمهن البحرية، ويوجد فيها أكثر من ألف سفينة، وتستعمل السفن الصغيرة في جمع اللؤلؤ وفي القيام بالأعمال المختلفة بإرسالها إلى الموانئ القريبة مثل البصرة وبندر بوشير. أما السفن الكبيرة فتستخدم في الأغراض التجارية إلى الهند وبلوجستان وزنجبار واليمن. وقائمقامية الكويت تابعة لمتصرفية البصرة، وهي في عهدة الشيخ عبد الله الصباح، وينظر في الأمور الشرعية نائب له وكذلك يوجد نائب في أمور الضبطية ونائب آخر في الأمور الشرعية، وليس هناك أية عائدات لحساب الدولة ولا لحساب القائمقام، وسكان هذه البلاد هم بمثابة العائلة الواحدة ونادرا جدا ماتقع قضايا أو نزاعات تتعلق بالحكومة، ولا يوجد أي موظف آخر عبر القائمقام مثل الضبطية أو الحراسة وما شابه ذلك" (الأرشيف العثماني، *İD* 44930، لف: ٤).

(٥٠٣) يقدم مدحت باشا المعلومات التالية حول القطيف: " تتكون القطيف من نواحي سيهود (ساهود) وتاروت وسقوى، وبالنسبة إلى القرى المجاورة فهي عبارة عن منابع للمياه تشبه الأحساء، وتتدفق فيها عيون ومنابع متعددة، ويستعمل الماء للسقي، وقد كانت هذه المياه تكفي للسقي وللزراعة ولكن بسبب الظلم الذي مارسته عائلة فيصل (سعود) وبسبب مظالم العربان خربت تلك المنابع وأصبح أكثر تلك المياه الجميلة فاسدة ولا فائدة منها وتذهب هدرا في البحر ... وسكان القطيف هم مثل أهالي الأحساء يعيشون على عائدات التمر، ولقربهم من الساحل فإنهم يتاجرون بالسمك وجمع اللؤلؤ، وهناك عدد كبير من التجار يشتغلون بتجارة اللؤلؤ تعرضوا إلى تجاوزات من قبل عائلة فيصل، ولذلك اضطروا إلى الهجرة إلى أماكن أخرى، وهم الآن يعودون إلى ديارهم." الأرشيف العثماني، (*İD* 44930).

بإرسال العساكر المرضى إلى بغداد. ومن جانب آخر، شرع في إنشاء ثكنة من جذوع النخيل جديدة خارج القطيف في منطقة مرتفعة شيئاً ما يقال لها "البدراني" وذلك لأن هواءها أكثر اعتدالاً [٥٠٤].

وبعد الترتيبات التي قام بها مدحت باشا في القطيف، وقبل أن يتحرك إلى عجير أرسل عارف بك قائد البحرية في البصرة، ومعه باخرة لبنان وباخرة الاسكندرية من أجل استطلاع منطقة البحرين. وبذلك يبين للإنجليز أن الدولة العثمانية لم تنزع يدها عن منطقة البحرين. وفي العام نفسه، في شهر يوليو أراد الباشا أن يذكر الإنجليز وذلك عن طريق هربرت القنصل الإنجليزي في بغداد بأن " البحرين جزء لا يتجزأ من نجد"[٥٠٥]، وسياسته هذه تعتبر خطوة متقدمة عن سياسة الباب العالي، وفي الحقيقة فقد كان الباشا يرغب في الذهاب إلى البحرين غير أن الإنجليز من خلال الكولونيل بللي في الخليج كان يتعقب تحركات الباشا عبر أربعة سفن حربية، ولهذا السبب عدل عن الذهاب وأرسل عارف بك[٥٠٦]. وبالرغم من أن حملة عارف بك هذه قد قوبلت باحتجاج من قبل إنجلترا فإنها حققت نتائج إيجابية جدا. واستقبل عارف بك ومن كان معه استقبالا حافلا من قبل شيخ البحرين، وخصص في هذا المنطقة مكانا مناسبا جعله مخزنا لفحم السفن العثمانية. واعتبارا من هذا التاريخ تواصلت المشاكل الدبلوماسية بين إنجلترا والدولة العثمانية، وأصبحت السفن العثمانية تغدو وتروح إلى هذا المكان.

ومن النتائج الإيجابية الأخرى لهذه الزيارة أنه تم رفع الحماية عن سعود عندما كان يغير باستمرار مع رجاله على نجد ثم يفر ويحتمي بشيخ البحرين. فقد أعلن

---

(٥٠٤) *الوثيقة نفسها*، لف: ٤.

(٥٠٥) كللي، *المصدر السابق*، ص. ٦١٠.

(٥٠٦) مدحت باشا، ص. ١١٩.

عيسى شيخ البحرين، بعد هذه الزيارة أنه سوف يبقى على الحياد فيما يتعلق بالمسائل القائمة في نجد[٥٠٧].

لم يتمكن مدحت باشا من الاقتراب من ميناء عجير انطلاقا من القطيف بواسطة السفن الكبيرة[٥٠٨] ولذلك فقد اتجه إلى هناك أثناء الحملة مستعينا بباخرتي آسور وألوس. وقد عمد مدحت باشا إلى منطقة الظهران الواقعة بين الدمام وميناء عجير والتي قطنتها عشيرة بني هاجر منذ القديم بعد أن تعرضت للخراب من قبل الوهابيين وأصبحت بمثابة مراعي للإبل، وحولها إلى ناحية وشجع على إعمارها من جديد. وقام نافذ باشا بإنشاء مخفر للشرطة في شكل قلعة وذلك في المكان الذي يدعى بريمان(؟) والذي يتوفر فيه الماء، وهو يقع بين عجير والأحساء، كما قام بتغيير بلوك من العساكر وأحل محلهم عساكر جددا، وإضافة إلى ذلك تم وضع مجموعة من عرب الهجين في هذه القلعة. وتمثل هذه المنطقة معبرا لتجارة الأحساء، وبسبب تعرضها باستمرار لهجمات عشائر عجمان والمرة فقد تم إنشاء مخفر آخر في قرية الجفر القريبة من بريمان، وبذلك أصبحت المنطقة آمنة وفُتح طريق التجارة من جديد. وبهذا الشكل وصل مدحت باشا إلى الحفوف مركز الأحساء في اليوم التاسع أو العاشر من شهر ديسمبر، وقام هنا أيضا بمجموعة من الاصلاحات. كما تم ترتيب قلعتي الحزام (الحزم) ومبرز بجوار الحفوف من جديد

---

(٥٠٧) قاسم، *المصدر السابق*، ص. ١٨٤؛ عبد العزيز محمد المنصور، التطورات السياسية لقطر في فترة ما بين ١٨٦٨- ١٩١٦، الكويت ١٩٨٠ (الطبعة الثانية)، ص. ٨٢-٨٣.

(٥٠٨) يورد مدحت باشا المعلومات التالية عن رصيف العجير: "يبعد رصيف العجير عن الأحساء مسافة اثنتي عشرة ساعة، ويحتوي على خان وعلى حصن صغير هو بمثابة مركز للشرطة، وبذلك فهو أفضل موقع يمكن أن يؤدي مهمة الميناء في منطقة الأحساء. إلا أن القوارب والسفن لا تستطيع الاقتراب من الرصيف بسبب قلة عمق مياهه والذي يتراوح بين قدمين وثلاثة أقدام. ولهذا السبب تقوم السفن التجارية بإلقاء مراسيها على بوابة خليج العجير على بعد ثلاثة أو أربعة أميال عن الميناء. ولدينا سفينتان إحداهما تدعى "ألوس" تستطيع ان تدخل الميناء لأن غاطسها يبلغ قدمين ونصف القدم تقريبا، وبالتالي تستطيع أن تقترب من الرصيف إلى حد ما. إلا أن سفينتنا الاخرى والتي تدعى "آسور" لا تستطيع الاقتراب من الميناء لأن غاطسها يبلغ خمسة أقدام، وبالتالي فحالها كحال السفن الأخرى في إلقائها المرساة على بعد ميلين أو ثلاثة أميال من الميناء" (الأرشيف العثماني، *ID 44930*)، لف:٤.

وإكمال استحكامهما واستبدال العساكر الموجودة فيهما. وبالنسبة إلى المناطق التي تقع جنوب الحفوف على طريق الرياض والمشهورة بأرضها الخصبة ومياهها الوفيرة، فقد ظلت منذ مدة طويلة أرضا عقيما باعتبارها كانت ملاذا لعشائر عجمان ومرة بصفة خاصة. ومن أجل المحافظة على أمن هذه المنطقة أمر مدحت باشا، بعد استشارة نافذ باشا بإنشاء مخفر للشرطة في المنطقة المسماة بـــ "دليجية" كثيرة الماء بالقرب من مكان تتدفق فيه الينابيع، وتقع منطقة دليجية على مسافة ثلاث ساعات من الحفوف.

وبالشكل نفسه تقرر إنشاء مخفر آخر بالقرب من نبع للماء في المكان المسمى أم السبعة الواقع شمال الحفوف[٥٠٩] ومبرز، كما تقرر أيضاً وضع عدد كاف من

(٥٠٩) يورد مدحت باشا في لائحته التي بعثها إلى الصدارة العظمى المعلومات التالية عن الحفوف: تتألف قصبة الحفوف من سبعة إلى ثمانية آلاف بيت، وتجاورها من الشمال على بعد ثلاثة أرباع الساعة قصبة المبرز التي تتكون من خمسة آلاف إلى ستة آلاف بيت، وتتبعها حوالي ثلاثون قرية، وكل قرية تتألف من مائة إلى خمسمائة بيت، وتشكل بمجموعها منطقة كبيرة. وكل بيت فيها محاط بجدار مبني من الحجر أو اللّبِن للحماية من غارات الأعراب والعشائر. وتوجد في كثير من نواحي المنطقة أبراج للمراقبة. وقد وردت الأنباء بأن الأحساء وحدها، عدا منطقة القطيف، يوجد فيها نحو أربعين ألف قطعة أرض زراعية. إلا أن هذه المعلومات كان مبالغ فيها بعض الشيء لأن معظم الأراضي التي تتحدث عنها تلك المعلومات لا تعدو كونها أراضي زراعية لا تتجاوز مساحة الواحدة منها دونم أو دونمين. ولكن الزيارة الميدانية للمنطقة بينت أن البساتين تسقى بواسطة سبعة ينابيع كبيرة، وكل ينبوع يدير سبعة أو ثمانية طواحين حجرية، وهذا يعكس كمية المياه التي تحتوي عليها، وتبدو في هيئتها كأنها أنهار صغيرة. وتعتبر الأرض خصبة ملائمة للزراعة ومناخها أيضا ملائم، إذ أن فسائل النخيل التي تزرع تعطي ثمارها من التمر خلال سنتين أو ثلاث سنوات . وبما أن التمر يمثل مادة غذائية رئيسية للبدو والحضر في منطقة نجد، وكذلك للدواب، أي لكل ذي روح، فإن التمر يلقى رواجامنقطع النظير في المنطقة. ولذلك ومنذ القدم، دأب الناس على استغلال كل أرض ملائمة للزراعة وإنشاء البساتين فيها. ولكن إلى حد الآن لم يتم إجراء تعداد لهذه البساتين والأراضي الزراعية. ولكن هذه البساتين تتميز باتساع لا يقل عن اتساع بساتين بغداد والحلة، بل يتجاوزها بكثير. ولهذا السبب فينبغي ألا نستكثر الثلاثين ألف بستان التي توجد في المنطقة. ويتمير أهالي الحفوف والمبرز بنسبة عالية من أهل السنة، موزعين بين المذهب الحنفي والشافعي والمالكي، وخصوصا بعد أن نزح عنها الكثير ممن كان يتبع المذهب الوهابي من آل فيصل (العائلة السعودية). والآن لم يبق منهم سوى القليل ممن لديه أراضي لم يستطع التخلي عنها. وهناك أيضا القليل من الشيعة. أما القرى فعلى العكس من ذلك، إذ أن غالبيتها من الشيعة، والأقلية سنية على المذهب الحنفي. ويعمل أهالي القصبة في غراسة النخيل وزراعة الأرز. وتقدر الأموال التي تتم جبايتها من هذه الحاصلات سنويا، وحسب وفرة الإنتاج، أربعة أو خمسة آلاف أقجة تذهب

عساكر الضبطية في هذين المخفرين. ومن أجل القيام بهذه الأعمال تم تخصيص ٥٠٠ غروش من عائدات المنطقة لعام ١٨٧١. وبهدف ضمان الأمن في الطريق البري الرابط بين القطيف والأحساء تقرر إنشاء أبراج في المناطق الواقعة على هذا الطريق وهي منطقة سلامة وبكرة وأبو الهمام وكنزان، كما تقرر الإبقاء على عشرة موظفين وعشرين جندياً في كل منطقة[٥١٠]. ومن أجل نقل العساكر والمعدات مابين القطيف والبصرة تم شراء باخرة جديدة تسمى "باخرة نجد" يبلغ طولها مائتين وخمسة عشر قدما وعرضها ثلاثين قدما وقوتها مائة وخمسين حصانا[٥١١].

لم تقتصر الاصلاحات في الأحساء على هذه الأمور. وبما أن إنشاء المقابر غير جائز عند الوهابيين فقد كان الأموات يدفنون في الحدائق، ثم تختلط أجسامهم بالتراب ويندثرون. ولهذا السبب فإن المقابر القديمة تم تخريبها ولا توجد مقابر جديدة. فقام الباشا بإلغاء هذه العادة وحدد أماكن معينة للمقابر وأعطى رخصا خاصة بالدفن. وإضافة إلى ذلك تم رفع المنع الذي طال التبغ والسعوط من قبل الوهابيين. وبالنسبة إلى الجوامع والمساجد التي تم إنشاؤها في عهد السلطان سليمان القانوني من قبل محمد

إلى خزينة الدولة. وهي أموال مجباة من غلة التمر والأرز وسائر المحاصيل الأخرى. ولا يستعمل الاهالي في المناطق الحضرية أو النائية المنتوجات الأجنبية عدا المناديل المصنوعة من القطن الأمريكي. ولهذا السبب يفترض في أهالي المنطقة أن يكونوا على درجة كبيرة من الثراء. ولكنهم في الواقع عانوا الأمرين أيام سيطرة للوهابيين وإدارتهم للمنطقة، وخصوصا في عهد عبد الله الفيصل وعهد السعوديين. فقد كان هؤلاء لا يجبون العشر من غلة المحاصيل الزراعية بل يتجاوزونه إلى الخمس أو الثلث أو حتى النصف. وكانوا يأخذون من الأهالي كل ما غلا ثمنه كالسجاد أو الدواب أو غيره كإتاوة. هذا فضلا عن غارات الأعراب وظلمهم وعدوانهم، مما جعل الأهالي يمتلؤون كرها وحقدا لهم. وقد تحول الكثير من البساتين إلى خرائب وأطلال، وبالتالي أصبحت مياه الينابيع تجري وسط الصحراء دون فائدة" (الأرشيف العثماني، *İD* 44930).

(٥١٠) *الوثيقة نفسها*، لف: ٤.

(٥١١) *الوثيقة نفسها*، لف: ١. أعلم مدحت باشا الصدارة في التلغراف الذي أرسله إليها في ١٧ يناير أنه تم إرسال عدد من العساكر والذخيرة والمعدات إلى الأحساء على متن باخرة نجد بتاريخ ١٦ يناير (الأرشيف العثماني، *İD* 44822)، لف: ١.

باشا على الطراز العثماني، وكذلك المساجد التي لم يبق منها سوى المنابر والمحاريب فقد تم فتحها من جديد للعبادة بفضل جهود نافذ باشا[٥١٢].

وكما هو ملاحظ فإن جميع هذه الإجراءات في الأصل تهدف إلى تثبيت العساكر العثمانيين في المنطقة، ثم إنشاء إدارة مدنية فيها. كما أن عبد الله بن فيصل الذي عين قائمقام نجد سارع وكأنه يفر من المنطقة بالتوجه إلى الرياض، وذلك قبل مدة قصيرة من مجيء مدحت باشا إلى الأحساء.

وبالنسبة إلى مسألة عزل عبد الله التي تم الحديث عنها سابقا فقد تحققت بشكل كامل عندما كان مدحت باشا في الأحساء. وتبين جميع هذه الإجراءات أن كل أجزاء المنطقة قد تم إنقاذها من سيطرة العائلة السعودية.

لهذا الغرض قام مدحت باشا بتوحيد مناطق الأحساء والقطيف وقطر ونجد[٥١٣]، وكوّن منها "متصرفية نجد"[٥١٤]، وعيّن عليها في الوقت نفسه نافذ باشا قائد الوحدات العسكرية. أما إدارة المحاسبة في متصرفية نجد فقد عين عليها حقي أفندي الذي كان محاسبا سابقا لــ "شهرزور"، كما تم تعيين رفعت بك – الذي كان مكلفا بشؤون الكتابة لدى الوحدات العسكرية – معاوناً للمتصرف. وإضافة إلى ذلك فقد تم تحويل القرى والقصبات التابعة للحفوف والمبرز والقطيف وقطر إلى

---

(٥١٢) مدحت باشا..، ص. ١١٨.

(٥١٣) إن الأماكن التي يقصدها مدحت باشا في منطقة نجد هي الرياض وعنيزة وبريدة وجبل شمر واليمامة، وهي الأماكن المعروفة في دواخل نجد. وبعد أن ذكر أن سكان هذه المناطق مضطرون لتلبية حاجياتهم من الأحساء والقطيف وقطر، بالرغم من أن سكان نجد وأراضيها أكبر من هذه المناطق قال: " بناء على أهمية هذه المنطقة الواسعة التي يقال لها نجد، فإن الأحساء والقطيف وقطر وقلاعها تبقى تابعة لمنطقة نجد وتبقى كذلك الأراضي سواء المسكون منها أو غير المسكون مرتبطة بنجد، وهذه من الأمور المهمة" (الأرشيف العثماني، *İD* 44930).

(٥١٤) ذكر مدحت باشا أن بعض المصادر السعودية أطلقت خطأ اسم نجد على المتصرفية التي أنشأها (*Memorial*, p. 255). غير أننا بينا في مقدمة هذه الدراسة أن ذلك لم يكن خطأ بل كان اختيارا عن علم. وعندما يستعمل مدحت باشا اسم نجد فإنه كان يقصد بذلك سواحل نجد والمناطق الداخلية منها التي لم تدخل بعد ضمن الترتيبات والبحرين ومنطقة الخليج التي تضم مجموعة من المشيخات.

أقضية. وتم تعيين علي بك قائمقام السامراء السابق على قائمقامية القطيف، وعين كذلك حيدر أفندي نائب قائمقام السامراء السابق نائبا لقائمقام القطيف، كما تم اختيار طالب أفندي مدير بيت المال في القطيف على قائمقامية المبرز. وتم تعيين موظفين على بقية المناطق بحسب الألقاب والرتب اللازمة. وأبقى على الشيخ جاسم بن ثاني على قائمقامية قطر دون مرتب[٥١٥].

وتوقع مدحت باشا أن جميع هذه الترتيبات والتصورات تكلف حوالي ما بين ثمانية أوتسعة أحمال (مابين ٨٠٠ و٩٠٠ أقچه)، وقد أرسل الدفاتر التي تحتوي على قائمة النفقات إلى الصدارة. وأضاف الباشا أن هذه الميزانية تبدو للوهلة الأولى كبيرة، ولكنه أوضح أن "من الضروري التضحية بالمرتبات من أجل العثور على موظف يكون ذا كفاءة واقتدار خاصة في بيئة كهذه ووسط أناس غلاظ مثل هؤلاء"[٥١٦]، وأضاف كذلك أن هذه النفقات سوف يقع الحد منها بعد مرحلة التأسيس، كما عبر عن أمله في أن الموارد المنتظرة من المنطقة سوف تغطي هذه النفقات[٥١٧]. وأثناء عودة مدحت باشا من حملة الأحساء، بين في التلغراف الذي أرسله من البصرة إلى استانبول أن النفقات الاستثنائية التي خصصت لمسألة نجد والتي تبلغ قيمتها عشرين ألف كيس لم يُصرف حتى النّصف، وقال إن الضرائب التي تم جمعها من الأحساء بلغت سبع آلاف كيس، وبعد التدابير التي اتخذت لتطوير الزراعة، عبر عن أمله في أن المحاصيل إذا لم تصل إلى الضعف فهي على أية حال لن تنزل تحت عشرة آلاف كيس. وإثر ذلك طلبت الصدارة من مدحت باشا أن يزوّدها بالمعلومات الكافية المتعلقة بالترتيبات التي قام بها[٥١٨].

---

(٥١٥) الأرشيف العثماني، (*İD* 44930)، لف: ١.

(٥١٦) *الوثيقة نفسها*.

(٥١٧) *الوثيقة نفسها*.

(٥١٨) الأرشيف العثماني، (*İD*44794)، لف: ٢.

وتشكل السنجق الحادي عشر التابع لولاية بغداد في متصرفية نجد، وقد ترك الباشا تعليمات مؤقتة في انتظار قدوم الإرادة من استانبول،وفي أواخر شهر ديسمبر عاد إلى بغداد، وفي ٣ يناير ١٨٧٢ عرض جميع هذه النشاطات في رسالة مكتوبة على الصدارة[٥١٩]. وقد أضاف إلى هذه الرسالة أهمية مواد التعليمات التي تبين بنية تشكيلات متصرفية نجد، ونوردها على النحو التالي:

١- لقد تم توحيد مناطق الأحساء والقطيف وقطر ونجد لتشكل مع بعضها متصرفية نجد. وتمثل قصبة الحفوف مركز المتصرفية. ويعين إلى جانب المتصرف محاسب ومساعد متصرف ونائب وموظف تمييز قانوني، ويعين مع هولاء عدد كاف من الكتاب والعاملين. وفي الوقت الحاضر تم تشكيل قائمقامية في كل من الحفوف وقطر والمبرز والقطيف كلاً على حده، وذلك من أجل تنظيم المناطق الداخلية في نجد (الرياض وحائل والقصيم وغيرها). ومثلما تم تعيين موظفين على الحفوف باعتبارها مركز المتصرفية فإن إدارة قطر أسندت إلى شيخها بلقب "قائمقام". ويعين في كل من القطيف والمبرز قائمقام ونائب شرعي ومدير مالي وأمين خزانة إضافة إلى كاتب بالعربية وآخر بالتركية إذا اقتضت الضرورة. وإضافة إلى ذلك يشكل في هذه الأماكن مجلس للإدارة ومجلس للدعاوى.

٢- يؤخذ العُشر الشرعي من محاصيل الأملاك والبساتين والمزارع التي يملكها أصحابها في دواخل متصرفية نجد، وتؤخذ الزكاة المشروعة أيضا من الأغنام والإبل المملوكة لأهل البدو والحضر، وكذلك تُجمع موارد الأملاك والأراضي التابعة لبيت المال بالإضافة إلى بعض الضرائب الطفيفة، وباستثناء ذلك لا يجوز أخذ أي شيء باسم الدولة.

(٥١٩) الأرشيف العثماني، (*İD* 44930)، لف: ١-٤.

٣- يوجد في أقضية الحفوف والمبرز والقطيف أكثر من ثلاثمائة حقل نخيل تابع لبيت المال. وهذه الحقول من المفترض أن تنتج محاصيل وفيرة، ولكن بسبب الخراب الذي لحق بها وبسبب انتشار القصب بها تضاءل انتاجها بصورة كبيرة. وينبغي إجراء ترتيبات عليها لإصلاح حالها، وتتمثل في الأمور التالية: يتم إلغاء نظام الالتزام الذي كان ساريا منذ القديم في المزارع التي تعود إلى الدولة، وتطبيق القواعد المعمول بها في العراق. وبناءً على ذلك تعطى هذه المزارع للفلاحين لمدة سبع سنوات. وفي خلال هذه المدة يتعهد الفلاح بإصلاح هذه المزارع بشرط أن يأخذ ربع إنتاج النخيل، وكذلك ربع إنتاج الغلال بالإضافة إلى جميع ما زرعه من محاصيل أخرى، وفي حالة ما إذا لم يوف الفلاح بتعهداته فإن الأرض تؤخذ منه وتعطى لغيره. وبالنسبة إلى الذين يريدون أن يزرعوا الأراضي البور أو حقول النخيل التي أصابها الخراب وبشكل كامل بالغلال فإن البذور المستخدمة في الزراعة يكون نصفها من الدولة ويوفرون هم النصف الآخر، وفي هذه الحالة يتم تقسيم الإنتاج بالشكل نفسه. ومثلما تم توضيح ذلك من قبل يعطى الفلاحون الذين هم شركاء في حقول النخيل هذه سندات حتى لا يخرجوا أو يطردوا منها. وباستثناء حقول النخيل فإن الأراضي التي وقعت زراعتها بالاشتراك مع الدولة يقسم إنتاجها بعد خصم ضريبة العشر والزكاة.

وفي صورة ما إذا تم بيع حقول النخيل والمزارع عن طريق المزايدة وحتى تحفظ حقوق الفلاحين ينبغي على المشتري أن يقوم بتسجيل جميع الشروط الموجودة في سندات.

٤- إن حقول النخيل والحدائق والأراضي الموجودة في نواحي الأحساء والقطيف كانت في الأصل أراضي خراج ثم تم تحويلها إلى أراضي تابعة للدولة. ولهذا الاعتبار وتطبيقا للقواعد الشرعية الموجودة في الدولة العثمانية

فإنه من هنا فصاعدا تعطى حجج شرعية مقابل الأملاك الموجودة في المدن والقصبات والقرى وسندات تمليك مقابل حقول النخيل والأراضي. ولهذا الغرض سوف يتم إرسال موظفين من بغداد لتمليك الأراضي.

٥- إن أصول تمليك الأراضي متنوعة ولكن الأراضي التي سوف تعطى سندات هذا التمليك هي قسمان. الأول الأراضي وحقول النخيل التي هي في عهدة أصحابها. ويعطى سند فقط للأراضي التي تؤخذ عنها الرسوم والضرائب وذلك من أجل إثبات أحقية صاحبها في التصرف فيها. الثاني هي الأراضي المهملة أو التي بيعت من قبل الدولة أو التي تعطى لشخص من أجل أن يحيها من جديد. وهذه الأراضي يمكن أن تعطى حسب الضرورة، بالمزايدة أو البدل أو مقابل إعمارها للراغبين في ذلك. وإذا وجب تطبيق هذين الأصلين حسب القواعد ووجد من لا يعرف أصول التمليك في هذه الأماكن ولا يفهم فائدتها فلا يجبر أحد على ذلك. وبالنسبة إلى القسم الأول فينبغي مراعاة رضا صاحب الأرض عند القيام بالإجراءات المتعلقة به. ومعنى ذلك أن تعطى سندات التمليك إلى الذين يرغبون من أصحاب حقول النخيل والأراضي، ويتم غض الطرف عن الذين لا يرغبون في ذلك. وإذا أتينا إلى القسم الثاني، يمنع بيع حقول النخيل التي تعود إلى بيت المال بعد إحيائها. غير أن ثمة عدد كبير من حقول النخيل والأراضي البور التي تحتاج إلى الإصلاح، وهي تحتاج إلى الإجراءات التالية: فإذا كانت هذه الحقول والأراضي قريبة من القصبات والقرى وتُسقى من منابع الماء الموجود هناك فإنها تعرض للمزايدة بالنظر إلى مساحتها. وإذا كانت هذه الأراضي ملاصقة لأراضي شخص آخر أو لحقل من حقول نخيله فيمكن أن تعطى له دون مزايدة بمقابل مناسب وتعطى سندات تمليك الأراضي التي بقيت لمدة طويلة دون استغلال لمن يطلبها مقابل أن يحفر فيها الآبار ويبذل

الجهد في سقيها على أن يؤخذ منه العشر.وهذه الوضعية تطبق في الظهران التي سوف يقع إعمارها من جديد، وفي الأماكن المجاورة لها. وتُعطى الأراضي الموجودة في هذه الأماكن ، بواسطة سندات تمليك للأهالي المحليين، وخاصة للبدو الذين يرغبون في الانتقال إلى حياة الاستقرار.

٦- إن الأراضي الموجودة في الحفوف والمبرز والقطيف وكذلك الأراضي الموجودة في الأماكن التابعة لهذه المناطق هي في الأصل أراضي وقف، ثم انتقلت بعد ذلك إلى أشخاص آخرين، أو تم اهمالها، وإذا لم توجد سندات وقفية لهذه الأراضي فليس من الصحيح أن تأخذ الدولة حاصلاتها. ولهذا السبب فإن الموارد التي يقع جمعها من الأماكن المعروفة بهذا الشكل تصرف في ثلاثة مواطن. الأول: الجوامع وأئمة المساجد والخطباء والمؤذنين، ويصرف منه كذلك مقدار على الاحتفالات الدينية، بشرط أن يسجل كلّ ذلك في دفاتر كل شهر. والثاني: أن تصرف هذه الموارد على المدارس ومكاتب الصبيان وعلى المعلمين الذين يقومون بالتدريس في هذه المكاتب وعلى محلات التدريس أيضاً.

وأما الموطن الثالث، فتصرف على الأرامل واليتامى والقاصرين الذين لا طاقة لهم على العمل والفقراء والمرضى. ومن هذه الموارد تُقام مكاتب للصنايع ودور للإصلاح في القصبات لتعليم المهن لليتامى، كما ينفق على الأرامل والفقراء.

٧- بالنسبة إلى الإنتاج الذي يتم جمعه من الأراضي التي وفرت لها الدولة البذور والتي تم العمل فيها بالمقاولة، فإنه يتم أولا استخراج البذور والعشر لصالح الدولة ثم يُعطى الفلاح حقه بعد ذلك. أما الإنتاج المتبقي فيباع، وما يُستحصل من بيعه يُدوّن في دفتر، وتستصلح منه الأراضي التي سوف تزع

في العام التالي، كما يُنفق منه على المتخصصين من أجل تطوير الزراعة والصناعة. ويُرسل الدفتر الذي تُسجّل فيه الحسابات السنوية إلى بغداد.

٨- تستعمل الإبل والمواشي التابعة لبيت المال في نقل العساكر، ويمكن استعمالها أيضاً في الأغراض التجارية. وما يُجمع من أجْرٍ لقاء النقل بواسطة الإبل والمواشي تخصم منه نفقات الموظفين والعلف، والبقية يحتفظ به، ويستخدم في إصلاح الطرق والمخافر وينابيع المياه والآبار. وهذه النفقات تدون أيضا في دفاتر وترسل كل عام إلى الولاية.

٩- بالنسبة إلى الموارد المستحصلة هذا العام من منطقتي الأحساء وقطيف فهي تبلغ تقريبا ما بين ثلاثين وخمسة وثلاثين حمْلا من القروش، أما الميزانية التي خصصت لصرف مرتبات موظفي الدولة في المجال المالي والملكي(المدني) لمدة عام كامل فهي في حدود سبعة إلى ثمانية أحمال من الأقچة. والمبلغ نفسه تم تخصيصه لعساكر الضبطية وموظفيها، وبذلك يكون المبلغ الإجمالي هو حوالي خمسة عشر حملا من الأقچة. وإضافة إلى هذه النفقات، فقد خصّص مبلغ قدره خمسة أحمال من القروش، إلى حدود تاريخ ١٨٧٢/١٢٨٨، وذلك من أجل إنشاء مجموعة من الثكنات في كل من الحفوف والقطيف، وإنشاء مخازن للفحم والمهمات في رأس التنورة، وإقامة مجموعة من الثكنات العسكرية على الطرقات ومجموعة من القلاع على طريق عجير، إضافة إلى تشييد عدد من الأبنية الحكومية وغيرها من الاستحكامات في كل من الحفوف والقطيف والمبرز. ولهذا، فبعد انتهاء الاستطلاع (الكشف) الأول والشروع في الاستطلاع الثاني، يتم تنظيم هذه العملية في دفاتر، مع مراعاة القواعد قدر الإمكان، وإرسالها إلى الولاية. وبعد تسديد هذه المصاريف، فإن المال الزائد عن الحاجة، ينبغي في الأصل أن يُرسل إلى الولاية، ولكن بما أن مخصصات الفرقة العسكرية بنجد تعطى لها من الأموال التابعة لولاية بغداد، فإن هذا القدر

الزائد يُحسب عليها ويعطى كمصاريف للعساكر الموجودين في هذه المنطقة، وتُرسل سنداتها إلى بغداد.

١٠- إن ما ينبغي أخذه بعين الاعتبار عند القيام بعملية إصلاح منطقتي الأحساء والقطيف هو إصلاح الأراضي البور وزيادة المياة التي تستعمل لتطوير الزراعات. وهذا أيضا لا يتأتى إلا بحماية المحاصيل من عمليات السطو التي يقوم بها البدو. فكما أن منح الأمان في هذا الموضوع للأهالي يساهم في تنمية الزراعات، فلعل إسكان البدو في دواخل نجد يكون دافعاً لإحياء العديد من الأراضي الزراعية الخصبة. وفي تلك الحالة، لا شك أن موارد الدولة كانت قد زادت ما بين خمسة إلى عشرة أضعاف الإنتاج الحالي. وفي هذا الموضوع، على جميع الموظفين كبارا وصغارا، أن يعاملوا الأهالي معاملة عادلة في جميع الأعمال وفي كلّ الأماكن(٥٢٠).

وهذه التعليمات التي وضعت تحت اسم "التعليمات المالية"، إذا تم التأمل فيها بشكل جيد فإنها تعتبر قانونا غاية في المعاصرة حتى ذلك الوقت بالنسبة إلى حكومة لم تطلع على تلك المنطقة بعد. ومن ميزات هذه التعليمات أنها نظمت بحيث تجعل الأهالي يشاركون في عملية تطبيقها تطوعا. وإذا كان الذين يحكمون هذه المناطق منذ القديم، من شيوخ وأمراء، يحكمونها باسم الدولة العثمانية، فإنهم في الحقيقة كانوا يديرونها، بشكل كامل وفقا للتقاليد. ومن جانب آخر فلم يكن لغير الوهابيين قانون خاص بهم، ولذلك فقد يدارون وفقا للفقه الوهابي، ولذلك يمكن القول إن أول مفهوم للدولة الحديثة في تلك المناطق جاء مع حركة الباشا هذه. كما أن عالي باشا ثمن هذه الإصلاحات وهنأ مدحت باشا عليها. وبالنسبة إلى السلطان عبد العزيز فقد عبر عن تقديره له من خلال السيف المرصع الذي أهداه إياه(٥٢١).

---

(٥٢٠) *الوثيقة نفسها*، لف: ١.

(٥٢١) مدحت باشا، ص. ١٢٢.

إن هذه الإصلاحات التي وقعت في منطقة الأحساء قربت الشقة بين الأخوين العدوين عبد الله بن فيصل وسعود، بل إنه وباقتراح من عبد الله حدثت جملة من المساعي من أجل دخولهما في تحالف. غير أن هدف سعود كان يتمثل في الاستفراد بالحكم بالرياض والمناطق المجاورة لها، ولهذا السبب فلم ينجح السعي من أجل دخولهما في تحالف، بل إن القبائل الموالية لسعود شرعت في شن هجمات على عبد الله والقبائل التابعة له. وهكذا فإن النيران لم تكد تهدأ في دواخل نجد حتى عادت لتشتعل من جديد. وفي هذه الأحداث كانت عشائر عجمان ومرة من أشد المعارضين لعبد الله، ولهذا السبب حاول نافذ باشا استمالتها، وعندما لم ينجح في ذلك عمد إلى التنكيل بها. وقد أرسل وحدات عسكرية إلى قبائل عجمان، وتمكنت بعد مدة من الزمن من القضاء على الاضطرابات. بل إن عشائر عجمان ومرة اتصلت بنافذ باشا وعبرت عن استعدادها لسحب الدعم عن سعود، وعبرت عن استعداداها أيضا للاستقرار. غير أن نافذ باشا صرح قائلا: " إن الحكومة لا تعرف إلى حد الآن بما حدث، ولا يمكن الثقة بهذه العشائر التي مازالت تتبع الطريقة البدوية في المعيشة، ولا يمكن كذلك الثقة بكلامها حول التزام الطاعة، فهي إذا رأت الظروف مواتية سوف تعود إلى مواقفها القديمة نفسها"، ومع ذلك وحسب مقتضيات السياسة فقد استقبل رؤساء هذه العشائر وأحسن إكرامهم، وألبسهم الخلع[٥٢٢].

يعتقد نافذ باشا أن الإجراءات المدنية التي ينبغي القيام بها في حاجة إلى جو من الأمن، ولذلك طلب من مدحت باشا أن يرسل مزيدا من العساكر. وعندما كانت المراسلات تتم في شهري يناير وفبراير ١٨٧٢ بين نجد وبغداد واستانبول، كان يوجد في منطقة نجد ثمانية طوابير من المشاة وبلوكان من الفرسان ومجموعة من عساكر المدفعية وبلوكان من الضبطية وعدد من العساكر الموظفة، وحسب مدحت

---

(٥٢٢) الأرشيف العثماني(*İD*) 45052.

باشا فإن هذا العدد كان كافيا لحفظ الأمن في تلك المنطقة[٥٢٣]. وفي تلك الأثناء كتب مدحت باشا إلى الصدارة حول موضوع نجد وبشكل خاص لطلب النياشين والرتب لستة عشر شخصا، تسعة منهم عساكر وسبعة من الموظفين المدنيين. وفي بداية شهر مارس صدرت الإرادة بمنح هذه النياشين، وفي منتصف الشهر نفسه أعلمت بها بغداد[٥٢٤].

في هذه الأثناء أراد سعود أن يقف في وجه الدعم الذي قدمه عبد الله الصباح قائمقام الكويت إلى الدولة، ولذلك قام ببعض المحاولات في شهر أبريل، فنهب أولا المناطق المجاورة للكويت، ووصل إلى المناطق القريبة من الأحساء، غير أنه لم يحقق أي نجاح في هذه النواحي.

٢- قرار خاطئ: سحب فرقة نجد العسكرية

إن الولاة الموجودين في ولايات بعيدة مثل ولاية بغداد، مهما كانوا أقوياء يواجهون دائما مشكلتين كبيرتين. أولاهما المعارضة التي تبديها القوى المحلية، والمشكلة الثانية سعي بعض المعارضين إلى إفساد العلاقة بينهم وبين المركز. وهولاء يستغلون أي فراغ في السلطة ويحاولون إجبار ممثل الدولة الأول وهو الوالي على تلبية مطالبهم أو

---

(٥٢٣) *الوثيقة نفسها*.

(٥٢٤) من الضباط التابعين للقوات البرية تم منح الوسام المجيدي من الدرجة الثالثة إلى عمربك قائمقام آلاي المشاة الخامس، ومنح كل من البكباشي آكاه أفندي والبكباشي سعيد أفندي والمدفعجي الرائد طبيب بيكباشي - وهم من للطابور الأول التابع للألاي نفسه- أوسمة مجيدية من الدرجة الرابعة، كما تم منح أوسمة مجيدية من الدرجة الأولى من الرتبة الخامسة إلى كل من المدفعجي محمد أغا يوزباشي البلوك للثاني من الطابور الرابع، وسالم أفندي وهو بكباشي آلاي فرسان آسور، و والياور اليوزباشي رضا بك، ومحمد أفندي وكيل يوزباشي البلوك الثالث التابع للألاي الثاني من الفرسان المرافقين لقائد نجد. وبالشكل نفسه تم منح الوسام المجيدي من الدرجة الأولى من الرتبة الخامسة لمحمد مصطفى أغا قائد باخرة الوس، ومنح وسام مجيدي من الدرجة الأولى من الرتبة الثالثة لكل من سعيد أفندي متصرف البصرة وعبد الله الصباح قائمقام الكويت وسعيد أفندي نقيب زادة المرافق للوحدات العسكرية، ومنح مبارك الصباح أخ قائمقام الكويت الوسام المجيدي من الدرجة الأولى من الرتبة الرابعة، كما تم منح كل من مزيد بك وخزعل بك ابني ناصر باشا وخضر أغا وكيل قول الضبطية وسام مجيدي من الدرجة الأولى من الرتبة الخامسة (الأرشيف العثماني، İD 44972, 45008).

السعي الحثيث إلى عزله، وفي كلتا الحالتين، وحتى إذا لم ينجحوا في هذه المساعي فإنهم يضعون الوالي في موقف صعب ويجبرونه على التنحي.

لقد استعرضنا النجاحات التي حققها مدحت باشا في مواجهة القبائل والعشائر الكثيرة التي اعتادت على الخروج على طاعة الدولة منذ القديم، وذلك سواء في بغداد أو في الأماكن المجاورة لها أو في منطقة نجد. بيد أن الباشا لم يتمكن من وقف النشاطات المعارضة له سواء في بغداد أو في استانبول. وقد أرسل دفتردار بغداد ومجموعة من الموظفين الذين تمكنوا من زيارة نجد صحفا إلى الباب العالي وإلى النظارات تحتوي على اتهامات كثيرة تتعلق بالباشا. وعندما رجع مدحت باشا من نجد علم بهذا الوضع، وفي العريضة التي أرسلها إلى الصدارة في ٣ يناير عام ١٨٧٢ طلب إقصاء الدفتردار عن منصبه بسبب الاتهامات التي كالها ضده، وبَيّن أنه مضطر للإستقالة إذا لم يلب طلبه[٥٢٥]. غير أنه في تلك الفترة وقعت تغييرات في الصدارة، وتم التخلي عن التوازنات التي كانت سائدة إلى ذلك الحين، وتم تعيين محمود نديم باشا الذي سوف يقود الدولة العثمانية إلى جملة من المغامرات، على رأس الصدارة. وبالنسبة إلى محمود نديم فإنه بدل أن يستمع إلى مدحت باشا الإداري صاحب الخبرة استمع إلى معارضيه، وأرسل مجموعة من الأوامر إلى بغداد، وشرع في ممارسة جملة من المظالم. وإثر ذلك أضطر الباشا، كما بين ذلك من قبل في مكاتباته، إلى الاستقالة. وقبلت استقالة مدحت باشا على الفور، وفي مايو ١٨٧٢ عين في مكانه رؤوف باشا في وظيفة مشير للجيش السادس وواليا لبغداد[٥٢٦].

وقد تسببت هذه الأحداث التي سارت على هذا النحو في عرقلة الاصلاحات في منطقة نجد، وفي هذه الأثناء لوحظ أن الدولة سعت إلى اتخاذ مجموعة من التدابير من أجل تكوين إدارة في المناطق الداخلية من الأحساء بعد ان أقامت هذه الإدارة في

(٥٢٥) الأرشيف العثماني، (*İD* 44794)، لف: ١.

(٥٢٦) مدحت باشا، ص. ١٢٥-١٢٨.

المناطق الساحلية منها. وكما هو معروف فإن المسألة الوهابية ومنذ ظهورها كانت تمثل بالنسبة إلى الدولة العثمانية المأزق الأكبر، وكان الوهابيون يلجأون إلى دواخل نجد وإلى الصحراء حتى يمكنهم التخلص بسهولة من مطاردة العساكر المنظمة لهم. وكما بينا من قبل، فأثناء حملة الأحساء وبعد توفير الأمن في المناطق الساحلية تم تأخير تطبيق الاصلاحات في المناطق الداخلية إلى أن يحين الوقت المناسب. غير أنه وعندما كان مدحت باشا لا يزال في وظيفته، يبدو أن هذه الفكرة قد صدرت من خالد باشا محافظ المدينة أو أمير مكة. ففي اللوائح التي قدماها إلى الصدارة بينا أن الأهالي الموجودين في جبل شمر والقصيم وعنيزة وبريدة التابعين لقائمقامية نجد هم من أهل السنة، وليسوا راضين عن إدارة الوهابيين، وذكرا من جانب آخر أن إدارة هذه المناطق من الأحساء غير ممكنة، وذلك بسبب طول الطريق وشح الماء. ولهذا السبب اقترحا فصل هذه المناطق عن الأحساء (متصرفية نجد) وربطها بالمدينة. وفي ٩ أبريل عام ١٨٧٢ قدم خالد باشا عريضة إلى الصدارة يؤيد فيها هذا الاقتراح، وقدم كذلك المعلومات التالية: قدم عبد الله بن فيصل من الأحساء إلى نواحي الرياض وطلب دفع الزكاة، غير أن القبائل الموجودة هنا أعلمته بأنها لا يمكن أن تعطيه الزكاة ما لم يقدم ما يثبت ذلك من الحكومة. وإثر ذلك كتب الشيخ زامل شيخ بريدة إلى محافظة المدينة، أن هذه القبائل إذا لم تنضو تحت إدارة الحكومة فإنها لن تستطيع أن تتخلص من المعاملة العدوانية لعبد الله بن فيصل. وبعد أن بين خالد باشا في عريضته هذه المسائل أضاف التالي: يوجد طريقان من المدينة إلى هذه المناطق يمكن بهما قطع المسافة في ثمانية أيام، ويتوفر الماء في جميع مراحلهما. والأهم من هذا أنه يوجد في المدينة حوالي مائتين وخمسين من محاربي العقيل ذوي الهجين تم جمعهم من أهالي نجد، ولم يتسببوا إلى ذلك اليوم في أية مشاكل. وكان محافظ المدينة يريد بسرده لهذه الحقائق ربط جبل شمر والقصيم وبريدة وعنيزة بالمدينة. وإضافة إلى ذلك فقد طلب منح النيشان المجيدي من الدرجة الثالثة إلى بندر بن الرشيد شيخ جبل شمر الذي أظهر ارتباطه بالحكومة، وكذلك النيشان المجيدي من الدرجة الرابعة لزامل بن سليم شيخ

عنيزة ومهنا بن صالح شيخ بريدة والقصيم، كما طلب منح خمسة عشر شال كبوت من أفضل الأنواع إلى بعض الشيوخ أصحاب النفوذ في هذه المناطق(٥٢٧).

غير أن هذه الاتصالات التي جرت في عهد مدحت باشا لم تقع مناقشتها في الباب العالي إلا في عهد رؤوف باشا والي بغداد الجديد. وفي حال ربط هذه المناطق بالمدينة فإن أهاليها لن يتمكنوا من الحصول على مساعدة الدولة إذا وقعت عليها اعتداءات، وباعتبار أنه ليس من المناسب ترك مهمة حماية الأهالي لهم فقد تقرر ترك الوضع على ما هو عليه آنذاك مع تكريمهم، وفي ٢٧ يوليو أبلغت مشيخة الحرم بهذا القرار(٥٢٨). بيد أنه لسبب من الأسباب تمت مناقشة هذا الموضوع من قبل الصدارة واستناداً على نفس الطلب في ٢١ أغسطس وعرض على المابين، وطلب إصدار إرادة من أجل فصل هذه المناطق عن قائمقامية نجد وربطها بالمدينة.

وفي هذا الإطار تم إستلام الإرادة السلطانية في اليوم التالي، وفي الأول من سبتمبر عام ١٨٧٢ تمت مكاتبة خالد باشا وأعلم بأنه أعطي الإذن من أجل ربط مناطق جبل شمر والقصيم وبريدة وعنيزة بالمدينة(٥٢٩).

وفي الحقيقة كان هذا القرار في محله. وحسب محافظة المدينة فهو بدرجة أولى، يحمل أهمية اقتصادية، وبالنسبة إلى اصلاحات نجد فهي تكتسي أهمية أكبر في تضييق الخناق على مجال تحرك العائلة السعودية. ورغم عدم وجود الأدلة على أنه

---

(٥٢٧) الأرشيف العثماني، (*İD* 45607)، لف: ٢.

(٥٢٨) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٧١، ص. ٢١٣.

(٥٢٩) الأرشيف العثماني، (*İD* 45607)، لف: ٤؛ *دفاتر العينيات* ٨٧١، ص. ٢١٧. في أواخر عام ١٨٧٣ وقع تطور آخر في هذا الموضوع يستحق الاهتمام، إذ أوضحت محافظة المدينة أنه بعد أن تم إلحاق مناطق القصيم وجبل شمر وعنيزة ثم خيبر بعد ذلك فإن دائرة المحافظة أصبحت شاسعة، وهو ما جعل المكاتبات مع الولاية تتأخر، ولذلك طلبت محافظة المدينة من الصدارة فصلها عن ولاية الحجاز وإدارتها بشكل مستقل. لكن الصدارة أوضحت في جوابها انه ليس من الممكن فصل المدينة عن ولاية الحجاز (الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٧٣ ، ص. ٢١١).

جرى التفكير في هذا الأمر من وجهة النظر الثانية، وكما سيظهر من التطورات اللاحقة فإن عبد الله بن فيصل وسعود قاما بتقييم المسألة من هذا الجانب.

وإثر تعيين محمد رؤوف باشا على ولاية بغداد عُزل نافذ باشا متصرف نجد وقائد الفرقة العسكرية بها، وعُين في مكانه الفريق محمد باشا. ولا تعرف الحاجة إلى هذه التغييرات. وفي أوائل شهر يونيو عام ١٨٧٢ ذهب محمد باشا إلى نجد، وشرع في عملية الاستلام والتسلم بينه وبين نافذ باشا. وفي هذه الأثناء قدم محمد باشا الذي تسلم مهمته ملاحظاته الأولى حول المنطقة إلى الوالي، وقام الوالي بدوره في ١٣ يونيو بعرض هذه الملاحظات على الباب العالي في شكل عريضة. وحسب ما يفهم من هذه المكاتبات فإن جو الأمن الذي وجد في عهد نافذ باشا قد تواصل. والشخص المحتمل الذي يمكن أن يفسد هذا الأمن هو سعود ومن معه من أشخاص ويبلغ عددهم خمسة عشر رجلا، وهولاء يعانون في الصحراء بالقرب من الأحساء بلا غذاء ولا دواء. وهذا المشهد يمكن أن يخدع كل من ليس له علم بحقيقة الأوضاع في هذه المنطقة، وهو ما حصل لمحمد باشا والوالي رؤوف باشا، فحسب رأيهم فإن سعود فقد نفوذه في المنطقة وضاقت به السبل وعما قريب سوف يأتي مستسلما. وقد تم التفكير في إرسال عساكر لمهاجمته واجباره على الاستسلام، غير أن شدة الحرارة وإعتقاد الوالي بأن وضع سعود لا يستحق الاهتمام جعله يتأخر في إتخاذ هذه الإجراءات، وهذا ما يكشف عن قلة درايته بالموضوع(٥٣٠).

ومن جانب آخر كان مدحت باشا لا يتأخر في إرسال المستجدات المتعلقة بنجد إلى المابين الهمايوني، أما الوالي الحالي فقد أرسل هذا الخطاب بعد تأخير كبير، إذ لوحظ أنه لم يرسله إلى المابين إلا في الرابع عشر من أغسطس. ومن الصعوبة بمكان شرح أسباب هذه التغييرات، وإذا أمكن إيراد مجموعة من المقاربات المحتملة فيمكن القول إن الوالي وبقية الموظفين الجدد كانوا يرسلون إلى الباب

---

(٥٣٠) الأرشيف العثماني، (*İD* 45592)، لف: ١-٢.

العالي أخباراً مضللة، وهذا ما جعل التعامل مع المسألة ينطوي على قدر من الارتياح، أو أن يكون الباب العالي قد غير في الأصل من وجهة نظره في هذا الموضوع. فقد أرسل محمد رؤوف والي بغداد إلى الصدارة برقيات بتاريخ ١٧ و ٢٠ و٢٤ أغسطس وأعلمها فيها أن الأمن مستتب في منطقة نجد، وأن مشروع خط سكة الحديد الذي يربط بين طرابلس وبغداد قد شرع العمل فيه الآن، وأنه يبذل جهدا من أجل منح الأراضي إلى الأهالي بواسطة سندات التمليك، وهذه العملية كانت قد بدأت في بغداد قبل قدومه، بيد أنه لم يقع عرض هذه البرقيات على المابين إلا بتاريخ ٢٧ سبتمبر[٥٣١]، وهذا ما يعزز وجهتي النظر السابقتين. ومن جانب آخر كان رؤوف باشا على قناعة بأن الجيش الموجود في نجد يمثّل عبئا لا داعي له بالنسبة إلى بغداد، وقد سبق له أن عبر عن هذه القناعة في مناسات سابقة، كما أنه كان يذكّر الباب العالي باستمرار بهذا الرأي. ومثال على ذلك أنه بمجرّد أن بدأ في أداء وظيفته، أرسل تقريرا إلى الباب العالي في يونيو ١٨٧٢ بين فيه أن إرسال العساكر من بغداد إلى نجد فيه تكلفة زائدة، وأنه من المفيد تدارك هذا الأمر بواسطة الأموال التي سيقع إرسالها. ووفقا للوالي فإنه بواسطة هذا الإجراء كان بإمكان الأهالي في نجد بيع ما عندهم من إنتاج والاتجاه نحو الاشتغال بالزراعة[٥٣٢]. ويلاحظ أن رؤوف باشا قد أولى اهتماما أكبر لنشاطات الإعمار والإسكان التي بدأت في بغداد في عهد كل من نامق باشا ومدحت باشا، أكثر من اهتمامه بمسألة نجد. وفي المقابل، كانت ثمة عناية في بغداد ونجد بشؤون الضبطية، ولذلك فقد تمت الزيادة في مرتبات الأشخاص الذين اختيروا من بين الأهالي للقيام بهذه الوظيفة[٥٣٣]. وكانت الدولة العثماني، من حين إلى آخر، تجمع مهمة القيادة العسكرية والإدارة المدنية في يد شخص واحد حتى تقطع الطريق أمام

---

(٥٣١) الأرشيف العثماني، (*İD* 45621).

(٥٣٢) الأرشيف العثماني، (*İD* 45592) ، لف: ١.

(٥٣٣) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٤٨، ص. ١٤٠.

الفوضى الإدارية. وهذا الإجراء كان يتم العمل به في المناطق التي لها أهمية خاصة، ولكنه، بصفة عامة، لم يكن قاعدة مطردة. ووفقا لهذا الإجراء، عُيّن نافذ باشا قائد الفرقة العسكرية في نجد مُتصرفا للمنطقة. غير أن الإدارة الجديدة فصلت هاتين الوظيفتين عن بعضهما البعض، وكلفت الميرلواء فيضي باشا بوظيفة المتصرّفية. ولكن إذا كان يتبادرإلى الذهن أن جعل وظيفتين مختلفتين في يدي شخصين مختلفين أكثر فائدة من حيث تسيير هذه الوظيفة، فإن هذا التصور كان يمكن أن يتسبب في أخطاء كبيرة في مجتمع مثل مجتمع نجد الذي لم يتعود على الإدارة المدنية ولا يفهم أكثر إلا عن طريق استعمال القوة[٥٣٤].

وعلى عكس ما اعتقد الفريق محمد باشا قائد نجد ورؤوف باشا والي بغداد من أن سعود بن فيصل سيأتي مستسلما وتهدأ حركته، فقد ازدادت شوكته قوة مع مرور الوقت. ثم إن عبد الله بن فيصل رجع إلى الرياض، وعندما انتشر خبر عزله من القائمقامية ذهبت هيبته أدراج الرّياح. وفي المقابل فإن المشيخات التي كان من المنتظر أن تدعمه ربطت صلتها بالمدينة، مثلما بينا ذلك من قبل. حتى أنه في بداية عام ١٨٧٣ أرسلت ثلاثة نياشين إلى شيوخ جبل شمر والقصيم، ومن بينها نيشان من الرتبة الثالثة تم منحه لمحمد بن الرشيد شيخ جبل شمر الذي حل محل والده، وأما النيشانان الآخران، وهما من الرتبة الرابعة فقد منحا لشيوخ القصيم. وفي ذلك العام جمعت الزكاة من قبل الحجاز[٥٣٥]. وهكذا ففي الوقت الذي كان فيه نفوذ عبد الله يتقهقر إلى الخلف، كان سعود بن فيصل يجد مزيدا من الدعم والمناصرين بين السكان البدو. كما أن سعود أصبح بعد زمن قصير صاحب الكلمة المسموعة في الرياض ونواحيها.

(٥٣٤) في يوليو من عام ١٨٧٣ نحّي فوزي باشا من وظيفته بسبب عدم كفاءته وعين في مكانه الميرلواء صالح باشا (الأرشيف العثماني، *İD* 47259).

(٥٣٥) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٤٩، ص. ١٢١؛ ٨٧٣، ص. ١٤٩.

ولكن إثر هذه التطورات، أدرك رؤوف باشا خطورة الوضع، فالتقى في ربيع عام ١٨٧٣ بسعود وأجرى معه جملة من المشاورات بهدف التوصل إلى اتفاق. وفي الحادي عشر من مايو أبلغ الباشا الباب العالي بهذا الوضع[٥٣٦]، وفي الثامن عشر من الشهر نفسه جاءه خطاب يحتوي على ما يلي: " شاع أن سعود بن فيصل قد مات، ولكن الأخبار تقول إنّه موجود في الرياض، وقد جمع حوله مجموعة من العربان، وهو يستعد لمهاجمة أخيه عبد الله بن فيصل. وهذا النزاع بين الأخوين سوف يتسبب من جديد في إشاعة الفوضى، وعلى هذا فأيهما كان مواليا للدولة ينبغي مساندته، والبحث عن حل للقضاء على الآخر"[٥٣٧].

ليس ثمة معلومات كافية حول هذه المشاورات التي بدأها رؤوف باشا. ولكن عدم تمكن سعود من الحصول على الدعم الذي توقعه من الإنجليز جعله يقبـل راضيا باتفاق من هذا القبيل[٥٣٨] ووفقا لما أورده لوريمير، فإن الوالي عرض على سعود بأن يلتزم بطاعة الحكومة، وأن يدفع الضرائب كل عام مثل أبيه، وأن يرفع يده عن سواحل نجد مقابل أن تعطى له إدارة المناطق الداخلية، وعليه أن يرسل ولديه إلى بغداد رهينتين علامة على هذه الطاعة [٥٣٩]. ويبدو أن هذه المشاورات، أو على الأقل المساعي المتعلقة بهذا الموضوع استمرت حتى الخريف من العام نفسه. وربما يكون سعود قد أرسل أخاه عبد الرحمن بن فيصل إلى بغداد كرهينة من أجل المواصلة في هذه المشاورات أو نتيجةً لقبوله بشروط الوالي. وحسب ما يفهم من المكاتبات التي جرت بين نظارة الداخلية وبغداد، فإن عبد الرحمن بن فيصل ومن معه "ذهبوا إلى بغداد عملا بالتزام نجد"[٥٤٠]، وقد خصصت لهم

(٥٣٦) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٧٣، ص. ٢٠٦.

(٥٣٧) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٤٩، ص. ١٢٤.

(٥٣٨) القصيم، *المصدر السابق*، ص.١٩٦.

(٥٣٩) لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٦٨٢.

(٥٤٠) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٤٩، ص. ١٤٤.

مرتبات بطلب من الحكومة، وسوف يبقون هنا تحت الإقامة الجبرية إلى حدود شهر يوليو من عام ١٨٧٤[٥٤١]. وفي هذه الأثناء يبدو أن عبد الله بن فيصل جعل تبعيته للولاية، وسعى إلى عقد اتفاق معها. حتى إن الوالي، وبعد هذا العرض، تراجع مدة من الزمن عن الاتفاق مع سعود، ورغب في التعامل مع عبد الله.

وفي ١٢ أكتوبر ١٨٧٣ أرسل رؤوف باشا، بصفته مشير الجيش السادس برقية بالشفرة إلى القيادة العسكرية وبيّن فيها مواقفه في هذا الموضوع، وكذلك رأيه في موضوع الإبقاء على العساكر في منطقة الأحساء وما حولها، وجاء في تلك البرقية: "لقد طلب عبد الله بن فيصل مساعدة الحكومة للوقوف في وجه أخيه سعود، ومن أجل الحيلولة دون تدخل الإنجليز لمساندته، تم نقل الإدارة في نجد إلى الحكومة. وكان ينبغي إرسال عساكر لمنع سعود من التجاوزات، وإزالة التدخلات الإنجليزية بادية الخطر. وبالنسبة إلى العساكر الذين وصلوا إلى عبد الله بن فيصل فهم سوف يساهمون في رفع روحه المعنوية، ويتوجب نجدته بطابور ضبطية، كما كان من اللازم سحب القوات التي تم إرسالها إلى الأحساء. وتبعا لهذا فليس ثمة حاجة إلى تركيز ثمانية طوابير من العساكر في المنطقة مع ما يتطلبه ذلك من نفقات، فالمطلوب عدم القيام بذلك، خاصة وأن عبد الله بن فيصل قد سقط قدره في عين السلطان، والأخبار تقول بأنه عزل من القائمقامية. وقد أصاب الفزع عبد الله، ومن ذلك اليوم وهو يجوب الصحراء، كما أنه نشر ثمانية طوابير عسكرية في سواحل نجد وتركها بلا حراك. ويقال إن هذه التدابير تهدف إلى جلب مزيد من الموارد إلى الخزينة، والحقيقة أن موارد التمليك (الطابو) في نجد تبلغ خمسة إلى ستة آلاف كيس، بينما تصل المصروفات والنفقات أضعاف هذا المبلغ. أما إذا قيل إن الهدف من هذه التدابير هو الإعمار وبناء المُدن، فالمعروف اليوم أن كافة مظاهر الأمن والاستقرار متوفرة، وبالرغم من أن العراق كان يسعى منذ سنين إلى

---

(٥٤١) *دفاتر المهمات* ٨٤٩، ص. ١٥٩.

تحقيق هذه الغاية إلا أنه لم يتمكن من إعمار ولو واحد من عشرة. وفي الوقت الذي يحتاج فيه العراق إلى الإعمار ظهرت أمامنا مشكلة نجد. وهذه المساعي لم تكن لها أية فائدة، وبالرغم من أن الحرب لم تنشب إلا أنها تسببت في متاعب كبيرة، وفي خسائر كثيرة للجيش، وهذا مما يثير الحيرة في النفوس"(٥٤٢).

وإثر هذه الانتقادات، شرح رؤوف باشا الأعمال التي تم القيام بها وبيّن الطريق الأسلم الذي ينبغي اتباعه حسب رأيه: "إن الطريق الأسلم الذي ينبغي اتباعه لم يقع العمل به، ذلك أن عبد الله بن فيصل عندما كان في القائمقامية لم يتم إزالة الطوابير التي وقع الإبقاء عليها. والآن إذا لم يُبعد عبد الله فإن إزالة الطوابير بشكل مفاجئ تبدو غير ممكنة. ولو أنه وبعد القدوم إلى هنا تقرر خفض طابورين، وذلك في إطار تبديل الطوابير الموجودة في سواحل نجد. وكان المقصد من هذا هو أن تكون هذه العملية خطوة أولى لسحب جميع العساكر، شيئا فشيئا، من هذه المنطقة. والآن فإن جو القطيف رديء للغاية، ولذلك فإن أكثر العساكر يُعانون من الأمراض. وباعتبار أن هناك ثلاثة بلوكات من الضبطية المنتظمة في نجد، فينبغي توفير عدد من عساكر الضبطية في القطيف وتسليم إدارتها للضبطية. وإضافة إلى البلوكات الثلاثة الموجودة يتعين زيادة خمسمائة من الضبطية (خمسة بلوكات) من الأهالي المحليّين، وبالتالي ينبغي تشكيل طابورين اثنين. ويتم تركيز أحد هذين الطابورين في قصبة القطيف، كما ينبغي تركيز بلوك من الطابور الآخر في القلاع الموجودة بين عجير والأحساء، وأما البلوكات الثلاثة الأخرى فيجب وضعها في الحفوف وبعض النواحي الأخرى. وعلى هذا النحو، يتوجب سحب الطابورين الآخرين من العساكر النظامية الموجودة في القطيف وإرسالهما إلى المركز. وإثر هذا يتم جلب عبد الله بن فيصل والإبقاء عليه في القائمقامية عملا بأصول المجاملة، وأما إذا تم سحب جميع الطوابير

---

(٥٤٢) الأرشيف العثماني، (*İMM* 2021) ، لف: ٣.

المتبقية الأخرى فإن العساكر يكونون قد تخلّصوا من الجو السيّء في كل من القطيف ونجد، كما أن الخزينة تكون قد أعفيت من نفقات لا حد لها"(٥٤٣).

وفي ٢٥ أكتوبر تم تقديم عريضة رؤوف باشا هذه إلى الصدارة من قبل القيادة العسكرية، وهي عريضة، كما يبدو لأول وهلة، لا ترمي سوى لحماية العساكر، وتبدو كذلك كما لو أنها في غاية الإخفاق، وتصور رؤوف باشا على أنه فاقد لبعد النظر ويسير في الاتجاه المعاكس لسياسة الدولة(٥٤٤).

وفي تلك الأثناء وردت الأنباء من ولاية الحجاز تؤكد فشل هذه الآراء، وحسب هذه الأخبار فإن سعود بن فيصل شن هجمات على عربان عنين التابعة للقصيم. وذكرت هذه الأخبار أن ولاية الحجاز طلبت الإذن بإرسال قوات عسكرية لمقاومة سعود. وفي الجواب الذي أرسلته الصدارة إلى الولاية بتاريخ ٢٠ أكتوبر ذكرت أن ثمة مساعي يبذلها والي بغداد، لعقد إتفاق مع سعود، ولذلك أوصت بتجنب الاستعجال حتى لا تثار أية مشاكل (٥٤٥).

ومن جانب آخر قامت الصدارة بعرض الاقتراحات الواردة من بغداد على المابين الهمايوني في العاشر من نوفمبر، وعند دراسة الصدارة للمسألة لفتت الانتباه إلى وجهين من وجوهها:

أولا، هناك اعتقاد بإمكانية حدوث خسائر مادية ومعنوية كبيرة من حيث أمن المنطقة وهيبة الدولة إذا ما تم التخلي عن الجهود الرامية للسيطرة على نجد والمناطق التابعة لها، وتبعا لذلك فالأمر كان يتعلق بتوخي سياسة متوازنة.

---

(٥٤٣) *الوثيقة نفسها*.

(٥٤٤) *الوثيقة نفسها*، لف: ٢.

(٥٤٥) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٧٣، ص. ٢٠٦.

ثانيا، ضرورة التفكير في الأضرار التي سوف تنتج عن تعيين عبد الله في منصب قائمقام من جديد وذلك بعد أن جاء إلى جانب العساكر إثر حملة الأحساء ثم فراره بعد ذلك، فالأمر كان يتعلق إذن بتحديد الموقف تجاه هذه المسائل(٥٤٦).

وبعد أن لفتت الصدارة الانتباه إلى هاتين النقطتين بينت أن " الهدف من إرسال الجيش إلى منطقة نجد هو إنقاذ نواحي الأحساء من يد العائلة السعودية" أوضحت أنه وفقا للاقتراحات المقدمة من الأهالي، فمن المناسب سحب العساكر من تلك المنطقة بالتدريج بما أن إدارتها أصبحت بيد الحكومة. واستمراراً لرأي الصدارة فقد رأت أن الوالي لا بد أن يكون قد فكر في كل جوانب الموضوع باعتبار أنه المسئول المستقل عن المسألة وبحسب ما تقتضيه وظيفته، ولهذا السبب أيضاً فقد طلبت من السلطان اعطاء الإذن له سواء في موضوع تشكيل الضبطية أم في موضوع سحب العساكر. ولكن رغم أن الوالي يرى أن تعيين عبد الله بن فيصل من جديد في الوظيفة ليس في محله، إلاّ أن الصدارة رأت أنه إذا تعهد بتبعيته الكاملة للدولة فيمكن قبول تبعيته هذه، وفي الوقت نفسه من الضروري التنبه للأخطار التي يمكن أن تنجم عن ذلك. لأن العدول عن سعود – الموجود في نجد والذي أرسل أخاه إلى بغداد لإعلان الطاعة – وتعيين غيره في منصب قائمقام سوف يكون له أثر سيء. ومن جانب آخر فكلا الشخصين وهابي، وبما أن أهالي القطيف والأحساء هم من السنة والشيعة فإن تعيين أحد هذين الشخصين قائممقاماً سوف يتسبب في إثارة القيل والقال بين أهالي هذه المناطق. ولهذا السبب فإن الصدارة تفضل العدول عن هذين الشخصين والبحث عن شخص آخر مناسب وتعيينه في هذا المقام، وإذا لم يتم العثور على شخص بالكفاءة المطلوبة وتعذر الاستغناء عن عبد الله أو عن سعود فإن الحكومة تفضل من يكون أقدر على توفير الأمن. وهكذا ولكي يحصل الوالي على الصلاحية

---

(٥٤٦) الأرشيف العثماني،(*İMM* 2021)، لف: ١.

والإذن قامت الصدارة بعرض الموضوع على المابين وحصلت على الإرادة السلطانية اللازمة في هذا الموضوع[٥٤٧].

وفي ٢٤ نوفمبر ١٨٧٣ كتبت الصدارة إلى بغداد تعلمها أنه بإمكان الوالي القيام بالاصلاحات الجديدة، وإمكانية سحب الجيش الموجود هناك. وبعد هذا التاريخ مباشرة شرع رؤوف باشا في القيام بنشاطاته، وبسبب عدم قدوم كل من سعود وعبد الله اللذين تم استدعاؤهما إلى بغداد، ونظرا لأن الباب العالي كان يفضل شخصا آخر غيرهما فقد بدأ في البحث عن متصرف مناسب لنجد. وأخيرا قام الوالي بتعيين الشيخ بزيع بن عريعر متصرفا على متصرفية نجد برتبة أمير الأمراء وبمرتب قدره عشرون ألف غروش، وجاء تعيينه هذا بضمان وكفالة من ناصر باشا، وهو أحد أعضاء مجلس إدارة ولاية بغداد. وهذا الشيخ هو من بني خالد الذين كانت إدارة الأحساء بأيديهم، وقد فر إلى منتفك بسبب الضغط الذي كان يمارسه الوهابيون، وهو يعتبر من العارفين بأمور المنطقة وأهل لهذا العمل. ومن المحتمل أن يكون للشيخ بزيع دور في هذا التعيين باعتباره سنّيا وعدوا قديما للوهابيين. وفي هذه الأثناء تم الحفاظ على المرتّبات القديمة لتشكيلة المتصرفيّة المتكونة من مساعد المتصرف والمحاسب والنائب الشرعي والمجالس. وفي ١٨ فبراير عام ١٨٧٤ أبلغ رؤوف باشا الصّدارة بهذا التعيين، وأوضح أنّه من أجل جلب بزيع إلى نجد وإعلانه عن رضاه، ومن أجل سحب القوات العسكرية الموجودة هناك، انطلق الميرلواء محمد باشا في اليوم نفسه من بغداد. ومن ناحية أخرى تقرر الإبقاء على طابورين من المشاة رفقة المتصرف الجديد في المنطقة، كما أعطي الإذن بتشكيل عدد من الفرسان السيارة من القبائل التي يثق فيها، ويبلغ عدد هؤلاء الفرسان ٤٠٠ نفر[٥٤٨].

---

(٥٤٧) *الوثيقة نفسها*.

(٥٤٨) الأرشيف العثماني، (*İMM* 2052) .

والنتيجة، فالملاحظ أنه في الوقت الذي كان يتم فيه إجلاء القوات النظامية العثمانية من المنطقة، جرى من جانب آخر الشروع في تكوين ضبطية من العشائر العربية. وبعد فترة قصيرة بدأت تظهر النتائج الوخيمة لهذا القرار، فظهرت من جديد الفوضى في منطقة الأحساء. وبينما أعلن مدحت باشا أنه لا توجد ضرائب تدفع سوى الزكاة والعشر، كانت الإدارة الجديدة سببا في الدعوة إلى استحداث ضرائب جديدة[٥٤٩]. وبعبارة أخرى، فإن المتصرف الجديد تعامل مع الأمور بشكل مزاجي، مما كان سببا في إثارة الاهالي. وإضافة إلى كل ذلك، ففي شهر يوليو من العام نفسه، خُلّي سبيل عبد الرحمن بن سعود [٥٥٠] الذي كان يخضع للإقامة الجبرية، وذلك بدعوى أن الأمن قد استتب في نجد وهو ما فتح بابا جديدا للقلاقل.

وقدم عبد الرحمن بن فيصل إلى الأحساء عبر البحرين، واستطاع أن يقضي على نفوذ إخوته ، وتمكن من جمع آلاف الأفراد من بين العشائر التي كانت تؤيد عائلة سعود منذ زمن طويل مثل عشيرة عجمان ومرة وبني هاجر، وهجم على الأحساء وقتل عددا كبيرا من الجنود والموظفين والأفراد الذين كانوا يظاهرونهم. وهذه الأحداث التي تواصلت لمدة أربعين يوما تقريبا، وقُتل فيها أكثر من ألف شخص، لخصها محمد نجيب محاسب نجد في أربعة مواد، وأرسلها في إحدى العرائض إلى ولاية بغداد:

أولاً: تعيين بزيع متصرفا على نجد، واعتبار وجود الفرقة العسكرية في نجد غير ضروري، وبالتالي سحبها من المنطقة. **وثانيا**: عند انسحاب الفرقة العسكرية، تقرر تشكيل قوة من الضبطية قوامها ٤٠٠ شخص. وعند تعذّر إتمام هذا العدد، تم الاكتفاء بحوالي تسعين إلى خمسة وتسعين فردا من عشيرة بزيع وبعض العشائر الأخرى، وبالتالي جعل أمن منطقة نجد محصورا في أيدي هؤلاء. **وثالثاً**: إخلاء

---

(٥٤٩) مدحت *باشا*، ص. ١٢٣-١٢٤.

(٥٥٠) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٤٩، ص. ١٥٩.

سبيل عبد الرحمن بن سعود وابن عمه فهد بن ثنيان دون تلقي أي معلومات من نجد. ورابعاً: عند انفجار الأوضاع لم يتم إخطار الولاية بهذه التطورات[٥٥١].

وعندما علم ناصر باشا متصرف منتفك والكفيل في موضوع تعيين بزيع على نجد، بالتطورات هرع بسرعة آخذا معه قسما من العساكر وهجم على الأحساء، وتمكن من القضاء على هذا التمرد. والحقيقة أن أكثر القوات التي كانت تناصر عبد الرحمن انفضت من حوله عندما نما إلى علمها اقتراب ناصر باشا منها. وبالنسبة إليه هو، فقد أدرك انه لا طاقة له على المقاومة ففر إلى الرياض واحتمى بأخيه سعود[٥٥٢]، وعندما توفي أخوه في أوائل عام ١٨٧٥ أعلن أميرا على المنطقة. ولم تستمر إمارته سوى ستة أشهر أو اكثر بقليل، وسلّم الإمارة بعدها إلى أخيه الأكبر، وبذلك انتقلت إدارة منطقة الرياض وما حولها من جديد إلى عبد الله بن فيصل [٥٥٣]. ومن جانب آخر، وبعد النجاح الذي حققه ناصر باشا عُين متصرفا على البصرة، كما طلب تعيين ابنه مزيد متصرفا على نجد برتبة مير ميران (فبراير ١٨٧٥)[٥٥٤]، وإثر ذلك أصبح تعيين متصرفي نجد يتم من قبل الباب العالي.

واقترح ناصر باشا متصرف البصرة تحويل هذه المنطقة إلى ولاية، وذلك من أجل إعمارها وإصلاحها وتقوية نفوذ الدولة فيها، كما طلب ربط منطقة نجد ومنتفك بهذه الولاية الجديدة. وإثر ذلك اجتمعت لجنة في الباب العالي للنظر في هذا الموضوع، ورأت أنه من المناسب تطبيق هذا الاقتراح إذا كان لا يتطلب نفقات جديدة إلاّ تغيير الألقاب بما يطلبه ناصر باشا. وفي ١٠ أغسطس ١٨٧٥ عُرض هذا الاقتراح على المابين من قبل الصدارة، وبعد يومين من ذلك صدّق

---

(٥٥١) الارشيف العثماني، (*SD*2149/40)

(٥٥٢) لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٦٧٣-٧٤؛ قاسم، *المصدر السابق*، ص.١٩٦-١٩٧.

(٥٥٣) *Memorial*، ص. ٢٦٠-٢٦١.

(٥٥٤) الأرشيف العثماني، (*İMM*2216).

عليه السلطان، ليكون جاهزا للتطبيق[٥٥٥]. وهكذا أصبح أحد أبنائه متصرفا على منتفك والآخر متصرفا على نجد، وصار هو واليا على البصرة، وبالتالي اجتمعت السلطة في المنطقة بيد عائلة بعينها. غير أن هذا الثلاثي لم يستمر طويلا، فبعد فترة قصيرة عُزل ابنه وعُين سعيد بك على متصرفية نجد. وبعد ذلك تم التفكير في إعادة البصرة إلى متصرفية، غير أنّه نظرا لكبر ولاية بغداد وأهمية هذه المنطقة تقرر الإبقاء عليها كما هي. ثم وقع بعد ذلك عزل ناصر باشا من الولاية وتعيين عبد الله باشا عليها[٥٥٦]. ومن جانبه طلب عبد الله باشا عزل ابن عمه حسين بك متصرف نجد الذي كان موجودا على متصرفية نجد قبل تعيينه هو على الولاية، وذلك حتى يغلق الطريق أمام القيل والقال بسبب صلة القرابة التي تربط بينهما، كما طلب تعيين سعيد بك متصرف نجد السابق في مكانه لما يتمتع به من دراية بلغة المنطقة وإلمام بشؤونها[٥٥٧]. وفور تسلم إرادة هذا التعيين في ١٥ أغسطس ١٨٧٨ شرع سعيد بك في التوجه نحو محل وظيفته في نهاية العام نفسه. وبالرغم من أن هذا التعيين يعتبر في محله إلا أن إجلاء القسم الأكبر من العساكر وتغيير المتصرفين باستمرار تسبب في الإخلال بالاستقرار في المنطقة، بل في وقوع حوادث تمرد خصوصا في الأحساء والقطيف، بينما لا توجد أعداد كافية من العساكر من أجل الحيلولة دون نشوب حركات التمرد تلك ولهذا السبب تمت مراسلة عبد الله الصباح قائمقام الكويت من أجل إخماد هذه التمردات بما جمعه من العساكر والذين يبلغ عددهم الألف فرد.

---

(٥٥٥) الأرشيف العثماني، (*İMM*2344).

(٥٥٦) الارشيف العثماني،(*İMM*2828).

(٥٥٧) الأرشيف العثماني، (*İD*62828).

وفي الفترة الواقعة بين ١٨٧٥ و١٨٧٨ كانت المنطقة قد عرفت هدوءً نسبيا، أما خليج البصرة فقد استمرت فيه الصراعات الدولية(٥٥٨). وأهم تطور يلفت الانتباه خلال هذه السنوات هو تجدد المنافسة بين الدولة العثمانية وإنجلترا بهدف بسط النفوذ على المنطقة. ذلك أنه بعد حملة الأحساء، وبالرغم من جميع السلبيات فقد تحول الوجود العثماني من وجود شكلي إلى وجود فعلي. وهكذا تمكنت الدولة العثمانية بواسطة جيشها وتشكيلات الحكومة من بسط النفوذ على قطر، بل إنها وصلت إلى حدود البحرين. وعندما وجد الإنجليز أنفسهم وجهاً لوجه مع تلك الأوضاع عملوا على خلق مشاكل جديدة للحيلولة دون الاعتراف بهذه السيطرة. فمثلا أعلنت الحكومة الإنجليزية في الهند في مايو عام ١٨٧٩ أنه ليس هناك للدولة العثمانية أي حق سواء في جنوب عجير ميناء الأحساء أو الدوحة في قطر. كما اقترحت الحكومة الإنجليزية في الهند على المشيخات التي لها ميل مع الإنجليز والتي توجد خارج النفوذ العثماني دفع مقدار يسير من الجزية مقابل تمتعها بحماية الإنجليز. وإضافة إلى ذلك أعلنت هذه الحكومة أنها لن تسمح بأي نشاط قرصنة ضدها، وسوف تعتبر الدولة العثمانية هي المسؤولة عن الحوادث التي يمكن أن تقع مستقبلا. غير أن الحكومة الإنجليزية في إنجلترا كانت تدرك أن الباب العالي لن يقبل بأن تدعي أي دولة الحق في المنطقة. ولهذا السبب فإن الخارجية الإنجليزية كانت ترى أن مثل هذا الاقتراح يمكن أن يسفر عن نتائج وخيمة، ولذلك لجأت إلى طرق باب الحوار. وإثر ذلك وردت تعليمات من لندن في شهر مايو عام ١٨٧٩ تدعو إلى وقف النشاطات التي بدأتها الحكومة الإنجليزية في الهند في سواحل الأحساء، والمتمثلة في تنقل السفن الحربية، وذلك عملا بما جاء في التصريح السابق والذي يعتبر هذه النشاطات مخالفة للقانون الدولي. وفي هذه الأثناء تدخل السفير الإنجليزي في استانبول لدى الباب العالي وفقا للتعليمات التي تسلمها من لندن، وذلك بهدف التوصل إلى أرضية وفاق. كما أن

---

(٥٥٨) للاطلاع على معلومات أكثر أنظر: Ravinder Kumar, "Anglo-Turkish Antagonism in the Persian Gulf" *Islamic Culture*, Vol. 37, India 1963, p. 100- 111.

إنجلترا اقترحت السماح بدخول سفنها الحربية مسافة ثلاثة أميال شمال العُديد وذلك من أجل الحيلولة دون وقوع قرصنة ضد سفنها، كما اقترحت كذلك التعاون للوقوف معا في وجه القرصنة. وتواصلت هذه المشاورات طيلة عام ١٨٨٠، إلا أنها لم تصل إلى أي نتيجة، وإثر ذلك وفي عام ١٨٨١ صرحت إنجلترا بأن سفنها الحربية سوف تواجه نشاطات القرصنة بمفردها دون الارتباط بأية قواعد[٥٥٩]. ويعتبر هذا الموقف الأشد من قبل إنجلترا منذ حملة الأحساء، وهدفها من ذلك إعاقة امتداد النفوذ العثماني من الأحساء إلى البحرين.

---

(٥٥٩) لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٤٦٧- ١٤٦٩؛ كيللي، *المصدر السابق*، ص. ٦٣٨- ٧٥٦؛ قاسم، *المصدر السابق*، ص. ٢١١-٢٢٣.

الفصل الثالث

تغير موازين القوى في نجد:
آل الرشيد وصراعهم مع آل سعود



الفصل الثالث

تغير موازين القوى في نجد:
آل الرشيد وصراعهم مع آل سعود

أولاً: ظهور قوى جديدة في نجد وموقف الدولة العثمانية منها

١- ظهور آل الرشيد كقوة بديلة

كانت منطقة جبل شمر في شمال نجد، مثلها مثل المناطق الأخرى، مأهولة بقبائل عربية كثيرة ذات أصول متعددة، وهم موزعون بين حضر وبدو، وهذا الاتحاد الذي تكونه هذه القبائل كان يدعي أيضا بقبائل شمر. وخلال القرن التاسع عشر ظهر آل الرشيد الذين يعتمدون على هذه القبائل كقوة مهمة في نجد بعد العائلة السعودية[٥٦٠]. وفي نهاية القرن الثامن عشر كان يوجد هناك شيخ بدوي يسمى بهيج، وينتمي إلى قبيلة سمب التي قامت بتأسيس مدينة حائل التي سوف

---

(٥٦٠) من أجل الاطلاع على معلومات أوسع حول ظهور عائلة الرشيد وتطورها انظر: حجاز سياحت نامه سي، ص. ٣٥٧-٣٨٦؛ حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ١٤٤-١٤٦، ١٥٠- ١٥١؛ محمد علي عيني، *القومية*، استانبول ١٩٤٣، ص. ٢٤٨- ٢٤٩؛ مونتانيو، *المصدر السابق*، ص. ١١٣-١٣٢؛ ابراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، الرياض ١٩٦٦، ص. ١٢٤- ١٢٥؛ عبد الله الصالح العثيمين، نشأة إمارة آل رشيد ١٩٩١ (الطبعة الثانية)؛ Charles M. Doughty, *Travels in Arabia Deserta*, New York (4.ed.), II/15-16, 287-319؛ صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية، لبنان بدون تاريخ، I/ ٢٨١-٢٨٢، ٢٩٢-٢٩٦، ٢٨٢-٢٨٩.

تكون مركزاً للرشيديين في المستقبل[٥٦١]، غير أنه في إحدى الغزوات التي كانت شائعة بين البدو انهزم أمام عشيرة عبده، واضطر إلى الانسحاب إلى الجزيرة. وفي الأصل فإن (العبديين) ينتمون إلى قبائل قحطان، وهم يعيشون شرق عسير، وربما استوطنوا في جبل شمر نتيجة لحياة الترحال التي تميز البدو، وبعد أن هزموا بهيج تولوا إدارة المنطقة. وكانت الإدارة بيد آل علي وهم من فرع جعفر التابع لهذه العشيرة، وقد أعلنوا تبعيتهم للوهابيين[٥٦٢]. وظهر عبد الله بن الرشيد من أبناء عم العشيرة نفسها وتواصل إلى أن تم تأسيس الإمارة الرشيدية.

وعقب الحملات التي أرسلها محمد علي باشا إلى الدرعية، تمكن عبد الله بن الرشيد الذي دعم فيصل بن تركي في مواجهة مشاري من أن يصبح أميرا لحائل مستفيدا من تشتت العائلة السعودية بسبب الخلافات التي كانت تسودها. وفي تلك الأثناء كانت حائل بيد ابن عمه، وكانت الطريق بين منطقة الرافدين والحجاز ومعبرا نشيطا للتجارة والحج[٥٦٣]، وتعتبر في الوقت نفسه مركزاً تجارياً مهما بالنسبة إلى قبائل جبل شمر. وتبعا لذلك فالأمير الذي يسيطر على هذه المنطقة يستطيع أن يبسط سلطانه على جميع قبائل شمر[٥٦٤]. وقد كانت هناك عوامل اخرى ساهمت في استتباب الإمارة لعبد الله. فقد

---

(٥٦١) دوجتي، *المصدر السابق*، ص. ٥٦؛ مونتانيو، *المصدر السابق*، ص. ١١٥.

(٥٦٢) *Explorers of Arabia*, p. 166.

(٥٦٣) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ١٥٥؛ Madawi Al Rasheed , Durable and Non Durable Dynasties: The Rashidis and Saudis in Central Arabia "*Brithe Journal of Middle Eastern Stadies*", Vol. 19, 1992/2, p.147-148.

(٥٦٤) إن قبائل جبل شمّر فرع يدعى "عرب شمر"، وقد ورد ذكرهم مرارا في الوثائق العثمانية. وهم يسكنون في المنطقة التي تدعى "الجزيرة" وهي المنطقة المحصورة شمالا بين دجلة والفرات. وكانت قبائل عرب شمر تقوم باستمرار بالإغارة على المناطق المأهولة في حلب وأورفة وديار بكر والموصل. وقد أدت المشاكل العائلية والتناحرات بين أفرع القبيلة إلى نزوح قسم من عرب شمر والسكن في المناطق المأهولة المذكورة آنفا. كما تم إسكان قسم آخر منهم في تلك المناطق من قبل الدولة. وبالرغم من إسكانهم في الحواضر فإن الدولة العثمانية لم تتمكن من وضع حد للمشاكل التي كانوا يثيرونها، وظلوا مصدر رعب بالنسبة إلى باقي السكان. وللمزيد من المعلومات حول هذه المشاكل والشكاوى انظر: الأرشيف العثماني، *A.MKT.UM*57/15، 70/96، 83/56. وقد نجح مدحت باشا أثناء ولايته لبغداد في معالجة بعض هذه المشاكل، كما أمكنه إسكان قسم من هذه العشائر أيضا.

استغل الكراهية التي يكنها سكان المنطقة للوهابيين، كما أنه قدم الدعم للقوات المصرية التي تقدمت في نجد عام ١٨٣٠، كما تم إنجاده بألفي جمل، وهذه كلها من العوامل التي قوت من شوكته. وبالرغم من ذلك فإن عبد الله بن الرشيد فعل مثل أبناء عمه، إذ قبل أن تكون لعائلة سعود اليد الطولى في المنطقة، بل وعمل كما لو كان ممثلا عنهم في منطقة حائل. لكن وعند وفاته عام١٨٤٥ خلفه طلال بن عبد الله، وعمل على كسب تأييد قبائل شمر، وفي المقابل قطع صلته بالسعوديين، وأنشأ حلفا جديدا في منطقة نجد[٥٦٥].

بعد عام ١٨٤٧ بدأت قوة الرشيديين في المنطقة تتعاظم في مواجهة السعوديين، وقد استرعى هذا الأمر انتباه الأوروبيين. وفي عام ١٨٦٢ قام الرحالة الشهير "بالغراف" بزيارة المنطقة في لباس طبيب والتقى بابن الرشيد لحساب نابليون[٥٦٦].

بدأت قوة آل الرشيد في التوسع انطلاقا من مدينة حائل، ثم بسطوا سيطرتهم على كامل منطقة جبل شمر، وفي تلك الأثناء بدأ ولاة الدولة العثمانية في المنطقة يرون فيهم قوة بديلة في مواجهة الوهابيين، كما أن الجهود التي بذلتها ولاية الحجاز وإمارة

ويورد المعلومات التالية عن "عرب شمر" ضمن لائحته التي بعث بها إلى الصدارة العظمى: "إن القبائل التي تدعى شمر والتي تسكن الجزيرة عبارة عن قبائل متوحشة حديثة السكن في منطقة الجزيرة. وقد تم جلب هذه القبائل بواسطة أحد شيوخ نجد وهو الشيخ فارس الجربة. وكان عدد الخيام التي نصبتها قبائل شمر في منطقة الجزيرة يتراوح ما بين ٨٠ و١٠٠ خيمة. وبمرور الزمن زاد عدد الساكنين هناك، وبالتالي تعاظم تأثيرهم في المنطقة حتى أصبحت القبائل الأخرى في الجزيرة طوع أمرهم.ومن ثم أصبحت المنطقة الممتدة بين حلب وبغداد وأورفة وسيورك وديار بكر والموصل وماردين تعاني من غاراتهم وما يلحقونه بالناس من أذى. إلا ان قسما من قبيلة شمّر هاجر واستوطن في بعض المدن والحواضر، وأما القسم الباقي فما زال يحتفظ بطبيعته البدوية سبعين إلى ثمانين سنة، وهو ما يعرف اليوم بعشائر شمّر وما لديها من تأثير في المنطقة". الأرشيف العثماني، İD43847، لف: ١ (٢٣ ذي القعدة. ١٢٨٧/ ٣مارس ١٨٧٧) بالإضافة إلى دراسة قيمة أجريت عن قبائل شمر المنتشرة في نجد، انظر ماكس فرايهر فون أوبنهايم، *Die Beduinen*، ١٩٨٣ (الطبعة الثانية)I /١٣١-١٦٣؛ Nejat Göyünç, "Max FreiherrVon Openheim ve eserlerinde II. Abdülhamid Devrine Ait Bilgiler"، *Sultan II.Abdülhamid ve Devri Semineri* (٢٧-٢٩ مايو ١٩٩٢)، *Bildiriler*، استانبول ١٩٩٤، ص. ٢٤-٢٥.

(٥٦٥) *Explorers of Arabia*, p. 167.

(٥٦٦) *المصدر السابق*، ص. ١٥٨.

مكة المكرمة آتت أكلها، إذ أدت إلى زيادة التأييد للدولة العثمانية، وهكذا أخذ ابن الرشيد تدريجيا في التحرر من تأثير العائلة السعودية. فأثناء الزيارة التي قام بها "غارماني" الإيطالي إلى المنطقة عام ١٨٦٤ خاطبه طلال عندما كان أميرا على حائل قائلا "إنه خادم أمين للسلطان التركي"[٥٦٧]. وإثر إنشاء متصرفية نجد تراجع نفوذ العائلة السعودية في هذه المنطقة إلى حد كبير، وفي المقابل بدأت سلطة الرشيديين في البروز، كما أنهم بدأوا في كسب تأييد القبائل الموجودة في دواخل نجد. وفي البداية رأت الدولة العثمانية أنه لا بأس من قوة عائلة الرشيد، بل هي تمثل عنصر توازن في المنطقة ولكن بعد أن انتقلت الإمارة إلى محمد بن الرشيد، وهو الرجل المحنك العارف بأمور السياسة والمناورة أصبح يشكل مصدر تهديد.

وكما ذكرنا ذلك في الفصل الثاني، فإن إرسال الخلع والنياشين إلى شيوخ هذه العائلة كان بمثابة إعلان مشروعية من قبل الدولة لوجودهم واعتراف بنفوذهم. بيد أن محمد بن الرشيد شيخ عشائر شمر لم يكتف بما بدا من الدولة من اعتراف، ولم يقصر نشاطاته على منطقة نجد، بل بدأ في التحرك في نواحي سوريا أيضا. وتمكن محمد بن الرشيد فعلا من السيطرة على "قلعة الجوف" التي تربط بين سوريا وجبل شمر والتي تمثل كذلك بوابة له، وإثر ذلك توجه نحو اليمامة وإلى القصيم جنوب جبل شمر، ثم إلى نواحى خيبر في الحجاز، وجعل جميع هذه المناطق تابعة له، ونجح في جمع الزكاة من أهاليها[٥٦٨].

وفي شهر فبراير من عام ١٨٧٨ أعد كل من والي الحجاز وأمير مكة المكرمة لائحة مشتركة وعرضاها على الصدارة، وفيها شكوى من الوضع الذي سبق الحديث عنه. فقد كان محمد بن الرشيد شيخ عشائر شمر يتخذ من حائل مقرا له، وأثناء نشوب الحرب العثمانية الروسية قلب ظهر المجنّ وغير سلوكه مع الدولة

---

(٥٦٧) المصدر السابق، ص. ٢١.

(٥٦٨) الأرشيف العثماني، (*İMM* 2896)، لف: ١، ٢؛ ٤؛ حجاز سياحتنامه سى، ص. ٣٧٤-٣٧٦.

العثمانية، إذ تحول من موقع المطيع إلى إثارة العنف، ورفض دفع الضرائب التي كان مسؤولا عن دفعها، ولم يكتف بذلك بل أصبح يحرض سكان خيبر والقصيم التابعة للمدينة على الامتناع عن دفع الضراب السنوية. وعمل محمد بن الرشيد على كسب عشائر عتيبة ومطير في تحالفه وتقوية شوكته، وكان يأمل في أن يستفيد من الاضطرابات التي حدثت داخل قبيلة حميدات الموجودة بجوار منطقة "الجُدَيدة"، وقد كانت تلك الاضطرابات بسبب تحريض شيخها حذيفة سرّا من قبل ابن الرشيد. وأكد والي الحجاز وأمير مكة المكرمة أنه ينبغي تأديبه قبل أن تقوى شوكته، وعبرا عن تخوفهما من أنه إذا لم يحدث ذلك فإنهما يمكن أن يتسببا في مشاكل تشبه ما حدث مع الواهابيين[٥٦٩].

والحقيقة أن الكثير من القبائل في منطقة الحجاز استغلت التغييرات الحاصلة في الدولة العثمانية، وكذلك الجراح الغائرة التي خلفتها الحرب الروسية العثمانية، وبدأت في زعزعة الأمن سواء بالإغارة على بعضها البعض أو بإعلان العصيان على الدولة. وربما يكون من أسباب تحركات بعض شيوخ القبائل البدوية أنهم لم يتمكنوا خلال الحرب من الحصول على الضرائب السنوية. وحسب أمير مكة المكرمة والوالي فإنه ينبغي الشروع في الأمر بتأديب ابن الرشيد، لأن ذلك من شأنه كف أيدي الآخرين والتأثير عليهم بشكل إيجابي.

وحسب الأخبار الواردة من المنطقة، فإن محمد بن الرشيد لم تكن معه سوى قوة من خمس أو ست مائة فارس من الحضر والبدو. ولكن يبدو أنه كان رفع هذا العدد إلى ألفي فارس إذ التحق به بعض العربان في شرق المدينة وجنوبها، مثل عشائر عنزة، إضافة إلى الاتفاق الذي عقده مع بعض أفخاذ عربان حرب ومطير، وبذلك تصل القوة التي يمكنه من جمعها إلى ألفي فارس. واقترح والي الحجاز تشكيل قوة عسكرية تضم العربان المناهضين له في منطقة القصيم، والعربان

---

(٥٦٩) الأرشيف العثماني، (*İMM*2896)، لف: ٥.

الآخرين الموالين للدولة، والزحف على ابن الرشيد وحمله على إعلان الطاعة. وإذا لم يتسن ذلك، يتم عزله وتنصيب أحد إخوته في مكانه، وقد بعث الوالي إلى الباب العالي يطلب منحه الإذن بتنفيذ هذه الخطة[٥٧٠].

وقد جاء في الجواب الذي بعث به الباب العالي في ١٧ أبريل ١٨٧٨ أن مجلس الوكلاء يرى أن هذه الحملة لن يكون من الممكن القيام بها بسبب قدوم موسم الحر، وتبعا لذلك فقد قرر أن يقع حل هذه المسألة عن طريق الحوار والتشاور[٥٧١] وإثر ذلك شرعت ولاية الحجاز وإمارة مكة المكرمة في التخابر مع ابن الرشيد. وجاء في رسالة بُعثت إليه في ٥ مايو أن عربان خيبر وما جاورها رغم أنهم موالين للمدينة، وكانت أموال الزكاة نفسها تجري جبايتها من قبل الدولة إلاّ أن بعضاً من هؤلاء العربان رفض تسليمها لموظفي الدولة، وشاع أنهم أعطوها لابن الرشيد، وعمد هو إلى قبولها منهم. كما جاء في الرسالة أن هذا الوضع لا ينسجم مع علاقة الصداقة التي كانت تربطة بالدولة منذ وقت بعيد، كما أن هذه التصرفات يمكن أن تفهم على أنها ضرب من العصيان، ولذلك فالمطلوب منه أن لا يقف إلى جانب هؤلاء العربان[٥٧٢]. أما ابن الرشيد الذي يفهم بشكل جيد مقتضيات العمل السياسي، فقد أنكر في رسالته التي سلمها في بداية شهر يونيو أن يكون حدث أي شيء من هذا، وأوضح أنه على العكس تماما أكد على أهمية الرباط الذي يشده إلى الدولة، وبين كذلك أنه يعتبر نفسه خادما لها، وفي هذا المجال قد عمل منذ مدة على تأمين الطرق التي تصل العراق بالحجاز، كما بين أنه كان يقوم بذلك بالتعاون مع العشائر باسم الدولة. وذكر ابن الرشيد في رسالته أن ثمة قبائل بدوية وحضرية غيرهم تعيش في نجد لم تدفع للدولة شيئا مثل وادي الدواسر والحوطة وسبيع السهول وخريف وابن سعود والعارض وسدير ووشم و عنيزة وبريدة والقصيم

---

(٥٧٠) *الوثيقة نفسها*.

(٥٧١) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ٨٧٧، ص.٩.

(٥٧٢) الأرشيف العثماني، (*İMM* 2896)، لف: ٢٩.

ومطير وقحطان وعتيبة وعجمان والدواسر، ولا أحد أكثر منهم ولاءً للدولة في نجد(٥٧٣). وحسب ما يفهم فإن التقارب الذي كان موجودا في السابق بين الحجاز وابن الرشيد دفع قسما من الحجاز لكي يصبح تابعا للمدينة، والذي فجر هذه المشكلة هو جمع الزكاة من هذه المناطق. فالبدو اعتادوا على الميل نحو الجهة التي يشعرون أنها في موقف قوة. فمن ناحية هناك خوف من قوة ابن الرشيد الذي تمكن من توسيع تحالفاته وجمع أقصى ما يمكن من المقاتلين، ومن ناحية ثانية يوجد في مكة المكرمة والمدينة طابوران يتكون كل واحد منهما من ثلاثمائة نفر، وهما لا يكفيان حتى لضمان الأمن في تلك النواحي(٥٧٤). وأما الباب العالي الذي كان على علم بهذه الاوضاع، فلم يشأ أن تؤدي إلى وقوع اضطرابات جديدة في المنطقة وتتعرض منطقة الحجاز للخطر، فلجأ إلى منح عطايا وأوسمة ونياشين للعربان من أجل استمالتهم وكسبهم إلى جانبه.

ومع تعرض الدولة العثمانية خلال السنوات الاولى من عهد السلطان عبد الحميد الثاني لمحنة قاسية بسبب الحرب العثمانية الروسية، إلاّ أنها في موضوع ما يمكن عمله لإصلاح الأمور في أراضيها المختلفة وخاصة العراق والحجاز – كانت قد كلفت موظفيها الذين عملوا من قبل في تلك المناطق بإعداد لوائح وتقارير

---

(٥٧٣) *الوثيقة نفسها*.

(٥٧٤) *الوثيقة نفسها*، لف: ٣٤. تحدث أحيانا محاولات للزيادة في عدد العساكر الموجودين في المدينة، ففي عام ١٨٨٣ اقترح عادل باشا محافظ المدينة إعادة تشكيل "فرسان عقيل" وذلك من أجل ضمان لمن المدينة من العربان البدو الموجودين بجوارها. ومن بين الاقتراحات التي تقدم بها عادل باشا نذكر مايلي: "أما عن صورة ترتيب بولكات العقيل فالواجب أن يجري استحضار ثلاثمائة نفر من عساكر العقيل بحيث يكون كل بولوك مائة نفر، ويكونوا من عربان عنزة المقيمين في جهة جبل شمر لما عُرف عنهم من شجاعة وقدرة عالية على استخدام السلاح، ولما عرف عنهم أيضاً بعدائهم ومعارضتهم لشيخ القبائل البدوية المعروف بابن الرشيد والمقيمون في تلك الجهة، وتواتر عنهم أنه يمكن التعاون معهم...". ومن جانبه عرض السلطان عبد الحميد الثاني هذه الاقتراحات على اللجنة، وتمت مناقشتها، وقبلت بشكل كامل (الأرشيف العثماني، *Y.MTV*10/46).

في ذلك، وحصلت على آرائهم وأفكارهم(٥٧٥). وكان السلطان الجديد معنياً بأمن طريق الحج وخاصة بين مكة المكرمة والمدينة، فأمر بعمل الرسوم والخرائط للقلاع والطرق والمواقع والقصبات الموجودة هناك، وأمر بترميم المحتاج منها للترميم وإقامة الاستحكامات اللازمة(٥٧٦). كما أمر بالزيادة في مرتبات الموظفين العاملين هناك، وشدد على على ضرورة عدم السماح لاستغلال وظائفهم استغلالا سيئا(٥٧٧). وبسبب المحن التي حدثت خلال السنوات الأخيرة انقطعت المخصصات التي كانت تعرف باسم "الضيافة" عن الوصول إلى العربان الموجودين في نواحي الحجاز، وذلك إلى جانب انقطاع وصول الصرة أيضاً(٥٧٨). وأمر عبد الحميد الثاني بزيادة مقدار هذه المخصصات واستئناف صرفها بشكل منتظم من جديد، وبذلك قطع الطريق على هؤلاء العربان للتذرع بمثل هذه الأسباب من أجل إثارة الفوضى(٥٧٩). كما أنه، وعقب إخلاء العساكر من منطقة الأحساء، تم إرسال

---

(٥٧٥) للاطلاع على اللائحة التي تم إعدادها بأمر من السلطان في عام ١٢٩٦ هجرية بهدف إصلاح الوضع في العراق انظر: الأرشيف العثماني، (*YEE* 14/88-8/88/12)؛ وانظر كذلك في الموضوع نفسه لائحة مظهر متصرف البصرة المؤرخة في الأول من أغسطس عام ١٢٩٦:(*YEE*/14/413/126/9). وأيضا للاطلاع على السياسة العامة للسلطان عبد الحميد الثاني إزاء الولايات العربية انظر: "Abdulhamid's Islamic Policy in the Arab Provinces", *Türk-Arap İlişkileri*, p. 44-60; Cezmi Eraslan, *Abdülhamid ve İslam Birliği*, İstanbul 1992, p.259-301.

(٥٧٦) الأرشيف العثماني، (*İMM*2720)؛ (*İŞD* 1910).

(٥٧٧) الأرشيف العثماني، (*İD* 66139).

(٥٧٨) مثال ذلك أن المرتبات التي خصصت له تعرضت للانقطاع، كما أن قسماً من مشايخ العربان قد تسببوا في الفوضى عند نقل المؤن من ينبع إلى المدينة وذلك بسبب التنافس الحاصل بينهم، وقد تم عقد اجتماع في ابريل عام ١٨٨١ تعهد فيه هولاء الشيوخ بالطاعة وعدم احداث فوضى مرة أخرى. وقد وقعوا على ذلك كتابيا وتم منحهم مجموعة من الهدايا والخلع. وقد اشترك في هذا الاجتماع من جانب الحكومة الشريف عبد المطلب أمير مكة المكرمة والمير لواء يحيى بك الممثل عن الأركان الحربية، أما من جانب العربان فقد شارك في الاجتماع عبد الله بن مطلق أحد شيوخ بني إبراهيم وحذيفة بن سعدة شيخ الأحامدة وممثلون آخرون عن العربان. الأرشيف العثماني (*Y.MTV* 3/132)

(٥٧٩) توقف دفع المخصصات التي كانت توجه إلى عربان حرب والتي كانت قيمتها تبلغ ١٢٤٠٠ غروش، وكذلك المخصصات التي تعطى لشيخ المشايخ وقيمتها ٧٤٠٠ غروش. وبعد الإعلان من أمير مكة المكرمة بالموضوع، تمت مناقشة الأمر ثم أدرجت هذه المخصصات في موازنة عام ١٢٩٧ لاستئناف صرفها من جديد. الأرشيف العثماني، (*İŞD* 2976).

المخصصات اللازمة للطابورين المرابطين في تلك المنطقة، مع مراعاة عدم التأخير في صرفها، وفي عام ١٨٨١ زيدت المخصصات المقررة للعسكر إلى مليون من الغروش(٥٨٠).

لم تقتصر التدابير التي اتخذت في هذه المنطقة خلال السنوات الأولى من حكم السلطان عبد الحميد على هذه الأمور، وإنما كانت ثمة إجراءات أخرى مهمة تتعلق بتوطين وأسكان البدو في ولاية بغداد والمناطق المجاورة لها. وفي هذا المجال، وقع قبول الطلبات الصادرة عن البدو الرّحل في الحال، بل وتشجيعهم أيضاً(٥٨١). كما اتجهت الدولة إلى إجراءات كبيرة مثل إصلاح الثكنات العسكرية في المنطقة وتشجيع التجارة، وتطهير مجاري الأنهار وفتح قنوات جديدة، وتوزيع الأراضي على القبائل العاملة بالفلاحة(٥٨٢). وفي هذه الأثناء اجتهد في البحث عن الطرق الملائمة للاستفادة الصحية من الأراضي والأملاك التابعة للدولة والموجودة في مناطق بعيدة مثل منطقة نجد. وكمثال على ذلك، ففي سبتمبر من عام ١٨٨٢ تم تسجيل عدد من الأملاك لخزينة المالية مقابل دفع ٢٥٠ ألف من الغروش، ثم تسجيلها لخزانة الخاصة. وهذه الأملاك توجد بمركز سنجق نجد في الأحساء (الحفوف)، وتتمثل في ٤٨٠ بستاناً وحديقة و٣٠٠ خانه (منزل) من أملاك الدولة، وتوجد كذلك في قضاء القطيف، وتتمثل في ٣٥ خانه ومائتي بستان وحديقة فضلاً عن الحدائق والأراضي والدور الأخرى الخاصة بالدولة. وإضافة إلى ذلك فقد تكونت في سنجق نجد لجنة لمتابعة المداخيل والموارد المتعلقة بهذه الأملاك المخصوصة(٥٨٣). ولمدة طويلة أثارت الإجراءات التي قام بها السلطان عبد الحميد لنقل عدد كبير من الأراضي والأملاك الميرية إلى الخزينة الخاصة نقاشات

---

(٥٨٠) الأرشيف العثماني، (*İD*67055) لف:٤.

(٥٨١) الأرشف العثماني، (*İD* 70612)؛ (*Y.MTV* 14/4).

(٥٨٢) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ١٦١٩، ص. ٦-٨.

(٥٨٣) الأرشيف العثماني، (*İD*69066)؛ (*Y.MTV*5/2).

وانتقادات كثيرة. ولكن يبدو أن مراقبة هذه الأراضي كانت عملية غاية في الصعوبة بسبب بعدها، ولذلك فقد اتبع فيها الأسلوب المذكور، وأمكن إعمارها لسنوات عديدة.

ومثلما ذُكر من قبل، فقد واصل ابن الرشيد، الذي يمتلك خبرة سياسية عالية، اتصالاته مع الدولة بالرغم من كل مواقفه السلبية. وأصر في الرسائل التي بعثها إلى السلطان عبد الحميد على إعلان تبعيته، كما أنه بعث إليه بين حين وآخر بهدايا كانت أساساً من خيول نجد المشهورة[٥٨٤]. ومن الطبيعي أن تكون لمواقفه هذه نتائج ملحوظة، منها تطييب خاطره باستمرار واعتباره أعلى مكانة من بقية الشيوخ العرب الآخرين. وازدياد قوة محمد بن الرشيد لم تكن لتخفى عن الإنجليز الذين يتابعون الوضع عن كثب، فدخلوا معه في مشاورات. ففي الرسالة التي بعثها محافظ المدينة إلى القيادة العسكرية بتاريخ ٢١ مارس ١٨٨٤ ذكر أن خمسة عشر أنجليزيا قاموا بزيارة ابن الرشيد، وأهدوه تسعة صناديق من البنادق من نوع "مارتيني" وعددا من السروج الفضّية، كما استخرجوا خريطة تحتوي على الطرق وآبار الماء وأسماء العشائر الموجودة في المنطقة[٥٨٥].

وبالرغم من حرص ابن الرشيد على إظهار تبعيته للدولة، فإنه لم يتوان عن محاولة تحقيق مصالحه بشتى السبل والزحف على بعض المناطق التي يرى فائدتها له، غير أنه كان يستخدم السياسة في ذلك ولا يتمادى بعيدا، فعقب كل عملية يسارع إلى إعلان الطاعة تجنبا لموقف متشدد من الدولة تجاهه. من ذلك مثلا أنه عند هجومه على منطقة الوجه في ربيع ١٨٨٥ عمدت الحكومة إلى إصدار قرار بردعه بالقوة[٥٨٦]، وإثر ذلك اضطر إلى الانسحاب الفوري، ثم طلب من الدولة أن تمنحه خِلْعَة. فلما بادر محمد بن الرشيد بعرض الطاعة والعبودية للدولة بهذا الشكل رأي مجلس الوكلاء

(٥٨٤) الأرشيف العثماني، (*YEE D*138/119-4/119).

(٥٨٥) الأرشيف للعثماني، (*Y.MTV*14/43).

(٥٨٦) الأرشيف للعثماني، (*MV* 2) ص.١٧ (١٠ مارس ١٨٨٥).

أنه لا بد لكي يتوطد ولاؤه تماماً للخلافة والسلطنة العثمانية ويتخلص من التحريض الضار من بعض الأجانب أن يُخصص له هو الآخر مبلغ من المال ويحصل على خلعة غالية فضلاً عن التخصيصات التي يحصل عليها مشايخ العربان الآخرون بقصد تأمين طرق الحج. وفي الاجتماع الذي عقده مجلس الوكلاء بتاريخ ١٨ يونيو عام ١٨٨٥ رأى المجلس "أن ضمان ولاء ابن الرشيد مباشرة للخلافة أمر مهم، ولكن ليس من المناسب إعطاؤه المخصصات التي طلبها لأن السلطنة لا تمنح الخلعة مباشرة سوى للشريف، وقد جرت العادة بذلك، وأما خلعة الشيوخ فلا تمنح إلا بواسطة الولاة"، وبهذا الاعتبار لم يكن من المناسب تلبية هذا الطلب[٥٨٧].

لم يحصل ابن الرشيد على الخلعة التي كان يطلبها، ولذلك واصل نشاطاته في المنطقة، وعمل على عقد اتفاقات مع بقية الشيوخ الأقوياء فيها. فوفقا للأخبار القادمة من هناك في أواخر خريف ١٨٨٧ كان ابن الرشيد يستعد للقيام بعصيان كبير انطلاقا من لوائي نجد ومنتفك التابعين للبصرة. وقامت نظارة الداخلية بعرض هذا الموضوع على مجلس الوكلاء، وطلبت إحضار فالح باشا من السعدونيين في منتفك وسليمان بك وإذا أمكن بقية الشيوخ إلى استانبول، كما طلبت تعيين شخصين مقتدرين على متصرفيتي نجد ومنتفك. وأهم سبب في ذلك هو أن آل السعدون الذين حكموا بصفة خاصة في منتفك والبصرة والذين فقدوا نفوذهم في تلك الفترة كانوا يتطلعون لإعادة اعتبارهم. وفي ١٢ سبتمبر ١٨٨٧ قرر مجلس الوكلاء الاستفسار عن الموضوع من نافذ باشا والي البصرة، كما تقرر أخذ عساكر من الجيش الرابع والخامس لزيادة عدد عساكر الطوابير الموجودة هناك[٥٨٨].

---

(٥٨٧) الأرشيف العثماني، (*MV* 4) ، ص. ٧.

(٥٨٨) الأرشيف العثماني، (*MV* 25) ، ص. ١٤.

ومن جانب آخر كانت السياسة التي اتبعها السلطان عبد الحميد الثاني تولي أهمية خاصة لشيوخ العرب، وأوصى بحسن معاملتهم باستمرار. ومن ذلك أن عبد الحميد الثاني طلب في ربيع عام ١٨٨٨ تخصيص خلعة لابن الرشيد وهو الموضوع الذي رفضه الباب العالي قبل عام من ذلك. وفي ٢٨ أبريل عام ١٨٨٨ ناقش مجلس الوكلاء بطلب من السلطان هذا الموضوع من جديد وأقره. وفي هذا الاطار تقرر إرسال مخصصات وعدد من الخلع الكافية إلى ابن الرشيد إضافة إلى الصرة المقررة كل عام ليقوم بتوزيعها بيده على بقية الشيوخ التابعين له ضماناً لولائه للخلافة. وإثر المكاتبات التي جرت مع نظارة المالية تقرر تخصيص صرة بقيمة ٢٥ ألف غروش لابن الرشيد بسبب نفوذ وكثرة الجماعات والشيوخ التابعين له مثله في ذلك مثل شيوخ الحديدة الموجودين في أنحاء اليمن. وصدرت التعليمات اللازمة لنظارة المالية من أجل تخصيص مبلغ أربعة آلاف قرش ثمن إحدى وثلاثين خلعة ترسل إليه على أن يحصل هو منها على خلعة فاخرة ياقتها مزركشة بالصيرمة وعلى صدرها ثلاث شمسات، وعشرة من مشايخ قبيلته يحصل كل واحد منهم على خلعة بشمسيتين، ويحصل عشرون من الشيوخ العاديين على خلعة لكل واحد منهم ذات شمسة واحدة[٥٨٩]. وفي الوقت الذي صدر فيه القرار بتكليف ابن الرشيد بتوفير الأمن في طريق الحج، كان هو مشغولا بالتضييق على الحجاج الإيرانيين عند زيارتهم للأماكن الشيعية المقدسة بعد عودتهم من الحج. ولهذا السبب طلبت الصدارة من ولاية الحجاز ومن أمانة الصرة الهمايونية التنبه وحماية الحجاج الإيرانيين[٥٩٠].

وحسب ما يفهم من كل ما تم توضيحه سابقا فإن السلطان عبد الحميد الثاني انتهج سياسة تولي أهمية كبرى لشيوخ القبائل العربية وبصفة خاصة ابن الرشيد

---

(٥٨٩) الأرشيف العثماني، (*MV* 31) ، ص. ٥١.

(٥٩٠) الأرشيف العثماني، *دفاتر العينيات* ١٦١٩، ص. ١٩٤.

رغم أنه لم يكن يستحق ذلك في كثير من الأحيان، ولذلك أصبحت كلمته مسموعة في جميع نواحي نجد.

٢- قيام آل الرشيد بطرد آل سعود من نجد

ورد في المذكرة التي عرضت حول أوضاع المنطقة في بداية عام ١٨٨٩ أن ابن الرشيد أصبح الأقوى بين العشائر العربية في الشام ونجد، وجاء فيها أيضا أن محمد بن الرشيد رجل يتمتع بذكاء حاد ومطلع على أحوال العالم وصاحب شخصية قوية، وهو أيضا مخلص للدولة أو على الأقل يتجنب الظروف التي يمكن أن تكشف عدم إخلاصه لها. وكان ابن الرشيد يقف إلى جانب المظلوم أثناء الخصومات التي تظهر بين العشائر، وبفضل إرساله لقواته على الطرف المعارض زادت شهرته وقوي نفوذه بين العربان في نجد. ومن أجل أن يطمئن الحكومة، حتى لا تتخذ إجراءات ضده في ظل هذه الأوضاع فإنه لم يكن يخفي هذه الانتصارات التي يحققها، بل على العكس كان يعلن أنه يقوم بها باسم الحكومة من أجل نشر الأمن والاستقرار. وهذا ما جعله يكتسب نفوذا أكبر واحتراماً زائداً. وكان محمد علي باشا صاحب المذكرة يؤكد أن ابن الرشيد لا يتجاسر إلى درجة إعلان التمرد ضد الدولة، ولكنه بيّن أنه قد يفكر في ذلك في حالة حصول أية أزمة، كما أكد ضرورة النظر إليه على أنه خصم سياسي[٥٩١].

وهكذا تبين صواب الآراء السالفة الذكر. فبينما كانت الدولة تنشر الأمن والاستقرار في سواحل نجد، وتوطد تشكيلاتها في هذه النواحي، كان ابن الرشيد يضاعف من نفوذه ومكانته في دواخل نجد. ومن الطبيعي أن يكون صراعه الأكبر مع عائلة ابن سعود. كما أدى تأسيس متصرفية نجد والقيام باصلاحات جديدة إلى قطع صلة عائلة سعود بسواحل نجد. ومن جانب آخر أدى توسيع حدود المدينة المنورة إلى دواخل نجد إلى حصر آل سعود في الرياض ونواحيها. كما كان ابن

---

(٥٩١) الأرشيف العثماني، (*YEE* 14/366/126/9) .

الرشيد يقوم بانتزاع الخلع من الحكومة، ونشط في ترسيخ نفوذه في المنطقة يوما بعد يوم، وزاد في الضغط على الرياض. وفي هذه الأثناء كانت الخلافات التي ظهرت في وسط العائلة السعودية عاملا مساعدا بالنسبة إليه في هذا الموضوع. وفي نهاية عام ١٨٨٧ قام أبناء سعود بن فيصل بالسيطرة على الرياض وحبس عمهم عبد الله، وهذا ما مكن محمد بن الرشيد من التدخل في شئون الرياض[٥٩٢]، وكان سبباً في نشوب صراع مرير بين العائلتين من جديد. وقام ابن الرشيد بعقد اتفاق مع قسم من العشائر بهدف إنقاذ الأمير المحبوس. وفي أغسطس عام ١٨٨٨ حاصر الرياض وخلص عبد الله من الحبس، وأخذه هو وأخاه عبد الرحمن وعادوا إلى حائل، ثم عيّن وكيلا على الرياض[٥٩٣]. وفي أواسط عام ١٨٨٩ قام وكيل ابن الرشيد في الرياض- وربما بتحريض من عبد الله بن فيصل- بإزاحة أبناء سعود الثلاثة. وعلى ذلك أذن ابن الرشيد لعبد الله وعبد الرحمن بالعودة إلى الرياض، غير أن عبد الله توفي بعدِ مدة قصيرة من عودته إلى الرياض، فعمد أخوه عبد الرحمن إلى قتل وكيل ابن الرشيد في الرياض ثم أعلن نفسه أميرا عليها، وهو ما كان سببا في تحرك عسكري جديد لابن الرشيد. وفي يناير عام ١٨٩١ بدأ ابن الرشيد في جمع عساكر من العشائر التابعة له من أجل مواجهة ابن المهنا شيخ القصيم وزامل بن سليم شيخ عنيزة المتحالفين مع عبد الرحمن بن سعود. وشعرت محافظة المدينة وولاية الحجاز بالانزعاج من هذا الوضع، ولذلك دخلتا مع ابن الرشيد في مشاورات وأوضحتا له أن السلطان لا يسره أن يرى اقتتال القبائل فيما بينها وسفك دماء المسلمين، لذا طلبتا منه العدول عن هذه النشاطات. وجاء في جواب ابن الرشيد الذي بعث به في أوائل فبراير، أنه مثل أجداده خدام مخلصون للدولة، وأنه يبذل ما في وسعه من أجل تأمين طرق الحج، وبيّن أن أهالي نجد

---

(٥٩٢) *Memorial*، ص. ٢٧٤.

(٥٩٣) لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٦٩١-١٦٩٢.

(يقصد الرياض) الوهابيين يعتبرون غيرهم مشركين، وبالتالي فهم يعتبروننا أعداء، وهذا ما جعل عبد الرحمن بن سعود يتحالف مع قبائل عجمان وسبيع والسهول والدواسر باسم الدين في الإغارة منذ مدة على العربان الرحل ونهبهم والاعتداء على الطرق والممرات والإخلال بالأمن. وأضاف في الجواب نفسه أن شيخ القصيم وعشيرتي عتيبة ومطير داخلون في هذا الإتفاق، ولهذا السبب أراد أن يزحف على القصيم بهدف المحافظة على مصلحة الدولة[٥٩٤]. وفي هذا الإطار طلبت ولاية الحجاز من الباب العالي ضرورة اتخاذ التدابير لإيقاف نشاطات ابن الرشيد، لأن هجومه على أهالي القصيم كان غير عادل. ويبدو أن أمير مكة المكرمة ووالي الحجاز قد بالغا في الأمر قبل دراسة المسألة بشكل جيد عندما اعتبرا أن تطورات الأحداث يمكن أن تسفر عن قضية جديدة للوهابية في حالة عدم اتخاذ التدابير اللازمة[٥٩٥]. ومن المحتمل أن يكون وراء هذه المبالغة خوف من عدم دفع قسم من العربان للزكاة التي كانوا يؤدونها لخزينة الحجاز. بيد أن الأخبار المبالغ فيها شملت الولايات المجاورة أيضا وخصوصا القادمة من سوريا.

كان يروى أن ابن الرشيد يلقب بأمير المؤمنين، ويحكم منطقة شاسعة تمتد من حوران إلى مسقط ومن نجد إلى الحرمين، وكان معه ما يقرب من ٥٠ ألف من الفرسان تلقوا تدريبهم على يد معلمين إنجليز، وكذلك على يد العساكر الأتراك الفارين من اليمن. وتقول الأخبار إن هولاء العساكر يحملون بنادق من نوع مارتيني والفلنته المصرية. وإضافة إلى ذلك فقد أنشأ ابن الرشيد مصنعا لصناعة الخرطوش وكان يعمل فيه ٤٠٠ من العبيد. وتذكر هذه الأخبار أن الشريعة كانت تطبق في إدارته، وأن جميع العربان قد أدانوا له بالطاعة، وأن والي الحجاز وشريف مكة المكرمة لم يبق لهما نفوذ خارج مكة[٥٩٦].

---

(٥٩٤) الأرشيف العثماني، (*MTV* 49/98) .

(٥٩٥) الوثيقة نفسها، (*Y. MTV* 49/47).

(٥٩٦) الأرشيف العثماني، (*Y.MTV* 48/4).

وبادر السلطان عبد الحميد الثاني على الفور بتكليف مستشاريه شاكر باشا[٥٩٧] ودرويش باشا أن يستطلعا مدى صحة هذه الأخبار أو كذبها بالتشاور مع الولاة الموجودين في المنطقة. وعقب مراسلاتهما مع ولاة المنطقة بينا في اللائحة المشتركة التي عرضاها في ١٢ فبراير ١٨٩١ الأمور التالية:

يتبين من المراسلات التي جرت مع ولاية سوريا أن ابن الرشيد كان يُدعى أمير المؤمنين بين أفراد قبائله، كما دعا إلى قراءة الخطبة باسمه، ويبلغ عدد قواته ما يقرب من عشرة آلاف مقاتل. كما أن جميع العشائر الأخرى المجاورة لعنيزة والحرمين أبدت ميلها نحوه. وبالإضافة إلى ذلك فقد تمكن من توفير بضعة آلاف من البنادق الحديثة وبطاريتي مدفعية. وأضافت ولاية سوريا بأن ابن الرشيد عمل على إخفاء اتصالاته بالإنجليز قدر الإمكان حتى لا يثير حفيظة الأهالي، كما يفهم أن الولاية طلبت صرف ٢٠ ألف غروش من أجل إرسال شخصين في هيئة تاجرين إلى المدينة عبر جبل شمر بهدف استطلاع أوضاع المنطقة.

من جانب آخر ورد في جواب والي بغداد، أن ابن الرشيد كان يعرض دائما في رسائله التي يرسلها من حين لآخر إلى الولاية ولاءه للسلطنة السنية، كما أن رجاله الذين يكلفهم بمرافقة الحجاج كانوا يستعملون لغة ابن الرشيد نفسها. وأضاف والي بغداد أنه كان على درجة كبيرة من العداء والبغض للأجانب، وأصبح صاحب ثروة كبيرة لأنه كان يجمع الضريبة من العشائر التابعة له تحت مسمى زكاة، وتذكر الروايات أن لديه ما يقارب الألف موظف من العساكر الفرسان، ولكن لا يوجد أي خبر حول اطلاق لقب أمير المؤمنين عليه. وبيّن الوالي أن الإنجليز أرادوا استمالة ابن الرشيد من خلال بعض المبعوثين ولكنهم لم يفلحوا في ذلك، وأكد أنه لا يميل على الاطلاق إلى الإنجليز في سياستهم[٥٩٨].

---

(٥٩٧) للاطلاع على حياة شاكر باشا وصلاته مع عشائر العراق لنظر: Ali Karaca, *Anadolu Islahatı ve Ahmet Şakir Paşa*, İstanbul 1993.

(٥٩٨) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 48/4).

وأشار كل من درويش باشا وشاكر باشا في مكاتباتهما في نفس الموضوع مع البصرة الأقرب إلى ابن الرشيد إلى المعلومات التالية: حسب ما ورد عن والي البصرة فإن قوات ابن الرشيد لم تكن بالكثرة التي روج لها، ذلك أن عدد قواته التي شارك بها في الحرب التي خاضها في فترة سابقة مع عبد الرحمن بن فيصل أمير السعوديين لم تبلغ سوى ١٥٠٠ رجل مزودين بأسلحة حديثة، وبالرغم من المساعدة التي تلقتها هذه القوات من العشائر لم يتجاوز هذا العدد ٤٠٠٠ نفر. ومن الدلائل التي تشير إلى ارتباطه بالسلطنة السنية حرصه على حماية الحجاج من هجمات قطاع الطرق وإيصالهم إلى ديارهم سالمين، وفي الوقت نفسه أفادت الأخبار بأنه منح خِلَعاً لبعض رؤساء العشائر من أجل استمالتهم إلى جانبه. كما أنه لم يثبت أن عساكره قد تلقوا تدريبات على يد معلمين أنجليز، ويفهم من التحقيقات أنه لم يسمح بدخول الأجانب إلى المناطق الداخلية[٥٩٩].

في تلك الأثناء انتهت الحرب التي اندلعت بين ابن الرشيد وعبد الرحمن بن فيصل بانتصار الأخير. ومن أجل تأكيد الصداقة التي تربط ابن الرشيد بالدولة من قبل والي بغداد ووالي البصرة، استفسر كل من دريش باشا وشاكر باشا من ولايتي البصرة وبغداد عن إمكانية جعل المناطق الخاضعة لإدارة ابن الرشيد قضاء بشرط ربطه بكربلاء، وأن يُمنح ابن الرشيد منصب قائمقام.

وأشارت المعلومات الواردة من ولاية بغداد إلى أن الحرب المذكورة أسفرت عن تقسيم نجد إلى ثلاث مناطق تخضع لحكم كل من عبد الرحمن بن فيصل وابن المهنا وابن الرشيد. وحسب ذلك فإنه لم يبق من قوات ابن الرشيد السابقة سوى الثلث، وفي المقابل فإنه رغم تفوقه عليهما منفردين إلاّ أنه في حالة اتفاقهما فلن يستطيع ابن الرشيد مواجهتهما. غير أن والي بغداد ذكر أن هذه الأخبار وصلته حديثاً ولم يتثبت منها بعد، ولذلك فقد اقترح إرسال خطاب إلى ابن الرشيد يطلب

---

(٥٩٩) *الوثيقة نفسها*.

منه توضيحات حول نتائج الحرب، وتحدث الوالي عن صلة ابن الرشيد بالدولة وحمايته لطريق الحجاج، وطلب الإذن بإرسال مابين ٣٠٠إلى ٤٠٠ عسكري لمساعدته. وذكر الوالي أنه مستعد بكل سرور لإرسال العساكر إلى ابن الرشيد إذا صحت الأخبار بأنه غير قادر على حماية نفسه. وبَيّن الوالي أن القوات العسكرية التي سوف تضاف إلى قواته يمكنها أن تخضع الرياض التي يوجد بها ٤٥٠٠ عائلة والقصبات القريبة من بعضها البعض والمناطق التابعة لهما، ولكنه أوضح أنه بسبب إتساع هذه المناطق وبعدها فلا يمكن ربطها بكربلاء في شكل قضاء. وذكر الوالي أن ابن الرشيد يمكن أن يقبل بتعيينه متصرفا على تلك المناطق في حالة ما تم تحويلها إلى متصرفية بشرط تزويدها الجيش السادس ببضعة مئات من الخيل كل عام. وأضاف والي بغداد بأن ابن الرشيد لا يمكن أن يقبل بهذا الاقتراح إذا أحس في نفسه القدرة على الانتصار على أعدائه.

في الموضوع نفسه أبلغ والي البصرة في جوابه أنه يبحث عن وسائط قوية من أجل دخول ابن الرشيد مباشرة تحت إدارة الدولة. وبعد أن بَيّن الوالي أنه من المناسب منح ابن الرشيد لقب الباشا بالنظر إلى حالته، تحدث عن الوضع السيء لإدارة متصرف نجد وعبر عن قناعته أن إعادة المتصرف السابق سعيد باشا إلى وظيفته قد يساعد على نجاح عملية الاصلاح في المنطقة[٦٠٠].

وتوصل درويش باشا وشاكر باشا في مكاتباتهما إلى النتائج التالية:

يلاحظ أن علاقة ابن الرشيد بالأجانب معدومة، ولا تمثل قواته مصدر قلق يذكر على السلطنة السنية. ولكن من الواضح ظهور معارضين كثيرين له في نجد. وفي هذه الأثناء فإن السكوت عن هذه الروايات المنتشرة بشأن ابن الرشيد يمكن أن تتسبب في تفاقم الأوضاع في المستقبل. ومثلما ذُكر ذلك من قبل فإن الخلافات والنزاعات بين الشيوخ سوف تسهل بسط الحكومة لنفوذها في هذه المناطق، وبذلك

---

(٦٠٠) *الوثيقة نفسها.*

يكون الوقت قد حان من أجل إعداد المناخ المناسب لوضع إدارة مباشرة للمنطقة. واقترح كل من درويش باشا وشاكر باشا تحويل شمال نجد إلى متصرفية وتعيين ابن الرشيد عليها بلقب باشا. ومن أجل تحقيق هذا الهدف يتم إحضاره هو أو أحد ثقاته إلى بغداد، وفي حالة رفضه لهذا الاقتراح يتم اختيار أحد خصومه متصرفا، ومن الفائدة أن يتم إعلامه بذلك.

ولذلك فقد طُلب منح ابن الرشيد مهلة من الزمن، وفي حالة عدم رده تقوم الحكومة بتعيين شخص مناسب من خصومه في مكانه. وإثر ذلك عندما يكون الطقس مناسبا يتم ترتيب حملة عسكرية مع الأمير الجديد من أجل اخضاع الرياض وحائل والقصيم. وأضاف الرجلان أنه في حالة اخضاع هذه المناطق فإن عشائر الحجاز واليمن سوف تميل بطبعها للدخول تحت الإدارة الجديدة، وعبرا عن اعتقادهما أنه بهذا الشكل يمكن تحقيق هدفين في آن واحد[٦٠١].

لقد دأب السلطان عبد الحميد الثاني في مثل هذه الأمور المهمة على استطلاع الرأي من أطراف متعددة، وطلب تشكيل لجنة أخرى يرأسها شاكر باشا للنظر في هذا الموضوع. ويبدو أن تصريحات مصطفى عاصم باشا والي سوريا حول ابن الرشيد قد أزعجت عبد الحميد الثاني إلى حد كبير. وبعد أن سئل مصطفى عاصم باشا من قبل درويش باشا وشاكر باشا أجاب بأن ابن الرشيد إلى جانب إعلان نفسه أميراً للمؤمنين"فإن قاعدة (الحكم لمن غلب) هي الجارية في معان والكرك اللتين هما بمثابة الباب إلى مصر وسورية، إذ وصل من مصر قليل من عسكر الإنجليز بسبب مقتل الرحالة الإنجليزي قبل أربع أو خمس سنوات، ثم عادوا أدراجهم بعد القيام ببعض الاجراءات، وبالنظر إلى ذلك فليس من المستبعد أن يُقْدم الإنجليز في النهاية وبذريعة ضمان الأمن على تحويلها إلى ما يشبه حال مصر أو أن يُقْدموا

---

(٦٠١) الوثيقة نفسها.

بصورة أخرى على إفساد الأحول"[٦٠٢]. وهذا القول قد أثار مخاوف السلطان عبد الحميد الثاني، فقد كان منذ احتلال الإنجليز لمصر دائم القلق من أن يقوم الإنجليز بفعل شئ آخر مشابه في أراضي الدولة. ومن ثم كان انزعاجه من أقوال مصطفى عاصم باشا أمراً عادياً.

والشاهد على ذلك أن المضابط التي قدمتها اللجنة التي يترأسها شاكر باشا إلى السلطان في ١١ فبراير/ شباط ١٨٩١م قد ذكرت أن كلام والي سورية ينزع إلى المبالغة، وأكدت أن قوة ابن الرشيد ليست بالحجم الذي يثير المخاوف، ثم فَسّروا عدم استخدام ابن الرشيد للقب أمير المؤمنين بالحجج التالية:

"إن إدعاء لقب هو من ألقاب مقام الخلافة العظمى والظهور عندئذ بمظهر اللامبالاة في فريضة الطاعة التي هي واجبة عليه إنما هو أمر يمس دينه، ومن ثم فإن هذا المظهر قد يدعو إلى نفور العشائر والعربان منه بحق، ويتأثر تعصبه لدينه بعلاقته بالأجانب..."[٦٠٣].

وبعد أن بينت اللجنة هذا الأمر، ذكرت أيضا أن ثمة صراعات حدثت في وقت سابق بين ابن الرشيد ومنافسيه من شيوخ عنزة وبريدة، واللافت للنظر أنه بعد أن انتصر عليهم أراد تعيين شيوخ آخرين مكانهم دون استشارة الحكومة، وهي خطوة ذات أبعاد سياسية كبيرة. وأوضحت اللجنة أنه إذا لم يتم التصدي لهذه الحركة الوقحة (الجريئة) فإن عشائر عنزة المنتشرة في بر العرب من كربلاء إلى فلسطين سوف تدعم نفوذ ابن الرشيد إذا لم تتدخل الحكومة، ولذلك اقترحت اللجنة التدخل السريع حتى لا يتسبب ذلك في حدوث مشاكل كبيرة في المستقبل.

واقترحت اللجنة أن يقوم رجب باشا – الذي كان قد تم تعيينه آنذاك مشيراً للجيش السادس بقصد تأديب أشقياء حَمَوَنْد بجوار الموصل – بوضع جهات جبل

---

(٦٠٢) الأرشيف العثماني، (*Y.MTV*48/82).

(٦٠٣) الوثيقة نفسها.

شمر تحت السيطرة إضافة إلى مهمته السابقة، وأكد أعضاء اللجنة على ضرورة أن يبادر الجيش الرابع والجيش الخامس بمساعدته في حالة الحاجة عند القيام بأي حركات عسكرية هناك. وشددت اللجنة على ضرورة إحضار شيخ عنزة الذي تم تعيينه من قبل ابن الرشيد إلى بغداد على وجه السرعة وإعلانه الطاعة للدولة، فإذا رفض يتم عزله وتولي شخص آخر بدلاً منه، أما فيما يتعلق بإخضاع المنطقة والسيطرة عليها فقد اقترحت اللجنة التغييرات الجذرية التالية:

- من أجل الاخضاع الدائم لسكان منطقة الجزيرة الواقعة بين منطقة الشامية ودجلة والفرات التي تسكنها عنزة وشمر، ومن أجل حماية تلك المناطق من اعتداءات عشائر بدوية أخرى، يتعين في البداية توطين عشائر صغيرة مثل عشيرة الجبور والجواسم والولدة وغيرها ممن يتنقلون في تلك المناطق.

- يتم في وسط تلك المناطق تشكيل ولاية "جزيرة العرب" أو "ولاية الفرات"، في منطقة وادي الفرات، إذ هي حاجة تشعر بها كل العشائر. ويجري تعيين والٍ قوي مقتدر من العساكر، وينبغي أن تكون معه فرقة من الجيش الرابع والخامس والسادس، ويقوم الوالي في هذه المناطق بتطبيق حالة طوارئ لمدة ويسعى جهده في إخضاع عشائر شمر الموجودة في جبل شمر والشامية والجزيرة تحت مسمى (مهمة إسكان العشائر)، وإثر ذلك يحاول تدريجياً بسط نفوذه على بقية العشائر الأخرى. وأما الذين يرفضون الطاعة فتقع متابعتهم من خلال فرق من الإبل تخصّص لهذا الغرض. وهكذا سوف يخضع وادي الفرات للنظام في مدة وجيزة مثل الموصل وبغداد، كما سيكون ممكناً أيضاً خضوع بر العرب للحكومة بشكل مباشر.

- هناك حوالي ثمانية أو عشرة ملايين ساكن، ما بين حضر ورحّل في منطقة برّالعرب، ونظراً لأنهم جميعاً من المسلمين، فإنه بقدر متانة صلتهم بالدولة العثمانية من الناحية السياسية والدينية، إلا أن الأمر على العكس من ذلك تماما من الناحية الإدارية، وصلتهم بالدولة شديدة الهشاشة، ولهذا السبب لا يمكن الاستفادة

من هؤلاء على الإطلاق. ومن أهم الإجراءات الواجب اتخاذها حتى تتوثق صلاتهم بالحكومة القيام بتحركات عسكرية تظهر للعيان قوة الحكومة. وهكذا وبعد أن يتم ربط بعض هذه المناطق بالحكومة من الناحية الإدارية يمكن بالتدريج، وفي وقت قصير تأسيس إدارة مركزية في كامل بر العرب.

- بالنسبة إلى سكان وادي الفرات فإن قسما كبيرا من عربان عنزة الساكنين هناك منشغلون بالزراعة. وهذا الوادي أصبحت الحاجة ملحة إليه من أجل تنقل السفن بشكل منتظم، وفي حالة ما إذا تم تشكيل إدارة نهرية، وشرعت البواخر في العمل فسوف يصبح من الممكن ربط مناطق الولاية ببعضها البعض، وبالتالي الحفاظ على الأمن في كامل الولاية بواسطة قوة صغيرة. وبالإضافة إلى ذلك فإنه من الضروري إنشاء خط للسكة الحديد، من حلب إلى بغداد، وإذا تعذر ذلك فالأمر يتطلب إنشاء إدارة بحرية. ومن خلال قطع صغيرة من البواخر، يمكن التنقل من مَسْكَنَة إلى بغداد(٦٠٤).

وكما هو واضح فإن اللجنة بينت أن ابن الرشيد ليس لديه القوة الكافية في الوقت الحاضر لكي يكون مصدر إزعاج، وتوقفت اللجنة عند مسألة القيام بعمليات عسكرية ضده حتى لا يصبح في المستقبل مصدر خطر. وكان هذا العمل هو الأنسب إزاء طبيعة تلك المنطقة من الناحية الاجتماعية. ذلك أن المجتمع البدوي لا يعرف شيئا غير استعمال القوة، وإدخاله تحت إدارة الحكومة أمر يرتبط بمدى استعراض القوة العسكرية. وإلى جانب الإجراءات العسكرية فإن تشكيل ولاية في الصحراء يبدو قرارا صائبا إلى حد بعيد.

فبناءً على اقتراح اللجنة كلف السلطان عبد الحميد الثاني رجب باشا للقيام بمهمة في المنطقة، كما كلف عبد الكريم باشا مساعدا له، وهذا يفهم من المكتوب الذي صدر عن الكاتب الأول في المابين الهمايوني والمؤرخ بـــ٤ مارس ١٨٩١.

---

(٦٠٤) *الوثيقة نفسها.*

ووفقا للتعليمات المقدمة فإن رجب باشا سوف يولي أهمية خاصة بقُطّاع الطرق في حموند، كما سيجري العمل من أجل دفع ابن الرشيد وعشائر شمر إلى إعلان الطاعة. ولكن حتى لا تظهر مشاكل جديدة أمام الباشا يتعين التعامل بكامل الحيطة والحذر، كما أنه وقبل الدخول في أي عمل عسكري، يتعين الذهاب إلى بغداد وفهم أحوال ابن الرشيد بشكل جيد. وفي خضم ذلك صدرت الأوامر إلى القيادة العسكرية من أجل إتمام الاحتياجات الملحة للجيش السادس، أما الاقتراحات المهمة الأخرى التي نظرت فيها اللجنة فلم يُقدم حولها أي تعليق[٦٠٥].

وفي تلك الأثناء وردت من جديد أخبار من محافظة المدينة وولاية الحجاز بشأن أعمال ابن الرشيد تحتوي على مبالغات كبيرة، وإثر ذلك قام السلطان باستشارة مستشاريه شاكر باشا ودرويش باشا في الموضوع. وفي ٢٥ مارس عرضا لائحة نبها فيها إلى المسائل التالية: إن قضية ابن الرشيد أصبحت تكتسب أهمية مطردة، ولا شك أن ازدياد نفوذ هذا الأمير في تلك المنطقة سوف يسفر في المستقبل عن نتائج وخيمة في المجال المدني والسياسي بالحجاز، وعلي رجب باشا أن يتوجه إلى مهمته في أسرع وقت[٦٠٦].

وعندما كانت هذه المشاورات جارية في استانبول لم يقف ابن الرشيد مكتوف اليدين، بل كان يتقدم نحو هدفه بخطوات ثابتة. وحسب ما يفهم من الأخبار القادمة من المنطقة فقد زحف ابن الرشيد أولا على العارض ثم اتجه نحو القصيم، واستمر القتال نحو عشرين يوما فَقَدَ خلالها ٨٠٠ من رجاله. غير أن هذه المعارك أسفرت كذلك عن خسائر بشرية كبيرة في صفوف القبائل المناهضة، ولم تكشف الحرب عن نصر حاسم. وفي أواخر مارس نفذ ابن الرشيد هجوما أخيرا وألحق الهزيمة

---

(٦٠٥) *الوثيقة نفسها*، لف: ١.

(٦٠٦) الأرشيف العثماني، (*Y.MTV* 49/47).

بالقصيميين أنصار ابن سعود في منطقة "مليدة"، وتقدم حتى الرياض، فهدم قلعتها ونهبها، ثم سيطر على كامل المنطقة(٦٠٧).

وهكذا فقدت عائلة سعود آخر المعاقل التي كانت بيدها، فاضطر عبد الرحمن بن سعود وابنه عبد العزيز وبقية أفراد العائلة للفرار من الرياض، فاتجه في البداية إلى قطر، ثم لجأ إلى الكويت بإذن من الدولة. وواصلوا بعد ذلك حياتهم على المرتبات التي خصصتها لهم الدولة العثمانية(٦٠٨). وهناك روايات مختلفة حول المرتبات التي تم تخصيصها لعبد الرحمن بن سعود ورجاله. ولكن بعد إخراجه من الرياض، أولته الدولة عناية خاصة، ولذلك بعث برسالة شكر في هذا الغرض، ويلاحظ في هذه الرسالة أنه طلب من الدولة أن تمنحه مرتبا قدره ٢٥٠٠ من الغروش و١٠٠ قرش لكل واحد من رجاله الأربعين وتمكينه من الإقامة في الزبير أو الكويت(٦٠٩). وتذكر وثيقة أخرى أن المعاش المخصص له كان في حدود ٥٠٠٠ من الغروش(٦١٠).

---

(٦٠٧) الأرشيف العثماني، *Y.Hus.* 253/38, 253/92؛ لوريمر، *المصدر السابق*، ص. ١٦٩٣؛ الريحاني، *المصدر السابق*، ص. ١٠٥؛ حسين حسني، *المصدر السابق*، ص.١٥٣؛ Yusuf Hikmet Bayur, *Türk İnkilap Tarihi* أنقرة ١٩٨٣ (الطبعة الثانية) ، ٣/ ١٤٨.

(٦٠٨) الأرشيف العثماني، (*DH-MUİ*1328 ca/17-4)؛ روبرت لاساي، *The Kingdom*، لندن ١٩٨١، ص. ٢٤-٢٥، ٣٠، ٣٦.

(٦٠٩) الأرشيف العثماني،(*Y.MTV* 79/26). جاء في وثيقة تحمل تاريخا متأخرا أن عبد الرحمن بن فيصل كان يتقاضى شهريا ٢٢٥٠ من الغروش من أموال البصرة، وأن أربعين من رجاله قد خصص لهم مبلغ يقدر بـ ٣٦٠٠ من الغروش (*DH-İD*13-1/5) (٢٠ تشرين الأول١٣٢٦). وحسب ما يفهم من إرادة خاصة للسلطان عبد الحميد مؤرخة في ٢٣ أغسطس ١٩٠١ فإن المرتب المخصص لعبد الرحمن تم قطعه لمدة من الوقت ثم استؤنف دفعه من جديدة إثر صدور إرادة سلطانية في هذا الشأن (الارشيف العثماني، *DUİT*69/2-7). وما يفهم من المكاتبات التي كانت تجري بين ولاية البصرة والباب العالي أن صرف مرتبات عبد الرحمن ورجاله كان متواصلا خلال عام ١٩١٠ (الأرشيف العثماني، *DH-İD*14/8).

(٦١٠) الأرشيف العثماني، (*DH-MUİ*1328 Ca/17-4).

وحتى ذلك الوقت كان ابن الرشيد يُعرف بأمير جبل شمر، وبعد ذلك واصل نشاطاته باعتباره أميرا لنجد. وكانت الأخبار المتواصلة خصوصاً من الحجاز تتحدث عن هذه النشاطات، حتى إن الاخبار الواردة في كل مرّة كانت تأتي بمعلومات جديدة تثير انزعاج المابين الهمايوني. وبالنسبة إلى السلطان عبد الحميد الثاني فقد كان كعادته يشير على مساعديه بأن يقوموا بتقييم هذه الأخبار، ومن جهتهم كانوا يمدونه بالنتائج نفسها، ومن ذلك التقرير الذي عُرض على المابين بتاريخ ٣١ مايو عام ١٨٩١ من قبل كلٍ من محمد شاكر باشا وأحمد شاكر باشا ودرويش باشا. وكانت النتيجة التي توصلت إليها اللجنة في تقريرها تتلخص فيما يلي: "إن مسألة ابن الرشيد مهما كان الوجه الذي تناولناها منه فإنها قد اكتسبت اليوم أهمية كبيرة، ومهما كانت الطريقة الممكنة فإن الإحاطة بأمور تلك المنطقة والتعرف على نوايا ابن الرشيد وأفكاره المستقبلية هو أمر بلغ درجة الوجوب. وإن وجود أمير متنفذ كهذا على بر العرب مع اشتداد قوته واستبداده هو أمر سوف يسفر عن نتائج وخيمة في تلك المنطقة وعلى مستقبل الأراضي الحجازية في النهاية، ويتمخض عن محاذير عديدة سياسية ومدنية"[٦١١].

ويبدو أن السلطان عبد الحميد استطرف الاقتراح الذي تقدمت به لجنة مسألة نجد لإقامة ولاية في الصحراء، مما جعله يطلب من لجنة التفتيش العسكري النظر في الموضوع مرة أخرى. وبتاريخ ٣١ أكتوبر ١٨٩١ عرضت للجنة المذكورة مضبطة أوضحت فيها أن عشائر شمر ليست قوية كما يشاع، ولا يوجد فيما بينها اتفاق، ولديها عداوات مع قبائل أخرى كثيرة، وأبدت اللجنة قناعتها بأنه ليس من الصعب التصدي لمخاطرها. ووفقا لما جاء عن اللجنة فإن هذه القبائل منتشرة في منطقة الجزيرة بين أربع ولايات (ديار بكر والموصل وبغداد وحلب). غير أن عدم وجود حكم مركزي في النواحي الداخلية من هذه المناطق جعل هذه القبائل السيارة بمنأى عن سيطرة

(٦١١) الأرشيف العثماني، (*Y.MTV* 50/72).

الحكومة، فبعض أتباع هذه القبائل عندما يرتكبون المخالفات داخل حدود ولاية من تلك الولايات لا يلبثون يفرون إلى ولاية أخرى، وبذلك ينجون من الملاحقة. ولهذا ينبغي قطع صلتهم بهذه الولايات الأربع المذكورة وتشكيل ولاية جديدة[٦١٢].

وبعد أن عرضت اللجنة رأيها، كررت نفس الشئ تقريباً عن طبيعة السلطات التي يمكن أن تسند للوالي وأجهزة الولاية الجديدة التي ينبغي إنشاؤها. ولكن الذي يُفهم أنه لم يكن ممكناً التوسل إلى هذه التدابير التي تبدو منطقية للغاية. ففي ٨ مارس ١٨٩٢ تم عرض تقرير آخر على المابين الهمايوني من قبل اللّجنة المذكورة يقترح بأن يتم اتخاذ إجراءات صارمة ضد ابن الرشيد وعصابات (أشقياء) حموند، ولتحقيق هذا الأمر ينبغي توحيد ولايات الموصل وبغداد والبصرة، أما في حالة ما إذا تعذر ذلك فيتعين تطبيق الأوامر التي حملها رجب باشا المُعيّن حديثا في الولايات الثلاث على حد سواء. وفي صورة ما إذا كانت العساكر الموجودة في هذه الولايات خاضعة لأوامر شخص واحد ولقيادته، فليس ثمة حاجة لاتّخاذ مثل هذه الإجراءات الصارمة من أجل إظهار سلطة الدولة. ولكن بما أن الخلاف في الرأي ضارب أطنابه بين الولاة في كل من الموصل والبصرة وبغداد وكذلك بين مستشاري الجيش، حيث أن ما يعقده الواحد يفسده الآخر، فقد أوصت اللجنة بأن يجري تطبيق حالة الطوارئ في هذه المناطق[٦١٣].

وفيما كانت هذه النقاشات دائرة في أروقة الدولة العثمانية، أفادت الأخبار الواردة من الجيش السادس في أغسطس من عام ١٨٩٢ أن ابن الرشيد تقدم نحو سواحل نجد، وذلك بعد أن أسس حكمه في كل من الرياض والقصيم وبريدة ودواخل نجد بتحريض من الإنجليز ودون الحصول على أية موافقة من الحكومة. وفي التلغراف الذي بعث به مشير الجيش السادس إلى القيادة العسكرية أوضح أنه

---

(٦١٢) الأرشيف العثماني، (*Y.MTV*55/74).

(٦١٣) الأرشيف العثماني، (*Y.MTV* 49/81).

إذا لم تتخذ إجراءات فاعلة في المنطقة فإن الإنجليز من جهة البحر وابن الرشد من جهة البر يمكن أن يشكلوا خطرا فعليا بمحاصرتهم للأحساء (مركز المتصرفية)[٦١٤]. بيد أن الأحداث بعد ذلك، سارت على غير ما كان متوقعا لها، فابن الرشيد لم يتقدم كثيرا باتجاه الأحساء، ثم غير رأيه وتوجه نحو المدينة. فمثلما اتخذ من مقتل أحد رجاله في "قرية علاء" التابعة للمدينة تعلة للزحف على المنطقة فقد عمل على جمع الزكاة من عشائر تلك المناطق، وكذلك من سكان خيبر التابعة للمدينة. وإثر هذه الأحداث أرسلت الصدارة العظمى رسالة إلى ابن الرشيد بتاريخ ١١ أكتوبر ١٨٩٢ تذكره فيها بأن المناطق المذكورة تبقى تابعة للمدينة، وطلبت منه الكف عن أي عمل، وعلى هذا النحو فقط أمكن الحد من تصرفات ابن الرشيد[٦١٥]. وفي ربيع ١٨٩٣ توجه ابن الرشيد نحو أطراف مكة، وزحف على قبيلة عتيبة التي توجد في أنحاء طرار على مسافة خمسة أيام من مكة، وأخذ منهم عُنوةً خمسة آلاف رأس من الإبل بزعم أنها عشر وزكاة[٦١٦]. وخلال عام ١٨٩٤ واصل ابن الرشيد هجماته على القبائل الموجودة في تلك الانحاء، فاستولى على أموال الزكاة التي تعهدت تلك القبائل من قبل بدفعها للحكومة. وفيما طلبت ولاية الحجاز الإذن من استانبول لشن حملة عسكرية ضد ابن الرشيد ، طلب السطان عبد الحميد الثاني حل المشكلة بالطرق السلمية[٦١٧].

وقامت بعض القبائل المتضررة مثل قبيلة عجمان بعرض أمرها على متصرف نجد، فكتب المتصرف من ناحيته إلى ابن الرشيد يعلمه بأن هذه القبائل دفعت ضرائبها إلى الحكومة، وأن عليه أن يرفع يده عنها. ومن جهته أوضح ابن الرشيد في رسالته

---

(٦١٤) الأرشيف العثماني، *إرادة عسكرية*، (1310M/16).

(٦١٥) الأرشيف العثماني، (*Y.A. Hus.* 265/28, 94, 120).

(٦١٦) الأرشيف العثماني، (*Y.MTV* 78-99).

(٦١٧) الأرشيف العثماني، (*Y.A.Hus.* 310/72).

الجوابية أن القبائل المذكورة تمارس اللصوصية وأنه يعمل داخل دائرة القانون والنظام، ويسعى لإعادة الأموال والماشية التي سطت عليها من القبائل التابعة له.

وفي بداية عام ١٨٩٥ كتب ابن الرشيد رسالة أخرى إلى متصرف نجد وطلب منه حماية الطرق الموصلة بين الكويت ونجد، وذكر انه يتعرض للتهديد من قبيلتي العجمان والمرة اللتين تقولان إنّهما تابعتان للحكومة، كما طالب باتخاذ تدابير في هذا الشأن أو إعطائه الإذن من أجل تأديبهم[٦١٨]. ويبدو ان ابن الرشيد كان يبحث عن الحجج والمعاذير من أجل الحصول على الضرائب السنوية من هذه القبائل. وعلى ذلك تحرك إبراهيم باشا متصرف نجد نحو دواخل المدينة في ربيع ١٨٩٥ بقوة منظمة قوامها ١٢٠ رجلاً، وقبل ان يبدأ تحركاته أعلم ولاية البصرة بأنه سوف يبدأ عملياته "بهدف تأمين الطرق والحفاظ على سلامة اللواء، وتحصيل رسوم الإبل التي لم يقع دفعها من قبل". ولكن الأخبار القادمة من المنطقة في أواسط أبريل تقول إن إبراهيم باشا قام بجمع قوة قوامها سبعة آلاف رجل من العشائر دون استشارة الولاية، وتجاوز هدفه وقام بالهجوم على عشيرة مطير المتحالفة مع ابن الرشيد والمتمركزة في صحراء سامان بالقرب من الكويت. وإثر هذه العملية قام إبراهيم باشا باستعادة ما قدره ٤٦٥٠٠ رأس من الغنم و١٢٠ فرساً و ٣٥٣٠٠ جمل و ٣١٢٠ خيمة من قبائل مطير والتي أخذتها عنوة من عشيرة عجمان[٦١٩].

وإثر وفاة محمد بن الرشيد عام ١٨٩٧ انتقل الأمر بالوصية إلى ابن أخيه عبد العزيز بن متعب، وكان عبد العزيز شاباً شجاعا، غير أنه كان يفتقر إلى القدرة على الجمع بين السياسة والسيف في آن واحد، فقد كان مقلدا لعمه في جانب واحد، ولذلك عمد إلى استخدام القوة في التعامل مع القبائل والعشائر وهو ما تسبب في

---

(٦١٨) لوريمر، *المصدر السابق*، ص. ١٤٩٩–١٥٠٠.

(٦١٩) الأرشيف العثماني، (*Y.A.Hus*.325/121, 327/43).

تفاقم المعارضة ضده وانتشار التذمر من سياسته[٦٢٠]. كما عمد عبد العزيز إلى قطع المخصصات التي أحدثها عمه من أجل حماية الحجاج القادمين من العراق وإيران وأمنهم ونقلهم. ومن جانب آخر أخطأ في تسريح أنصار العائلة السعودية الموجودين في منطقة حائل كرهائن. وعقب ذلك اشتعلت الصراعات التاريخية والخصومة مع الكويت من جديد.

لما تمكنت الدولة العثمانية من بسط سيطرتها التامة على سواحل الأحساء، وقامت في مواجهة اعتداءات ابن الرشيد على أطراف سوريا بتأسيس متصرفية معان فكانت وكأنها قطعت صلته بالعالم الخارجي بشكل كامل. وبالتالي فقد بقي المنفذ الوحيد بالنسبة إلى الرشيديين على العالم هو منفذ الكويت. ولهذا السبب كان محمد بن الرشيد ينظم حملات عسكرية على الكويت من حين لآخر. حتى أنه قبل وفاته بمدة قصيرة عقد – كما سيرد فيما يلي – تحالفا مع جاسم شيخ قطر، وأعد عدته للهجوم على الكويت. وفي خلال تلك السنوات اغتنم الإنجليز فرصة الصراعات الناشبة داخل العائلة، فسعوا اعتبارا من عام ١٨٩٧ إلى وضع حمايتهم على قائمقام الكويت[٦٢١]. واغتنم عبد العزيز بن الرشيد هذه الفرصة، أملاً في الحصول على دعم الدولة العثمانية فأضمر في نفسه الهجوم على الكويت. والحال أن شيخ الكويت الذي تمكن من كسب دعم الإنجليز هو الآخر كان ينوي التوسع باتجاه أطراف نجد. وبالإضافة إلى ذلك فإن شيخ الكويت كان صاحب فكرة إخراج الرشيديين من نجد، وكان يدعم بقاء عائلة آل سعود الموجودة في الكويت كلاجئين وكذلك لأنصارهم المقيمين في نجد. وبهذه الطريقة قام مبارك الصباح في ربيع عام ١٩٠٠ بالهجوم أولاً على قافلة لعشائر شمر وسلب منها أكثر من ألف رأس من الإبل[٦٢٢]. ولم تشأ الحكومة العثمانية أن تتفاقم الأحداث أكثر فعملت على تهدئة

---

(٦٢٠) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ١٥٥؛ Montagne، *المصدر السابق*، ص.١١٩–١٢٠.

(٦٢١) للاطلاع على معلومات أكثر تفصيلا انظر: Küçük، *المصدر السابق*، ص. ٩–١٣.

(٦٢٢) *المصدر السابق*، ص. ١٩–٢٠.

الموقف بين الجانبين عن طريق ولاية البصرة. بيد أن أمير الرياض السابق عبد الرحمن بن فيصل أراد الاستفادة من هذه الفوضى فاتجه – بتحريض من شيخ الكويت– إلى أطراف الأحساء في نهاية العام نفسه، والتقى بالعشائر الغاضبة من ابن الرشيد وحاول عقد تحالفات معها. ومن جانب آخر قام مبارك الصباح بعقد اتفاق مع سعدون أحد رؤساء عشائر منتفك. وفي بداية عام ١٩٠١ اصطحب مبارك القوات التي جمعها من عشائر الكويت ودخل في تحالف مع قسم من قبائل نجد، وعلى رأسهم عبد الرحمن بن فيصل وابنه عبد العزيز. وقد تمكن الجانبان من جمع قوة قوامها عشرة آلاف رجل، وأعلنوا الحرب على أمير نجد عبد العزيز بن الرشيد[٦٢٣]، فهجم قسم مهم من هذه القوات على عبد العزيز بن الرشيد، في حين هجم القسم الآخر– بقيادة عبد العزيز النجل الشاب لعبد الرحمن بن فيصل– على الرياض موطنهم القديم[٦٢٤].

وفي أواسط شهر فبراير من عام ١٩٠١ التقى الجمعان في المنطقة الواقعة بين "صريف" و"الطرفية"، وحدثت بينهما معارك طاحنة. وفي النهاية كانت الغلبة لعبد العزيز بن الرشيد، ومَنْ نجا من الفريق الآخر، ومنهم مبارك فر على جناح السرعة إلى الكويت، ووصل إلى هناك بعد عناء كبير[٦٢٥]. بل إنه في خضم هذه الأحداث ورد الخبر إلى استانبول بقتل مبارك، ومما سبب لغطا كبيرا. وبعد أن تم التأكد من عدم صحة الخبر عاد الارتياح[٦٢٦]. إذ كانت انجلترا في تلك الأثناء قد كثفت من نشاطها في جميع أنحاء خليج البصرة وبصفة خاصة في منطقة الكويت بهدف التصدي لمحاولات ألمانيا للحصول على امتياز خط سكك حديد بغداد،

---

(٦٢٣) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ١٥٧؛ لوريمير، *المصدر السابق*، ص.١٦٩٦-١٩٧؛ J.B.Philby, *Arabia*, London 1930, p.169-170.

(٦٢٤) *المصدر السابق*، ص.١٧٠.

(٦٢٥) الريحاني، *المصدر السابق*، ص.١١٩؛ فيلبي، *المصدر السابق*، ص.١٧٠.

(٦٢٦) الأرشيف العثماني، (*BEO* 123146).

وكانت تحركات إنجلترا تهدف إلى البحث عن الحجج لخلق مزيد من المشاكل(٦٢٧). لا سيما وأن الإنجليز كانوا يزعمون أنهم عقدوا اتفاقاً سرياً مع شيخ الكويت ووضعوه قبل عدة سنوات تحت حمايتهم، وكونه قُتل فإن ذلك سوف يشكل أحسن ذريعة يبحثون عنها. كما أن الإنجليز في هذه الفترة أرسلوا سفينة حربية إلى الكويت، بل أعلنوا انهم مستعدون للدفاع عن الكويت بالسلاح إذا اقتضت الضرورة(٦٢٨). وبعد هذا التاريخ أولت الدولة العثمانية اهتماما كبيرة لمسألة الكويت، وبذلت كذلك جهودا كثيفة لتخليص مبارك الصباح من تأثير الإنجليز عليه. وفي مقابل ذلك كان الإنجليز قد شرعوا في تحركات وصلت إلى حد أنها كانت سبباً في احتجاج ألمانيا(٦٢٩).

وتوجه عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى الرياض، فلما بلغه خبر هزيمة صريف اضطر للرجوع إلى الكويت من غير أن يحقق أي نجاح يذكر. ولم يكتف ابن الرشيد بالنصر الذي حققه بل أخذ يلاحق العشائر المتفرقة في قرى القصيم لمدة أسبوع، وقتل من ظفر به منهم. وقد عمل كذلك على جمع مبالغ كبيرة، عقاباً للقبائل التي تسكن في دواخل نجد أو تتنقل فيه أو تبدو منحازة لخصومه. وقد أعلنت عشائر القصيم وعنزة أنه بإمكانها دفع هذه الغرامات شيئا فشيئا، أما عشائر العارض فقد نبهت إلى أنه ليس بإمكانها في الوقت الحاضر دفع أية غرامات، وبالرغم من ذلك توجه عبد العزيز بن الرشيد لجمع هذه الضرائب فأثار سخطاً شديداً عليه من الأهالي(٦٣٠). وإثر هذه التحركات التي قام بها عبد العزيز بن الرشيد في دواخل نجد

---

(٦٢٧) كان التقارب الحاصل خلال السنوات الأخيرة بين الدولة العثمانية وألمانيا سببا في انزعاج أنجلترا، فما بالك بحصولها على امتياز خط بغداد لسكك الحديد الذي كان يعني أن ألمانيا سوف تملك الوسيلة لضرب انجلترا في طريقها إلى الشرق الأقصى دون أن يكون لها قوة بحرية في حرب قد تنشب بينها وبين انجلترا، Rifat, Önsoy, *Türk Alman İktisadi Münasebetleri (1871-1914)*, İstanbul 1982, p.44.

(٦٢٨) Bayur، *المصدر السابق*، ص. ١٤٨-١٤٩.

(٦٢٩) *المصدر السابق*، ص. ١٤٩.

(٦٣٠) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ١٥٩.

توجه نحو أطراف العراق، وقرر الزحف على سعدون رئيس عشائر منتفك. وطبيعي أن يشعر مبارك الصباح بالحاجة إلى دعم حليفه السابق، وهذا ما جعل رياح الحرب بين الجانبين تعصف من جديد. ولكن محسن باشا والي البصرة كان أكثر سرعة هذه المرة، وحال دون تطور الأوضاع إلى الأسوأ[٦٣١].

ثانياً: محاولات الإصلاح والصراع العثماني الإنجليزي على سواحل نجد

١ – محاولات الإصلاح في نجد

في الوقت الذي كانت فيه دواخل نجد تعيش على وقع هذه التطورات، كانت المناطق الساحلية أيضاً تعاني مشاكل من نوع آخر. ومثلما بينا في القسم الثاني، فإن المناطق التي تقع تحت سيطرة الدولة العثمانية أصبحت محل جدال مع انجلترا، ولكن ذلك الجدال لم يسفر عن نتيجة واضحة. ولهذا السبب كانت انجلترا تجادل مسألة سيادة الدولة العثمانية على قطر، وبصورة خاصة على البحرين. ففي خريف عام ١٨٨٧ مثلا قام الشيخ أحمد أخ شيخ البحرين بالرجوع إلى الولاية عن طريق وكيل القنصل الإنجليزي في البصرة من أجل تحصيل دين له على أحد تجار القطيف ويدعى أحمد بن مهدي. وعندما انتقل الموضوع إلى مجلس الوكلاء أخذ يناقش ما إذا كان إعطاء رد الرسالة إلى القنصل يعني اعترافا بالحماية الإنجليزية على البحرين أم لا. وفي النهاية استقر الرأي على أن الجانبين هما من رعايا الدولة العثمانية، وأن الأصول تقتضي المكاتبة إلى الولاية، فصدر القرار بأنه لابأس من إعلام القنصل[٦٣٢]. غير أن المسألة لم تتوقف عند هذا الحد، ففي بداية عام ١٨٨٨ كتب القنصل بأن البحرين ليست جزءا من الأحساء، وعلى العكس من ذلك ثمة معاهدة تم عقدها مع إنجلترا، وأن التصرف في هذه المنطقة هو بيد الإنجليز. وفي ٢٠ من شهر فبراير اجتمع مجلس الوكلاء للنظر في هذا الموضوع مرة أخرى.

---

(٦٣١) *المصدر السابق*، ص. ١٥٩–١٦٠.

(٦٣٢) *الأرشيف العثماني*، *MV* 25، ص. ٤٨ (٢٥ أكتوبر ١٨٨٧).

وبيّن المجلس في جلسته هذه أن مسألة الدين مسألة تأتي في المرتبة الثانية، وأنه ينبغي البحث في السبل التي تكفل إدارة سواحل البحرين ونجد والأحساء وماحولها، الإدارة الناجعة لقطع الطريق أمام التدخلات الخارجية. وإثر ذلك تكونت لجنة بحث لهذا الغرض يرأسها ناظر الداخلية، وتضم ناظر العدلية خورشيد باشا وسيد فاضل باشا وعبد الله باشا من مجلس شورى الدولة وكذلك محمد باشا الذي عمل لمدة طويلة متصرفا على نجد(٦٣٣). والواقع أن مجلس الوكلاء كان قد قرر في ٤ مايو عام ١٨٨٧ إجراء إصلاحات في منطقة نجد ونواحيها(٦٣٤)، ولكن يبدو أنه لم يفعل شيئاً لذلك، لأن القرار كان يهدف في الأصل إلى توفير الأمن في المنطقة، وجرى اتخاذه في الأصل في إطار الإصلاحات التي تم التفكير فيها في ولايتي البصرة وبغداد(٦٣٥). ولكن الباب العالي هذه المرة أحس أنه ينبغي النظر من زاوية جديدة إلى المنطقة في مواجهة مسألة تبعية البحرين.

والمعروف أن أهم ما يتميز به عهد عبد الحميد الثاني هو انتقال نفوذ الباب العالي وسلطاته إلى السراي (القصر). ولهذا السبب اهتم عبد الحميد الثاني بموضوع سواحل نجد عن قرب، وكان يصدر الأوامر بشكل مباشر إلى والي البصرة، ويتابع ما يمكن فعله في المنطقة. وكان من الطبيعي على السلطان عبد الحميد بعد احتلال الإنجليز لمصر واصابته بخيبة أمل كبرى أن يهتم بالمنطقة بصورة مباشرة. لأنه كان قد وضح تماماً أن الإنجليز – على الرغم من وعودهم المستمرة بالجلاء عن مصر منذ احتلالهم لها عام ١٨٨٢ – قد سكتوا على الأمر،

---

(٦٣٣) *الأرشيف العثماني*، (*MV* 28)، ص.٦٩.

(٦٣٤) *الأرشيف العثماني*، (*MV*19)، ص. ٧١.

(٦٣٥) للاطلاع على المضبطة التي تم إعدادها في إطار الإصلاحات المزمع القيام بها في بغداد والبصرة والتي عرضت على مجلس شورى الدولة ووافق عليها مجلس الوكلاء انظر: الأرشيف العثماني، Y.A.Res. 40/34 (٢٦ تشرين الأول ١٣٠٣ / ١٨٨٧).

بل وظهر في عام ١٨٨٥ أنهم لن يجلوا عنها، ولهذا كان السلطان عبد الحميد دائم التأهب إزاء محاولاتهم لخلق مشاكل جديدة في سواحل نجد أيضاً.

بعد التحريات التي قام بها نافذ باشا والي البصرة في سواحل نجد عرض لائحتين مفصلتين على المابين الهمايوني بتاريخ ١١ مارس عام ١٨٨٨. غير أنه لايعرف ما إذا كانت هذه التحريات قد تمت في اطار لجنة الاصلاحات الخاصة بنجد والتي تكونت قبل ذلك في الباب العالي أم أنها جاءت بأمر من السلطان، ولكن عرض هاتين اللائحتين مباشرة على المابين يكشف مدى حساسية السلطان واهتمامه بهذا الأمر.

انطلق نافذ باشا من البصرة إلى القطيف أولاً، ومكث بها خمسة أو ستة أيام، وحدد احتياجات المنطقة. وتنقل في عدد من القلاع التي أنشأتها العائلة السعودية عندما كانت تحكم هذه المنطقة، وذلك بهدف منع الهجمات التي يمكن أن تأتي إلى القطيف من جهة البحر. وعندما تهدمت هذه القلاع بمرور الزمن أصبحوا وجها لوجه أمام هذا العدو. وهذه القلاع التي توجد كل واحدة منها على بعد حوالي ساعة أو ساعتين عن القطيف، إنما تحظى بأهمية كبرى من أجل حماية ميناء القطيف. وبعد اخلاء العساكر من الثكنة التي تم إنشاؤها في رأس التنورة أثناء حملة الأحساء، تعرضت هذه الثكنة للخراب، كما تهدمت أيضا مخازن الفحم التي أقيمت للسفن التي كانت تذهب للقطيف. كما أنه عند تأسيس متصرفية نجد تم إنشاء عين ماء بجوار القلعة من أجل سقي الحدائق الموجودة في قرية تاروت التابعة للقطيف، إلا أن هذه العين تهدمت على القلعة وأصبحت غير صالحة للاستعمال، وأهملها الأهالي فتأخرت زراعتهم. وقد طلب الباشا من أصحاب الأملاك أن يجمعوا مساعدات من أجل اصلاح هذه القلعة وإعادة العين إلى خدمتها السابقة ، كما أصدر الأوامر إلى قائمقام القطيف لاصلاح القلاع الأخرى.

وأنعم الباشا على محمد عبد الوهاب أول سكان جزيرة الدارين التي تبعد مسافة ساعتين عن القطيف وأحد أعيانها تقديرا لجهوده في تطوير هذه المنطقة، كما أمن الاقامة لنصف العساكر الذين أرسلوا للقطيف في هذه المنطقة لاعتدال جوّها. وانتقل الباشا بعد ذلك إلى قطر، وأنعم كذلك على قائمقام قطر جاسم الثاني لما بذله من جهد لتوفير الأمن والاستقرار في المنطقة، وطلب منه مضاعفة جهوده في هذا المجال. وترك في قطر قارب (ستنبوط) كان قد تم ترميمه في البصرة ليقوم بدوريات مراقبة بين الحين والآخر. وإلى جانب ذلك كانت هناك جهود من أجل إصلاح القلعة التي كانت على وشك التهدم بهدف إقامة البلوكات النظامية التي وقع إضافتها إلى قوات الضبطية الموجودة في قطر. وصدرت الأوامر الضرورية لمتصرفية نجد لتوفير ٢٥ فارسا من الفرسان النظامية إضافة إلى العساكر الموجودين في المنطقة وذلك بسبب العشائر المتوحشة التي تجوب نواحي الصحراء في قطر. وبمرور الزمن تعرضت منطقة الزبارة التابعة لقطر للخراب، وقد كانت تمثل منذ القديم مرفأ للسفن التجارية وميناء لواردات نجد، كما تفرق أهلها وتشتتوا في أماكن مختلفة. ولهذا السبب قال الباشا إن البضائع التجارية التي ترسل إلى نجد، تسدد أولا رسومها ثم ترسل إلى جزيرة البحرين ومن هناك إلى سواحل نجد، وذكر الباشا أنه بهذه الطريقة يتمكن شيخ البحرين سنويا من الحصول على مبالغ مالية كبيرة. وبين الباشا كذلك أنه باعمار زبارة وتوطين السكان فيها، يصبح من الممكن توفير مورد جديد للخزينة وفي الوقت نفسه الحفاظ على الأمن في المنطقة، وفي هذا المجال قدم التوصيات اللازمة لمتصرفية نجد. وطلب من قائمقام قطر التعهد بإنشاء المساكن وإسكان عدد من العشائر فيها. وفي هذه الأثناء لاحظ نافذ باشا أيضاً أن الموظفين ضمن أجهزة متصرفية نجد يتعاملون وفقا لأمزجتهم وهذا ما خلق تذمرا بين الأهالي، ولذلك أصدر التعليمات اللازمة إلى المتصرفية حتى يتعامل الموظفون مع الأهالي بالعدل، وبعد ذلك عاد الباشا إلى البصرة[٦٣٦].

---

(٦٣٦) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV.* 31/31) ، لف: ٢.

وكان القنصل الإنجليزي في البصرة قد بادر بإعلام حكومة بومباي بالرحلة الاستكشافية التي قام بها نافذ باشا إلى المنطقة وهي في بدايتها. فعندما وصل الباشا إلى القطيف أرسل الإنجليز ست من سفن القرصنة من بومباي، وقد رست إثنتان منهما في ميناء البحرين. وعلم الباشا أن الإنجليز الذين جاءوا إلى البحرين طلبوا من الشيخ عيسى بأن لا يلتقي بالوالي عند مروره بالمنطقة، ونبهوه أنه إذا اضطر للقائه لا يشير إلى العلاقات بين الإنجليز والبحرين. وإثر ذلك تردد الوالي في موضوع الذهاب إلى البحرين. وأثناء ذهاب نافذ باشا من القطيف إلى قطر ساءت أحوال الطقس فاضطر أن يرسو بسفينته لمدة ساعتين في مياه البحرين، وأثناء عملية التفتيش ليلا قامت إحدى السفن الإنجليزية بالذهاب إلى المحل الذي توجد به سفينة الباشا. وذكر القباطنة الإنجليز أن هناك علاقات صداقة بين البحرين وملكة انجلترا، وأنهم موجودون في هذه المنطقة لمنع أي موقف عدائي تجاه البحرين.

وقام الباشا في لائحته الثانية المؤرخة في ١١ مارس عام ١٨٨٨ بإحاطة استانبول علما بهذه الوقائع، وشعر بضرورة التذكير بأن السواحل المهمة مثل عمان ومسقط تابعة لمنطقة نجد، وأنه قبل دخول نجد تحت الحكم العثماني كان شيوخ آل سعود يأخذون كل سنة عشرين ألف ريال من مسقط وعمان وأربعة آلاف ريال من البحرين، إضافة إلى ضرائب عينية أخرى. كما ذَكّر الباشا في لائحته أن الإنجليز يغدقون بالدعم المادي والمعنوي على سعود في مواجهة أخيه عبد الله، وأنهم بدلوا شيخ البحرين السابق، وأعطى صورة حول الضغوطات المتزايدة على البحرين على النحو التالي:

إن الإنجليز يتصرفون بعنجهية كما لو كانوا أصحاب الحق في البحرين. وأما السبب في حرصهم الشديد فهو موقع الجزيرة الاستراتيجي على خليج البصرة، وهي عدا حاصلاتها من الصدف والتمور وغير ذلك لديها تجارة اللؤلؤ المستخرج التي تدر كل عام ما بين ١٠ و١٢ مليون روبية. والحقيقة أن سكان المنطقة يميلون

إلى الدولة العثمانية باعتبارهم مسلمين، غير أن الاهالي يحسون بخيبة أملهم عندما يرون سفن الإنجليز الرسمية تجوب سواحل الخليج بينما لا تفعل الدولة العثمانية شيئا. وعلى هذا الأساس كانت المنطقة باستمرار عرضة للتدخلات الاجنبية. وحذر نافذ باشا من أن الإنجليز يمكن أن يعمدوا إلى احتلال هذه المناطق مثلما فعلوا في عدن إذا استمروا في تحركاتهم تلك، ونبه إلى ضرورة إرسال البواخر العثمانية إلى هذه المناطق من حين إلى آخر(٦٣٧).

ورغم أنه لا يُعرف ما إذا كانت الدولة قد بذلت أية جهود أو اتخذت أية إجراءات في هذا الاتجاه بعد التحذيرات التي وجهها نافذ باشا، إلاّ أن ما يفهم من المذكرة التي كتبها محمد علي باشا في بداية عام ١٨٨٩ أن شيئاً لم يتغير من الوضع في المنطقة. ورغم ما ورد في المذكرة السالفة أن انجلترا لم تكشف عن تحركات سياسية آنذاك في مناطق البصرة والعراق، فأن هدفها التقدم شيئا فشيئا للاستيلاء على سواحل عمان والسواحل العربية والسيطرة على النشاط التجاري في تلك المنطقة تحت ذريعة الحماية. غير أن نزوع شيوخ العربان إلى الحرية والاستقلال حال دون تحقيقها لهذه المطامع. ولهذا السبب فإن الإنجليز رغم محاولاتهم في تلك الفترة للظهور بمظهر المكتفى بحماية رعاياهم من التجار فقط، فالواقع أن أنشطتهم موجهة لمنع أي تسلط على المنطقة من دولة أخرى. ولم يكن الإنجليز غافلين عن الخلافات التي كانت موجودة بين الشيوخ العرب، ولا يترددون في تقديم المساعدات للطرف الذي يحتاج المساعدة لوضعه تحت حمايتهم. فقد استخدم الإنجليز الضغط على إمام مسقط بواسطة عمه عبد العزيز آنذاك ونجحوا في استمالته إليهم، ولكي يستولوا على تجارة إيران في أطراف بغداد كانوا قد حصلوا أيضاً على امتياز تشغيل السفن في نهر قارون الممتد من جوار المحمرة حتى شط العرب(٦٣٨).

---

(٦٣٧) الوثيقة نفسها، لف: ١.

(٦٣٨) الأرشيف العثماني،(*YEE* 14/366/126/9).

أوضح محمد علي باشا أنه بالإمكان استخدام ابن الرشيد للوقوف في وجه النشاط الإنجليزي، لأنه على عكس ما ظن الإنجليز لم يكن ابن الرشيد يملك القدرة للاستيلاء على نواحي مسقط. ولكن بشيء من التحريض سراً يبدو من الممكن توجيه أنظاره إلى نواحي مسقط، والحصول على مكاسب سياسية. وكان الباشا يركز على مسألة السيطرة على ميناء الكويت ونواحي البحرين بشكل خاص، وذلك تحسباً لاحتمال إرسال الإنجليز لقوات عسكرية إلى السواحل العثمانية بغية السيطرة على السواحل العربية[٦٣٩].

وفي شهر أبريل من العام نفسه بدأت الأنباء تتوافد عن احتمال حصول هجوم يقوم به زايد بن خليفة شيخ عمان على قطر بتحريض من الإنجليز بقوة قوامها ٢٠ ألف شخص. وفي المقابل أوضح جاسم شيخ قطر أن قبائله المتكونة من أربعة آلاف شخص ليس بوسعها أن تقف في وجه هذه القوة، فاتصل بالحكومة العثمانية وطلب إسعافه بالعساكر. وفي ١٣ أبريل علم ١٨٨٩ نوقش هذا الموضوع في مجلس الوكلاء، وانتهى المجلس إلى أن الخبر فيه كثير من المبالغة. وبالرغم من ذلك، وللحفاظ على منطقة قطر صدر قرار بتشكيل طابور من ٥٠٠ مقاتل متمرس، وصدرت التعليمات إلى متصرف نجد عاكف باشا لإرسال هذه القوات إلى المنطقة بواسطة السفن الموجودة في البصرة[٦٤٠]. وقد كانت هناك حوادث كثيرة مشابهة لهذه سواء في دواخل نجد أو في سواحلها. ولو أن الوحدات العسكرية التي كانت موجودة في المنطقة كانت قادرة على الحد من مثل هذه الحوادث إلا أن انعدام خط للبرق في نجد تسبب في أحيان كثيرة في إضاعة كثير من الوقت في التخابر وبالتالي كانت تتفاقم الحوادث أكثر. ونتيجة لكثرة الشكاوى التي ترد من المنطقة بهذا الخصوص ارتأى الباب العالي في يوليو عام ١٨٨٩ أن

---

(٦٣٩) *الوثيقة نفسها*.

(٦٤٠) الأرشيف العثماني، (*MV* 42)، ص. ٣٤.

يمنح صلاحية إرسال العساكر للحكومة المحلية في مثل هذه الأحوال حتى يتفادى إضاعة المزيد من الوقت(٦٤١).

وفي خضم كل هذه التطورات قامت لجنة الإصلاحات التي تشكلت من قبل في نجد برئاسة ناظر الداخلية بإحالة الأمر إلى متصرف نجد عاكف باشا، وطلبت منه مدها بمعلومات حول الأوضاع في المنطقة. وقامت متصرفية نجد بإعداد لائحة وإرسالها ، ثم أحيلت من طرف نظارة الداخلية إلى مجلس الوكلاء في ٢٦ ديسمبر عام ١٨٨٩، ثم جرت مناقشتها في المجلس. ويمكن القول إن اقتراحات متصرف نجد حظيت بالقبول بشكل كامل، وفي هذا الاجتماع صدرت القرارات الآتية:

- حسب ما أبلغ متصرف نجد فإن أهالي المنطقة غير مستعدين لقبول ترتيبات عدلية جديدة بسبب التزامهم بالشريعة، ولذلك فإنه إذا تم إلغاء الأصول العدلية هناك فإنه يتم الإبقاء على نائب وكاتب ومساعد للكاتب في كل من الحفوف والقطيف فقط للنظر من قبل مجلس الإدارة والتمييز في الدعاوى المقدمة من الأهالي.
- منح الصلاحيات للقيادات المحلية من أجل إرسال العساكر إلى المناطق التي تتطلب ذلك عند وقوع حوادث وذلك إلى أن يتم مد خطوط التلغراف.
- قيام السفن بإجراء تدريبات حية في هذه المناطق من حين إلى آخر بغية إظهار قوة الدولة وهيبة السلطنة في عيون الاهالي في مواجهة الاستعراضات العسكرية الإنجليزية التي تجريها في المنطقة بنيران المدفعية والقوارب، وصرف النظر في الوقت الحاضر عن تغيير شيخ البحرين الذي يبدو موالياً للإنجليز.
- إنشاء مخزن للفحم في البحرين وتمكين البولخر الموجودة في البصرة من الذهاب – كما كان في السابق – إلى هناك ولو مرة في الشهر على الاقل، وإضافة إلى ذلك إذا وقع أي حادث في البحر يمكن مطاردة فاعليه بوسائل مناسبة.

---

(٦٤١) الارشيف العثماني، (*MV* 45)، ص. ٥٩.

- استخدام نحو ٥٠٠ من العساكر الهجين وبلوكين من الضبطية راكبة البغال لمنع حوادث الشقاوة وإحلال الأمن في كافة المناطق التي تمت السيطرة عليها. كما تقرر تعيين مدير في الزبارة بمرتب قدره ألف قرش ومدير آخر في العُديد بمرتب قدره ٧٥٠ قرشاً مع إمدادهما بقوة الضبطية اللازمة.
- تعيين رئيس لميناء قطر يكون عارفا باللغة العربية، ويُجلب من الترسانة العامرة لتفتيش الركاب في الميناء، كما تقرر أيضا تعيين مساعد لقائمقام قطر جاسم الثاني، ويكون أيضا على علم باللغة العربية ولديه خبرة كافية في الشؤون الاخرى، وتخصيص مرتب قدره ٢٥٠ قرشاً لأعضاء مجلس إدارة قطر بسبب ما هم فيه من الفقر، وحتى يتسنى لهم القيام بوظائفهم على أحسن وجه. كما تقرر تعيين شخص يتقن اللغة العربية لمتابعة المكاتبات القادمة من قضاء قطر في منصب مدير التحريرات، ويخصص له مرتب قدره ٥٠٠ غروش، ويعين معه مساعد بمرتب قدره ٣٠٠ غروش.
- إنشاء قلعة في منطقة "علاء" للحفاظ على الأمن في سواحل نجد بشكل دائم، ويمكن وضع عدد من جنود الضبطية فيها، وإصلاح قلعة بُريمان الموجودة في تلك النواحي والتي غمرتها الرمال، وتركيز خمسين من ضبطية السواري في تلك المنطقة.
- إضافة بلوكين من ضبطية السواري إلى ضبطية نجد المتكونة من ثمانية وتسعين نفراً[٦٤٢].

ولتنفيذ الإصلاحات المذكورة أصدر مجلس الوكلاء التعليمات والصلاحيات اللازمة لنظارة الداخلية، كما تقرر صرف النظر عن بعض الاقتراحات الواردة في لائحة متصرف نجد أو تأجيل النظر فيها مع بعض المسوغات.

---

(٦٤٢) الأرشيف العثماني، (*MV* 49)، ص ٢٠.

وكان متصرف نجد في لائحته المذكورة قد اقترح تشكيل متصرفية في كل من الرياض وعمان، وفي مقابل ذلك رأى مجلس الوكلاء أنه من المناسب تاجيل النظر في هذا الاقتراح إلى وقت لاحق، لأن الأمر يتطلب إجراء تحركات عسكرية مكثفة في تلك المنطقة، وهذا بدورة يتطلب نفقات إضافية. كما تقرر تاجيل مسألة استبدال السفن الحربية في البصرة بأخرى جديدة إلى وقت لاحق. أما الاقتراح الآخر من متصرف نجد حول توفير أربع بواخر لغرض التجارة بأن تقوم باخرتا البريد بالتنقل بين البصرة والقطيف وعجير والبحرين وقطر وعمان، وتقوم الباخرتان الأخريان بالتنقل في البحر الأحمر وتنطلق من يَنبُع، وتمر بسواحل عدن وبومباي وكراتشي ومسقط ثم تصل في النهاية إلى البصرة فقد تمت إحالته إلى نظارة البحرية لدراسته[٦٤٣].

وحسب ما يفهم فإن الفوائد المرجوة من هذه الترتيبات المتصور إنجازها في نجد هي نتائج سياسية في الأساس،وهذا شيء طبيعي فالشيوخ الموجودون في أنحاء نجد ممن يديرون شؤون القبائل لم يكونوا ينتظرون من الدولة أن تفعل شيئا من أجل إعمارها، بل إنهم عارضوا هذه الإجراءات باعتبارها مخالفة لعاداتهم وتقاليدهم، وتحد من استقلالهم الذي يتمتعون به. ولهذا السبب فقد كان هدف الدولة الأساسي هو تخليص المنطقة المكشوفة وشيوخها من وطأة الإنجليز بشتى الوسائل. ويمكن فهم سياسة الباب العالي من خلال جدول الإصلاحات الواضح في القائمة المذكورة، كما يفهم ذلك أيضا من خلال خطاب آخر أرسل من قبل الصدارة إلى ولاية البصرة في ٢٤ ديسمبر عام ١٨٨٩ يتضمن النقود المتداولة في نجد ونواحيها.

فقد كانت التجارة نشيطة في سنجق نجد والأماكن التابعة له، غيرأن العملات الأكثر تداولا كانت "الطويلة" و"الريال الكوشلي" و"الروبية الهندية". وفي المقابل كانت العملة العثمانية نادرة الوجود. وقد أرادت الدولة، من خلال دفع رواتب العساكر بالعملة العثمانية وانفاقها هناك أن تحد من تأثير تلك العملات الاجنبية.

---

(٦٤٣) الوثيقة نفسها؛ (*Y.MTV* 40/37).

ولكن على الرغم من الحركة التجارية النشيطة في هذه المنطقة إلاّ أن الدولة لم تتمكن من تحقيق الهدف الذي رسمته، لأنها لم تتمكن خلال عام ١٨٨٩ سوى من صرف مرتبين فقط للعساكر. وها هنا في العام المذكور ورد من الصدارة خطاب يشير إلى هذا الأمر فيقول: صدر الامر إلى ولاية البصرة بصرف مرتبات العساكر لمدة أربعة أشهر بالليرة المجيدية، وذلك "من أجل إنقاذ العساكر من الضائقة وتعويد الأهالي على العملة العثمانية، وهو ما يمكن أن يسحب البساط من تحت العملات الأجنبية فيحد من تداولها قدر الإمكان". وجاء في الرسالة نفسها: " نتأسف للافتقار إلى العملة العثمانية في لواء ممتد الاتساع من الممالك الشاهانية مثل نجد". كما طلب اتخاذ التدابير الضرورية لإحلال العملة العثمانية محل العملات الأجنبية[٦٤٤].

ويبدو أن القرارات التي اتخذها مجلس الوكلاء والمتعلقة بالإصلاحات في نجد لم تبق حبرا على ورق، بل تمت متابعتها عن كثب. والواقع أن مسألة زيادة عساكر الضبطية في المنطقة[٦٤٥] ومنح صلاحيات إرسال العساكر عند الضرورة إلى القواد المحليين قد صدر بشأنها قرار منذ وقت سابق، ولذلك فقد وضعت على الفور قيد التنفيذ. ومن جانب آخر فقد تم عرض موضوع البواخر البريدية التي طلب أن تجوب في خليج البصرة والبحر الاحمر على نظارة البحرية، وعرض موضوع مد خطوط التلغراف على نظارة البريد والتلغراف للقيام بالإجراءات اللازمة[٦٤٦].

فقامت نظارة الداخلية بإعلام ولاية البصرة بقرارات الإصلاح التي اتخذت، وكذلك بالإجراءات التي ينبغي القيام بها على نطاق محلي وذلك في ١٨ شباط عام ١٨٩٠. وفي العام التالي، أي في ١٩ ديسمبر ١٨٩١ تم إرسال رسالة أخرى للاستفسار عن

(٦٤٤) الأرشيف العثماني، دفاتر *العينيات* ١٦٢٠ ، ص. ٤١. رقم ٣٢٦٢.
(٦٤٥) الأرشيف العثماني، (*Y.MTV* 40/37).
(٦٤٦) الأرشيف العثماني، دفاتر *العينيات* ١٦٢٠، ص. ٤١. رقم ٣٢٥٧.

الخطوات التي اتخذت في سبيل تطبيق هذه القرارات. وفي ١٣ يناير من عام ١٨٩٢ أعلمت ولاية البصرة النظارة بأنه أمكن القيام بتنفيذ الأمور التالية:

لم يرض الأهالي التقاضي بالأصول العدلية، وبالتالي تم إلغاء المحاكم النظامية وإرسال نائب وكاتب ومساعد للكاتب من أهل الخبرة إلى مجلس التمييز في الحقوق ومجلس الدعاوى في القطيف للنظر في القضايا المطروحة. كما تم تعيين مساعد لقائمقام قطر[٦٤٧]، وكُتّاب تحريرات وكذلك مدير في كل من الزبارة والعُديْد. وإن رئيس الميناء الذي وقع التفكير في تعينه على ميناء قطر، تم تعيينه بعد ذلك على القطيف من خلال المكاتبات، ومن جانب آخر تم تجهيز حامية من الضبطية لحماية قلعتي "علاء" و "بريمان". وتم اتخاذ قرار البدء بإجراء ترميمات عليهما في شهر مارس القادم. كما تم توجيه سفينة واحدة من السفن الموجودة في البصرة تجاه سواحل نجد مرة كل ثلاثة أو أربعة أشهر. وبسبب ضعف قوات الضبطية وقلة عددها في نجد تم بأمر من نظارة الداخلية بحث الامكانات المتاحة لتشكيل قوة متألفة من ٥٠٠ هجن، وبولكين ضبطية من راكبي البغال، وإضافة بولكين آخرين إلى قوة الضبطية الموجودة في نجد، ولكن لم يكن من الممكن تسجيل واستخدام سوى ٢٠٠ نفر من ضبطية الفرسان[٦٤٨].

وبهذا الشكل سرد والي البصرة ما تم من أعمال، وبعدها لفت أنظار المسؤولين إلى عدم كفاية القوات العسكرية الموجودة في لواء نجد بالرغم من الأهمية الاستراتيجية لهذا اللواء. وأعلم الجهات المسؤولة بضرورة إرسال طابور نظامية إلى المنطقة، على ان يكون ٤٠٠ جندي في مركز اللواء ومائتي جندي لكل من القطيف وقطر. وكذلك قام الوالي المذكور ببيان ضرورة إنشاء ثكنة عسكرية

---

(٦٤٧) تم تعيين معاون لقائمقام قطر بمرتب قدره ٢٠٠٠ قرش ، ويفهم ذلك من القرار الصادر عن مجلس الوكلاء والمؤرخ في ٢٢ مارس عام ١٨٩١ (الأرشيف العثماني، *MV* 63، ص. ٧٧).

(٦٤٨) الأرشيف العثماني، (*Y. A. Res.* 60/12) ، لف: ١١.

لإقامة العساكر المخصصين للقطيف في منطقة الدارين التي تبعد مسافة ساعتين عن القطيف وذلك بسبب قسوة الطقس في القطيف، وهذا الاقتراح سبق أن قدمه من قبل نافذ باشا، وبرر الوالي اقتراحه المذكور بعدم وجود تشكيل عسكري في قطر، وبالتالي عدم كفاية الوجود العسكري في المنطقة فضلا عن المعارضة السرية لجاسم الثاني وطبيعته الفظة. وأكد الوالي على ضرورة ترسيخ الوجود الإداري في قطر عن طريق إنشاء مقر حكومي في مركز القضاء ومبنى لإقامة ٥٠ فردا من ضبطية الفرسان، وإنشاء مبنى لإقامة ٣٠ من مشاة الضبطية لكل من العديد والزبارة، كما سبق للوالي في عريضة قدمها قبل ذلك في ٢٠ نوفمبر عام[٦٤٩] ١٨٩١. ويشير والي البصرة إلى أهمية إيصال خطوط التلغراف إلى نجد وتنفيذ الاقتراح القائل بتشغيل سفن البريد بأقصى سرعة ممكنة[٦٥٠].

---

(٦٤٩) الوثيقة نفسها، لف: ٩. في العريضة التي قدمها متصرف نجد ومعها جدول إحصائي عن السكان والموارد والنفقات والتجارة في قطر أرسلها إليه معاون قائممقام قطر بتاريخ ٧ نوفمبر ١٨٩١ بقصد إرساله إلى الصدارة العظمى والمابين الهمايوني ترد المعلومات التالية حول شخصية قائممقام قطر جاسم آل ثاني: "إن النصائح وأساليب الاستمالة والسياسة التي جرت بلسان مناسب وكذلك وسائل الملايمة التي استخدمت بحسب الزمان والمكان سواء من جانب أسلافي أو من جانبي قد ذهبت سدى بسبب الدناءة التي فطر عليها المذكور جاسم آل ثاني والطبيعة البدوية والوحشية التي تخلق بها، ولم يظهر منه حتى الآن نفع سوى إلهاء الحكومة، ولن يكون هناك بعد اليوم أمل لدى الدولة في فائدة ترجى منه، وما لم تستخدم المعاملة التي تفرض الهيبة على ذلك الرجل وتكشف له وجه الشدة فالواضح من أحواله وأطواره أنه لن يتوقف عما في رأسه، وعن التصرفات التي تقضي على الانجازات وتخل بالأمن. وبناءً عليه يكون من المستحسن ولصالح الخزانة أن تبقى القائممقامية في عهدته كما هي، ومحاولة إقناعه حتى النفس الأخير، والسعي للحصول على موافقته في موضوع الإجراءات التي تتصورها الحكومة، فإذا لم يحدث ذلك وجب عدم الانصات أو الاعتبار لأقواله، وأن تتولى الحكومة بنفسها القيام بتلك الأعمال واستيفاء الموارد المعروضة، ولأجل هذا يجب توفير جنود الضبطية من المشاة والفرسان أولاً بأول، وإقامة مباني الدرجة الثانية وتعيين العساكر النظامية والطراد الهمايوني، ومرابطتها هنا ضد أي احتمال، بل وزيادة الموجود أيضاً بحسب ما تقدم من معروضات. وبما أن التوسل بأسباب ذلك منوط وموافق لأمركم وإرادتكم الآصفية فالأمر في هذا الصدد.. (الأرشيف العثماني: إرادة عسكرية 1310 M/16).

(٦٥٠) الأرشيف العثماني، (*Y.A. Res.* 60/12) ، كتبت العريضة نفسها إلى الصدارة من قبل والي البصرة بتاريخ ١٠ فبراير ١٨٩٢. الأرشيف العثماني، *إرادة عسكري* (16 /1310 M).

٢- الصراع العثماني الإنجليزي على سواحل نجد

كانت الدولة العثمانية في تسعينيات القرن التاسع عشر تواجه خطرين في المنطقة، الأول كان خارجيا تمثل في النشاط الإنجليزي في المنطقة، وكان الخطر الثاني داخليا تمثل في موجات السلب والنهب التي كانت سائدة بين القبائل البدوية وعجز الدولة عن التصدي لها.

بعد استيلاء إنجلترا على عدن عام ١٨٣٩ قضت الدولة العثمانية على القلاقل التي كانت مستمرة منذ سنوات طويلة في اليمن، وفي الفترة مابين ١٨٧١ إلى ١٨٧٣ بدأت الدولة العثمانية في تأسيس حكومة قوية هناك(٦٥١)، مما أحدث توازناً بدرجة معينة. إلا أن الكفة مالت لصالح الإنجليز بعد استيلائهم على مصر عام ١٨٨٢، وازداد نفوذهم في البحر الأحمر وخليج البصرة. وعمل الإنجليز في البحر الأحمر وخليج البصرة بصفة خاصة على استمالة الشيوخ والعربان وتحريضهم ضد الدولة العثمانية التي قامت من جانبها بمنح شيوخ المنطقة، أصحاب النفوذ حق وكالة السفن وتنقلها في المياه من أجل حفظ التوازن في القوة(٦٥٢).

ومن جانب آخر ثبتت الدولة ابن الرشيد بدون منازع في المناطق الداخلية لنجد، وبذلك تمكنت من حفظ الأمن إلى حدٍ ما، بيد أن العشائر التي كانت مستقرة في سواحل نجد لم تتخل عن بداوتها، فكانت تقوم بعمليات إغارة بشكل خاص على الأهالي الحضر والقوافل التجارية. فمثلا في ٣ يونيو عام ١٨٩٣ قام خمسة وثلاثون من تجار نجد برفع محضر إلى استانبول يشتكون فيه من أن إحدى القوافل التجارية في رحلتها من عجير إلى الأحساء تعرضت إلى السلب والنهب من عشيرة المرة وأن الحكومة المحلية عاجزة منذ مدة طويلة عن فعل أي شيء رغم الملاحقات المستمرة، كما جاء في المحضر أن السارقين اتفقوا مع عشيرة بني

---

(٦٥١) Rifat Uçarol, *Siyasi Tarih*, İstanbul 1985, p. 259.

(٦٥٢) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 59/23)

هاجر وأخفوا الممتلكات المسروقة لديهم. ونبه التجار في محضرهم كذلك أن الهدف الأساسي من الضرائب المقررة على المنطقة هو استغلالها في حماية الرعايا، وأن الموظفين المخولين بجمع الضرائب اقتصر عملهم على جمعها من الفقراء والضعفاء ولا شئ آخر غير ذلك(٦٥٣). أما متصرفية نجد فقد أرجعت انعدام الأمن إلى ضآلة حجم القوات مع كبر المنطقة وعدم وجود العساكر الذين رابطوا قبل عام ونصف في القطيف ثم نقلوا منها بعد ذلك(٦٥٤). والشاهد على ذلك أن القيادة العسكرية العامة عندما طلبت معلومات حول ما يلزم عمله لضمان أمن وسلامة المنطقة في البحر والبر(٦٥٥)، جاء جواب مشير الجيش السادس في بغداد في برقية مشفرة بتاريخ ٦ أغسطس ١٨٩٢م ليؤكد صحة تلك الأقوال. كما تعرض القول في تلك البرقية المشفرة للأمور التالية:

- ينبغي زيادة القوات البحرية لمواجهة أطماع الإنجليز في خليج البصرة وسواحل نجد والوقوف ضد أي نوع من التجاوزات التي يمكن أن تحدث.
- ولفهم حيل الإنجليز وألاعيبهم في البحرين والقيام بالاستخبارات عن النشاط المفسد في سواحل نجد ينبغي أن تكون هناك حركة متواصلة للسفن العثمانية بين خليج الفاو وسواحل نجد وذلك لمنع أي حركة معادية، إلا أن السفن الموجودة لا تكفي للقيام بهذا الدور، والأمر يقتضي توفير سفينتين سريعتين يمكنهما الرسو في أي مكان(٦٥٦).

وورد في تلغراف آخر أرسلته مشيرية الجيش السادس في ١٢ أغسطس أنه من غير الممكن وضع مفرزة دائمة في عجير بسبب الظروف المناخية القاسية، وأنه

---

(٦٥٣) الأرشيف العثماني، (*Y.A.Hus* 60/12) ، لف: ٧، *إرادة عسكرية*، (1310 M/16)
(٦٥٤) الأرشيف العثماني، (*Y.A. Hus* 60/12) ، لف: ٨.
(٦٥٥) الأرشيف العثماني، *إرادة عسكرية*، (1310 M/16)
(٦٥٦) الأرشيف العثماني، (*Y.A. Hus*) ، لف: ٥.

ينبغي ترك المنطقة بيد فرقة ضبطية محلية تضم خمسين شخصا على النحو الذي كان ساريا منذ القديم. وتذكر المشيرية أنه كلما تحرك من هنا التجار والبضائع بكميات كبيرة، فإن الأمن يتوفر لهم تحت حراسة جنود نظامية من راكبي البغال، وما لم تتحقق المطالب القديمة فإن كل هذه التدابير سوف تصبح مؤقتة[٦٥٧]. وهذه الطلبات أرسلت في ١٣ أغسطس من قبل القيادة العسكرية العامة إلى الصدارة، وتمت مناقشتها في مجلس الوكلاء بتاريخ ١٧ أغسطس عام ١٨٩٢. ومن أجل إصلاح الوضع في نجد كان مجلس الوكلاء قد قام بإقرار مجموعة من التدابير في فبراير عام ١٨٩٠، وكإجراء سريع ومؤقت تم إرسال مجموعة من الجند من البصرة لمتابعة تنفيذ تلك التدابير وتأديب العربان الذين كانوا يقطعون الطرق وإعادة الممتلكات المسروقة من تجار الأحساء، وصدر قرار بهذا الشأن وصدرت الإرادة السلطانية الخاصة به في ١٧ أغسطس[٦٥٨].

وتنفيذاً لتلك الإرادة "ومن أجل القضاء على قطاع الطرق وتوفير الأمن والاستقرار من جديد" فقد اتجه حافظ محمد باشا والي البصرة في أواسط أكتوبر عام ١٨٩٢ نحو نجد برفقة الطابور النشانجي الحادي عشر المكون من مائتي شخص[٦٥٩]. واستطاع الوالي الذي ذهب إلى المنطقة وضع حد للنزاعات الناشبة بين العشائر وتحويل ما بين العجير والحفوف إلى منطقة آمنة بفضل الإجراءات التي تم اتخاذها.

---

(٦٥٧) *الوثيقة نفسها*، لف : ١٢.

(٦٥٨) *الوثيقة نفسها*، لف: ١، ٦؛ *دفاتر العينيات* ١٦٤٩،ص. ١٦٧؛ (*MV 71*)، ص. ٣٨.

(٦٥٩) في عام ١٨٩٣ تم إرسال البيكباشي سيد اسماعيل وأحمد مظفر للتحري في حركة العصيان التي وقعت في قطر، وفي اللوائح المفصلة التي قدمها كل منهما بعنوان " أسباب حوادث قطر وطبيعة وقوعها" بينا تطور الأحداث وصورا الطبيعة الجغرافية للمنطقة وبنيتها السكانية وأهميتها الاستراتيجية كما قدما معلومات مفصلة بشأن الإجراءات التي ينبغي اتخاذها في المنطقة. الأرشيف العثماني ، *يلدز أساس أوراقي*، ١٤/ ٢٥٠/١٢٦/٨، ص.١.

غير أن الوالي كان يرى أن جاسم قائمقام قطر هو الذي يحث على إثارة التوتر في المنطقة، ويتضح ذلك من عريضة رفعها عاكف باشا متصرف نجد في الموضوع نفسه وسبق الحديث عنها قبل ذلك، إذ كان على قناعة بهذا الأمر. فحسب رأيهما فإن جاسم بطبعه الفظ كان يسعى إلى عرقلة الجهود الهادفة لتوفير الاستقرار في المنطقة. وعلى الرغم من صحة ذلك إلا أن الأمر كانت له أوجه أخرى، ألا وهي مسألة اقتسام الدخل العالي من تجارة اللؤلؤ في سواحل نجد. ووفقا لإحصائية سبق ذكرها أيضاً فإن جاسم يوفر من الضرائب التي يحصل عليها من صيد اللؤلؤ مبلغا قدره ٧٧ ألف و ٤٠٣ قراريط. وقسم كبير من هذه الضرائب كانت تحصل عليها الدولة العثمانية من مديريتي الزبارة والعديد اللتين أقامتهما الدولة. ومن جانب آخر فقد كان زايد شيخ أبوظبي يطالب منذ عام ١٨٧٨ بحقه من اللؤلؤ المستخرج من منطقة العديد، وبسبب ذلك النزاع الحاصل منذ سنوات بين هذين الشيخين دأب كل منهما على تحريض العشائر الخاضعة له ضد الطرف الآخر[٦٦٠]. ويبدو أن قائمقام قطر لجأ إلى الإنجليز[٦٦١] عندما لم تأت المساعدة التي كان ينتظرها من الدولة العثمانية في مواجهة شيخ أبوظبي[٦٦٢]. وتم عقد اتفاقية سرية بين الشيخ جاسم والقنصل البريطاني الموجود في بندر بوشير تتضمن بعض المواد التي تسمح للإنجليز بالتدخل في قطر ونجد، وقد قام جاسم بتسليح العشائر الموالية له وذلك بمساعدة من هذا القنصل ومن الحاج أحمد الكبابي ومن جزيرة تاروت التابعة للقطيف وكذلك بمساعدة محمد عبد الوهاب من كبار أشراف قرية الدارين في جزيرة تاروت التابعة للقطيف. وهكذا فقد رأى كل من والي البصرة ومتصرف نجد أن جاسم بأعماله هذه قد وفر الحماية للعربان الذين هاجموا

---

(٦٦٠) الأرشيف العثماني، *إرادة عسكرية*، (1310 M/16).

(٦٦١) انظر: İdris Bostan," The 1893 Uprising in Qatar and Sheikh ÂL Sânî's Letter to Abdülhamid II", *STAR* 1987/2, p.83.

(٦٦٢) للاطلاع على معلوما ت أكثر تفصيلا أنظر: منصور، *المصدر السابق*، ص. ١٧٥- ١٩٠.

منطقة الحفوف والقافلة التي كانت تمر بين عجير والحفوف، ولذلك قررا تأديبه بشكل من الأشكال.

وهنا عقب هذا القرار والمراسلات التي جرت مع الباب العالي تحرك الوالي ومعه الطابور النشانجي المذكور سابقا من الحفوف بقيادة البيكباشي يوسف أفندي وفرقة ضبطية قوامها مائة نفر بقيادة فارس أغا قائد الطابور وخمسون نفرا من فرسان العقيل ، ووصل إلى قطر في ٢٣ فبراير عام ١٨٩٣. ومن جانب آخر لما سمع قائمقام قطر بهذه التحركات انسحب قبل شهر إلى الصحراء مع حوالي ٤٠٠ إلى ٥٠٠ شخص استخدمهم بالأجر من عشيرتي المناصر وهاجر. وأرسل إليه الوالي حافظ محمد باشا ما يبلغه بالأمر وطلب منه تسريح العربان والعودة وإعلان الطاعة. أما جاسم فقد أرسل إلى الباشا رسولا عنه هو الشيخ خالد ومعه جواب، مؤكداً ولاءه وطاعته الصادقين للدولة، غير أنه لا يستطيع الاستجابة للطلبات المعروضة عليه، وهو مستعد إذا ما سحب الباشا عساكره أن يلبي جميع الطلبات إلى جانب تقديم هدية مقدارها عشرة آلاف ليرة. ورفض حافظ باشا هذا العرض وأبلغه بضرورة أن يحضر إليه على الفور ويعلن طاعته وألا يتوقع بعد ذلك شيئا آخر باعتباره قائمقاما مكلفا من الدولة[٦٦٣]. وفي المقابل لم يستجب جاسم لهذا الطلب، لاعتقاده أن الوالي سوف يطلبه حيا أو ميتا، وفي خلال شهر قام بإثارة العديد من العشائر وسيطر على طريق الصحراء بين قطر والأحساء، واعتقل موظفي البريد الذين كانوا يمرون من هناك، واحتجز الأوراق الرسمية التي كانت بحوزتهم. وقام جاسم بقطع الطريق أمام أخ قائمقام الكويت مبارك الصباح الذي كان يتجه لمساعدة الوالي، كما جمع حوله قرابة ألف من العربان وتمركز في

(٦٦٣) الأرشيف العثماني، (*YEE*, 14/250/126/8, p. 1).

منطقة السلوى التي تبعد بنحو ثلاثة أيام عن القطيف، وفي تلك الأثناء أشيع أنه سوف يباغت بقواته الوحدة العسكرية العثمانية المتمركزة في الدوحة[٦٦٤].

وفي مواجهة ذلك رأى الوالي أنه من الضروري معاقبة جاسم، فشرع في ٢٥ مارس في الإعداد لهذا الأمر. وفي البداية عمل الوالي على إلقاء القبض على عدد من الشيوخ التابعين له[٦٦٥]، وإثر ذلك قام بالتشاور بشأن العملية مع البيكباشي يوسف أفندي وقائد الطابور فارس أغا والقول أغاسى طاهر أفندي قائد السفينة الحربية "مريخ". وفي صباح ٢٦ مارس تم إلحاق ثلاثين شخصا إلى الطابور النشانجي من الطابور الرابع التابع للألاي الثالث والأربعين المكون من مائة وإثنين وخمسين نفرا، وانطلقت من الدوحة قوة قوامها ٢٣٠ نفراً من المشاة ومائة فارس وأربعون من فرسان العقيل ومدفع من عيار ثلاثة فونت ومجموعة من العساكر البحرية، واتجهت هذه القوة نحو قلعة وَجَبَة التي حَصَّنها جاسم بهدف تخريبها والاستيلاء على الأسلحة الموجودة فيها. وبعد ساعتين من المسير أمر البيكباشي يوسف أفندي عساكره الذين وصلوا قلعة خربة تدعى "شَكَّبَة" بإطلاق نيران البنادق عليها. وقبل هذه الأحداث تم إرسال قوة من فرسان الضبطية والعقيل باتجاه "وجبه" لاستكشافها، إلاّ أن هذه القوة قوبلت بدفاع صدها وشتت شملها من قبل قوة تبلغ نحو ثلاثة أو أربعة آلاف من الرجال الذين سلحهم الشيخ جاسم ببنادق المارتيني من الفرسان والمشاة والعشائر الراكبة الجمال. ولما رأى يوسف أفندي ذلك أمر قسما من العساكر المرافقين له وفرسان عقيل والضبطية بالتمركز على المرتفعات الواقعة قبل قلعة "شكبة" حتى يتصدوا للعربان الذين يطاردون فرسان العقيل والضبطية. وإثر ذلك نشبت معركة بين الجانبين وحقق العسكر في البداية نجاحات واضحة، ولكن عند المساء خارت قواهم أمام الأعداد الغفيرة من العربان

---

(٦٦٤) *الوثيقة نفسها*، ص. ٣.

(٦٦٥) يقول لوريمر إن عدد الأشخاص بمن فيهم أحمد أخ جاسم يبلغ نحو ١٢ شخصاً (*المصدر السابق*، ص. ١٢٤٧).

بسبب الجوع والعطش (بمناسبة شهر رمضان كان أكثر العساكر صائمين) والانهاك الشديد واضطروا للتراجع. وأثناء هذا الانسحاب كانت الوحدة العسكرية بقيادة يوسف أفندي التي طاردها العربان واستشهد منها البيكباشي سامي أفندي قد وصلت بصعوبة كبيرة إلى قلعة مفتولك القريبة من ثكنة قطر. وأما العربان فلم يتوقفوا عند المطاردة ووصلوا إلى حد هذا المكان، وشرعوا في تقتيل هؤلاء العساكر المنهكين تعبا. ولما علم البيكباشي حسين رامي أفندي بهذا الوضع من ثكنة قطر أرسل مفرزة مكونة من أربعة وعشرين فردا ومزودة بسلاح ناري، فطردوا العربان، ولم يتمكن من العودة إلى الثكنة سوى الوالي ومن تبقى حياً من العساكر. ونتيجة لذلك بلغ عدد القتلى ١١٨ عسكريا و٥٢ جريحا[٦٦٦]. كما استولى العربان على ١٥٠ بندقية وعلى مدفع كان موجودا في سفينة مريخ. وأمضى الوالي حافظ محمد باشا ليلته في سفينة مريخ، وأدرك آنذاك مع الأركان العسكرية أن القوة التي معه لا تكفي للدفاع. وفي اليوم التالي حمل جزءا كبيرا من الجنود الموجودين في قطر تحت غطاء نيران سفينة مريخ وسفينة (مژده رسان)، وحملهم على السفن. ثم ترك في الثكنة قرابة المائة جندي مع ضابط. وحتى لا يتعرض لاعتداءات جديدة من العربان عبر في اليوم نفسه مضيق قطر، ورست السفن في مياهها على بُعد ساعتين. وفي ٢٩ مارس أرسلت سفينة (مژده رسان) إلى البصرة، بينما أجليت المجموعة المتبقية من العساكر حتى ٣١ مارس[٦٦٧].

وكان تطور الأحداث على هذا الشكل قد أفزع سكان الدوحة وجعلهم يتشتتون هنا وهناك. وفي الوقت الذي كان فيه الوالي حافظ محمد باشا ينتظر على الطراد مريخ قبالة سواحل قطر كان الشيخ جاسم يقيم في قلعة " وجبة"، فاتصل بالإنجليز طالبا منهم حمايته، فوصلت الأخبار إلى كل من استانبول ولندن، فقام روز بري

---

(٦٦٦) يذكر لوريمير أن عدد العربان الذين قتلوا في هذه الحركة هو ٤٠٠ شخص، *المصدر السابق*، ص. ١٢٤٩ .

(٦٦٧) *الوثيقة نفسها*، ص. ٣-٤ .

وزير خارجية إنجلترا بمراسلة القنصل الإنجليزي في بندر بوشير متسائلا عن إمكانية القيام بوساطة. وأثمر هذا عن لقاء بتاريخ ١٤ أبريل بين الوالي وتالبوت(؟) المبعوث السياسي الإنجليزي الذي وصل إلى الدوحة. وفي هذا اللقاء عرض المبعوث الإنجليزي الوساطة على الوالي[٦٦٨] ، إلا أن الوالي لم يقبل الوساطة الإنجليزية تخوفاً من أن تؤدي في المستقبل إلى تدخلهم في شؤون قطر، كما رفض دخول الطراد الإنجليزي إلى ميناء قطر. وبعد خمسة أيام من هذه الحادثة قام بإعاقة دخول سفينة قرصنة إنجليزية أخرى إلى قطر مما جعل الممثل الإنجليزي يذهب إلى الوكرة التي تبعد ثلاثة ساعات عن قطر للقاء الشيخ جاسم، وبالفعل تم هذا اللقاء بتاريخ ٢٥ أبريل[٦٦٩].

عقب هذه الأحداث وبالضبط في منتصف شهر يوليو تم إرسال البيكباشي سيد اسماعيل وأحمد مظفر إلى المنطقة بغرض التفتيش، فأخبرهما جاسم أن الإنجليز في اللقاء المذكور عرضوا عليه الحماية إلا أنه رفض هذه الحماية، ولكن الطريف أنه أخبرهما في المقابلة نفسها أنه ينوي الاستقالة من قائمقامية قطر وذلك لكبر سنه، وأرسل خطابا في هذا الخصوص إلى السلطان عبد الحميد الثاني[٦٧٠].

واستطاعت هذه اللجنة المكلفة بالتفتيش في المنطقة أن تعيد النظام، وأن تعثر على السلاح الذي سُرق من الجنود والمدفع الذي أخذ من على ظهر الطراد مريخ. أما استقالة جاسم فقد قابلها مجلس الوكلاء بشيء من الحذر والريبة، وطلب النظر في الأمر من جديد[٦٧١].

---

(٦٦٨) لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٢٤٩؛ إدريس بوستان، *المقالة السابقة*، ص. ٨٦ .

(٦٦٩) الأرشيف العثماني، (YEE, 14/250/126/8, p. 4)

(٦٧٠) *الوثيقة نفسها*، ص. ٦. قام إدريس بوستان بنشر الخطاب ودراسته دراسة تحليلية، انظر بوستان، *المقالة السابقة*، ص. ٨٦-٨٩ .

(٦٧١) الأرشيف العثماني، (MV 78, p. 13-1).

وهذه التطورات كلها جددت أطماع الإنجليز في سواحل نجد، وأيقظت لديهم بصفة خاصة مسألة إخضاع المنطقة لنفوذهم مع ايجاد قوة بحرية كبيرة[٦٧٢].

وقد كانت المعاملة التي يلقاها أهالي البحرين في تنقلاتهم بين سواحل نجد والبصرة سببا في حدوث مشاكل بين الدولة العثمانية والإنجليز. وكما هو معلوم فإن مسألة تبعية البحرين كانت دائما سببا في مشاكل مستمرة بين الدولة العثمانية وإنجلترا، وقد اكتسبت بعدا جديدا بعد تسعينيات القرن التاسع عشر. فالواقع أن إنجلترا كانت لا تستسيغ أن يعامل القادمون إلى سواحل البصرة ونجد معاملة المواطن العثماني وهم في الأصل من أهالي البحرين، فكانت دائمة الاحتجاج على ذلك. وقام مجلس الوكلاء بمناقشة هذه القضية عدة مرات، وكان رأي الحكومة العثمانية أنه "رغم اعتراض إنجلترا على حقوق العثمانيين في البحرين، إلا أنها لا تملك أي حق في السيادة على هذه البلاد، وتبعا لذلك فليس من شأنهم حماية أهل البحرين"[٦٧٣]. وبينما الأوضاع على هذه الحالة فر في صيف ١٨٩٥ حوالي ٢٠٠ عائلة هربا من ظلم شيخ البحرين، ولجأوا إلى قطر، فوَطَّنهم قائمقامها في الزباره وهو ما أثار حفيظة الإنجليز الذين احتجوا على الأمر بشدة. لأنه بعد توطين هؤلاء اللاجئين قام متصرف نجد بإرسال مدير وعدد من الضبطية إلى الزبارة، ومكن ذلك من رفع العلم العثماني في هذه المنطقة. وحاولت إنجلترا على الفور إعادة هؤلاء اللاجئين[٦٧٤]، فتوجه قنصل إنجلترا الموجود في بندر بو شير بسفينة إلى ميناء الزبارة وطلب إعادة اللاجئين، فلما رفض هؤلاء طلبه صادر البضائع والأشياء الموجودة على متن السفن الراسية في الساحل. وفي هذه الأثناء اتصل المترجم الثاني في السفارة الأنجليزية في استانبول بالباب العالي، وأعلمه أن متصرف نجد أعد العدة للقيام بهجوم على البحرين، وأن السفن الحربية الأنجليزية

---

(٦٧٢) *الوثيقة نفسها*.

(٦٧٣) الأرشيف العثماني، (*MV* 71, p. 30) (١١ سبتمبر ١٨٩٢)، (*MV* 74, p. 33) (٨ مارس ١٨٩٣).

(٦٧٤) الأرشيف العثماني،) (*Y. A. HUS* 335/31.

سوف تواجه هذا الأمر، وأن الحكومة الأنجليزية أعطت الأمر إلى القائد الأنجليزي لتحذير القائد العثماني. وفي مقابل ذلك اتصلت نظارة الخارجية هي الأخرى بالحكومة الأنجليزية في لندن، وطلبت منها إعادة البضائع والأشياء التي تم الاستيلاء عليها إلى أصحابها[٦٧٥]. ولكن المؤسف أنه لم يتحقق أي نجاح في هذا الموضوع، فقام الإنجليز أولاً بضرب المنطقة بالمدافع وإرهاب أهلها ثم استعانوا بعد ذلك بعشيرة النعيم التي تم جلبها من البحرين لإجبار اللاجئين على العودة إلى مناطقهم القديمة بالقوة[٦٧٦]، وفي الوقت نفسه طلبت قريتان تابعتان لقطر الحماية من الإنجليز، ولما وصل الخبر تم إرسال طراد حربي من البصرة إلى سواحل قطر لاستعراض قوته فيها[٦٧٧].

وفضلاً عن نشاطات الإنجليز في هذه السواحل كان المسئولون كافة يعلمون أن السفن الست الموجودة في البصرة لن تكفي[٦٧٨] للحيلولة دون الزيادة الكبيرة في تهريب السلاح ، الذي بلغ حده الأقصى، وتهدئة شيوخ العرب المتصارعين في الساحل. وبهذه المناسبة اقترح متصرف نجد السابق في إحدى لوائحه أن يتم توفير سفن شراعية للحراسة في هذه المناطق. ولكن في ٢٢ يونيو عام ١٨٩٦ عرضت نظارة البحرية على الصدارة رأيها فأشارات فيه أن السفن الشراعية لن تكون ذات

---

(٦٧٥) *الوثيقة نفسها*.

(٦٧٦) الأرشيف العثماني، (*BEO* 596642)

(٦٧٧) الأرشيف العثماني، (*MV* 87, p. 42)

(٦٧٨) ذكرت الهيئة المكلفة بدراسة المسألة القطرية المعلومات التالية بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٨٩٣م حول الأسطول المرابط في البصرة وما يجاورها: "يتشكل أسطول البصرة من الطراد مريخ والسفينتين (مزده رسان) و (ساهر)، ومن غنبوط عكا في قومه وسفينة ألوسي التي تقوم بمهمة الحراسة بالقرب من سوق الشيخ، وثلاث سفن شراعية من نوع قوطره تتمركز إحداهما في أبو الحسيب والثانية في قناة داغجى الواقعة في مواجهة أبو الحسيب، والثانية في الدوامر الواقعة بالقرب من فاوه. كما يوجد عدا ذلك سفينتان خربتان صغيرتان من نوع ايستيمبوط" (الأرشيف العثماني (YEE 14/ 250/ 126/ 8, s. 13). ويظهر من كتاب لنظارة البحرية مؤرخ في ١٨٩٦ أن هذا العدد لم يزد إلاّ سفينة واحدة (الأرشيف العثماني، غرفة أوراق الباب العالي BEO. 596642).

جدوى، وأوضحت أن هناك اثنتي عشرة سفينة يتم إنشاؤها في الترسانة العامرة، وأنه عند الفراغ من تجهيزها يمكن تعزيز السفن الستة الموجودة في المنطقة[٦٧٩].

غير أن الظروف المالية الصعبة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية كانت عائقا أمام تحقيق هذه الأهداف. فالتدابير التي يتم التفكير فيها لا يجري تنفيذها في وقتها، وأمام هذه الظروف الصعبة كان يتم اللجوء دائماً إلى الإجراءات المؤقتة. وهذه الأوضاع جعلت شيوخ تلك المناطق أكثر جرأة، فضاعفوا من نشاطهم ضد بعضهم البعض، مما فتح الباب أمام تدخل الأجانب. كما أن هذه الظروف جعلت جاسم شيخ قطر يستغل الصراعات الداخلية في العائلة الكويتية، ويعد العدة للشروع في هجوم على الكويت.

وكان شيخ الكويت قد وقف إلى جانب القوات العثمانية في حملتها على الأحساء، وبهذا الموقف ارتفعت أسهمه عند العثمانيين، وأثار في الوقت نفسه عداوةً مع بعض الشيوخ المحليين. وأثناء أحداث قطر هذه تحرك مبارك الصباح أخ شيخ الكويت لمساعدة القوات العثمانية، وهذا زاد من عداوته لدى جاسم شيخ قطر، ولهذا السبب كان يغير من حين لآخر مدعوما بالقبائل التابعة له على أنحاء الكويت، وكان ينتظر الفرصة المناسبة، وجاءته هذه الفرصة عندما قام بقتل أخ مبارك والاستيلاء على موقعه[٦٨٠]، فشرع أبناء الشيخ المقتول في المقاومة لأنهم يرون أنه من حقهم رفع دعوى للمطالبة بدم أبيهم، ويرون من ناحية أخرى أن الإمارة ينبغي أن تعود إليهم. ورغم معرفة ولاية البصرة بأن مبارك هو الذي يقف وراء الأحداث إلا أنها اكتفت بموقف المتفرج على الصراع في العائلة مما أدى إلى تفاقمه.

---

(٦٧٩) الوثيقة نفسها.

(٦٨٠) فيلبي، *المصدر السابق*، ص. ١٦٨.

ووفقا للأخبار القادمة من بغداد فقد رأى الباب العالي أن هذه الصراعات التي تقع في المنطقة متشابهة، وهو يرجح مزيدا من التروي والانتظار حتى لا يعطي للإنجليز ذريعة للتدخل. وقام إبراهيم يوسف بدعم أبناء الشيخ المقتول، كما إن الإنجليز عملوا على الاتصال بابن الرشيد وجاسم من أجل مواجهة مبارك. وفي خريف عام ١٨٩٧ قبل جاسم هذا الاقتراح وشرع في إعداد نفسه[٦٨١]. ولما علمت متصرفية نجد بالوضع أخطرت الباب العالي واقترحت عليه اتخاذ التدابير اللازمة وإرسال سفينة لهذا الغرض، إلا أن الباب العالي لم يعر الأمر اهتماماً. وفي ديسمبر عام ١٨٩٧ تم عزل والي البصرة وتعيين محسن باشا، وهو أحد ضباط الجيش السادس في مكانه. وفي بداية عام ١٨٩٨ تم إرسال ثمانية طوابير عسكرية وبطارية مدفعية (٦ فونت) من بغداد إلى البصرة من أجل إرسالها إلى قطر[٦٨٢] إلا أن محسن باشا تمكن بفضل الإجراءات التي اتخذها وبفضل المشاورات التي أجراها مع شيخ قطر من حل المسألة دون إرسال عساكر. وبذلك تم إعادة العساكر الذين أحضروا إلى البصرة إلى بغداد مرة أخرى في نهاية يوليو[٦٨٣] بيد أن ابن الرشيد لم يتخل عن عداوته وواصل نهبه لأطراف الكويت، والسبب في جميع هذه الأحداث هو الفتور الذي تعامل به السلطان عبد الحميد الثاني والباب العالي مع هذه المسألة. وهذا ماجعل المنطقة ليست هدفا فقط للأنجليز بل لتدخلات الروس أيضاً[٦٨٤]. في التقرير الذي عرضه خليل خالد وكيل الشهبندر في لندن بتاريخ ٥ مارس ١٨٩٨ والمتعلق بخليج البصرة أورد فيه أن الإنجليز قد اتبعوا سياسة متعقلة تجاه التوسع الروسي. وبعد أن بين أن الإنجليز لن يقفوا في وجه الروس

---

(٦٨١) للاطلاع على معلومات لأكثر تفصيلا أنظر: قاسم، *المصدر السابق*، ص. ٢٥٨– ٩٣؛ منصور، *المصدر السابق*، ص. ١٦٢–١٧٧؛ Küçük، *المصدر السابق*، ص. ٩– ١٤.

(٦٨٢) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 169/59, 170/4, 170/48).

(٦٨٣) الأرشيف العثماني، *إرادة عسكرية* (1316 RA/8).

(٦٨٤) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 169/59).

الذين يرغبون في الاستيلاء على الأراضي العثمانية، أضاف أن "وحدة أراضي الدولة العثمانية لم يعد لها أهمية بالنسبة إلى الإنجليز وأنها ترغب منذ مدة في الاستيلاء على شبه الجزيرة العربية والمناطق المجاورة للبصرة وأن مصالحهم تكمن في اقتطاعها من الدولة العثمانية". ذلك لأن تجارة الإنجليز في الأراضي العثمانية بدأت تتراجع مقابل التوسع الروسي في بعض المناطق العثمانية، لأن العثمانيين كانوا يعرفون بأنهم "جهلة في ميدان التجارة" في حين أن أهل موسكو " قوم مجتهدون وأهل علم في التجارة"، وهم قادرون على توسيع المصادر التجارية والأسواق وهم يرفضون الاستجابة لرغبات الأجانب. ويوضح خليل خالد أن الإنجليز والروس استولوا على بعض مناطق الدولة العثمانية ضمانا لمصالحهم الخاصة[٦٨٥]. وفي اللائحة نفسها اقترح خليل خالد أنه من أجل الوقوف في وجه المحاولات الإنجليزية في خليج البصرة ينبغي زيادة الأسطول وتقويته وتوطيد الإدارة وتثبيتها، واتخاذ إجراءات من أجل تشجيع التجارة، وإنشاء أسطول نهري من البصرة إلى شط العرب ليكون مكملا للأسطول الموجود في الخليج، ومد خط سكة حديد الأناضول إلى بغداد والبصرة في أسرع وقت[٦٨٦].

وواصل ابن الرشيد تجهيز حملاته على الكويت، وبسبب هزيمة شيخ الكويت في منطقة "صريف" كما سبق ذكره من قبل، فقد اضطره ذلك إلى التقرب من الإنجليز، وهو ما أدى إلى زيادة إحكام سيطرتهم على المنطقة[٦٨٧]. وكان هدف الإنجليز هو تثبيت أقدامهم في الكويت، ولذلك فقد عملوا على إقناع مبارك الصباح بأن الدولة العثمانية تنوي إزاحته من خلال عقد اتفاق مع ابن الرشيد. وفي الحقيقة فإن هذه الجهود قد آتت أكلها، وبمرور الوقت ضعفت علاقة مبارك بالدولة العثمانية. غير أن والي البصرة النشيط في تلك الفترة محسن باشا، وبعد أن تلقى توجيهات من الباب

---

(٦٨٥) الأرشيف العثماني، (YEE 14/2556/126/8).

(٦٨٦) *الوثيقة نفسها*.

(٦٨٧) الأرشيف العثماني، (*BEO* 126869, *DUİT* 69/2- 8).

العالي توجه في مايو عام ١٩٠١ إلى الكويت وحاول إقناع مبارك بتغيير مواقفه الخاطئة ونجح نسبيا في هذه المهمة[٦٨٨] وكان ابن الرشيد يعتقد بأن العلاقة التي نشأت بين مبارك والعثمانيين لن تروق للإنجليز، ولذلك صرح قائلا بأنه إذا ما استغل هذه الفرصة وطلب الحماية من الإنجليز، وقُبل طلبه فإن ذلك سوف يمكنه من كسب تأييدهم وإعلان حقه في إدارة الكويت[٦٨٩] غير أن الإنجليز رفضوا اقتراح ابن الرشيد الذي أراد ضرب عصفورين بحجر واحد، وذلك حتى لا يغضبوا شيخ الكويت[٦٩٠]. وبعد ذلك بدأت حركة دبلوماسية غريبة، فمن جانب كانت الدولة العثمانية تحاول أن تكسب مبارك الذي انهزم أمام ابن الرشيد، ومن جانب آخر كان ابن الرشيد الذي أزعجه هذا الوضع يهدف إلى الحصول على الحماية الأنجليزية وبالتالي السيطرة على الكويت في مرحلة لاحقة. وفي هذه الأثناء كانت الدولة العثمانية تحاول إرسال عدد من العساكر إلى المنطقة للوقوف في وجه الإنجليز الذين نشروا مجموعة من السفن الحربية في الكويت. غير أن السفن الحربية العثمانية تم اعتراضها من قبل الإنجليز عندما وصلت إلى الكويت، ولم يتمكن العثمانيون من نشر عساكرهم في البر[٦٩١]. وقد أثار هذا الوضع أزمة عالمية فاحتجت ألمانيا على الإنجليز، وفي هذه الأثناء كان الإنجليز يؤكدون أن الدولة العثمانية سوف تحتل الكويت بالتعاون مع ابن الرشيد أمير نجد. ولذلك كانوا يحشدون سفنهم في الكويت. أما الدولة العثمانية فقد أعادت ابن الرشيد الذي اقترب من الكويت إلى نجد، وذلك بهدف الحد من التوتر الذي نشأ في المنطقة[٦٩٢]. إلا أن العثمانيين رأوا أن تدابيرهم لم تكن كافية لمنع النشاطات الأنجليزية في الكويت، بل إن الإنجليز أصبحوا يسببون مصدرا لقلاقل جديدة في نجد.

---

(٦٨٨) كوجوك، *المصدر السابق*، ص. ٢١-٢٢ .

(٦٨٩) *المصدر السابق*، ص. ٢٢ .

(٦٩٠) *المصدر السابق*، ص. ٢٢-٢٣ .

(٦٩١) الأرشيف العثماني، (*DUİT* 69/2-9, 10).

(٦٩٢) الأرشيف العثماني، (*DUİT* 69/2-15,17, 18, 19) ، حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ١٦٠.

ثالثاً عودة الصراع بين ابن سعود وابن الرشيد: حركات القصيم العسكرية

١ – استيلاء ابن سعود على الرياض ونتائجه

أضطرت عائلة سعود إلى اللجوء إلى الكويت عام ١٨٩١ بسبب الضغوط التي مارسها عليها ابن الرشيد. وكان آل سعود يشاركون من حين لآخر في المعارك التي يخوضها شيخ الكويت في أنحاء نجد ثم يعودون إلى الكويت. إلا أن الأحداث الأخيرة بين ابن الرشيد ومبارك جعلت عائلة آل سعود تفكر في العودة إلى بلادها. ورغم أن رئيس العائلة عبد الرحمن بن فيصل لم تكن له رغبة حقيقية في العودة بسبب الإهانات التي تعرض لها في الماضي من قبل البدو في نجد، فإن ابنه عبد العزيز الذي تركها في سن الطفولة كان عازما على العودة إليها مرة أخرى. وكان مبارك شيخ الكويت من جانبه يحرض عبد العزيز الشاب ضد ابن الرشيد، كما أن الدولة العثمانية قامت بوقف النزاع الذي نشب في المدة الأخيرة بين مبارك وابن الرشيد وخاصة منع ابن الرشيد من القيام بهجوم على الكويت، وذلك بطلب من إنجلترا[٦٩٣]، وهذا ما منح عبد العزيز فرصة للتحرك. ولهذا الغرض اتجه عبد العزيز بن عبد الرحمن في ديسمبر عام ١٩٠١ إلى أنحاء الأحساء وبدأ في جمع رجال من بعض القبائل التي يثق فيها[٦٩٤] وفي بداية عام ١٩٠٢ انطلق من الكويت في قوة صغيرة تتكون بشكل خاص من ذويه وبعض حلفائه الجدد واتجه نحو الرياض، وفي ١٥ يناير ١٩٠٢ وصل عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى موضع بالقرب من أسوار الرياض وتسلل في جنح الظلام في مجموعة ممن اختارهم إلى داخل القلعة، وقتلوا ممثل ابن الرشيد فيها، وأعلن إمارته على

---

(٦٩٣) أنظر: IOR (India Office Library and Records) I/P and S/ 18/ B 164, Lord Landsdowne'den Sir N. O'Conor'a, 1 Ekim 1901.

(٩٦٤) فيلبي، *المصدر السابق*، ص. ١٧١.

الرياض باسم والده[٦٩٥]. إلا أن ابن الرشيد لم يعر في البداية أي اهتمام لسقوط الرياض، وكان مشغولا بإقناع والي بغداد بإمكانية تسيير حملة على الكويت،[٦٩٦] وكان على قناعة بأنه بالإمكان إخراج عبد العزيز من الرياض بسهولة، بيد أن عبد العزيز لم يكتف بالسيطرة على الرياض، بل اتجه نحو الجنوب واستولى أيضا على "الخرج" و "الحوطة" و"الحريق" و "الأفلاج" و "الدواسر". ولم تكن السيطرة على هذه المناطق تشكل صعوبة بالنسبة إليه، لأنها كانت تابعة قبل ذلك للوهابيين.

ورغم المساعي التي بذلها ابن الرشيد للسير على الكويت إلا أنه فشل في الحصول على الإذن بذلك، بل بدأت ضده مجموعة من الثورات في المناطق التي استولى عليها بالقوة. ولهذا السبب أرسل أحد رجاله في منتصف مارس من العام نفسه إلى الفريق مصطفى نوري والي البصرة طالبا منه المساعدة لمواجهة هذه الثورات، كما طلب إدخال أسلحة من قطر والبصرة[٦٩٧]، لأنه عجز عن توفير السلاح من ناحية الكويت[٦٩٨]. ومن جانب آخر فقد تمكن عبد العزيز بسرعة من توسيع تحالفاته، فضم إليه عشائر عتيبة والدواسر والسبيع وعجمان ومرة ومطير. وإضافة إلى هذا فقد فر كثير من الوهابيين من بطش ابن الرشيد من البصرة وبعض المناطق الأخرى، وبدأوا في العودة إلى دواخل نجد[٦٩٩] ولما شعر عبد العزيز أن هناك حربا كبيرة لا مفر منها استدعى والده عبد الرحمن من الكويت، فقدم إثر ذلك إلى نجد في شهر مايو[٧٠٠] وقبل أن يغادر عبد الرحمن الكويت طلب

---

(٦٩٥) الأرشيف العثماني، (İMM 3178) ؛ *المصدر السابق*، ص. ١٧١-١٧٢؛ لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٦٩٩؛ الريحاني، *المصدر السابق*، ص. ١٢٠-١٢٦، *Memorial* ، ص. ٢٨٨-٢٩١.

(٦٩٦) الريحاني، *المصدر السابق*، ص. ١٢٧.

(٦٩٧) وفي المقابل فإن الأخبار الواردة من تلك المناطق تذكر أن مبارك قام بإرسال مدفعين إلى الرياض في تلك الأثناء، وتسليح خصوم ابن الرشيد. الارشيف العثماني، (*DUİT* 69/2-24).

(٦٩٨) الأرشيف العثماني،(*Y. MTV* 246/75).

(٦٩٩) لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٧٠٠ .

(٧٠٠) الريحاني، *المصدر السابق*، ص. ١٢٩.

المساعدة من الإنجليز، إلا أن تواصل الأحداث في نجد جعل الأنجليز يقابلون هذا الطلب بشيء من البرود[٧٠١]. وربما كان السبب في ذلك هو حرص إنجلترا على المكاسب التي نالتها في الكويت على حساب العثمانيين وعدم تعريض تلك المكاسب للأخطار. وكانت الدولة العثمانية قد أعلنت قبل ظهور هذه الحوادث أنها لن تسمح بالوجود الأنجليزي على أراضيها في نجد والكويت[٧٠٢].

استطاع عبد العزيز بن عبد الرحمن في بضعة أشهر أن يقوي نفوذه وذلك بسبب استفادته من الوهابية بشكل كبير، ولم يبق مع ابن الرشيد سوى قبائل شمر، وقبائل قحطان وحرب وظفير في نجد، لذا كثف من اتصالاته مع ولاية البصرة ليضمن دعم الدولة له من جانب، ويستلم الأسلحة والذخيرة التي أرسلها جاسم الثاني من قطر إلى نواحي الأحساء من جانب آخر[٧٠٣] إلا أنه لم ينل شيئا من الدولة بسبب رغبتها في المحافظة على هدوء المنطقة. وشجع هذا الموقف عبد العزيز بن عبد الرحمن في حركته. ولم يقف ابن الرشيد من جانبه مكتوف الأيدي فقد استولى على بريدة في القصيم التي كان عبد العزيز قد استولى عليها من قبل، كما قام بإرسال جزء من قواته إلى الرياض، بيد أن هذه القوات لم تحقق نجاحا يذكر بسبب الاستحكامات القوية في الرياض مما اضطرها إلى العودة. وفي هذه الأثناء طلب ابن الرشيد المساعدة من "المابين الهمايوني"، وفي أغسطس أرسل ابن

---

(٧٠١) لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٧١٧؛ *Memorial* ، ص. ١٩٤-١٩٥.

(٧٠٢) يقول السلطان عبد الحميد الثاني في إرادته السلطانية الخاصة التي بعثها إلى الصدارة العظمى بتاريخ ٢٦ مارس عام ١٩٠٢ مايلي: " بالرغم من كون الكويت ونجد جزءا من الممالك السلطانية فإن السفير البريطاني يتردد على نظارة الخارجية الجليلة بين الحين والأخر ليخوض في موضوع تلك المناطق والإجراءات والتدابير التي نتخذها هناك، وتقوم كذلك السفن الحربية البريطانية ببعض التحركات قبالة سواحل نجد، وذلك من شأنه أن يزعج أمن الأهالي، كما ان هذه التحركات امتدت إلى سواحل اليمن. ومثل هذه التصرفات تمثل تعديا سافرا على حقوق دولتنا وممتلكاتها وهو أمر لا يجوز السكوت عنه، بل ينبغي اتخاذ ما يلزم حياله... لذلك وجب لفت نظر الحكومة البريطانية لكي تتجنب تكرار مثل هذه التصرفات المنافية لحقوق الدولة العلية ومصالحها والحد من تمادي البريطانيين في هذا الاتجاه...".

(٧٠٣) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 231/120).

الرشيد وكيله ناصر الهشمان حاملا عريضة إلى المابين، واستعمل فيها بعض العبارات حتى يكسب جانب المابين: " بسبب نجاح الإمام الوهابي ابن سعود في السيطرة على الرياض بدعم من العصاة تم بذل الكثير من الأموال والأفراد للحيلولة دون تغلغل النفوذ الأجنبي في تلك المنطقة منذ ما يقرب العام. ومع أنني لم أقصر في خدمتي لمولاي السلطان إلا أنني لم أنجح في استرداد الرياض لعدم امتلاكي للمدافع اللازمة. وتعتبر هذه المدينة بمثابة (دار الندوة) للوهابيين فإذا كان إقرار الأمن في نجد مما تطلبه الذات الشاهانية فالرجاء منحي عدداً من المدافع"(٧٠٤).

تأثر السلطان عبد الحميد الثاني بهذه العريضة، لذا طلب إرسال مدفعين وخمسة صناديق تحتوي على بنادق الموزر وكمية كافية من الذخيرة إلى ابن الرشيد. وفي هذا الخصوص ذكر البيكباشي حسين حسني الذي كان في خضم الأحداث في البصرة أن إرسال مدفع إلى شيخ بدوي فيه شيء من المخاطرة، غير أنه تم إرسال المدافع- من غير خوابير- ومعها مجموعة من الهدايا سلمت إلى رجل ابن الرشيد في السماوة تنفيذا لتوجيهات السلطان.

قابل ابن رشيد وصول الهدايا إلى عاصمته حائل بفرح غامر، غير أن هذا الفرح سرعان ما انقلب إلى حزن وإحباط عندما علم أن المدافع أرسلت بدون خوابير(٧٠٥)وبدافع من الغيظ الذي ملأه عندما لم ينل مبتغاه حاول في أول شهر نوفمبر غزو أطراف الخرج التي كانت قد تحالفت مع عبد العزيز بن عبد الرحمن، ودار صدام شديد بين الطرفين. وانتهت هذه المواجهة العنيفة بانتصار عبد العزيز بن عبد الرحمن على ابن الرشيد وفراره إلى نواحي السدير(٧٠٦) وبعد هذه الهزيمة

---

(٧٠٤) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ١٦٢ .

(٧٠٥) *المصدر السابق*، ١٦٢- ٦٣ .

(٧٠٦) لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٧٠١؛ الريحاني، *المصدر السابق*، ص. ١٣٠- ١٣٢؛ فيلبي، *المصدر السابق*، ص. ١٧٤ .

التي تلقاها ابن الرشيد أمام عبد العزيز انسحب هذه المرة إلى نواحي الحفر وبدأ في نهب القبائل التابعة لشيخ الكويت[٧٠٧] فقامت إنجلترا بإرسال سفينة حربية إلى الكويت لخوفها بأن نشاطات ابن رشيد سوف تهدد البلد، كما تدخل الباب العالي من جانبه في القضية، وطلب من ابن رشيد ترك الحفر. وقامت نظارة الخارجية بعرض المسألة على المابين وذكرت أن تجدد الحرب بين مبارك وابن الرشيد يتيح الفرصة للإنجليز للتدخل في المنطقة، ويعطيهم التفوق في أنحاء نجد والكويت، وسوف ينتج هذا الوضع انعكاسات سلبية على الحجاز. وكان السلطان عبد الحميد الثاني حريصا على ألا تكون نشاطات ابن الرشيد سببا في إحياء الصراع العثماني الإنجليزي[٧٠٨] في الكويت، فقام بتنبيه الباب العالي بذلك. كما أن مصطفى نوري باشا والي البصرة طلب من الباب العالي إرسال البيكباشي حسين حسني في أوائل عام ١٩٠٣ إلى ابن الرشيد لحثه على ترك الحفر، ووافق ابن رشيد على هذا الطلب وقرر أن يتجه إلى أنحاء الرياض من جديد[٧٠٩]

كان التوازن هو السمة الأساسية بين الطرفين المتصارعين حتى هذا التاريخ، إلا أن الأحداث الأخيرة أخلت بهذا التوازن، وكانت سببا في إثارة الفوضى وعدم الطمأنينة في نواحي نجد. وفي الوقت الذي كانت فيه الدولة العثمانية تبحث عن إمكانية توطيد السلم في المناطق الداخلية، كانت في الوقت نفسه تعمل على إيقاف عملية تهريب الأسلحة التي ازدادت في سواحل نجد[٧١٠] ومقابل ذلك سعت القوى الأجنبية إلى زيادة نفوذها، فقد التقى الروس مثلاً مع عبد العزيز بن عبد الرحمن في الكويت عام ١٩٠٣، وعرضوا عليه المساعدة بالمال والسلاح[٧١١].

---

(٧٠٧) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 237/109).

(٧٠٨) الارشيف العثماني، (*DUİT* 69/2- 25)؛ Küçük، *المصدر السابق*، ص. ٤٢.

(٧٠٩) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ١٦٣-١٦٤.

(٧١٠) الأرشيف العثماني، (*MV* 105, p. 65).

(٧١١) لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٧٠٢.

والأمر الغريب أن أتباع الحركة المتنامية في مصر في السنوات الأخيرة ضد الخلافة العثمانية حاولوا الاستفادة من هذا الوضع فبدأوا بدورهم في التحرك. وفي عريضة أرسلها أحمد مختار باشا[٧١٢] المفوض فوق العادة بمصر بتاريخ ٢٣ مارس ١٩٠٣ إلى المابين ذكر فيها بعض الملاحظات التي لفتت انتباهه فقال: إن الأمراء والشيوخ العرب يقومون من وقت لآخر بإرسال الرجال من مصر إلى أنحاء اليمن والحجاز ونجد لإثارة تلك المناطق ضد الدولة العثمانية. وهذه المرة قام الكواكبي الذي فر قبل عدة سنوات من حلب واستقر في مصر بتحريض من بعض الأطراف بطباعة كتابه "أم القرى" وكذلك طباعة الذيل الذي أضافه للكتاب باسم "طبائع الاستبداد"[٧١٣]. وسوف يقوم بعض طلاب الأزهر الذين يستقرون مع أحد أهل نجد ويسمى عبد الله المغيرة بحمل بضعة مئات من نسخ هذه الطبعة الجديدة ليتم توزيعها في تلك النواحي، وهذه المجموعة سوف تتصل بمحمد بن عبد

---

(٧١٢) للاطلاع على التعريف بأحمد مختار باشا وعمله كمفوض في مصر أنظر:
Rifat Uçarol, *Bir Osmanlı Paşası ve Dönemi-Gazi Ahmed Muhtar Paşa*, İstanbul 1978.

(٧١٣) عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩-١٩٠٣)، أصله كردي وينحدر من عائلة في حلب. تعلم في المدرسة القديمة في حلب، ودرس اللغة التركية أيضا. وإثر ذلك عمل الكواكبي موظفا ثم صحفيا، وكان يحمل أفكارا قومية وكان له دور ناشط ضمن المثقفين السوريين في اللجنة القومية العربية، ولذلك تمت ملاحقته من قبل الحكومة. وبعد الإحتلال الأنجليزي عام ١٨٩٨ فر إلى مصر (الحوراني، *المصدر السابق*، ص. ٢٧١) ، ويلاحظ أنه تأثر كثيرا في مؤلفيه " أم القرى" و " طبائع الاستبداد" بالأفكار الغربية. (Saab *المصدر السابق*، ص. ٢٠٢)، وكان أول من دافع عن فكرة فصل الدين عن السياسة في العالم العربي، وفي كتابه الثاني بشكل خاص، وأثناء حديثه عن ضرورة تأسيس الخلافة العربية أكد أنه لايمكن إنقاذ الإسلام والمسلمين إلا بفضل العرب، ولذلك فحسب رأيه كانت الجزيرة العربية تمثل قلب الأمة، كما أن اللغة العربية كانت تمثل لغة الإسلام. وإضافة إلى كل هذا فقد كان الإسلام في جزيرة العرب بعيدا عن دنس الحضارة العصرية مما جعله يحافظ على صفائه ونقائه، كما أن العرب البدو لم يقفوا موقفا سلبيا تجاه الاستبداد الذي كان يهدد حريتهم. ولهذا السبب ينبغي نقل مركز المقاومة إلى الجزيرة العربية، وإختيار خليفة من نسل قريش من قبل الأمة. (الحوراني، *المصدر السابق*، ص. ٢٧٢-٢٧٣). وحسب ما هو معروف فإن الأنجليز والخديوي كانا يشجعان هذه الأفكار. للاطلاع على أفكار الكواكبي حول تفوق العرب أنظر: عبد الرحمن الكواكبي، *أم القرى*، القاهرة ١٩٣١ (الطبعة الثانية) ص. ١٩٣-١٩٧؛ Sylvia G. Haim, *Arab Nationalism: An Anthology*, London 1967, p.78-80.
وللاطلاع على تقييم جديد لأفكار الكواكبي ومؤلفاته أنظر: حميد عنايت، *Arab Siyasi Düşüncesinin Seyri*، (ترجمة : حجابي كرلانقيتش)، استانبول ١٩٩١، ص. ١٨١-١٩٩.

الوهاب شيخ الدارين، كما أنها سوف تقوم بنشاطات في الأحساء والقطيف[٧١٤] وهذه التحركات لم تعرف نتائجها، وأغلب الظن أنه تم تنظيمها بالإتفاق بين الإنجليز والخديوي. ومما يقوي هذا الإحتمال في خطاب أحمد مختار باشا هو أن شيخ الدارين جاء قبل شهرين إلى السويس والتقى بالخديوي ثم اتجه بعد ذلك إلى الحج. ومن جانب آخر فإن شيخ الدارين الذي كان يميل إلى الحكومة أصبح يتصرف وفق أهوائه السياسية ومصالحه الشخصية، كما أن الشخص نفسه قدم معلومات مهمة في سبتمبر عام ١٩٠٣ إلى متصرفية نجد حول العلاقات بين سعود والإنجليز.إذ قال: وصلت هيئة إنجليزية مصحوبة بضابط ومدفعيان ومترجم مصري إلى البحرين عند موظف سياسي أنجليزي، وكانت في طريقها إلى الرياض. وحسب ما ذكره شيخ الدارين فإن هذه اللجنة أحضرت مدفعين بعجلات وحمولة مائتي جمل قذائف ومجموعة من البنادق من صنف مارتيني مزودة بذخائرها، وهي تنوي تقديم هذه المعدات هدية إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن (ابن سعود). وعندما وصلت هذه الأخبار إلى متصرف نجد اتخذ التدابير اللازمة لمصادرة هذه الأسلحة لاحتمال دخولها نجد عن طريق التهريب، كما قام المتصرف نفسه بجلب اثنين من رجال ابن سعود إلى الحكومة واستجوبهما، حيث كان هناك احتمال كبير بمجيء هذين الرجلين إلى الحفوف ومعهما سبعون جملا عليها معداتهما. وقد ذكرا في الاستجواب أنهما جاءا إلى هنا من أجل شراء بعض المواد من البحرين، فقام متصرف نجد بإطلاق سراحهما دون أن يشير إلى ماقام به من إجراءات بشأن الأسلحة، وخاطب بعد ذلك ولاية البصرة بتاريخ ١٢ سبتمبر مستفسرا عما ينبغي عليه فعله عند أسره للضباط الإنجليز في حالة مصادرته لأسلحتهم[٧١٥].

---

(٧١٤) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 241/152).

(٧١٥) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 241/152)

وفي الوقت الذي كانت فيه هذه الأحداث تطفو على السطح كان الصراع يحتد بوتيرة أسرع بين أتباع ابن الرشيد وابن سعود. وعندما شارف العام ١٩٠٣ على نهايته كان ابن رشيد قد فقد حكمه في نجد، لذا قام في بدايات عام ١٩٠٤ بجمع بعض القبائل في منطقة قُفَيْر من أجل كسب تأييد قبائل شمّر[٧١٦] وبعد ذلك قام بالإغارة على قبائل الزياد المشهورة بمواشيها الكثيرة. وكما هو معلوم فإن أهم الطرق لكسب البدو هو الإغارة ومنحهم الكثير من الغنائم، ولهذا فطن ابن الرشيد لهذا الأمر ومنح قبائل شمّر مغانم كثيرة. وكان هدفه من ذلك أن يستفيد من هذا الوضع ويقوي نفوذه أمام ابن سعود، إلا أن تشتت البدو الذين حصلوا على هذه الغنائم هنا وهناك قتل هذا الأمل عند ابن الرشيد، ولهذا السبب طلب المساعدة مرة أخرى من المابين الهمايوني مستعينا في ذلك بشريف مكة المكرمة ومحافظ المدينة، فأرسل كل من الشريف عون الرفيق والمحافظ عثمان نوري باشا برقيات إلى استانبول جاء فيها أن استيلاء الوهابيين على منطقة القصيم يحمل في طياته مخاطر جمة على الحرمين الشريفين، فأزعج هذا الوضع المابين[٧١٧]. أما ابن سعود فبعد أن استولى على القصيم أعلن نفسه أميرا عليها، وصار يرسل الرسائل إلى الحكومات المحلية بتوقيع أمير نجد. وعندما وصلت هذه الأنباء إلى استانبول انزعج السلطان عبد الحميد الثاني كثيرا، وأمر على الفور باتخاذ التدابير اللازمة حتى لا تظهر مشكلة أخرى من قبل الوهابية[٧١٨].

بعد وصول هذه الأخبار إلى استانبول قرر المابين الهمايوني أولا إرسال السلاح إلى ابن الرشيد، ثم بعد ذلك إرسال قوة عسكرية من بغداد إلى المنطقة، كما قرر إرسال قوات إلى ابن رشيد من بغداد عن طريق النجف – السماوة مزودة

---

(٧١٦) الأرشيف العثماني، *إرادة خصوصية* (1321 L 19/62)

(٧١٧) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ١٦٩– ١٧٠.

(٧١٨) الأرشيف العثماني، *إرادة خصوصية* (1322 S 2/7, 1322 S 4/9) ؛ *BEO Vilayet Gelen- Giden* II 264, p. 139-140

بمدفعين وألف بندقية من نوع قباقلي و ٨٠٠ بندقية من نوع مارتيني مع ذخيرتها وذلك بهدف تأديب ابن سعود قبل وصول القوات الرئيسية، ثم صدر قرار في هذا الأمر بتاريخ ٢٤ أبريل عام ١٩٠٤[٧١٩]. كما أعطيت التعليمات لأحمد فيضي باشا مشير الجيش السادس في بغداد لإكمال الاستعدادات من أجل التحرك العسكري.

٢- حركات القصيم العسكرية والتداعيات التي أعقبتها

أكمل الجيش السادس المكلف بتوفير الأمن في نواحي نجد استعداداته في وقت قصير، وبدأ في جمع القوات المرسلة في السماوة. وما يفهم من البرقيات الواردة من الجيش السادس إلى القيادة العسكرية في بداية مايو أنه وصل إلى السماوة الطابور الثاني من الألاي الثاني والأربعين والطابور الرابع من الألاي الحادي والأربعين والطابوران الأول والرابع من الألاي الرابع والأربعين، وقد كانت في طريقها إلى القصيم. وكان على رأس هذه القوة الميرالاي حسن شكري بك. وحتى يتم تجهيز هذه الطوابير تجهيزا كاملا فقد قامت مشيرية الجيش السادس في هذه الأثناء بتوفير ٦٠٠ نفر من الاحتياط ومدفعين جبليين ومدفعين صحراويين وهي تشكل وحدة المدفعية، وهناك أيضا مدفعان جبليان يتم إرسالهما إلى ابن الرشيد هدية، وفي ٢٩ أبريل تم إرسالها من بغداد إلى السماوة[٧٢٠] بيد أنه في اليوم نفسه وصل تلغراف إلى القيادة العسكرية الجيش السادس يبين أنه ليس هناك أموال كافية للنفقات الضرورية واللازمة للطوابير الأربعة التي تضم ٢٥٥٠ نفرا والتي تم تقرير إرسالها إلى نجد. وحسب ماورد عن المشيرية فإنه عند بداية هذه التحركات يتعين دفع راتب لكل فرد ومقابل مخصصات أربعة أشهر وهي تبلغ جميعها ٤٥٠٠٠٠ غروش ، ويتعين كذلك توفير ٢٠٠٠٠٠ غروش لنقل المعدات إلى ابن رشيد، وبالتالي ينبغي توفير ٦٥٠٠٠٠ غروش بشكل عاجل. غير أن المشيرية

---

(٧١٩) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 259/36).

(٧٢٠) الأرشيف العثماني، (*Y MTV* 259/ 127) ؛ حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ١٧٧.

أوضحت أنه لا يمكن توفير هذه المبالغ من ولايات البصرة والموصل وبغداد، واقترحت أخذ مقدم من فرع البنك العثماني في بغداد[٧٢١].

ومن جانب آخر فإن ابن الرشيد على الرغم من إعلانه المابين قبل ذلك أنه سوف يعد ستة آلاف جمل حتى يجري بسهولة إرسال القوة المذكورة من السماوة فإن ابن الرشيد لم يتمكن سوى من توفير ١٨٠٠ جمل أخذها عنوة من تجار القصيم، ثم أرسلها إلى السماوة. ورغم أن هذه الظروف السلبية كانت كافية لإلغاء هذه الحملة فإن الكوليرا التي ظهرت بين العساكر لم تسمح لهم بالانتظار، وجاءهم الأمر بالتقدم من السماوة إلى الأمام. وفي ٩ مايو عام ١٩٠٤ تحرك قسم مهم من هذه القوات وقضى رحلة شاقة دامت ثلاثة أيام وصلت بعدها إلى "أبو حذيفة" وأنشأت مقرا عسكريا فيها. أما بقية القوات فقد قدمت من طريق "العمودة" وأنهت استعدادها العسكري في ١٣ مايو. ووفقا لما قدمه البيكباشي حسين حسني قائد الطابور الثاني في الألاي الثاني والأربعين، فقد اجتمعت هذه القوات في منطقة "أبو حذيفة" في عام ١٩٠٤ ، وكانت تتكون من ٤٠٠ صندوق من الذخيرة من نوع مارتيني و٥٠٠ قذيفة مدفعية ومؤونة تكفي لستة أشهر و٦٧ دابة[٧٢٢]، وأطلق على هذه القوات " قوات القصيم السيارة" ، وكان ابن رشيد قد تعهد بنقل هذه القوات وإنشاء الطرق التي تساعد على التنقل وإيصال البريد كل أسبوع إلى النجف والسماوة، غير أنه مع ذلك لم يستطع أن يوفر أهم الاحتياجات والمتمثلة أساسا في الجمال اللازمة في النقل. وفي ٢٤ مايو تحرك قسم من القوات (الطابور الثاني من الآلاي ٤٢، والطابور الرابع من الآلاي ٤٤) التي كانت قد تمركزت لمدة ١٥ يوما في أبو حذيفة[٧٢٣]. وبعد رحلة طويلة ومضنية وصلت هذه القوات إلى "لينا" من طريق حائل في ٦ يونيو، أما القوات

---

(٧٢١) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 259/128)

(٧٢٢) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ١٧٩.

(٧٢٣) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 260/1).

الأخرى فقد أقامت مقرا عسكريا في أبو حذيفة وكانت تنتظر التحرك من هناك في ٢٠ مايو. وقد عكست حركة الجيش إلى حد الآن النقص والخلل الذي كان يعاني منهما. وكما ذكر من قبل فإن الجيش بدأ في التحرك قبل أن يكمل الاستعدادات، حتى إن بعض الجند كان يلبس الملابس الصيفية في حين يرتدي البعض الآخر الملابس الشتوية، كما لم تكن توجد ملابس إضافية، ولم تكن التجهيزات الطبية كافية. وأما الشوالات التي كانت تستعمل لنقل المؤونة فقد كانت في حالة مزرية بحيث لم تتحمل طول السفر ففقد الكثير من هذه المؤونة في الطريق. وحتى القرب وحاويات الماء اللازمة في الصحراء نقص شديد.

أما القوات المتبقية فقد وصلت أخيرا برفقة ابن الرشيد في ٩ يونيو إلى المقر العسكري. وهذه القوات المتوحدة تحركت في ١١ يونيو بعد أن كانت قد عسكرت حول آبار مختلفة. وفي ٢٠ يونيو وصلت إلى منطقة الكسيبة في الشمال الغربي من القصيم وأقامت هناك مقرا عسكريا. وهذه الرحلة التي استغرقت حوالي شهرا ونصفا واجهت صعوبات جمة (مات ثلاثون ضابطا وثمانية وثلاثون شخصا بسبب الكوليرا وأسباب أخرى مختلفة). وبعد أن توحد جيش ابن رشيد مع هذه القوات في ٩ يونيو حدثت بينهما اختلافات كثيرة. فابن رشيد سقط من أعين أكثر الضباط بسبب عدم قدرته على الإيفاء بالالتزامات التي قطعها على نفسه في موضوع نقل العساكر، ثم إنه عمق من حدة المشاكل عند تدخله في موضوع إدارة الجيش وتجهيزاته. وإضافة إلى هذا فقد ازدادت الخلافات بين ابن رشيد وبقية القواد الآخرين بسبب النقص في المؤونة. وفي تلك الأثناء بدأ البدو من عشائر شمّر في التوافد على معسكر الجيش إبتداء من ٢٦ يونيو، وهذا ما كان سببا في وقوع أحداث فوضى. فمن ناحية كان هناك جيش منظم ومن ناحية ثانية كان هناك

البدو وأكثرهم من الفتيان الذين جاءوا للاشتراك في المعارك بهدف كسب الغنائم. وعندما أراد ابن رشيد تنظيمهم في وحدات مختلفة لم يقدر على ذلك(٧٢٤).

عندما عرف قواد الجيش أن المؤن الغذائية لا يمكن توفيرها من العراق ونجد أضطروا إلى طلب العون من محافظة المدينة. وانتقل الموضوع إلى المابين فأخطر السلطان عبد الحميد الثاني الجيش السادس وأمر بتوفير هذه المؤن على وجه السرعة من بغداد. وجاء في الرد الذي صدر عن بغداد في ١٠ يوليو أنه بسبب الحرارة الشديدة فإن طريق النجف- السماوة- حائل مغلق وغير آمن، ولذلك يتعذر إرسال المؤن. وأضافت مشيرية الجيش أنه إذا ما أرسل ابن رشيد قسما من الجمال التي تعهد بإرسالها فإنه يمكن جلب مؤن تكفي لشهرين، غير أن ابن الرشيد تعلل بأن الجمال ضعيفة وأن العشائر غير موجودة في أنحاء العراق في هذا الموسم، وتهرب بذلك من أداء المهمة. وبينت مشيرية الجيش السادس أنه لهذا السبب فإن أسلم طريق لإرسال هذه المؤن هو إرسالها من المدينة، غير أنه بعد النظر والتحقيق تبين أن هذه المؤن لا تكفي سوى لمدة تتراوح بين عشرة أيام واثني عشر يوما(٧٢٥). ولهذا السبب أمر السلطان عبد الحميد الثاني في ١٢ يوليو بإضافة مخصصات عساكر القصيم إلى مخصصات عساكر المدينة وإرسالها من تلك الناحية(٧٢٦). ومن جانب آخر وصلت القوات التي انطلقت من القصيبة في ٢٨ يونيو إلى القرب من منطقة البكيرية، وأقامت هناك معسكرا للجيش، وبدأت في الاستعدادات لأي مواجهة.

وعندما بلغ خبر تحرك القوات إلى القصيم عبد الرحمن بن فيصل قام بإرسال برقيات من دار التلغراف في الفاو إلى ولاية البصرة والمابين. وبعد أن أوضح في

---

(٧٢٤) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ١٧٩- ١٩٤ .

(٧٢٥) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 261/ 152).

(٧٢٦) الأرشيف العثماني، *إرادة خصوصية* (1322 R 28/133).

هذه البرقيات أنه رغم الظلم الذي لحق بعائلة ابن سعود وجميع أهالي نجد من ابن رشيد إلا أنه لم يحظ بدعم الحكومة له، وإنهم جميعا مستعدون لأي أمر، وأن الأهالي عقدوا العزم على مقاومة ابن الرشيد. وطالب ابن سعود كذلك بعدم ترك ابن رشيد مسلطا على الأهالي بعد أن فقد أهميته في نجد[٧٢٧] ويبدو أن أحداً لم يعر اهتماماً لهذا الخبر الذي وصل إلى المابين في ٢ يونية. وربما لو تم أخذ هذه البرقيات بعين الإعتبار لما حدثت المواجهة بين الطرفين في أواسط يوليو، إلا أن هذا لم يحدث، لذا تحرك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل برفقة أربعة إلى خمسة آلاف من رجاله من الرياض لمواجهة القوات القادمة. وقام في ١٣- ١٤ يوليو بنصب خيامه على التلال الرملية الموجودة في البكيرية. وفي صبيحة يوم ١٥ يوليو بدأت المعارك الفعلية. وإن كان ابن الرشيد والقوات التي معه قد حققا نجاحا معتبرا في بداية المعركة إلا أن الوضع لم يستمر على هذا المنوال، حيث استطاع ابن سعود أن يحقق الانتصار عليهم ويجبرهم على التقهقر والانسحاب إلى الوراء. وقد قتل في هذه المعركة الميرالاي حسن شكري قائد القوات ومعه ١٣ ضابطا و١٦٦ فردا، كما جرح ٨٧ نفرا، وتم أسر ضابطين و٥٠ شخصا في البكيرية والاستيلاء على الكثير من الأسلحة والذخيرة والمدافع[٧٢٨]. وقد تم استعادة قسم مهم من الأسلحة بعد يوم واحد إلا أن هذا لم يغير في الأمر شيئا، وأعطى فقط الجند دفعة معنوية عالية. وبلاشك فإن السبب المهم في هذه الهزيمة يرجع إلى عدم تأقلم الجند مع ظروف الصحراء وتعرضهم للإرهاق بالإضافة إلى المضايقات التي سببها البدو التابعون لابن الرشيد وعدم انسجامهم مع الجند النظامية وتركهم لجبهة القتال بسهولة.

---

(٧٢٧) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 260/117).

(٧٢٨) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 262/135, 263/133, 265/45) ؛ حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ٢٠٤ -٢٠٥.

إثر موت القائد في المعركة تم تعيين صاحب أكبر رتبة عسكرية، وهو البيكباشي حسين حسني قائد الطابور الثاني في الألاي الحادي والأربعين قائدا عاما للجيش[٧٢٩]. وبعد أن قام حسين حسني ببعض الإجراءات العسكرية زحف بجيشه في ٢٢ يوليو إلى منطقة هبرة. وبقيت الوحدات العسكرية في هذا الموقع أسبوعا، وفي هذه الأثناء أمر ابن الرشيد بالذهاب إلى شنانه بدلا عن بريدة التي رغب في الإتجاه إليها. وفي أواسط أغسطس قام بإنشاء مقر للجيش فيها. وكان القصد من ذلك انتظار الدعم العسكري القادم من المدينة. وبينما كانت المراسلات تدور في هذا الأمر، أرسلت وحدات من الجيش هنا وهناك فتم بفضلها كسب تأييد بعض الجماعات الصغيرة المستقرة. ومقابل ذلك أدى استيلاء ابن سعود على المراعي وبساتين النخيل إلى نفاد جمال محاربيه وبغالهم ، كما قامت عشيرة مطير بتشجيع من ابن سعود ومبارك الصباح باحتلال مقر البريد الذي يوجد في طريق النجف – السماوة[٧٣٠].

وبعبارة أخرى فإن الجند الذين أرسلوا إلى المنطقة من أجل حفظ الأمن كانوا في حالة يرثي لها داخل الصحراء. وذكر أحمد فيضي باشا مشير الجيش السادس في تلغراف بتاريخ ٢٥ أغسطس إلى القيادة العسكرية أن سبب اخفاق العساكر يعود إلى عصيان العربان الموجودين في المنطقة، وعدم حصولهم على أسلحة جيدة ودواب يستغلونها في حركتهم. كما أن هؤلاء العصاة كانوا يملكون بنادق جديدة من نوع مارتيني والموزر. واقترح إسعاف الوضع بسرعة وذلك بشراء ٢٠٠ فرس و٢٠٠ بغل وإرسالها إلى المنطقة، واستبدال بنادق مارتيني الموجودة مع العساكر النظامية بأخرى من نوع الموزر، وإعطاء بنادق مارتيني إلى الجند الرديف[٧٣١]. وبعد أن مكثت القوات واحداً وخمسين يوماً شبه محصورة في شنانه أصدر حسين حسني الأوامر بالانسحاب إلى الخلف، وفي ٢٤ سبتمبر بدأت في التراجع بعد أن قامت في

---

(٧٢٩) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 265/45) ؛ حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ٢٠٤.

(٧٣٠) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 263/3, 269/3) ؛ *إراده خصوصيه* (24 CA 1322/79).

(٧٣١) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 263/185)

منطقة الرسي بمناورة خادعة[٧٣٢]. وأثناء الانسحاب قام ابن الرشيد ورجاله بهجوم لا ضرورة له على موقع بالقرب من قصر عقيل مما عرضهم لهجوم جديد من ابن سعود، وكانت النتيجة هي الهزيمة مرة أخرى، وفقدان الكثير من الأسلحة والمهمات والخيم والمؤن، ومقتل عدد كبير من الجند[٧٣٣].

وعقب هزيمة قصر عقيل أسند الباب العالي في اكتوبر ١٩٠٤ للمشير أحمد فيضي باشا مهمة إصلاحات القصيم، وبجانب ذلك بدأت الاستعدادات في بغداد من أجل إرسال ألايين من عساكر المشاة وألاي من عساكر الفرسان وبطارية مدفعية إلى المنطقة. كما قرر أيضا إرسال القوات الاحتياطية الموجودة في المدينة بقيادة صدقي باشا إلى نجد، وبذلك يكون التحرك العسكري قد دخل مرحلته الثانية[٧٣٤]. وزيد مرتب أحمد فيضي باشا إلى ١٠٠٠٠ غروش، وذلك لمواجهة استعدادات الطريق والاحتياجات المطلوبة، كما تم تخصيص ٥٠٠٠ غروش شهريا من أجل إكرام الشيوخ الذين سوف يأتون معه[٧٣٥].

وتم جمع القوات المرسلة من الجيش السادس في النجف، وفي الوقت الذي كانت فيه الاستعدادات تجرى من أجل سد النقص الموجود فيها، أرسل عبد الرحمن بن فيصل برقية إلى أحمد فيضي باشا أعلن فيه طاعته للدولة واستعداده لتنفيذ الأوامر الصادرة إليه[٧٣٦]. وقام الباشا على الفور بإبلاغ الباب العالي بالموضوع وأكد أنه بصرف النظر عن هذه الحملة يستطيع أن يذهب إلى القصيم ويحل المشاكل الواقعة بين شيوخ نجد، ويمكنه كذلك تخليص الجيش من نفقات غير ضرورية وذلك بسحبه إلى الخلف.

---

(٧٣٢) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ٢١١ .

(٧٣٣) *المصدر السابق*، ص. ٢١٢-٢١٥ .

(٧٣٤) الأرشيف العثماني، *إرادة خصوصية* (1322 S 17/41, 46)

(٧٣٥) الأرشيف العثماني، *إرادة خصوصية* (10 Z 1322/31)

(٧٣٦) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ٢٢٣.

وبعد أن درست الصدارة الموضوع طلبت من ولاية البصرة التحقق من الأمر، وذلك عن طريق مبارك الصباح شيخ الكويت الذي تربطه علاقات جيدة مع ابن سعود. وفي ٢١ ديسمبر قام والي البصرة بإرسال خطاب إلى مبارك يستفسر فيه عن الموضوع، كما أرسل خطابا إلى عبد الرحمن بن فيصل بواسطة مبارك. وفي الجواب الذي أرسله مبارك إلى والي البصرة بتاريخ ٢٥ ديسمبر، وبعد أن ذكر له أن خطابه إلى عبد الرحمن سوف يرسل إليه على وجه السرعة، كشف أن من مظاهر الولاء التي تربط عبد الرحمن بالدولة هو قبوله لهذه الدعوة، واستعداده لقبول جميع المقترحات التي وصلته بشأن منطقة نجد. وأضاف مبارك أنه في تلك الأثناء كان عبد الرحمن يوجد على مسافة خمسة عشرة يوما من الكويت، وأنه مستعد للقائه إذا ما طلب منه ذلك، غير أن مكان ذلك وزمانه يمكن أن يتم تحديدهما في ما بعد[٧٣٧]. إلا أن تصريحات مبارك هذه لم تكن تمثل ضمانا كافيا، وحسب ما يفهم فإن مبارك توقع هذا الأمر لمعرفته القريبة لعبد الرحمن. وربما كانت رغبته عن طريق حله لهذه المشاكل إذابة الجليد في علاقته الفاترة مع الدولة في تلك الفترة. ومن جانب آخر فقد كان هناك اختلافا في الرأي بين الأب وابنه. وإذا كان عبد الرحمن، نظريا، هو أمير عائلة سعود وأمير الوهابيين فإن الإدارة الفعلية كانت بيد عبد العزيز. ولهذا السبب فإن إعطاء قرار من قبل مبارك في هذا الموضوع أمر في غاية الصعوبة. ذلك أن التلغراف المشفر الذي صدر في ٢٦ ديسمبر عام ١٩٠٤ من الصدارة إلى ولايتي بغداد والبصرة بيّن أن هدف الدولة من إرسال العساكر إلى القصيم هو وضع حد للاضطرابات الواقعة في المنطقة ودعوة المتمردين إلى طاعة الدولة والولاء لها. وفي التلغراف نفسه هناك دعوة إلى عدم استعمال القوة مع الذين يلبون هذه الدعوة، وتم إصدار الأمر بأن يعامل عبد الرحمن بن فيصل على ضوء مدى صحة الأخبار التي يدلي بها وتمسكه بكلامه وعدم العدول عنه. أما إذا كان لا

---

(٧٣٧) الأرشيف العثماني، (*BEO* 185187) ، لف: ٢.

يوثق في كلامه فقد صدر الأمر إلى أحمد فيضي باشا بتطبيق الأوامر الضرورية التي صدرت عن الدولة في وقت سابق(٧٣٨).

وكما يلاحظ فإن الباب العالي لم يحسم الأمر في هذا الموضوع، وإنما ترك المسألة بيد الإداريين المحليين للبت فيها. غير أنه وبعد وقت قصير من هذه المراسلات صدر أمر من المابين الهمايوني بتجهيز حملة عسكرية عاجلة في ١١ يناير ١٩٠٥ وذلك لأسباب غير معروفة(٧٣٩). وفي ١٥ يناير أصدر السلطان عبد الحميد الثاني قرارا آخر بين فيه أنه ربما يكون لابن الرشيد تأثير في هذا الموضوع. وقد تم الحديث في القرار المذكور عن علاقة ابن الرشيد منذ القديم بمركز الخلافة وكذلك عن الجهود المالية والبدنية التي بذلها ابن رشيد أثناء الاضطرابات التي وقعت في أنحاء القصيم، وأنه طلب مساعدات من السلطان الذي كلف مجلس الوكلاء بالاجتماع ومناقشة الموضوع وإصدار قرار في هذا الشأن(٧٤٠). وفي الحقيقة فإن هذه المساعدة التي تم الحديث عنها تأتي في مقابل الأموال التي زعم ابن الرشيد أنه أعطاها العربان حتى لا يميلوا إلى الأجانب. وربما كانت هذه المعلومات التي وردت في مراسلاته هي السبب الذي دفع السلطان عبد الحميد الثاني إلى إصدار قراره في هذا الموضوع. وهكذا فلم يتمكن أحمد فيضي باشا، بسبب الأمر العاجل الذي صدر إليه، سوى من نقل نصف القوات، وذلك لعدم اكتمال مسائل النقل. وفي أواسط شهر يناير تحركت هذه القوات من النجف، وفي الوقت نفسه انطلق الفريق صدقي باشا من المدينة في نهاية فبراير. وفي أوائل مارس وصل أحمد فيضي باشا بالقرب من حائل، وأنشأ معسكرا في منطقة لينا(٧٤١).

---

(٧٣٨) الأرشيف العثماني، (BEO 185187) ، لف: ١.

(٧٣٩) الأرشيف العثماني، *إرادة* خصوصية (1322 ZA 5/12).

(٧٤٠) الأرشيف العثماني، *إرادة* خصوصية (1322 ZA 5/72).

(٧٤١) باب عالي حارجيه نظارتي، نجد *قطعه سي مسأله سي*، در سعادت ١٣٣٤، ص. ١٠ .

وفي هذه الأثناء كانت المراسلات مستمرة بين الباب العالي وولاية البصرة لدعوة ابن سعود لإعلان الولاء للدولة. وفي ٢ مارس ١٩٠٥ ورد تلغراف مشفر من ولاية البصرة جاء فيه ما يلي: لقد كان الجواب الذي رد به ابن سعود باعثاً على السعادة لدى الدولة، فقد أعلن أنه سوف يتحرك مستقبلا وفق أوامر السلطان، وأنه سوف يبدي قدرا كبيرا من الجدية[٧٤٢]. وفي ٦ مارس قدم إلى السلطان التلغراف المذكور لعبد الرحمن بن فيصل والخطاب الذي أرسله والي البصرة الذي يطلب فيه بأن يقوم أحمد فيضي باشا بإجراء إصلاحات سريعة في المنطقة ثم الانسحاب بعد ذلك. وبناء على هذا قام السلطان عبد الحميد الثاني بإرسال "إرادة خصوصية" إلى الصدارة، ومن بين المسائل التي أثارت انتباهه ما يلي:

"إن ابن سعود يريد تشكيل إدارة حكومية تابعة للسلطنة السنية في نواحي القصيم بالاستعانة بوالي البصرة، كما أنه يريد العمل على توفير العدالة في المنطقة، وتوثيق روابط الصداقة والولاء. وأهم التعليمات التي قدمت إلى المشير أحمد فيضي باشا الذي تم تكليفه من قبل السلطان هي على النحو التالي: إدارة منطقة القصيم بواسطة عساكر الدولة وموظفيها وتوفير النظام فيها، و بحث أسباب التوتر بين العشائر وكذلك أسباب الحوادث التي قادت إلى سفك دماء المسلمين. ومن بين هذه التعليمات المحافظة على أموال الناس وأرواحهم وأعراضهم وتقديم النصيحة عند الضرورة ومنع سفك الدماء. ولهذا السبب فإن انصياع ابن سعود وإعلانه الطاعة والولاء قد أدخل البهجة على السلطان"[٧٤٣].

وفي نفس الإرادة السلطانية طلب السلطان عبد الحميد الثاني من الباب العالي اتخاذ التدابير اللازمة وفقا للتطورات الأخيرة[٧٤٤]. وقد تبين أن عبد الرحمن بن

---

(٧٤٢) الأرشيف العثماني، (*BEO* 189112).

(٧٤٣) الأرشيف العثماني، *إرادة خصوصية* (1322 Z 30/93).

(٧٤٤) الأرشيف العثماني، (*BEO* 187362, 189111, 189112).

فيصل رأى أن مقدم أحمد فيضي باشا إلى نجد يحمل في طياته فوائد في ما يتعلق بطاعة الدولة، وهو الأمر نفسه الذي سبق وأن عبر عنه مبارك الصباح. فأصل مشكلة عائلة سعود لم تكن مع الدولة، وإنما مع ابن الرشيد الذي يقف خلفها. وحسب ما نفهم من عودتهم من منفاهم في الكويت إلى وطنهم القديم فإنهم يعبرون عن رغبتهم في إعلان الطاعة للدولة ورغبتهم في الاحساس بحمايتها لهم في مواجهة ابن الرشيد والشيوخ المحليين الآخرين، وكان ذلك منهم تصرفاً منطقياً وذكياً.

وأغلب الظن أن أحمد فيضي باشا لم يكن له علم بهذه التطورات الأخيرة فتحرك وفقا للتعليمات التي وصلت إليه، وانطلق في أواسط أبريل من لينا ووصل إلى أطراف القصيم. ولم يقابل بأي مقاومة تذكر في طريقه، كما أنه عرض مسألة طاعة الدولة على كثير من الشيوخ. وفي البداية قدم إلى الباشا صالح المهنا شيخ بريدة وأعلن طاعته للدولة، ثم رفع العلم العثماني على قلعة بريدة، وقرعت الخطبة على المنابر باسم السلطان، وأبقي على بلوكين عسكريين في هذا المكان. وإثر ذلك قدم شيخ عنيزة إلى العساكر، وأعلن طاعته، ثم جرى تركيز بلوك عسكري في هذه الناحية[٧٤٥].

وقد لخص أحمد فيضي باشا هذا الوضع في الرسالة التي أرسلها إلى ولاية البصرة بتاريخ ٢ مايو على النحو التالي:

"بعد الوصول إلى القصيم وفَد جميع أهاليها وعبد الرحمن بن فيصل مصحوباً بوجهاء مناطق الرياض إلى المعسكر، وأعلنوا طاعتهم للخليفة طالبين بذلك الحصول على الأمان. وقد تمت طمأنتهم ومعاملتهم معاملة جيدة، كما تم تركيز مُفرزتين عسكريتين في كل من عنيزة وبريدة وكذلك تعيين قائمقام وموظفين. وربطت كل من بلاد العارض والوشم والسدير وملحقاتها بالرياض باعتبارها

(٧٤٥) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ٢٤٢-٢٤٣.

مركزا، وعين عليها عبد الرحمن بن فيصل في وظيفة قائمقام. وردا على ذلك قدم الأخير جواب شكر مكتوب"[٧٤٦].

وهكذا عاد التوازن من جديد إلى دواخل نجد، وتم إقرار الوضع الفعلي القائم، وظهرت هناك رغبة في وضع حد للصراع القائم بين ابن رشيد وبقية الشيوخ. ومن أكبر الصعوبات التي واجهت هذه القوات بقيادة أحمد فيضي باشا وصدقي باشا هو النقص في المؤن الغذائية، حيث عانوا بصفة خاصة من هذا النقص إلى أن تم إخضاع منطقة القصيم. ورغم أن ابن الرشيد تعهد منذ البداية بنقل المؤن إلا أنه لم يفعل شيئا من ذلك، حتى أن المؤن المخصصة للعساكر التي تم إرسالها من المدينة عَرّضها للسرقة والنهب. وهذا النقص الفادح في الدعم المادي الذي تعرض له العسكر أثناء الحملة لا يليق بقادة عسكريين تابعين للدولة العثمانية. بيد أن الواضح أن المابين الهمايوني والقادة العسكريين قد وثقوا في قدرات ابن الرشيد القديمة في دواخل نجد وفي نفوذه بين العشائر فاعتقدوا أنه بالإمكان إرسال هذه المؤن من بغداد ونجد والمدينة[٧٤٧]. والواقع أن الدولة العثمانية في تلك الفترة كانت تعاني من مصاعب مالية جمة، وقد كان تمركزها جيشها هذه المناطق ينحصر أساسا في السواحل وأواسط المدن، ولذلك فلم يكن لديه وسائل للنقل مناسبة في المناطق الصحراوية. وكما هو معلوم فإن أفضل وسيلة نقل في الصحراء هي الجمال، ومثل هذه التحركات تستدعي في الأوقات العادية نفقات كبيرة ومصاعب كثيرة يتحملها الجنود من أجل العناية بالجمال. وبسبب ذلك ففي أكثر الأحيان يتم اللجوء إلى الشراء عند الضرورة، غير أنه ليس من السهل الحصول على المواصفات المطلوبة في الجمال في كل موسم، وهذه أيضا من المشاكل التي طالما صادفت الجند. ومن أجل تلافي هذه السلبيات كانت هناك محاولات من حين لآخر

---

(٧٤٦) الأرشيف العثماني، (*BEO* 193339, 193796, 198727).

(٧٤٧) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 272/132, 274/60).

لتشكيل وحدات راكبة للهجين والبغال، ولكن يبدو أنه لم يتم الحصول على النتائج المرجوة.

وبعد وصول أحمد فيضي باشا إلى القصيم عمل على شراء ما يمكن من المؤن من عنيزة ومن بريدة بالأموال التي كانت بحوزته. ولكن المؤن هنا لم تكن كافية ولذلك أرسل ٣٠٠ جمل إلى الحناكية لسد النقص الحاصل من هناك. ولأن الأموال المخصصة كانت على وشك النفاد فقد أضطر الباشا إلى الإستدانة والإنفاق من ماله الخاص حتى لا يترك الجيش بلا مؤونة[٧٤٨].

وبعد يومين من إعلان المشير أحمد فيضي باشا الاصلاحات التي قام بها في المنطقة كُلّف بإخماد التمرد الذي وقع في اليمن مستعينا بقواته[٧٤٩]. وإثر ذلك تسلم صدقي باشا قيادة القصيم وتوجه ومعه مائتا جندي نحو المدينة. وهذا الوضع أدى إلى نتائج سلبية على العساكر المتبقين، إذ كان بالإمكان توفير المؤن بواسطة أحمد باشا، حتى أنه بعد مغادرته اكتفى العساكر بما يقدمه لهم محمد الشبلي أحد تجار عنيزة الذي كانت تربطه بأحمد باشا علاقات وطيدة[٧٥٠].

وقد أولى السلطان عبد الحميد الثاني اهتماما كبيرا لهذه المسألة، وأرسل الباب العالي رسائل إلى كل من سوريا وبغداد والبصرة والمدينة لتوفير مستلزمات الجيش من المؤن والحاجيات الأخرى، غير أن هذه الجهود لم تسفر عن نتيجة، بل إن هذه الحوالات التي تم إرسالها لم تصل إلى أماكنها. وبعد مغادرة أحمد فيضي باشا للمنطقة بشهر، أرسلت القيادة العسكرية في ٦ يونيو عام ١٩٠٥ رسالة إلى الصدارة، وحسب ما يفهم منها فإن نصف الجيش الموجود في القصيم قد مات

---

(٧٤٨) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 274/10)

(٧٤٩) للاطلاع على التمردات التي حصلت في اليمن في تلك الفترة وعلى جهود أحمد فوزي باشا أنظر:
Sinan Kuneralp, " *Military Operations During 1904- 1905 Uprising in the Yemen*" *STAR* 1987/ 2, p. 63- 70.

(٧٥٠) الأرشيف العثماني، (*BEO* 193339) ؛ حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ٢٤٤.

جوعا بسبب عدم القدرة على توفير احتياجاته الضرورية[٧٥١]، أما ماتبقى من الجند فإن قسما منه قد تفرق شذر مذر. ولهذا السبب فإن دخول هذه المناطق في الطاعة وانضوائها ضمن تشكيلات الدولة لم يجعلها بمنأى عن نهب ابن الرشيد وهذا ما أثار ردود فعل وسط الأهالي. وعندما رأى أهالي القصيم وعنيزة أن العساكر الموجودين هناك غير قادرين على حماية حقوقهم من تجاوزات ابن الرشيد بدأوا فقدان الثقة في القوات العسكرية وقرروا حماية أنفسهم بأنفسهم، والعودة بشئونهم إلى ما كانوا عليه من قبل[٧٥٢]. وفي هذه الأثناء حاول صدقي باشا قائد الفرقة تهدئة الجانبين، ولكن ذلك أثار ردود فعل ضد ابن الرشيد وبدأ الأهالي في إرسال شكاوى بحقه إلى المابين الهمايوني[٧٥٣].

وقبل أن يستلم الباب العالي نتائج العمليات العسكرية السلبية قام بخطوة جديدة، إذ ربط منطقة القصيم بالبصرة وحوّلها إلى متصرفية، وعيّن عليها سامي باشا وهو أحد ألوية الأركان الحربية متصرفا وقائدا. وكان الهدف من هذا القرار الذي أتخذ في أواسط يوليو هو " منع ابن سعود وغيره من نشاطاتهم في منطقة الحجاز، وتوفير الأمن في القصيم ونواحيها، وتأسيس إدارة تابعة للدولة"[٧٥٤]. وفي ١٩ يوليو ناقش مجلس الوكلاء مسألة تعيين سامي باشا على متصرفية القصيم ووافق على ذلك، ثم عُرض الأمر على المابين[٧٥٥]. وفي ٢٠ يوليو وافق السلطان على هذا الاقتراح مع الإشارة إلى مراعاة الأمور التالية:

---

(٧٥١) الأرشيف العثماني، (BEO 195031).

(٧٥٢) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ٢٤٦-٢٤٧ .

(٧٥٣) *المصدر السابق*، ص. ٢٥٣ .

(٧٥٤) الأرشيف العثماني، *نظامات دفتري* ١٠، ص. ٣٠١.

(٧٥٥) *الوثيقة نفسها*، ص. ٣٠٠-٣٠١ .

١- يقوم سامي باشا بتأسيس متصرفية في نجد تعهد إليه إدارتها.

٢- يتم اختيار مساعدين له من الأشراف والأعيان المحليين المحايدين على أن يُعرض الأمر على الباب العالي.

٣- تركيز طابورين في القصيم لمدة عام، وبعد ذلك يتم الإبقاء على طابور عسكري واحد مع توفير مؤونة ثلاثة أشهر على الأقل، وإنشاء ثكنة متكاملة من جميع النواحي من حيث الاتساع والكبر وغيرها.

٤- تنظيم مفرزة هجين وفرسان من أجل إحضار مؤن ولوازم الطابورين العسكريين المقرر مرابطتهما في القصيم من المدينة.

٥- تأسيس أقضية في المواقع المهمة بالقرب من القصيم، ويعين عليها أمراء عسكريون من أصحاب التجربة والكفاءة كقائمقامات، على أن يتم اختيار مساعدين لهم من الأشراف المحليين المناسبين.

٦- يؤدي ثقات القبائل اليمين على بقائهم على إخلاصهم للسلطان، ويتم تعيينهم بلقب سنجقدار، بالإضافة إلى منحهمْ مرتب مناسب كسباً لود القبائل الموجودة في أنحاء القصيم.

٧- يمنح هؤلاء عَلَماً عليه "لا إله إلا الله" "إنما المؤمنون إخوة" في الجانب الأول، وفي الجانب الآخر عليه الشعار العثماني.

٨- يجري العمل من أجل كسب ود الأهالي قبل كل شيء، ويكافأ كل من لم يتعد على أحد ويكون مطيعا للدولة بمنحه خلعة ونيشان وعطية وغير ذلك.

٩- العمل على استمرار صداقة ابن رشيد وخدماته للسلطان بسبب حفاظه عليهما منذ القدم وكسب وده.

١٠- يتم الإبقاء على طابورين عسكريين في القصيم لمدة سنة بعد اكتمال هذه الاصلاحات وبعد تأمين الأمن والسكون في المنطقة. ثم يترك من بعدها هنا طابور واحد، ويجري في كانون الأول من كل عام توفير طابور عسكري

واحد في المدينة بهدف إجراء التغيير معه، ثم يتم ارجاع العساكر المتبقين إلى المناطق التي جاءوا منها.

١١- يتم تأسيس تلغراف لاسلكي وبرقي حتى يستطيع هذا الطابور الموجود في القصيم الاتصال بالمدينة(٧٥٦).

ورغم ما أظهرته هذه التعليمات من سلوك غير إيجابي تجاه ابن الرشيد، إلا أنه قبل كأحد عناصر التوازن في المنطقة، وربما جرى هذا بسبب التأثير الإيجابي الذي تركه محمد بن الرشيد أمير الرشيديين السابق في استانبول. ومع احتياج هذا الأمر إلى البحث فإن صدقي باشا قائد الفرقة أعد تقريرا عن المنطقة قام القائد العام رضا باشا بتسليمه إلى الصدارة بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩٠٥، وانتقد فيه إصلاحات المشير أحمد فيضي باشا في القصيم وقال إنها تمت ضد رغبة ابن الرشيد. وحسب رأي القائد العام فإن تعيين الباشا للقائمقام والمديريين في المنطقة لم يلتزم فيه التعليمات والصلاحيات التي أعطيت له، ويوضح القائد العام من جانب آخر أن هذا الوضع أحزن ابن الرشيد، وذكر أنه أصدر التعليمات حتى يأخذ بخاطره(٧٥٧). ويتمثل السبب الآخر في الأخذ بيد ابن الرشيد في السياسة التي تبناها السلطان عبد الحميد الثاني لمواجهة انجلترا التي ضاعفت من تحركاتها في الفترة الأخيرة في سواحل نجد والكويت. كما أنه وفي أثناء بداية العمليات العسكرية في القصيم سعى الإنجليز إلى إعاقة ذلك. ومع أن الوضع في دواخل نجد لم يشكل أهمية تذكر بالنسبة إليهم، إلا أنهم كانوا معارضين لابن الرشيد بسبب خصومته للكويت واحتمال تخاذه لمواقف عدائية تجاهها. وهذا الوضع كان يعني - ولو بطريقة غير مباشرة - دعم ابن سعود، حتى أن الخارجية الإنجليزية أرسلت برقيات بتاريخ ١٠ و٢٠ مايو ١٩٠٥ إلى سفيرها في استانبول طلبت فيها عدم

---

(٧٥٦) *الوثيقة نفسها*، ص. ٢٩٩-٣٠٠.

(٧٥٧) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 278/37) ، لف: ١.

تدخل الباب العالي في هذا الأمر[٧٥٨]. وفي جواب السفير الإنجليزي بتاريخ ٢٣ مايو، لفت الانتباه إلى صعوبة إيجاد سبب لإقناع الباب العالي في هذا الخصوص، كما بين أنه لا يوجد أي سبب يمكن عن طريقه الاحتجاج ضد مساعدة الحكومة العثمانية للطرف المهاجم. وأبلغ لندن أن الفائدة تكمن في انتظار التطورات في الكويت[٧٥٩]. وهنا وبسبب تلك المحاولات وغيرها من الانجليز أصر السلطان عبد الحميد الثاني على دعم ابن الرشيد.

من جانب آخر كان هناك انقسام بين المركز والموظفين في الخارج والذين كانوا معنيين بصورة مباشرة بهذه الأحداث، ورغم أن المركز كان يسعى لوضع الأمور بيد ابن الرشيد، كان الأركان العسكريون يرون أن ضرره يماثل ضرر ابن سعود، بل إن الأحداث الأخيرة جعلتهم يذهبون إلى القول بأن ضرر ابن الرشيد يفوق ضرر ابن سعود. كما ظهر هذا الاختلاف كذلك في موضوع التدابير التي أراد المركز اتخاذها، فمثلا في الوقت الذي نصت التعليمات التي أعطيت لسامي باشا الذي سبق الحديث عنه على تأسيس إدارة عسكرية ومدنية في المنطقة، كان صدقي باشا قائد فرقة القصيم يرى عكس ذلك فاصطدم بكثير من القوى في المنطقة. وحسب رأيه فإن الأهالي في القصيم وماجاورها تأقلموا على حياتهم الخاصة، لذا فإن محاولة تأسيس حكومة هناك كان يمكن أن يؤدي إلى إثارة اضطرابات وبلبلة، ولهذا السبب فإن المشير أحمد فيضي باشا لم يتجه نحو تأسيس حكومة، بل قام بتعيين الأهالي الأشراف في منصبي المدير والقائمقام. وبعد أن أحضر صدقي باشا العساكر هنا مخالفا المركز، أصبح الآن محاصرا. وبسبب صعوبة توفير الدعم المادي ومصاريفه للعساكر، وبسبب عدم ايجاد إمكانية للاتصال بسبب ظروف الحصار، رأى صدقي باشا ضرورة مد خط سكة حديد من

---

(٧٥٨) *IOR*, L/P& S/18/B 164, from Lord Lansdovne to Sir N. O'C onor, 10 and 20 May 1904.

(٧٥٩) *IOR*, L/P& S/18/B 164, from S. O'C onor to Foreign Office, 23 May 1904.

البصرة أو من المدينة إلى المنطقة في المستقبل، ومن ثم يكون وجود العساكر مناسبا[٧٦٠].

في هذه الأثناء، وفي تقرير آخر أرسله أطباء الطابور النشانجي الثاني عشروالألاي الأربعون والحادي والأربعون والرابع والأربعون التابع للجيش السادس إلى القيادة العامة، تمت الإشارة إلى محاصرة الجند في المنطقة من الناحية الطبية. وفي تقرير بتاريخ ٢ أغسطس ١٩٠٥ ممهور من قبل الأطباء اليوزباشي مظهر والقول آغاسى ابراهيم وعاكف وتوفيق جرى شرح الوضع الذي عليه العساكر على النحو التالي:

تعرض معظم العساكر الذين أرسلوا من الجيش السادس في عام ١٩٠٤ بهدف مساعدة ابن الرشيد إلى مختلف الأمراض بسبب الظروف المناخية القاسية في المنطقة. وفي ظل هذا الوضع اشترك العساكر في معركة قصر عقيل ثم اضطر الباقون للعودة إلى الكهفة أو (الجحفة)، وعانى الجيش من شتى أنواع الفقر والمرض حتى أن بعضهم مات. وبين الأطباء أن انخفاض عدد الطوابير المرسلة إلى هذه المنطقة من ١٩٨٧ إلى ٦٥٠ هو بسبب عدم تأمين الاحتياجات الضرورية مما أدى إلى كل هذا الخسارة بالرغم من عدم حدوث معركة أو محاصرة. وفي المعركة التي جرت مع ابن سعود قتل ١٩٦ شخصاً. وأضاف التقرير أن بقية المفقودين عانوا من قلة الغذاء وضروريات الحياة وارتفاع حرارة الصحراء فتعرضت للأمراض، مما أدى هذا إلى هبوط الروح المعنوية وسط الجنود الذين أرسلوا إلى القصيم في عام ١٩٠٥. وأضاف التقرير أنه وبسبب المشقة الكبيرة التي واجهها التحرك العسكري أصبحت قوة القصيم المتحركة وجها لوجه أمام الفناء[٧٦١]. غير أنه وبسبب المخاوف التي تم الحديث عنها سابقا، فإن هذه المطالب

---

(٧٦٠) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 278/37) ، لف: ٢-٣.

(٧٦١) *الوثيقة نفسها*، لف: ٤.

لم تجد أذنا صاغية، وكل ما جرى هو فقط اتخاذ القرار لإيجاد السبل لإمداد العساكر المقيمة هناك بالمؤن والمهمات وتبديل العساكر التي جاء عليها الدور بالتبديل[٧٦٢].

وفي الوقت الذي كانت تدور فيه هذه المكاتبات، وبينما كانت الدولة تتفق مع ابن الرشيد وتؤمن وجوده في نجد، لم يعجب هذا ابن سعود فتوجه مباشرة إلى سواحل الأحساء وقطر. وفي شهر يوليو وصل في زيارة غير متوقعة إلى هذه المناطق، فأدى هذا إلى قلق كل من متصرف نجد وأهالي قطر. وعندما وصل إلى حدود الأحساء ورغم أنه أعلن أنه مكلف من قبل الدولة باصلاح قطر وما جاورها، قام بنهب بعض القبائل الموجودة بالقرب منها[٧٦٣]. ومن جانب آخر كان أهالي قطر يوجدون منذ مدة طويلة تحت حكم جاسم قائمقام قطر، ولكن الأمر انقسم بينه وبين أخيه أحمد الذي كان هو الحاكم الفعلي .ويذكر نعمت بكباشي طابور النظامية الموجود في قطر في خطاب أرسله إلى الجيش السادس بتاريخ ٢٣ يوليو، أن قسما من أهالي قطر (مؤيدي الشيخ أحمد) ذكروا أنهم لن يحنوا رقابهم لابن سعود الذي ادعى أنه في حماية الدولة وموظف تابع لها[٧٦٤]. وبعد أن أطلع الجيش السادس وكذلك ولاية البصرة الباب العالي على الأمر، طلب من متصرفية نجد التحقيق فيه. وكان ابن سعود في هذه الأثناء قد اقترب مسافة ٨ ساعات من الحفوف مركز لواء نجد، وقام بإرسال خطاب إلى متصرفيتها مع أحد رجاله يبين فيه سبب مقدمه، وبعد أن أشار إلى الروابط التي تربطه مع السلطان والخلافة ذكر أنه جاء ليلاحق البدو الذين حملوا السلاح في وجه بعض العشائر التابعة له، وإعادة الحقوق المغتصبة إلى أصحابها، بالإضافة إلى المحافظة على تأمين الطرق. وفي ١٧ أغسطس أحاطت ولاية البصرة الصدارة علما بهذه التطورات، وذكرت أن

---

(٧٦٢) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 278/139) .

(٧٦٣) الأرشيف العثماني، (*BEO* 198727).

(٧٦٤) الأرشيف العثماني، (*BEO* 198475).

متصرفية نجد أرسلت محمود بك بكباشي الجاندرمة إلى ابن سعود، وأنها قامت بالتحقيقات الضرورية وتأكيد ما جاء على لسان ابن سعود. وعزز والي البصرة هذا بخطاب إلى الصدارة أوضح فيه أن جميع تحركات ابن سعود السرية مرصودة[٧٦٥]. وبالفعل كانت لهذه المراقبة الأثر الكبير، حيث تيقن ابن سعود أنه لن يستطيع ممارسة نشاطاته في المنطقة، لذا عاد أدراجه إلى نواحي الرياض. من جانب آخر أقلقت نشاطات ابن سعود هذه الإنجليز أيضا، حيث أنه وفي طريق عودته إلى الرياض بعث بخطابات إلى الشيوخ الموجودين في السواحل العمانية والخاضعين للحماية الإنجليزية يخبرهم فيها بزيارته إليهم في الربيع القادم[٧٦٦]. ويحتمل أن هذا هو السبب الذي جعل الإنجليز يكثفون نشاطاتهم في سواحل نجد بهدف حماية نفوذهم. حيث أن توطيد أمن هذه السواحل أصبح مرة أخرى مدرجا في قائمة الأعمال. غير أنه يبدو ومع الأسف أن المراسلات التي تمت بين النظارات من أجل إرسال السفن في هذا الوقت إلى المنطقة للمراقبة وحفظ الأمن لم تصل إلى نتيجة ملموسة، لأن نظارة الحربية كانت ترى أن المنطقة تحتاج على الأقل إلى ستين زورقاً من نوع غنبوط. غير أن الوضع في تلك الفترة لم يكن يسمح إلاّ بشراء ١٢ فقط[٧٦٧].

وهكذا انتهت فترة السلام القصيرة التي عاشتها دواخل نجد. ففي ٣ نوفمبر ١٩٠٥ أرسل القائد العام رضا باشا تحريرات إلى الصدارة تناول فيها تلغراف صدقي باشا قائد فرقة القصيم في هذا الموضوع، حيث كان صدقي باشا قد ذكر في تلغرافه أن ابن الرشيد قام بالإغارة على عشائر حميدات التي حطت رحالها بجوار بريدة، وسرق بعض خرافهم وجمالهم وقتل بعض رجالها. وعلى ذلك قام أهالي

---

(٧٦٥) *الوثيقة نفسها*، لف: ١.

(٧٦٦) *IOR, L/P & S/18/B* 164, من اليوزباشي تريفور إلى حكومة الهند الأنجليزية، ٢٩ أكتوبر ١٩٠٥، , *Memorial*, p. 300-302.

(٧٦٧) الأرشيف العثماني، (*Y.MTV* 185/1, 280/78).

القصيم بطلب المساعدة من ابن سعود، لذا جاء ابن سعود إلى بريدة. وأضاف صدقي باشا في تلغرافه أيضاً، أنه سمع أن بعض عربان نجد جاءوا إلى شقراء للالتحاق بهؤلاء. وأوضح صدقي باشا أن هدف ابن الرشيد من هذه الاعتداءات هو إجبار أهالي نجد (ربما يقصد الرياض وما جاورها والتي تخضع لإدارة ابن سعود) والقصيم على حمل السلاح، وطلب من القائد العام أن يعلمه بالتدابير الضرورية التي ينبغي اتباعها، فقام القائد العام رضا باشا بنقل هذه الأخبار إلى الصدارة، وبيّن أن المير لواء سامي باشا الذي تم تعيينه على متصرفية نجد مايزال يتلكأ في المدينة، ولم يذهب إلى المكان الذي وظف فيه، مما أدى إلى تأخير الاصلاحات المقررة، وهذا بدوره يقود إلى مثل هذه النوعية من الحوادث، وذكر أنه طلب من سامي باشا قبل ذلك أن يتوجه إلى مكان عمله[٧٦٨]. هذا في حين أن سامي باشا ومن في معيته وهما الميرالاي سالم والبكباشي سعيد كانوا مع الصرة الهمايونية لذلك العام بعد رحلة طويلة وشاقة من بيروت إلى الشام، ومن الشام أيضاً برفقة المحمل الشامي حتى وصلوا إلى المدينة، وراحوا ينتظرون هناك مقدم العساكر والذخائر[٧٦٩].

وفي هذا الوقت بالضبط كانت أنحاء نجد تشتعل من جديد. فقد قام ابن سعود بتكوين حلف مع القبائل التي تقف مع ابن رشيد، وفي بدايات عام ١٩٠٦ بدأ في التحرك وأنشأ مقرا لجيشه في مكان يسمى عين بن فهيد منتظرا أقرب فرصة لايجاد مكان قرب القصيم[٧٧٠]. وفي هذه الأثناء وإن كانت قد جرت محاولات للصلح بين الأميرين من قبل مبارك الصباح، إلا أنها باءت بالفشل. وفي أوائل أبريل من عام ١٩٠٦ قامت عشيرة مطير المتحالفة مع ابن سعود والتي تقوم

---

(٧٦٨) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 280/78).

(٧٦٩) في التلغرافات التي أرسلها سامي باشا بتاريخ ١٨ و ٢١ أبريل ١٩٠٦ إلى السرعسكرية استعجل إرسال العساكر والمؤن (الأرشيف العثماني، *Y. MTV* 286/79).

(٧٧٠) لوريمر، *المصدر السابق*، ص. ١٩٠٩.

برعي جمالها في مراعي (المستوى) بشن هجوم على رجال ابن الرشيد. وعندما وصلت أخبار هذه الأحداث إلى ابن سعود الذي كان موجودا في شرق المستوى، هب على الفور وجاء برجاله إلى المنطقة وحاصر ابن رشيد، حيث دارت بين الطرفين معركة شرسة في مكان يسمى " روضة المهنا"، وقتل هنا ابن رشيد في ١١ أبريل[٧٧١]. وفي ١٥ أبريل أرسل ابن سعود خطابا إلى أحمد راتب باشا والي الحجاز يتحدث فيه عن انتصاره على ابن رشيد الذي قام بقتل رجاله واغتصاب أمواله وسرقة العشائر التابعة له. ويعتقد أنه وحتى يتفادى رد فعل الدولة لم يهمل إعلان الروابط التي تربطه بها وبأمير المؤمنين وبخليفة رسول الله. وفي ١٧ أبريل أرسل عبد العزيز السليم شيخ عنيزة رسالة إلى الوالي تحمل الكلمات والإفادات نفسها، حيث ذكر أنه لم يتعرض بالسلب إلى القبائل والعشائر التابعة لابن رشيد. وبسبب عدم وصول شكواه إلى الخليفة، طلب المساعدة من ابن سعود حتى يخلصه من ظلم ابن الرشيد[٧٧٢]. وأراد ابن سعود من كل هذا أن يبين أنه معذور في تصرفه.

قام مبارك قائمقام الكويت بإبلاغ والي البصرة بالمعارك التي دارت بين ابن سعود وابن رشيد والتي انتهت بمقتل ابن الرشيد، فقامت البصرة بإبلاغ استانبول بهذه الأخبار في ٢٢ أبريل عام ١٩٠٦. وفور تسلمها الخبر قامت السرعسكرية أولا بإرسال خطاب إلى صدقي باشا قائد فرقة القصيم تطلب فيه إجراء تحقيق في المسألة، وكذلك عدم السماح لأي أسباب يمكن أن تكون عاملا في إراقة دماء

---

(٧٧١) يعطي حسين حسني تاريخ ١٦ أبريل (حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ٢٧٧)، في حين يعطي لوريمير تاريخ ١١ أبريل (لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٧١٠)، غير أن التاريخ الثاني هو الأقرب إلى الصواب، وذلك لأن ابن سعود أرسل خطابا إلى والي الحجاز عن هذا الموضوع يحمل تاريخ ١٥ أبريل. الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 186/62) ملف: ٢.

(٧٧٢) الأرشيف العثماني، (*Y.MTV* 286/62) ، لف: ١-٣.

المسلمين وفي الإخلال بالأمن المحلي، وإخطار سامي باشا بعدم الانتظار في المدينة أكثر من ذلك والتوجه فورا إلى القصيم مكان عمله(٧٧٣).

طلب الباب العالي الذي سقط في هاوية التردد أمام هذه الأحداث الأخيرة من السرعسكرية البحث في الأسباب التي أدت إلى القضاء على ابن الرشيد. وفي ٥ مايو قدمت السرعسكرية جوابا ذكرت فيه وصول تلغراف بتاريخ ٢٦ أبريل من ولاية بغداد في هذا الأمر، وكانت من قبل قد أوضحت أنها أعطت التعليمات إلى الأماكن الضرورية.

ويلفت التلغراف الانتباه إلى أنه يرجح حدوث اتفاق بين مبارك الصباح وبين ابن سعود في القضاء على ابن الرشيد وذلك حتى يتحركا في العراق ونجد بحرية كاملة(٧٧٤). ومهما قيل عن دعم مبارك لابن سعود، فإنه لم يتم العثور على أية أدلة أخرى تدل على وجود اتفاق بينهما، غير أن هذا التلغراف يكون ذو مغزى من حيث أنه يبين قبول ابن الرشيد باعتباره عنصر توازن في المنطقة.

وبالإضافة إلى قيام ابن سعود عقب هذا النصر بالاتصال بالدولة مستعملا لغة دبلوماسية موضحا الروابط التي تربطه بها، فإنّ أول عمل قام به هو استعمال الحيلة لجلب صالح المهنا الذي عين قائمقام في بريدة من قبل أحمد فيضي باشا، حيث قام بإيداعه سجن الرياض. وهكذا قدم إشارات يعكس من خلالها أنه يستطيع أن يتمرد على الدولة في الوقت الذي يريده، وأراد كذلك أن يثبت قوته في المنطقة. وفي الحقيقة ورغم أن أهالي بريدة قاموا بالاتصال بصدقي باشا الموجود في المنطقة إلا أنهم لم يستطيعوا أن ينقذوا صالح المهنا من السجن. وتوجه ابن سعود

---

(٧٧٣) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 285/180)

(٧٧٤) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 286/64)

بعد ذلك إلى أنحاء حائل طالبا منهم ضريبة سنوية، غير أنه اضطر في حائل للاكتفاء فقط بتخليص الأفراد الذين ينتمون إلى عائلة ابن سعود من السجن[٧٧٥].

وفيما كانت هذه التطورات تجري، تم في ٢١ مايو إرسال مبلغ ٥٤٠ ألف غروش إلى سامي باشا الموجود في المدينة عبارة عن مرتبات ستة أشهر لفرقة القصيم[٧٧٦]، وطلب منه التحرك فورا قبل إتمام أي نقص آخر. وفي ٢٩ يونيو تحرك من المدينة، والتقى أولا في المكان المسمى بــ "سميرة" بمتعب بن الرشيد أمير الرشيديين الجديد وكان يبلغ من العمر مابين ١٦ إلى ١٧ عاما. وفي ٢١ يوليو ١٩٠٦ وصل إلى المقر العسكري في القصيم[٧٧٧]. وبعد تقييم المراجعة التي قام بها سامي باشا أثناء الطريق، قرر إرسال ٦٦٠ جنديا من الجيش الخامس من أصل ١٩٠٠ وذلك من أجل استبدال عساكر القصيم بآخرين جدد. غير أنه تم التوصل إلى أن جلبهم يكون عبر بيروت- ينبع بحرا هو الأنسب لمواجهة احتمالية قفزهم من المقطورات في حالة سوقهم بالقطار عبر طريق معان-العقبة، وتمت مطالبة نظارة البحرية لتخصيص سفن لهذا الغرض[٧٧٨].

عندما وصل سامي باشا إلى مقر الجيش في شيخية بالقصيم وصل إلى قناعة أنه لا يستطيع أن يقوم بأي عملية عسكرية بما هو موجود من جند وذلك لأن العساكر كانوا يعيشون في ظروف تعيسة وليست لديهم أية وسائل للنقل. لهذا السبب أصبح الباشا يبحث عن طرق تأمين السلام في المنطقة قبل الشروع في أي عملية عسكرية. فقام أولا بجمع ابن سعود وأعيان القصيم في البكيرية، ودار بينهم نقاش طويل، إلا أن سامي باشا لم يخرج بنتيجة ايجابية من هذه اللقاءات فقام

---

(٧٧٥) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ٢٧٨-٢٧٩؛ لوريمير، *المصدر السابق*، ص. ١٧١١.

(٧٧٦) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 286/ 163)

(٧٧٧) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ٢٧٩.

(٧٧٨) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 288/106)

بالاتصال بمتعب بن الرشيد وطلب منه جمع قواته وضمها إلى العساكر، أو توفير دفع ثمن مؤن العساكر التي كانت في تناقص شديد.

غير أن اقتراحي سامي باشا لم يحضيا بأي قبول، فطلب من الرشيديين توفير ألف من الإبل يدفع إيجارها نقدا وذلك حتى يتمكن من نقل جنده إلى موقع أو موقعين في الشمال. وعلى هذا النحو كان الباشا يريد سحب العساكر إلى الشمال، فيحول خط رجعة القوات-التابعة للمدينة بخط الذهاب والعودة حتى الآن-ويجعله مستندا إلى جبل شمر، أي إلى النجف التي هي أكثر أمانا لأن مقر الجيش في شيخية الموجودة في مركز القصيم يقع تحت تهديد ابن سعود وأهالي القصيم(٧٧٩). ومن جانب آخر فإن طريق المدينة يقع تحت سيطرة العشائر. ولم يكن متعب بن الرشيد مقتنعا في البداية بهذه الاقتراحات غير أن الرجال الذين أرسلوا إليه بعد ذلك استطاعوا أن يقنعوه. وفي ٣ أكتوبر أرسل سامي باشا رسالة إلى استانبول أوضح فيها أنه ينتظر وصول الإبل المرسلة إليه من ابن الرشيد وذلك من أجل التقدم شمال شيخية(٧٨٠). غير أن مقدم هذه الإبل تأخر كثيرا بسبب العراقيل التي وضعها ابن سعود.

في هذه الأثناء ظهرت الفوضى من جديد في سواحل نجد، حيث دارت مواجهات في أواسط أغسطس بين عشيرة عجمان التي نصبت خيامها في موقع حزم وبين أهالي مبرز التابع لمركز اللواء وذلك بسبب سرقة التمور. فقامت متصرفية نجد بإرسال هيئة إلى المنطقة لتقصي الحقائق برفقة ١٢٠ فارسا، وقد تمكنت من تهدئة الوضع بصعوبة(٧٨١). وبسبب عدم امتلاك عشائر عجمان للقوة الكافية لتعقب هؤلاء يحتمل أن لابن سعود يد في هذه الحوادث، ذلك انه وبعد فترة قصيرة من اندلاع هذه

---

(٧٧٩) حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ٢٨١-٢٨٢.

(٧٨٠) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 290/146)

(٧٨١) الأرشيف العثماني، *إرادة عسكرية* (1324 ZA/1)

الاحداث قام متصرف نجد وقيادتها في ٢٦ أكتوبر بإرسال تلغرافات مشفرة ومشتركة إلى نظارة الداخلية يوضحان فيها أن سواحل نجد أصبحت تحت تهديد ابن سعود. وجاء في التلغراف المذكور أنه في حالة زحف ابن سعود للاستيلاء على اللواء (مركز الأحساء) فإنه سوف يجد الأبواب مفتوحة على مصراعيها، وأوضح أن الحديث كان يدور حول تبادل بعض الرسائل السرية مع رؤساء بعض العشائر. وذكر التلغراف أيضا أنه وبتأثير من ابن سعود تم إغلاق الدكاكين والأسواق والبازارات جراء تسلح العشائر تعللا بأبسط الأشياء. وفي مقابل ذلك أكد أنه لا توجد قوات كافية في مركز متصرفية نجد إزاء هذا الوضع[٧٨٢].

من جانب آخر سلك سامي باشا طريق الحلول فاتصل بابن سعود مرة أخرى عند مشارفة مؤن جند القصيم على النفاد، وتمخضت نتيجة هذه الاتصالات بأن تقوم الدولة بمنح أمير بريدة لقب "قائمقام"، ويُمنح أمير عنيزة لقب "مدير"، ويتم الإبقاء على مفرزة عسكرية واحدة في كلا الموقعين، ويرفع العلم العثماني. وبالإضافة إلى ذلك ترسل ضريبة سنوية محددة من هذه المناطق إلى خزينة المدينة، ومقابل ذلك يتم إجلاء العساكر من المنطقة. وبعد أن قبل ابن سعود وأعيان القصيم هذه الشروط، تم تركيز مفرزة في بريدة بقيادة قول أغاسي، وأخرى في عنزة بقيادة ملازم، كما تم رفع العلم العثماني[٧٨٣]. وقام سامي باشا بمراسلة القيادة العامة طالبا إذن المابين ليبدأ عملية الإخلاء على الفور، وذلك بسبب حصوله على نتيجة تعتبر جيدة نسبيا، وكذلك حتى يتم منع حدوث خسائر أكثر وسط الجنود. وفي أواسط شهر نوفمبر تم إرسال عساكر بغداد والبصرة إلى مناطقهم من القصيم، كما تم إرسال ثلاثة طوابير برفقة سامي باشا إلى

---

(٧٨٢) الأرشيف العثماني، (*BEO* 222677) . وللاطلاع على تلغراف ولاية البصرة في هذا الموضوع انظر: الأرشيف العثماني،(*Y.MTV* 291/3)

(٧٨٣) حسين حسني، *المصدر نفسه*، ص. ٢٨٢-٢٨٣.

المدينة[٧٨٤]. وفي هذه الأثناء تم تركيز بلوكين في بريدة بقيادة القول أغا غالب أفندي، وبلوك عسكري واحد في عنيزة بقيادة الملازم محمد أغا[٧٨٥]. وهكذا فإن عملية الإخلاء التي بدأت في أواسط نوفمبر من عام ١٩٠٦ اكتملت بحلول الأشهر الأولى من عام ١٩٠٧. أما سامي باشا فقد مكث مدة من الزمن في المدينة، وفي أوئل شهر يونيو من العام نفسه اتصل بمشيرية الطوبخانة العامرة وطلب إعادته إلى وظيفته السابقة في عضوية المجلس الحربي للطوبخانة العامرة[٧٨٦].

بعد اكتمال عملية إجلاء العساكر، أرسل عبد العزيز بن عبد الرحمن (ابن سعود) خطابا إلى الفريق عزت باشا قائد البصرة ليقوم بعرضه على السلطان، حيث وضح فيه رضاه عن الاصلاحات الجديدة التي تمت، وبين في خطابه كذلك أنه خادم صادق متواضع للسلطان، وأن جميع العشائر التابعة له في منطقة نجد الواسعة هي تابعة للخلافة الإسلامية. ووبالإضافة إلى ذلك ذكر أن الجنود المتمركزين في بريدة وعنيزة في وضع مريح وأنه يقابل إنفاقه على إعاشتهم بكل فخر، وبين أن الأهالي قابلوا رفرفة العلم العثماني من على أعلى المناطق في منطقة نجد بكل سرور وانشراح. وأضاف ابن سعود أيضا أنه سوف يلتزم بصداقته وتواضعه أملا في كسب رضا السلطان.

في أوائل فبراير عام ١٩٠٧ أرسل قائد البصرة تلغرافا إلى القيادة العامة يخبرها فيه بأمر الخطاب، وذكر أنه لا بد من تغيير السياسة المطبقة في المنطقة

---

(٧٨٤) الأرشيف العثماني، *إرادة عسكرية* (1324 L/3, 5, *Y. MTV* 292/105, 295/57)

(٧٨٥) يذكر البيكباشي حسين حسني فيما يتعلق بإرسال العساكر إلى القصيم ثم سحبهم التالي:تم إرسال ٥٥٤٣ عسكري في أوقات مختلفة، من هؤلاء استطاع ٢٠٤٠ فقط العودة بعد وصولهم لمناطقهم، ومات معظم الذين بقوا بسبب الجوع والعطش والمرض، كما فر قسم آخر. حسين حسني، *المصدر السابق*، ص. ٢٨٤-١٨٥.

(٧٨٦) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 298/148)

بأكملها وذلك حتى تنعم مناطق الأحساء ونجد بالأمن والسكون، كما بين أن هناك فائدة عند امتداح السلطان لابن سعود أو إرسال خلعة إليه[٧٨٧].

كانت العبارات التي احتواها خطاب ابن سعود تتضمن ملامح سياسة جديدة، وذلك لأنه تحاى خصمه اللدود ابن الرشيد من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن سحب العساكر العثمانيين من دواخل نجد منحه فرصة كبيرة. إلا أنه كان مقتنعا بأنه لن يستطيع تكوين قوة مستقلة في ظل الوجود العثماني في نجد، وبسبب ذلك كان على اتصال دائم بالإنجليز طالبا منهم الدعم لمواجهة الدولة العثمانية، وفي اتصالاته التي أجراها معهم من عام ١٩٠٤ إلى أواخر عام ١٩٠٦

لم يحصل ابن سعود على رد إيجابي[٧٨٨]. ونتيجة للعقد الشفهي الذي قام به ابن سعود مع سامي باشا من قبل، استمر في صداقته للسلطان من أوئل عام ١٩٠٧، وسوف تستمر هذه الصداقة الظاهرية حتى عام ١٩١٣.

في هذه الأثناء تم البدء في تشكيل مفرزة البغالين المكونة من ٣٠٠ شخص بهدف تعقب العشائر في حال تحركها بعد سحب العساكر من القصيم وعدم كفاية القوات الموجودة في سواحل نجد[٧٨٩]. وتمت مناقشة الأمر في مجلس الوكلاء واتخذ بشانه قرار، كما جرت مراسلات مع ولايات بغداد والبصرة والموصل من أجل توفير البغال[٧٩٠]. غير أنه عند الاقتناع بأنه لا يمكن تأمين هذه الحيوانات من الولايات المذكورة، تم الاتفاق مع إبراهيم بسام وهو أحد تجار البصرة على توفيرها عن طريق الشراء. وبناء على هذا فقد تم الاتفاق على ألا تقل قامة الحيوانات عن ١٣٨ سم، وأن تكون أعمارها بين ثلاث إلى ست سنوات وأن تكون

---

(٧٨٧) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 294/44, 294/72)

(٧٨٨) احتوى تقرير أعد في يناير من علم ١٩٠٨ لـــ Foreign Office على اتصالات ابن سعود والإجابات التي تلقاها. (*IOR* L/P & S/ 18/ B 164)

(٧٨٩) في الأساس أن هذه الأعمال قد بدأت من قبل غير أنها لم تصل إلى نتيجة. الأرشيف العثماني، (*BEO* 213421; MV 115, p. 84).

(٧٩٠) الأرشيف العثماني (*BEO* 213421, 220654, *İrade-i Askeri* 1325 M/22)

سليمة. بيد أنه وأثناء إبرام الاتفاق سجل خطأ أن القامة لا تقل عن ١٣٠ سم، لذا فقد حدث اختلاف بسبب إحضار التاجر لحيوانات أقل من ١٣٨ سم، وتأخر بالتالي تسليم البغال لمدة أربعة أشهر[٧٩١]. وفي النهاية ومع موافقة القيادة العامة على هذه البغال فُتح الطريق أمام تشكيل المفارز، ومن الطبيعي أن يجعل هذا التأخير أمن المنطقة في تهديد مستمر.

في أول يونيو من عام ١٩٠٧ اتصلت قيادة الجيش السادس بالقيادة العامة طالبة منها الإذن بإنشاء ثكنة تحتوي على ١٥٠ شخصا في ميناء عجير من أجل حفظ أمن طريق الأحساء-عجير، وبالإضافة إلى ذلك، تركيز بلوك واحد في محل كل بلوكين في الطريق المذكور للغاية نفسها. كما تم في هذا الخطاب طرح بعض الاقتراحات على القيادة العامة مثل أخذ ٣٠٠ من البغال ومنحها للطابور الأول من الألاي الثاني والأربعين، وتغيير الطابور الثالث من الألاي الواحد والأربعين الموجود في الحفوف في ستة أشهر مع تركيز بلوكي الطابور في عجير. وفي يونيو قامت القيادة العامة بعرض الأمر على الصدارة لاتخاذ القرار المناسب[٧٩٢]. وكما هو ملاحظ فبالرغم من إخلاء دواخل نجد من العساكر إلا أن الدولة تبذل كل ما في وسعها من أجل تأمين قوات ذات جدوى في الساحل. وبعبارة أخرى، فقد تم إعادة السياسة القديمة التي تنص على أنه عبر حماية السواحل يمكن التقدم إلى المناطق الداخلية انطلاقا من السواحل ذاتها. وفي هذه الأثناء ورد تلغراف بتاريخ ٨ نوفمبر عام ١٩٠٧ من علي غالب قائد مفرزة القصيم والذي ترك في بريدة يذكر فيه أنه أثناء المواجهات بين ابن الرشيد وابن سعود، طلب ابن الرشيد سلاح المفرزة، وعندما لم يلبّ طلبه أخذه عنوة، وعليه فإن مفرزة صغيرة قوامها ثلاثون شخصا لا تفيد شيئا، لذا طلب الإذن بالانسحاب[٧٩٣].

---

(٧٩١) *الوثيقة نفسها*.

(٧٩٢) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 298/93)

(٧٩٣) الأرشيف العثماني، (*Y. MTV* 306/91)

ومع أننا لا نملك معلومات بشأن مصير هذه المفرزة، إلا أنه لم يلاحظ لها من تأثير بعد هذا التاريخ، لذا فيمكن أن تكون قد انسحبت أو تشتت.

بدأ ابن سعود الذي أثبت قوته للقبائل نشاطا لكسب القبائل التي لم تدخل معه بعد في اتفاق وذلك حتى يصبح القوة المسيطرة الوحيدة في المنطقة. وفي الحقيقة فإنه وبعد انسحاب العساكر العثمانيين من المنطقة لم يبق أمامه سوى قوة محدودة متمثلة في ابن الرشيد (متعب بن الرشيد) في حائل وما جاورها. غير أن صراع الإمارة الذي نشب في عائلة رشيد أزال هذا الخطر. وفي ربيع عام ١٩٠٧ عقد ابن الرشيد اتفاقا مع أمير بريدة وعشيرة مطير ضد ابن سعود، وفي مقابل ذلك استعمل ابن سعود قبائل عتيبة وقحطان ضد هذا الحلف، وانتهت المواجهات التي دارت بين الطرفين بهزيمة ابن الرشيد[٧٩٤]. وتمخضت الصراعات التي حدثت في العائلة الرشيدية عن انتقال الإمارة إلى سلطان بن حمود أحد أبناء عم ابن الرشيد، لذا قرر البحث عن سلام مع ابن سعود بعد أن أدرك أنه لا يستطيع أن يقف في وجهه[٧٩٥]، أما سعود بن عبد العزيز الرشيد الوارث الأصلي لإمارة ابن الرشيد فقد اضطر إلى العودة هو ورجاله إلى المدينة. وفي أوائل أغسطس من عام ١٩٠٨ أرسل إلى الباب العالي يخبره بهذه التطورات الأخيرة.

جاء في خطاب سعود بن عبد العزيز الرشيد، أنه وبعد وفاة والده عبد العزيز حل أخوه متعب محله بموافقة الدولة، إلا أنه قتل من قبل أبناء حمود، فتم أخذ الإمارة بشكل غير شرعي. وأوضح الخطاب أن مبارك الصباح يشجع أبناء حمود بهدف إبرام اتفاق بينهم وبين ابن سعود، وذكر أيضا أن ابن سعود إتفق مع العشائر الموجودة في الشام وما جاورها ضد الدولة. وورد في مكتوب سعود بن عبد العزيز الرشيد كذلك أنه قدم مع أخواله إلى المدينة قبل ستة أشهر، وأنه يطلب

---

(٧٩٤) فيلبي، *المصدر السابق*، ص. ١٩٩-٢٠٠.

(٧٩٥) البيهاني، *المصدر السابق*، ص. ١٦٨.

الآن المرتب والمخصصات التي كانت تمنح من قبل إلى والده ومن بعده إلى أخيه متعب[٧٩٦].

في ٨ نوفمبر عام ١٩٠٨ تمت مناقشة خطاب ابن الرشيد في مجلس الوكلاء، وكانت النتيجة أن عهد إليه بحفظ الأمن والسلام في نجد، كما أوكل هذا الأمر من قبل إلى والده وأخيه متعب، واتخذ قرار أيضا بمنحه قائمقامية شمر ورئاسة قبائل شمر، بالإضافة إلى أنه تم تخصيص مبلغ ١٥ ألف غرش من أصل ٢٥ ألف غروش كانت تمنح لأخيه متعب شهريا من أموال ولاية بغداد[٧٩٧]. كما خصص له أيضا ٣٠ ألف قية من الأرز سنويا، وتم كذلك تخصيص ١٨٠٠ مجيدية و٣١ خلعة ترسل كما هو معتاد من قبل مع المَحْمَل الشريف والصرة.

قرر مجلس الوكلاء أن يقوم ابن الرشيد بجمع زكاة عشائر شمر وحيتم، بينما تقوم المدينة بجمع زكاة عشائر حرب ومطير وغيرها من عشائر نجد التي تتبع للحكومة، والتي يدور نقاش حولها بين شيوخ نجد وولاية الحجاز[٧٩٨].

وفي الأصل فإن الباب العالي عمل على كسب ود ابن الرشيد الذي فقد جميع قواه على اعتبار أنه يمكن أن يكون ورقة رابحة في المستقبل. كما أنه تم إدخال هذه المخصصات المذكورة في الخزينة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ومقابل ذلك استمر ابن الرشيد في علاقته بالدولة.

بعد إعلان المشروطية الثانية والتي كانت سببا في تغيرات كبيرة في الحياة السياسية العثمانية، تم اختيار مبعوث من نجد، وأعطى الباب العالي الأوامر للإداريين المحليين كما حدث ذلك في بقية الأماكن. وجاء في الجواب ابذي أرسلته متصرفية نجد بواسطة ولاية البصرة في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٠٨ أنه لم يجر

---

(٧٩٦) الأرشيف العثماني، (*DH- SYS* 26/2- 5).

(٧٩٧) تم تخصيص العشرة آلاف المتبقية لأخوال ابن رشيد وخازن أمواله وكاتبه.

(٧٩٨) الأرشيف العثماني، (*DH- İD* 36/15) ، لف: ٥٩.

إحصاء سكاني في اللواء حتى اليوم، وانه لم يحن الوقت بعد للقيام بهذا العمل. كما أضاف الخطاب أيضا أنه وبناء على قانون الانتخاب فإنه يشترط في الشخص المنتخب أن يكون مطلعا وعارفا، وهذا ما لا يتوفر في منطقة نجد، وإن تم انتخاب شخص يتحدث العربية، فإن هناك فروقا بين عربية هذه المنطقة وبقية المناطق الأخرى. وبالنظر إلى مزاج الأهالي فإنه لن يرسل عضو من منطقة نجد إلى مجلس المبعوثان[٧٩٩]. غير أن مراسلات الباب العالي استمرت في هذا الموضوع حتى سبتمبر من عام ١٩٠٩ غير أنها لم تصل إلى أي نتيجة[٨٠٠].

يفهم من خطاب أرسلته نظارة الداخلية في هذا الشأن بتاريخ ٢٧ أكتوبر عام ١٩٠٩ إلى ولاية البصرة، أنه تم اقتراح إرسال بعض الأشخاص من نجد كممثلين لها إلى استانبول، إلا أنهم لم يقبلوا هذا الاقتراح لأسباب مختلفة، كما أن الخطاب المذكور احتوى على هذه العبارات: "يتبين لنا من الخطاب الصادر من نظارة الداخلية بتاريخ ٢٧ أكتوبر ١٩٠٩ والمرسل إلى ولاية البصرة مايلي: لقد تم تقديم اقتراح إلى البعض من أهالي نجد لكي يقوموا بزيارة إلى استانبول كممثلين للمنطقة، إلا أن هؤلاء لم يوافقوا على الاقتراح متذرعين بشتى الحجج، ولقد تضمن الخطاب المذكور العبارات التالية: إن عضوية المجلس العمومي تعتبر خدمة وطنية رفيعة، غير أن من يأنف منها لا داعي لإجباره على قبولها، علما أن باقي المنتخبين من المناطق الأخرى للولاية يشعرون بالفخر والاعتزاز من هذه المهمة الوطنية النبيلة، أما المنتخبون من لواء نجد فقد تذرعوا ببعد المسافة ومتاعب السفر في عدم قبولهم العضوية، وسلوكهم هذا يتنافى مع الحس الوطني وروح التضحية، بل يعتبر نقيصة في حقهم تولد شعورا سلبيا لدى العامة. لذا وجب أن يبذل معهم النصح والإرشاد بأسلوب لائق لتوضيح مغبة ما أقدموا عليه.

---

(٧٩٩) الأرشيف العثماني، (*DH- MUİ* 27-1/ 15-5)

(٨٠٠) الأرشيف العثماني، (*DH- MUİ* 27-1/ 15-1-14)

وقد تم إصدار التوجيه اللازم بهذا الخصوص إلى متصرفية اللواء المذكور لاتخاذ ما يلزم"[٨٠١].

بينما كان الباب العالي يجتهد من أجل انتخاب مبعوث من نجد، حدث تطور آخر مثير. ويتمثل هذا التطور في اتصال ابن سعود بالحكومة طالبا الإذن بسحب ممثله في الأحساء صالح باشا وإرجاعه إلى الرياض وذلك لعدم وجود قبائل تابعة له في مركز اللواء، وفي ٨ سبتمبر قامت متصرفية نجد بإبلاغ ولاية البصرة بالأمر.

وأشارت أنه مما يثير الدهشة أن ابن سعود ومنذ القديم كان يبذل جهوده من أجل أن يكون له رجل في مركز اللواء ثم يأتي الآن لسحبه متعللا بعدم وجود ضرورة لذلك. وفي المكتوب نفسه تم التلميح إلى أنه وبسبب الإساءة قرر ابن سعود سحب رجله، وإن هذا الوضع ربما يكون سببا لفتنة وفساد بين العشائر. وأوضح الخطاب أيضا أن أهالي نجد انقسموا إلى قسمين، الأهالي المحليين والنجديين (من الأقسام الداخلية)، وأن الأهالي المحليين لن يألوا جهدا في إظهار ميولهم تجاه ابن سعود عند مجيء أول فرصة مناسبة، وأشار الخطاب كذلك إلى الرواية المتناقلة التي مفادها أن ابن سعود سوف يستولي على لواء نجد في الوقت المناسب مستفيدا من ضعف الحكومة.

أوضحت متصرفية نجد لابن سعود أن وجود رجله في الأحساء هو رمز لروابطه وصداقته للدولة، ورغم هذا فإنه إذا رغب في سحبه فلن يجد أي مانع[٨٠٢]. ورغم أن الباب العالي رأى أن هذا التدبير مناسب، إلا أن الأخبار التي كانت دائرة في هذه الأثناء أفادت أن ابن سعود قام بسحب رجله صالح باشا إلى الرياض[٨٠٣].

---

(٨٠١) الأرشيف العثماني، (*DH- MUİ* 27-1/15-6)

(٨٠٢) الأرشيف العثماني، (*DH- MUİ* 1328 CA/ 17-5)

(٨٠٣) *الوثيقة نفسها*، من نظارة الداخلية إلى الصدارة، ٥ كانون الثاني ١٣٢٥.

إن تصرفات ابن سعود بشأن اختيار مبعوث من نجد نظرت إليه الحكومة على أنه رد فعل ضد المشروطية، غير أنها لا تملك دليلا آخر يؤيد هذا الأمر. ومن جانب آخر فإن رغبة ابن سعود في قطع علاقته مع الحكومة وآماله في الأحساء أصبحت واضحة. بيد أنه لم يتم التفكير في اتخاذ إجراء ضده ذلك لأن الحكومة كانت تسعى إلى وضع حلول للاختلافات التي كانت موجودة بين عشيرة عجمان المتكونة من حوالي ١٩ فرقة في الساحل وبين قبائل مرة المتكونة من ١٢ فرقة، وتهديد هذا الاختلاف لطريق عجير- القطيف. كما أنه وأثناء توطيد اتفاقية بين هذه العشائر، بدأت الأنباء تشير إلى أن ابن سعود شرع في القيام باستعدادات عسكرية متعددة في نواحي نجد.

في ١٣ ديسمبر من عام ١٩٠٩ أرسلت قيادة الجيش السادس تلغرافا مشفرا إلى القيادة العامة أوضحت فيه أنها تلقت أخبارا تفيد باستعدادات مبارك الصباح من شمال نجد وابن سعود من غربها وجاسم الثاني من شرقها وتحالفهم لغزو عشائر عجمان. وحسب تفسير قيادة الجيش السادس فإن الهدف الأساسي لهذا التحالف الثلاثي هو الاستيلاء على جميع المناطق الداخلية مع سواحل قطر والأحساء والقطيف والكويت التي ارتضوها ملكا لهم. وحتى يتم إزالة مثل هذه الشبهات اقترحت قيادة الجيش السادس تدابير لزيادة تأمين سواحل نجد بقصد تغيير الطوابير الموجودة فيها وإتمام النقص الحاصل، وطلبت كذلك الاستعجال بإرسال سفن النقلية و الحراسة التي طلبت من قبل.

أخذ الباب العالي هذه التنبيهات بجدية وتناول الموضوع بدقة وذلك في الأشهر الأولى من عام ١٩١٠، وبدأ في تحركات ضرورية من أجل تلبية طلبات قيادة الجيش السادس[٨٠٤].

---

(٨٠٤) الأرشيف العثماني، (*DH- MUİ* 1328 CA/17-4)

وفي هذه الأثناء وبطلب من ولاية البصرة تم القيام بمناورات لمدة ١٥ يوما في سواحل نجد على السفينة الحربية مَرْمرِيس، بيد أنه لم يقع التعريج على الكويت والبحرين حتى لا يتم إحداث رد فعل لدى الإنجليز[٨٠٥]، بالإضافة إلى أنه تم اتخاذ قرار باستخدام الجندرمة في نجد بجانب العساكر النظامية. وبسبب أن مدرسة الجندرمة في بغداد لا تفي بالحاجة تم تعيين ضباط في نجد درسوا في مدرسة الجندرمة بسالونيك أو كانوا من قبل في سلك الجندرمة[٨٠٦]. وبعد ذلك تم تسجيل عساكر الجندرمة تحت كفالة زعماء العشائر في نجد[٨٠٧]. وفي هذه الأثناء وبينما كان يتم تأسيس لواء نجد، وقع البدء في تخصيص مرتبات للعشائر، كما تم البدء أيضا في دفع المرتبات التي كانت قد تعطلت من أجل كسب العشائر الموجودة في سواحل نجد. ونتيجة هذه المراسلات مع متصرفية نجد وبصفة خاصة عند تخصيص مرتبات من البلدية لعشيرتي عجمان ومرة، يُفهم أنه حدث انقطاع في دفع هذه المرتبات. وبأمر صادر من نظارة الداخلية في ١٢ يناير ١٩١٠ وقع التنبيه إلى التأثيرات السيئة التي جلبتها هذه الأوضاع وبذلك وقع استئناف دفعها[٨٠٨].

في عام ١٣٢٨ (رومي) (١٩١١م) أدخلت مرتبات شيخ نجد وأعيانه والبالغة ٥٧٣٣٠ غروش في الميزانية[٨٠٩]، إلا أن مجلس المبعوثان لم يصادق على الميزانية بسبب عدم وضوحها. ولهذا السبب اعتبر هذا المبلغ ضمن المبالغ غير المتوقعة في المالية[٨١٠]. وفي هذه الأثناء وبناء على طلب نظارة الداخلية، قام مجلس الوكلاء في ١٧ أبريل عام ١٩١٢ بمناقشة مسألة تخصيص مرتب لعبد

---

(٨٠٥) الأرشيف العثماني، (*DH- MUİ* 69- 52)

(٨٠٦) الأرشيف العثماني، (*DH- MUİ* 69-1/44)

(٨٠٧) الأرشيف العثماني، (*DH- MUİ* 75/13)

(٨٠٨) الأرشيف العثماني، (*DH- MUİ* 54-1/13)

(٨٠٩) الأرشيف العثماني، (*MV* 163, p. 84; 175, p. 47)

(٨١٠) الأرشيف العثماني، (*BEO* 311562) . للاطلاع على تقسيم المرتبات التي خصصت لشيوخ نجد حسب العشائر أنظر: (*BEO* 302151)

العزيز بن عبد الرحمن (ابن سعود) مثله مثل والده، وذلك حتى يقوى نفوذه بين عشائر نجد، وقد صدر الأمر بإعداد لائحة في هذا الشأن[٨١١].

في الواقع إن المرتبات التي خصصتها الدولة لشيوخ نجد تمثل مبلغا صغيرا بالمقارنة مع مداخيلهم الشخصية، غير أنها مع الخِلع والنشانات والتي هي أيضا ترسل إليهم من قبل الدولة تمثل تمييزا لهم عن البقية وتعكس كذلك أهميتهم، وهذا بدوره يزيد من ارتباطهم بالدولة. وفي هذه الأثناء راسل ابن سعود الذي منحته الدولة رتبة الباشوية ولاية البصرة موضحا أنه مستعد لأي عمل يطلب منه ومستعد أيضا لإعادة علاقاته مع الدولة من جديد- ولو ظاهريا- وذلك خوفا من أن يلجأ بعض أبناء عمه المختلفين[٨١٢] معه إلى الدولة فتقوم باستخدامهم ضده[٨١٣]، فاقترحت ولاية البصرة

أن يتم استخدام ابن سعود ضد إدريسي أمير عسير الذي قام بعصيان، إلا أن نظارة الحربية وفي رسالة مكتوبة بتاريخ ٣٠ يوليو عام ١٩١٢ أبلغت نظارة الداخلية أن هذا غير مناسب[٨١٤]. وبالرغم من السلبيات المتلاحقة التي ظهرت عقب إعلان المشروطية الثانية فإن الدولة أعطت أهمية لمناطق بعيدة جدا عن المركز مثل نجد نظرا لأهميتها الاستراتيجية، كما تم ذكر ذلك من قبل[٨١٥] كما أنه بجانب الفوائد الناتجة عن إضفاء هذه الأهمية، فإنه لم يقع اتخاذ التدابير التي من شأنها أن تحول دون وقوع تأثيرات على الآخرين. فمثلا عند نشوب حرب البلقان

---

(٨١١) الأرشيف العثماني، (*MV* 163, p. 86)

(٨١٢) الأرشيف العثماني، (*DH- MUİ* 80-2/8; *DH- MTV* 32/21)

(٨١٣) الأرشيف العثماني، (*DH- SYS* 40/7-1) ، لف: ٢٥.

(٨١٤) *الوثيقة نفسها*، لف: ٢٦.

(٨١٥) تم الشروع في إنشاء خط سكك حديد الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، وبعد مدة قصيرة من إعلان المشروطية الثانية، دخل هذا المشروع حيز العمل وتم التفكير في مده من المدينة إلى نجد ثم من هناك إلى بغداد. غير أن الأحداث المتلاحقة والحروب المتوالية حالت دون تطبيق هذه الفكرة. Ufuk Gülsoy, *Hicaz Demiryolu*,İstanbul 1994, p.224.

الأولى، أرسل بعض الشيوخ تلغرافا من البصرة إلى المابين باسم أهالي نجد وعشائرها، أوضحوا فيه استعدادهم لإرسال ٥٠ ألفا من المشاة و١٢ ألفا من الفرسان و٢٦ ألفا من الفرسان الهجينة[٨١٦] من أجل المحافظة على الخلافة الإسلامية. وبالشكل نفسه اتصل ابن سعود بالدولة في عام ١٩١١ وذكر أثناء اندلاع حرب طرابلس الغرب أن عشائر نجد تفتخر بكونها عثمانية، وبين أنها جاهزة للحرب ضد الطليان[٨١٧]، غير أنه فضل الصمت عند اندلاع حرب البلقان عكس شيوخ نجد.

---

(٨١٦) الأرشيف العثماني، إرادة ما بين همايون ١٣٣١ (*M*/13)

(٨١٧) عبد العزيز الشناوي، *الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها*، القاهرة ١٩٨٣، III /١٢٢٣.



الفصل الرابع

اختلال الموازين وإقامة ولاية نجد

الفصل الرابع

اختلال الموازين وإقامة ولاية نجد

أولا- احتلال عبد العزيز بن عبد الرحمن للأحساء

بصفة عامة أفرز إعلان المشروطية الثانية نتائج سلبية على العرب(٨١٨). ومما ضاعف من هذه التأثيرات السلبية خلع السلطان عبد الحميد الثاني من قبل الاتحاديين، وكان قد اتبع سياسة مقبولة تجاه العالم العربي. ومن جانب آخر فعلى عكس ما توقعه الاتحاديون حلت بالبلاد كوارث متلاحقة. والحقيقة أن العرب لم يكونوا يثقون فيهم وهو ما ولد شعورا بعدم الاطمئنان ودفعه إلى البحث عن

---

(٨١٨) مثلت سنوات المشروطية الثانية أكثر فترة تم فيها نقاش العلاقات العربية التركية. وقد أعدت دراسات كثيرة عن هذه الفترة من مختلف الجوانب، ونقدم هنا كنموذج بعض الدراسات التي تمثل آخر الآراء Rashid Khalidı, " *Arab Nationalism ın Syria The Formative Years. 1908- 1914", Nationalism in Non- National State, The Dissolution of the Ottoman Empire*, (Edited by) William Haddad- W.Ochsenwald, Columbus, 1977, p. 207-237; Orhan Koloğlu, " *Turkish- Arabic Relations as Reflected ın the Arabic Press during the Period When The Ottoman Empire was Disintegrating (1908-1918) and its Impact on the Present Day*" Türk Arab İlişkileri Geçmişte Bugün ve Gelecekte I. Uluslararası Konferans Bildirileri 18-22 Haziran 1979 (Neşreden Hacettepe Ünıversitesi Orta Doğu Araştırma Enstitüsü) Ankara Tarihsiz, p. 96-121; Ömer Kürkçüoğlu, *Osmanlı Devletine- Karşı Arab Bağımsızlık Hareketi (1908-1918)* Ankara 1982; Hasan Kayalı, *Arabs and the Young Turks : Turkish Arab Relations in the Second Constitutional Period of the Ottoman Empire (1908-1918),* Süleyman Yatak (Beyoğlu), " *Osmanlı Devleti ve Mekke Emiri Şerif Hüseyin*", İlim ve Sanat, Ekim 1991, Nr.30,p. 70-80; Zekeriya Kurşun, *Yol Ayrımında Türk- Arab İlişkileri, İstanbul 1992*; Ekmeleddin İhsanoğlu- M.Safiyuddin Abul-izz (Editörler) *İki Tarafın görüş açılarından Arab- Türk Münasebetleri*, İstanbul 1993; Mahmoud Haddad, " The Rise of Arab Nationalism Reconsidered", *IJMES* 26/2 1994, p. 321-344.

مخارج أخرى. وبالإضافة إلى عمليات العصيان التي حدثت في الكرك وحوران واليمن وعسير، وقف الأعضاء العرب في مجلس المبعوثان في خندق واحد مع معارضيهم وكثفوا من مطالبهم. وفي عام ١٩١١ برزت إلى السطح بشدة المسألة التركية- العربية. وفي هذه الأثناء فإن القوميين العرب الذين قطعوا خطوات واضحة حتى تلك الفترة كثفوا من نشاطاتهم سرا وعلنا[٨١٩]. وبالإضافة إلى كل هذا فإن احتلال إيطاليا لطرابلس الغرب وعجز الدولة العثمانية عن الدفاع عن هذه المنطقة، دفعها للقبول باتفاقية أوشي للسلام[٨٢٠]، وهذا ما جعل ثقة العرب بالإدارة المركزية تتعرض للاهتزاز. وهذه الأحداث جعلت الأعضاء العرب في مجلس المبعوثان والزعماء العرب الموجودين في الخارج يكثفون من نقاشاتهم حول مسألة اللامركزية[٨٢١]. وبالنسبة إليهم فإن ضياع طرابلس الغرب يمثل نتيجة طبيعية للسياسة المركزية. فلو أن الحكومة سمحت بإقامة حكومات محلية قائمة على اللامركزية لأمكن منع هذا الاحتلال. ويلاحظ أن الباب العالي قد تأثر بهذه النقاشات، وفي الوقت الذي خططت فيه الدولة العثمانية لإحداث إصلاحات في ولاياتها، وبصفة خاصة في المناطق العربية لإقرار سياسة تقوم على اللامركزية اندلعت حرب البلقان الأولى فأدى ذلك إلى تغيير في برنامجها.

وكان لاتساع هذه الحرب الأثر السيء على الدولة العثمانية وعلى وجه الخصوص في الولايات العربية التي تعرضت لكثير من التأثيرات السلبية، فمثلا جاء في التلغراف الذي أرسلته ولاية البصرة بتاريخ ١٠ يناير عام ١٩١٣ إلى نظارة الداخلية، أن أمير الكويت وفي طريق العودة بعد زيارته إلى البصرة قام

---

(٨١٩) للاطلاع على النشاطات المعارضة للسياسة العثمانية في المنطقة العربية أنظر: زينه ن. زينه، *Arab-Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalizm*, Beyrut 1958, p. 37-45.

(٨٢٠) للاطلاع على الاتفاقية أنظر: Genelkurmay Askeri Tarih ve Strartejik Etüt Başkanlığı, *1911-1912 Osmanlı İtalyan Harbi ve Kolağası Mustafa Kemal*, Ankara 1985, p. 124-130.

(٨٢١) للاطلاع على برنامج الحزب اللامركزي العثماني الذي كان يمارس نشاطاته في القاهرة أنظر: الأرشيف العثماني (*DH-SYS* 114/2، لف: ٣٠ /١.

بزيارة خزعل شيخ المحمرة الموجود في البصرة. ووفقا للاستخبارات فإن قنصل إنجلترا في محمرة قام بزيارة هذين الشيخين، وتناول معهما تأثير حرب البلقان على العرب وإعلان مناطق مثل نجد واليمن – بمساعدة أجنبية– الانفصال عن الدولة وتأمين مسألة الاستقلال. وبين شيخ الكويت للقنصل في التلغراف نفسه أن العرب الذين يعيشون في المنطقة الممتدة من صحراء سوريا وحلب إلى عمان ومن البحر الأحمر إلى خليج البصرة يقفون مع الخلافة وبصفة خاصة فإن عرب نجد واليمن ينتظرون إشارة السلطان للتحرك[٨٢٢].

وفي مقابل رواية شيخ الكويت يبدو أن ما ذكره القنصل الإنجليزي أكثر واقعية وذلك لأنه اعتمد على معلومات استخباراتية سليمة. وعندما توصل الاتحاديون إلى أن العرب لا يثقون بهم لم يستطيعوا تحقيق أي نجاح رغم ما قاموا به من جهود لإزالة هذه الشكوك. وعلى الأقل فإن كثيرا من الزعماء العرب تشبثوا بالتبعية للدولة العثمانية كخطوة أولى، ولكن دفاعهم عن إدارة لامركزية لم يجد آذانا صاغية. ومن جانب آخر وكما تم الحديث عن ذلك في الباب الثالث، ورغم الأهمية التي يولونها لمنطقة نجد فإنهم لم يتمكنوا من كسب ود عبد العزيز بن عبد الرحمن الذي تتسع شهرته يوما بعد يوم في هذه المنطقة ويحقق خطوات ملموسة في اتجاه الاستقلال. وفي هذا الإطار جاء في الاقتراح الذي قدمته محافظة المدينة لنظارة الداخلية في شهر فبراير عام ١٩١٠ مايلي: "من أجل تقريب ابن الرشيد وعبد العزيز بن عبد الرحمن والعربان التابعين لهما" يتم اختيار مبعوث من كلا الجانبين سواء أكان يعرف اللغة التركية أو لا يعرف، وقد قبلت النظارة هذا الاقتراح واعتبرته ايجابيا[٨٢٣]. غير أن مجلس المبعوثان لم يتناول هذا الموضوع لأن الفترة القانونية كانت قد انتهت، وجاء الرد بأن هذا الأمر سوف يبقى إلى الدورة

---

(٨٢٢) الأرشيف العثماني، (DH- SYS 25/64)

(٨٢٣) كما تم ذكر ذلك في الباب الثالث أيضا، فإن مجلس المبعوثان وفي أول افتتاح له عمل على اختيار عضو من نجد، إلا انه لم يصل إلى نتيجة. لذا يجب أن تكون هذه هي المحاولة الثانية.

الانتخابية التالية(٨٢٤). وفي بداية عام ١٩١٢ اتصل عبد العزيز بن عبد الرحمن نفسه بولاية بغداد غير أنه لم يتلق ردا ايجابيا في ما يتعلق بموضوع اختيار مبعوث عن العشائر التابعة له. كما أن مجلس الوكلاء أعلم أنه وفقا لقانون الانتخاب المعمول به من غير الممكن اختيار مبعوث عن العشائر التي لم يتم إحصاء السكان فيها(٨٢٥). غير أنه يلاحظ أن الاتحاديين عملوا على عرقلة جهود عبد العزيز بن عبد الرحمن وذلك نظرا للأجواء السياسية التي كانت سائدة في عام ١٩١٢ وكذلك حتى لا يعطوا الفرصة لأحد ليعارضهم في المجلس. وبالرغم من أن رغبة عبد العزيز بن عبد الرحمن تمت تلبيتها، فإن ما ذهب إليه القنصل الإنجليزي من قبل يعتبر حقيقة ثابتة، وذلك أن ماذكره هذا القنصل لا يمثل فقط مجرد توقعات بل يقوم على معلومات ثابتة.

وعقب عودة عبد العزيز بن عبد الرحمن من الكويت إلى الرياض تم توطيد الأمن في المنطقة، وقام بعد ذلك بالاتصال مرات عديدة بالإنجليز طالبا منهم المساعدة والحماية. وكانت حكومة الهند الإنجليزية تقف دائما ضد هذه الاتصالات، أما لندن فقد نأت بنفسها عن ايجاد أي وسيلة من أجل تغيير الوضع القائم في خليج البصرة. فمثلا عقب الانتصارات التي حققها عبد العزيز بن عبد الرحمن على ابن الرشيد في عام ١٩٠٣ اقترحت حكومة الهند الإنجليزية إرسال ممثل إلى الرياض. ومقابل ذلك طلبت لندن منها في أوائل عام ١٩٠٤ عدم إقامة أية علاقات حميمة مع نجد أو إرسال أي ممثل إلى تلك المنطقة(٨٢٦)، والحال أن عبد العزيز بن عبد الرحمن الذي وضع الأحساء نصب عينيه منذ وقت طويل يريد معرفة موقف إنجلترا في حالة استيلائه على هذه المنطقة. ولهذا السبب كان يجري اتصالاته عن

---

(٨٢٤) الأرشيف العثماني، (*DH- MUİ* 17-4/20)

(٨٢٥) الأرشيف العثماني، (*MV* 162, p. 42)

(٨٢٦) من المستر Brodricks إلى حكومة الهند الأنجليزية، 8 Şubat 1904, *IOR*, L/P & S/18/B 164; Jacob Goldberg, " The 1913 Saudi Occupation of Hasa Reconsidered" *MES*, Vol 18, Nu. 1, Janaury 1982, p. 23.

طريق كل من الشيخ مبارك الصباح والشيخ جاسم الذين كانت تربطهما علاقات طيبة مع الإنجليز، غير أنه وفي كل مرة كان يجد الرد نفسه. ومهما يكن من أمر، ورغم أن الإنجليز لم يسعوا إلى علاقة مباشرة مع عبد العزيز بن عبد الرحمن أو عقد اتفاق معه بالشكل الذي يريده فإنهم غضوا الطرف عن تهريب السلاح الذي كان يتم من الكويت والمحمرة إلى دواخل نجد، بل كانوا يشجعون على ذلك. وفي هذه الأثناء كان بعض الإنجليز يتنقلون عبر الكويت إلى دواخل نجد جيئة وذهابا عن طريق هويّات مختلفة، وكانت حكومة الهند الإنجليزية تواصل الاتصال بعبد العزيز بن عبد الرحمن وتزوده بنصائح وتوجيهات مختلفة(٨٢٧).

في أواخر عام ١٩٠٦ اتصل عبد العزيز بن عبد الرحمن مرة أخرى بواسطة الشيخ جاسم بالإنجليز حيث بعث برسالة إلى موظف الإنجليز السياسي في البحرين أفصح له فيها عن أهدافه بشكل مفصل. وذكر أنه في الفترة الأخيرة نفدت الموارد في نجد مما أدى إلى قحط المنطقة وذلك نتيجة للنزاعات الداخلية. كما أفاد أنه يريد الاستيلاء على القطيف والأحساء اللتين تعتبران أغنى المناطق بالموارد واللتين كانتا منذ القديم تحت سيطرة أجداده. وطلب عبد العزيز بن عبد الرحمن الذي أحس في نفسه القوة، الحماية من الإنجليز عبر عقد اتفاقية سرية وذلك لمواجهة احتمال دفاع العثمانيين من الساحل إلى أن يتم إخراجهم من المنطقة. ومقابل هذا اقترح عقد اتفاقيات بين الإنجليز وشيوخ الساحل في المنطقة، وفي حال نجاح ذلك فإنه لا يمانع في وجود ممثل إنجليزي في مركز الإدارة. وقد أوضح عبد العزيز بن عبد الرحمن خطته في الرسالة المشار إليها على النحو التالي:

أولا: يقوم بالاتصال بالسلطان العثماني طالبا منه إعطاءه متصرفية المنطقة، وبعد أن يحصل عليها، يقوم في أول فرصة بإخراج الحاميات العثمانية من هناك

---

(٨٢٧) الأرشيف العثماني، (*DUİT* 69/2- 26; *Y. MTV* 291/126)

ويعلن الاستقلال[٨٢٨] غير أنه إذا تم رفض هذا الطلب من قبل السلطان فإنه سوف يقوم باحتلال المنطقة حالما تكتمل استعداداته. ولهذا السبب أوضح عبد العزيز بن عبد الرحمن أنه محتاج إلى حماية الإنجليز، وتعهد أنه لن يكشف هذه الاتفاقية السرية في حال الفشل، كما أنه لن يجدد هذه الاتصالات خلال أربع إلى خمس سنوات[٨٢٩]. ورغم إصرار حكومة الهند الإنجليزية على الحصول على رد ايجابي، أوضحت الخارجية الإنجليزية أن الأجوبة التي كانت قد أعطتها من قبل تعتبر سارية المفعول. ووفقا لحكومة الهند الإنجليزية فإن دعم عبد العزيز بن عبد الرحمن سوف يقود إلى إنهاء عداوته مع مشيخات الساحل مثل مسقط وعمان التي تخضع لحماية الإنجليز وتبعيتهم، مما يؤدي إلى ازدياد نفوذ الإنجليز وتوسع تجارتهم في المنطقة. كما أن في دعم عبد العزيز بن عبد الرحمن قضاء على القرصنة التي كانت تواجه السفن الإنجليزية[٨٣٠]. ومن جانب آخر كانت مخاوف الإنجليز تتمثل في انهيار المكاسب التي حققوها في الكويت منذ عام ١٨٩٩. ومما يدفعهم إلى التفكير بشكل أكثر حذرا هو حصول الألمان على امتياز خط حديد بغداد الذي يمتد إلى حدود الكويت. ومن جانب آخر، فإن عبد العزيز بن عبد الرحمن لم يكن شيخا من شيوخ الساحل. ولهذا السبب لم يعد عبد العزيز بن عبد الرحمن الكرة مرة أخرى في موضوع طلباته إلى حدود عام ١٩١١.

في عام ١٩١١ تم تعيين القبطان شكسبير موظفا سياسيا على الكويت. وقد أوضح له عبد العزيز بن عبد الرحمن في لقائه معه أن الاتصالات السابقة ما تزال

---

(٨٢٨) كما هو معلوم، فإن أحمد فيضي باشا في عام ١٩٠٥ عقب حملة القصيم وبعد أن تم منح قائمقامية الرياض مرة أخرى لعائلة ابن سعود، وترك وحدات عسكرية صغيرة هناك، قامت هذه القوات بترك المنطقة لعدم تحملها أكثر. وربما يريد ابن سعود فعل الشيء نفسه في الأحساء.

(٨٢٩) من القبطان Prideaux إلى الميجور Cox ، ١٧ نوفمبر ١٩٠٦، (*IOR*, L/P & S/18/B 164) ؛ جولدبيرغ، *المصدر نفسه*، ص. ٢٣.

(٨٣٠) قاسم، *المصدر السابق*، ص. ٣٠٦.

سارية، وأنه يملك قوة كافية من أجل إخراج القوات العثمانية من نجد، غير أنه لا يزال يحتاج إلى الدعم الإنجليزي للوقوف ضد القوات التي يمكن أن ترسلها الدولة العثمانية من الساحل. وفي مقابل ذلك بين له شكسبير أن إنجلترا -كما بينت من قبل- ضد إقامة علاقة وطيدة بالسواحل العربية، وأنها لن تعقد معه اتفاقية ضد الدولة العثمانية و لن تتدخل في أواسط الجزيرة العربية. وذكر له أن مسؤولية هذه المناطق بيد الباب العالي، غير أنه لم يهمل الإشارة إلى أن استيلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن على الأحساء سوف يؤدي إلى تقوية المواقف الإنجليزية في المنطقة. كما أن الخارجية الإنجليزية وقفت ضد هذا الاتصال ولم يختلف ردها عن سابقيه حيث تم رفض طلب عبد العزيز بن عبد الرحمن مرة أخرى(٨٣١). وكما بين جولد بيرغ فإن عبد العزيز بن عبد الرحمن قد دخل في مأزق.

ذلك أنه من جانب كان لن يستطيع الحصول على دعم الإنجليز مالم يصل إلى مناطق الساحل، ومن جانب آخر لن يكون بإمكانه الاستيلاء على الأحساء بدون دعمهم ومن غير تحمل المخاطر(٨٣٢). وفي مواجهة هذا الموقف قام عبد العزيز بن عبد الرحمن الذي تميز بأنه كان سياسيا جيدا وذكيا بالبدء في سياسة هادئة في علاقاته(٨٣٣) مع منافسيه في نجد ومع الشريف حسين أمير مكة المكرمة من

---

(٨٣١) جولد بيرغ، *المقالة السابقة*، ص. ٢٣-٢٤.

(٨٣٢) *المقالة السابقة*، ص. ٢٤.

(٨٣٣) حدثت اختلافات بين الشريف حسين وبين ابن سعود في مسألة جمع الزكاة من بعض القبائل التي تقطن في نجد. ولهذا السبب ذهب الشريف حسين في سبتمبر من عام ١٩١٠ بعد أن أخذ إذن الحكومة إلى أنحاء الرياض برفقة بعض القوات. غير أنه انهزم في موقع دوامي على حدود نجد من قبل سعد بن سعود أخي ابن سعود والذي أخبره أن أخاه يريد عقد اتفاق معه، وأن هناك اتفاقية تتكون من أربعة مواد مكتوبة (الأرشيف العثماني [*DH- MUİ* 1328 L/101]).

ويحتوي هذا الاتفاق على المواد التالية:

١- لايجوز التعرض بأي شكل لقبيلة عتيبة التي تنتشر حتى حدود مشيخة ابن سعود وغيرها من القبائل، ولا تؤخذ منها الزكاة.

٢- في حالة ذهاب القبائل المذكورة إلى قرى نجد من أجل توفير مؤونتها، لا تؤخذ منها الضريبة المعروفة باسم الـ " باج"، وفي حالة تعرض هذه القبائل لهجوم يتم إعلام إمارة مكة المكرمة بذلك.

جانب. ومن جانب آخر بدأ يتحين الفرصة المناسبة حتى ينقض على الأحساء التي كانت تمثل هدفه الأساسي والتي كانت مرتبطة بالقوة من الناحيتين الاقتصادية والتجارية(٨٣٤).

في الوقت الذي كان فيه عبد العزيز بن عبد الرحمن يعمل على تسوية علاقاته مع منافسيه في منطقته، قام من جانب آخر بتنظيم تشكيلات "الإخوان" وذلك من أجل تجهيز قوة عسكرية من القبائل البدوية العربية. وبالرغم من وجود آراء مختلفة في ما يتعلق بمن قام بتأسيس تشكيلات الإخوان، فقد اعتبر عبد العزيز بن عبد الرحمن مؤسسا لها وذلك لظهوره المكثف منذ عام ١٩١٢. وقد تألفت تشكيلات الأخوان من الوحدات العسكرية والدينية التي كونها العرب البدو الذين وُطّنوا في مناطق سكنية تم تشكيلها في دواخل نجد تحت اسم "الحجر"(٨٣٥). وحسب القناعات الشائعة فإن أول هجر تم تأسيسها في عام ١٩١٢ كان في الأرطوية(٨٣٦). وكان البدو الذين أُسكنوا في هذه الهُجَر يشتغلون بالزراعة بجانب تلقيهم الأساسيات الوهابية على أيدي علماء وهابيين في نجد، بالإضافة إلى كونهم كانوا يتلقون تدريبا عسكريا. وحسب كوستينير (Kostiner) فإن عبد العزيز بن عبد الرحمن كان مسيطرا على حركات العصيان التي يقوم بها البدو بشكل مستمر، وكان يعمل على منع ذلك. وهدف إلى الإستفادة منهم في تكوين قوة عسكرية، وبالتالي يمكن تأمين طاعة هؤلاء البدو للتعاليم الوهابية

٣- يتحرك ابن سعود كما أوضح من قبل في مختلف خطاباته وفقا للأوامر التي ترد إليه من إمارة مكة المكرمة في أي مسألة تتعلق بالحكومة.

٤- في حالة قبول أهالي القصيم بمشيخة ابن سعود يتم التصديق على ذلك، ويتم تسليم خزينة الحجاز صريبة سنوية مقدارها ٣٠٠٠ محيدية، وفي حالة عدم قبولهم ذلك يعين الشيخ الذي يختارونه (*الوثيقة نفسها* [*DH- KMS* 2/2-2]، لف: ١٨-٢٠). غير أنه بسبب الاخلال بهذا الاتفاق من حين لآخر، فإن ابن سعود أكد التزامه به وذلك لأن أنصاره كانت مسلطة على الأحساء.

(٨٣٤) Naci Kaşif Kıcıman, *Medine Müdafası, Hicaz Bizden Nasıl Ayrıldı*? İstanbul Tarihsiz, p. 172.

(٨٣٥) للاطلاع على أول مؤلف باللغة التركية عن معتقدات وأسلوب حياة تشكيلات الإخوان انظر: M. M. Futcuh, *İhvan Fırkası*, İstanbul 1340, p. 36-47,55.

(٨٣٦) فيلبي، المصدر السابق، ص. ٢٢٤-٢٢٧ ؛ Joseph Kostiner, " On Instruments and their Designers: The Ikhwan of Najd and the Emergence of Saudi State" *MES*, Vol. 21, Nu 3, July 1985, p. 299.

الموجودة في نجد والدفاع عنها خصوصا إذا وضعنا في الاعتبار ارتباطهم بالمذهب الوهابي[٨٣٧].

كما أنه وحتى الثلاثينات واصلت تشكيلات الإخوان وجودها بشكل فاعل[٨٣٨]، وسوف تنهض بدور مهم في تكوين العربية السعودية الحديثة[٨٣٩]. ولم يتمكن الباب العالي من متابعة هذه التطورات بشكل كاف. وقبل اندلاع حرب طرابلس الغرب تم إرسال الوحدات العسكرية الموجودة في المنطقة إلى اليمن وتركت المنطقة بلا دفاع. وفي هذه الأثناء دخل البلغار إلى أدرنة في إطار حرب البلقان، فتم نقل الوحدات الموجودة في نجد والوحدات الأخرى التابعة للجيش السادس إلى استانبول[٨٤٠]. وهذا القرار غير الصائب منح الفرصة التي كان ينتظرها عبد العزيز بن عبد الرحمن منذ زمن طويل. ومهما كان عبد العزيز بن عبد الرحمن يرى نفسه قادرا على احتلال الأحساء، فهو يبقى دائما مهددا من قبل الدولة العثمانية من جهة البحر ومن قبل ابن الرشيد من جهة الشمال. ولهذا السبب فمن المهم جدا الاستفادة من الزمن. كما أنه وفي عام ١٩١٢ كانت الدولة العثمانية في مواجهة الإيطاليين في شمال أفريقيا. وبعد أن وضعت الحرب أوزارها في أكتوبر من عام ١٩١٢ بعقد اتفاق انفجرت حرب البلقان. وإثر ذلك اضطرت الدولة إلى نقل وحداتها العسكرية الموجودة في بغداد والبصرة والحفوف إلى استانبول. واغتنم عبد العزيز بن عبد الرحمن هذا الوضع المتدهور الذي وقعت فيه الدولة العثمانية، وبعد أن حصل على معلومات كثيرة من القائد الإنجليزي ليشمان الذي اتجه في

(٨٣٧) كوستينير، *المقالة السابقة*، ص. ٢٩٨.

(٨٣٨) ليس هناك علاقة بين تشكيلات الإخوان التي أنشأها ابن سعود وبين جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها حسن البنا في مصر في فترة لاحقة.

(٨٣٩) Mordechai Abier, "The Consolidation of the Ruling Class and the New Elites in Saudi Arabia", *MES*, Vol. 23, Nu: 2, April 1987, p. 151; كوستينير، *المقال السابق*، ص. ٣٠٠.

(٨٤٠) تصوير أفكار، رقم ٨٠١-٨٠٢، ١٧ يوليو ١٣٢٩، ص. ٤؛ بايور، المصدر السابق، الجزء الثاني، القسم III/١٩٩-٢٠٠.

خريف ١٩١٢ إلى الرياض عبر طريق الشام وحائل والقصيم وبريدة قرر احتلال الأحساء(٨٤١). وفي ربيع ١٩١٣ التقى س. شكسبير وعبر عن قناعته بأن الوضع الذي توجد فيه الدولة العثمانية يمثل، بالنسبة إليه، فرصة مناسبة للاستيلاء على الأحساء. وفي هذه الأثناء كان عبد العزيز بن عبد الرحمن يستقي الأخبار من رجاله الموجودين في الحفوف والقطيف وعجير، وعندما علم بأن الوحدات العثمانية قد أصبحت قليلة جدا في المنطقة شرع في بداية شهر أبريل عام ١٩١٣ في الزحف على الأحساء(٨٤٢).

أحست متصرفية نجد بالشكوك تجاه التحركات التي يقوم بها عبد العزيز بن عبد الرحمن، فأرادت الاطلاع على الموضوع من خلال الاتصال به شخصيا. وفي الرسالة الجوابية التي أرسلها عبد العزيز مع أحد رجاله ويدعى سلهوب، ذكر أن

---

(٨٤١) ورد في التلغراف المشفر الذي أرسل من ولاية البصرة إلى نظارة الداخلية بتاريخ ٤ يناير عام ١٩١٣ المعلومات التالية حول الجولة التي قام بها القبطان ليشمان وهي معلومات تعتمد على ماجاء في التحريرات المأخوذة عن متصرفية نجد: " قام الأجنبي الذي يدعى المستر ليشمان وهو بيكباشي في المشاة الأنجليز في اليوم السابع من الشهر الرومي الحالي (٢٠ ديسمبر ١٩١٢) بالعبور إلى الرياض من طريق الشام وحائل والقصيم وبريدة بدون إذن. وكان في نيته الاتجاه إلى الكويت بيد أن ابن سعود رفض ذلك، وتم إرساله إلى مركز لواء نجد سرا، ثم رافقه الجندرمة للعبور إلى البحرين وفي الأثناء مروا بمنطقة عجير. وكان الموصى إليه يتكلم العربية والفرنسية بطلاقة إلى جانب الأنجليزية. ووفقا لما ذكره فقد كان قائدا للطابور الذي كان موجودا في مدينة بيشاور على الحدود بين الهند وأفغانستان، وفي الوقت نفسه فقد كان عضوا في الجمعية الجغرافية التي يرأسها اللورد كرزن في لندن. وفي تلك الأثناء كان يتنقل في نواحي بغداد والبصرة والكويت، وكان يرتدي الزي البدوي ويخالط العربان على اعتبار أنه أحد موظفي قنصلية إنجلترا في الشام وبغداد. وكان يحمل معه آلات طبوغرافية وفتوغرافية ومبلغا كبيرا من المال. ولم يكن الشخص المذكور يحمل أي شبهة في كونه مبشرا. وبالرغم من كونه عضوا في الجمعية الجغرافية الأنجليزية فإن أحدا من المسيحيين لم يتجرأ على الإلقاء بنفسه في هذه المخاطر والمهالك. ويكفي أن يبين الشخص المذكور مقصده من تنقله بين العشائر والعربان، وبسبب عدم وجود مركز للتلغراف في نجد فمن الضروري من الآن فصاعدا بيان المعاملة التي يعامل بها هؤلاء والتبليغ بذلك..." . الأرشيف العثماني، (BEO 309939). وقد كان هذا الموضوع سببا لتبادل الرسائل بين نظارتي الداخلية والخارجية والصدارة. وفي النتيجة صدرت التوصية إلى ولاية البصرة بما يلي: " من الضروري رصد المخاطر التي يمكن أن تنتج عن تنقل مثل هؤلاء الأشخاص بين العشائر ومراقبتهم، ولكن ينبغي معاملتهم معاملة طيبة لا تثير شكوى القناصل، أما إذا تصرفوا خلافا للقانون فمن الضروري تطبيق القانون وإعلام القناصل". الأرشيف العثماني، (BEO 310399) .

(٨٤٢) كولدبيرغ، المصدر السابق، ص.٢٦-٢٧؛ القاسم، المصدر السابق، ص.٣١١.

فرقة العرجة التي تنسب إلى عشيرة عجمان وبعض العربان قاموا بنهب العربان التابعين لعشائره، وهدفه من هذه الحملة هو استعادة هذه الممتلكات وردها إلى أصحابها. وذكر كذلك أنه يوجد على مسافة أربع وعشرين ساعة من الأحساء. وكالعادة عملت المتصرفية على تهدئة رجال عبد العزيز بن الرحمن وأعادتهم من جديد من حيث أتوا، ثم أرسلت تقريرا في هذا الموضوع إلى ولاية البصرة. وفي ٩ أبريل ١٩١٣ قامت الولاية بإرسال تلغراف في هذا الشأن إلى نظارة الداخلية. غير أن ما نفهمه أن هذا الموضوع لم يحض باهتمام كبير ونظر إليه على أحد المشاكل التي تقع في العادة في ما بين العشائر، ولذلك لم يقع التوقف عنده طويلا(٨٤٣). كما أنه وبعد مدة قصيرة من ذلك انطلق عبد العزيز بن عبد الرحمن برجاله حتى وصل أسوار الحفوف. وهناك تواريخ متضاربة حول وصوله إلى الحفوف، ولكن يعتقد بشكل كبير أن ذلك كان في ليلة ٤ مايو(٨٤٤). وحسب ما يفهم من التقارير اللاحقة فإن عبد العزيز بن عبد الرحمن هجم على أسوار الحفوف ليلة ٤ مايو بمساعدة حوالي ٦٠٠ ممن يثق فيهم من رجاله، واستطاع الرجال الـ٦٠٠ الذين اختارهم عبد العزيز بن عبد الرحمن بسهولة محاصرة الأعداد القليلة من الجيش العثماني الموجودة هناك ثم تمكنوا من السيطرة على المدينة. وإثر ذلك، وحتى يثبتوا أن الأمور أصبحت فعلا بأيديهم سمحوا لهذه الوحدات بالانصراف من هذه المنطقة والتوجه إلى البحرين. وفي ١٥ مايو تمكن عبد العزيز بن عبد الرحمن بسهولة من الاستيلاء على عجير والقطيف، ثم ومع نهاية مايو أصبحت منطقة الأحساء كلها تقريبا تحت سيطرته. وأما الباب العالي الذي أُخذ على حين غرة فقد بقي بلا حيلة أمام هذا الواقع، واكتفي بالقرار بإعلان الأحكام العرفية في ٢٠ مايو في القطيف وما حولها، وذلك إثر التقرير الذي ورد عن نورس بك قائد فرقة نجد الذي لجأ مع

---

(٨٤٣) الأرشيف العثماني، Nr.157 ,(*BEO Dahiliye-Gelen* 81/3-30) ,(*DH-SYS* 25/75).

(٨٤٤) للاطلاع على هذه التواريخ المتضاربة انظر: كولدبيرغ، *المصدر السابق*، ص. ٢٧ وكذلك الهامش رقم ٣٣. وانظر كذلك، الريحاني، *المصدر السابق* ص.٢٠٨؛ أمين سعيد، *تاريخ الدولة السعودية*، II/٥٦.

وحداته إلى البحرين[٨٤٥]. بيد أن هذه المحاولات لا تعدو كونها مجرد محاولات يائسة، ذلك أن إعلان الأحكام العرفية في منطقة لا يمكن الحصول على شيء من أخبارها لا يفيد في شيء. وفي بداية شهر يونيو تحركت الوحدات العسكرية الموجودة في البحرين من أجل استعادة ميناء عجير، غير أن الهجوم المضاد الذي نفذه عبد العزيز بن عبد الرحمن أجبر هذه الوحدات على التراجع[٨٤٦].

وفي ٨ يوليو عام ١٨١٣ اجتمع مجلس الوكلاء ونظر في هذه التطورات الأخيرة، وتم التأكيد في هذا الاجتماع على ضرورة بسط سيطرة الدولة على المنطقة، وكذلك الحرص على ألا تمتد الأحداث القائمة في الأحساء إلى بقية المناطق الأخرى. ولهذا الغرض تقرر دعم "سفينة مرمريس" الراسية في البصرة بزورقين مدفعيين والتوجه نحو سواحل الأحساء من أجل استعادة منطقتي القطيف وعجير.

وأوضح مجلس الوكلاء أنه لا يمكن للحكومة أن تتخذ أية تدابير أخرى إلا بعد استعادة نفوذها على هذا النحو. كما قرر مجلس الوكلاء عقد اتصالات مع عبد العزيز بن عبد الرحمن واستمالته من خلال تخصيص مرتب له. كما أفاد أنه بعد استعادة المنطقة يتم إرسال أشخاص ذوي نفوذ إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن بهدف عقد اتفاق معه[٨٤٧]. ولكن بسبب عدم وجود عساكر كافية في تلك المنطقة لم يتسن القيام بأي عمل عكسري، بل إن جميع الموظفين العثمانيين الموجودين في المنطقة اضطروا للانتقال إلى البصرة[٨٤٨]. وفي العريضة التي أرسلها متصرف نجد الموجود في البصرة بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٩١٣ إلى نظارة الداخلية أوضح أن الحملة العسكرية التي تم التفكير فيها ولم يتم تنفيذها تركت تأثيرا سلبيا لدى الأهالي

---

(٨٤٥) الأرشيف العثماني، (*İMM* 1331 C/3)؛ (*BEO* 313105)

(٨٤٦) الأرشيف العثماني، Nr.511 ,(*BEO Dahiliye-Gelen* 81/3-30)

(٨٤٧) الأرشيف العثماني، (*MV* 179)، ص. ١١/١-٢؛ بايور، *المصدر السابق*، ص. ٢٠٠.

(٨٤٨) قرر مجلس الوكلاء في ١٠ سبتمبر عام ١٩١٣ دفع مرتبات هؤلاء الموظفين الذين أجبروا على الذهاب إلى البصرة، بحيث تعطى المرتبات التي تصل إلى حدود مائتي غرش كاملة في حين تعطى نصف المرتبات التي تتجاوز المائتي غرش.

التابعين للدولة والذين يتكون أكثرهم من العشائر واضطروا للتظاهر بالميل لعبد العزيز بن عبد الرحمن. ووفقا لما أورده متصرف نجد فإن عبد العزيز بن عبد الرحمن استطاع أن يستولي على الأحساء بفضل التحالف الذي عقده مع سبعة أو ثمانية أشخاص منهم على سبيل المثال عبد الرحمن وهو أحد أقاربه وعضو مجلس الإدارة، وكذلك عبد اللطيف المفتي السابق لنجد، أما بقية الأهالي والمشايخ فهم تابعون للدولة ولكن خوفهم هو الذي جعلهم يظهرون بمظهر المطيع لعبد العزيز بن عبد الرحمن. وحسب الأخبار التي حصل عليها المتصرف فإن عبد العزيز بن عبد الرحمن، وخوفا من هجوم متوقع من جانب الدولة عمد إلى أخذ أموال زكاة التمر لذلك العام والأموال الموجودة في صندوق نجد والتي تربو على ثلاثين ألف غرش، وأخذ كذلك مبلغ ثمانية آلاف غرش جمعه عنوة من الأهالي، إضافة إلى الكراسي والتّخت الذي كان موجودا في مقر الحكومة، ثم قصد إلى الرياض وترك في الأحساء بعض الأشخاص الذين يحضون بثقته[٨٤٩]. وفي عريضة متصرف نجد التي ذكرناها يصر على ضرورة القيام بعمل عسكري من أجل استعادة المنطقة، ولهذا الغرض فقد قدم بعض المعلومات الجغرافية والسياسية التي يراها مفيدة. وأضاف أيضا في المكتوب نفسه أنه بالإمكان استعادة الأحساء في زمن قصير وذلك بالاستفادة من العداء الذي يكنه الوهابيون لسكان القطيف الشيعة وكذلك من المعارضة التي تبديها العشائر لعبد العزيز بن عبد الرحمن وبشكل خاص الاستفادة من أقارب من قتلهم من العرايف قبل سنتين ونصف[٨٥٠]. وبالإضافة إلى ذلك ذكر في العريضة نفسها أن ما أقدم عليه الوهابيون في الأحساء من هدم لبعض المقابر التي توجد فيها منابر وقباب جعل الأهالي يشعرون بالعداء تجاههم، ولهذا السبب

---

(٨٤٩) الأرشيف العثماني، (*DH-SYS* 25/113).

(٨٥٠) للاطلاع على العصيان الذي قام به العرايف أنظر: David Holden-Ricahrad Johns, The House of Saud, London 1981, p.42-43.

فهم لا يتوقفون عن إرسال المبعوثين إلى البصرة من أجل تخليصهم من هؤلاء[٨٥١].

وفي الحقيقة فقد كان من الممكن استغلال مناخ العداء الذي تكون ضد عبد العزيز بن عبد الرحمن وكذلك الاستفادة من استعداد ابن الرشيد وشريف مكة المكرمة للدخول في تحالف مع الحكومة في كل لحظة من أجل إخراج عبد العزيز بن عبد الرحمن من المنطقة. بيد أن الحكومة كانت منذ فترة تخشى من تزايد جو عدم الاطمئنان الذي يشيع بين العرب بسبب عمليات التمرد، وربما لهذا السبب لم تتخذ أية إجراءات من هذا القبيل.

كما أنه وأثناء جريان جميع هذه الأحداث، عقد في باريس في شهر يونيو عام ١٩١٣ مؤتمر جمع بين الذين يريدون الانفصال تماما عن الدولة العثمانية وبين أولئك الذين يريدون فقط الإدارة اللامركزية[٨٥٢]. وقد تابع الاتحاديون هذا المؤتمر باهتمام كبير، وفي ختامه بحثوا عن أرضية اتفاق مع الزعماء العرب، ومن أجل تحقيق هذا الهدف تم إرسال مدحت شكري إلى باريس لمتابعة المؤتمر، وقد عاد إلى استانبول ومعه ثلاثة من الممثلين الذين شاركوا فيه. وفي استانبول دارت محادثات بين الجانبين استمرت لمدة شهرين وأفضت إلى اتفاق في موضوع إجراء إصلاحات في الولايات العربية[٨٥٣]. وحتى يتم تطبيق مواد هذه الاتفاقية تم أخذ موافقة السلطان (إرادة) في أواسط أغسطس ومن ثم نشرت المواد في الصحف.

ولا شك أن القيام بحملة عسكرية على الأحساء في الوقت الذي كانت الحكومة تبحث عن أرضية اتفاق مع العرب وتفكر في القيام بإصلاحات تماشيا مع مطالبهم في تلك المناطق كان سوف يؤثر تأثيرا سلبيا على هذه الاتفاقية. كما أنه وبحجة

---

(٨٥١) الأرشيف العثماني، (*DH- SYS* 25/113).

(٨٥٢) للاطلاع على أوراق المؤتمر انظر: *المؤتمر العربي الأول*، القاهرة ١٩١٣.

(٨٥٣) للاطلاع على مواد الاتفاقية انظر: زكريا كورشن، *المصدر السابق*، ص. ١٣٥-١٣٦.

عدم تطبيق الإصلاحات الموجودة في الاتفاق المذكور فإن ممثل عبد العزيز بن عبد الرحمن ومعه مجموعة من الزعماء العرب اجتمعوا في أوائل نوفمبر من عام ١٩١٣ في الكويت[٨٥٤]. وهكذا فإن وضعا مثل هذا ولد ضرورة البحث عن حلول أخرى بدل التحرك العسكري بالرغم من وجود من يؤمن بعكس ذلك في استانبول أي بضرورة اعتماد الحل العسكري، إلا أن هذا الفريق كان يمثل أقلية. وكانت القناعة السائدة لدى الباب العالي هي اعتبار استيلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن على لواء نجد مسألة خطيرة للغاية، كما إن هذا الوضع سوف يكون سببا في نشر أفكار سلبية جدا بشأن الحكومة.

من جانب آخر فإن الجهود التي تجري للمحافظة على الوضع الخاص في نجد بالنظر إلى موقعها، وكذلك في خليج البصرة والخوف من فشل هذه الجهود بهذه الطريقة أعطى الموضوع أهمية متزايدة[٨٥٥]. لهذا السبب طلبت الحكومة المنزعجة آراء مختلف وحداتها في التدابير التي يمكن اتخاذها. فمثلا من بين هذه الوحدات قامت مديرية الاستطلاعات الأمنية العمومية بتقديم لائحة احتوت من جانب على تحليل الموضوع ومن جانب آخر وضعت اقتراحات مختلفة لحلّه. وقد أجملت هذه اللائحة المقدمة والممهورة من قبل أحمد فؤاد الأسباب التي أدت إلى استيلاء عبد العزيز بن عبد الرحمن على الأحساء على النحو التالي:

١- عدم الاتفاق مع شريف مكة المكرمة ومحاولاته لإخضاع عبد العزيز بن عبد الرحمن لطاعته[٨٥٦].

---

(٨٥٤) الأرشيف العثماني، (*DH- KMS* 2-2/2) ، لف: ١٥.

(٨٥٥) *الملف نفسه*، لف: ١٧٠-١٧٢.

(٨٥٦) في الحقيقة كان النزاع بين ابن سعود والشريف حسين ينظر إليه بأشكال مختلفة بين الرأي العام. فمثلا عقب قيام الشريف حسين بالحملة التي قادها على منطقة القصيم في أواخر عام ١٩١٠، ذكرت صحيفة "العرب" التي كانت تصدر في استانبول في عددها رقم ٢٥ بتاريخ ٥ تشرين الأول ١٣٢٦ مايلي: " وفقا لمعلوماتنا فإن حضرة الأمير ابن سعود قد تسبب في كثير من المآسي للمجتمع، كما أقام السلام والأمن الدائمين في القصيم، وأمر بقراءة الخطبة باسم السلطان، بالإضافة إلى أنه أسر أخاه. فمبروك له ذلك. فما أجمله من نصر وتوفيق كبيرين (!) فياترى هل هاجم ابن سعود الدولة-

٢- الحظوة التي وجدها ابن الرشيد لدى الحكومة وهو يمثل أكبر منافسيه.

٣- عدم تخصيص مرتب لعبد العزيز بن عبد الرحمن مثل والده عبد الرحمن بن فيصل وابن الرشيد.

٤- الدعاية التي روجها الأجانب وسط العرب والتي مفادها أن "الدولة تبيع بلادكم للإنجليز"[٨٥٧]، بالإضافة إلى وقوف طالب النقيب[٨٥٨] ضد الأتراك وتشجيعه للعرب وبصفة خاصة لعبد العزيز بن عبد الرحمن.

معاذ الله- ، فيؤدب أمير مكة المكرمة المشار إليه. إذا كانت صلة ابن سعود بالدولة قد ضعفت وأصبح من العصاة فأيّ البلاد التي هاجمها؟ نحن لم نسمع أي شيء في هذا الأمر سواء أكان رسميا أو غير رسمي. أما إذا سمعنا أي شيء من ذلك فإن ابن سعود أمير نجد يجب أن يكون قد حاول إرسال مبعوث من الأهالي الخاضعين لحكمه في الافتتاح الأول لمجلس المبعوثان العثماني. نعم عندما نرى مجلس مبعوثاننا خاليا من مبعوث مكة، يعني في عام الافتتاح، فقد كان هو يعمل على إرسال مبعوث. وإذا كان أمين بك والي سواس اليوم واليا للحجاز بالوكالة، ولو لم يوجد هذا السعي والاهتمام فإن المحلس الملي العثماني ما كان سيرى مبعوثا لمكة.

الآن كيف يجوز لأمير مكة المكرمة الغزو مع ابن سعود. ياترى هل تلقى الأمير هذا الأمر من الباب العالي؟ أم أنه تلقى هذا الأمر من وراء الكواليس؟ ترى باسم من كانت تقرأ الخطبة التي كان يقرأها أمير مكة المكرمة باسم السلطان محمد الخامس في القصيم، ؟ ترى هل الأمن والسلام في الحجاز مستقرين؟ وهل استطاع حضرة الأمير مع عساكره الذين تحرك بهم حتى القصيم توفير الأمن والسلام؟ ". وأنهت الصحيفة مقالها على النحو التالي: " إذا لم يمنع الباب العالي أمير مكة المكرمة من اتباع هوى نفسه فإن الأمور الداخلية يمكن أن يدخلها الاضطراب". الأرشيف العثماني (*BEO* .*A.VRK*.729/37)

وكما هو ملاحظ فإن صدى النزاع بين شريف مكة المكرمة وابن سعود كان قد شغل الرأي العام قبل الاستيلاء على الأحساء ببضع سنوات. ويحتمل أن تفكير مديرية الاستطلاعات كان مصدره هذه المناقشات. ومن جانب آخر فقد كانت تحمل جانبا من الحق. وقد بدأ الشريف حسين الذي تم تعيينه على الحجاز بعد فترة قصيرة من ذلك باتخاذ القرارات والتحرك من أجل الاستقلال عن الحكومة. كما أنه ركب جميع المكائد من أجل نزع أي صلاحية عن الولاة الذين كانت الحكومة تقوم بإرسالهم. ورغم هذا فإنه يعتبر عنصر توازن في مواجهة ابن سعود في نجد والإدريسي في عسير ولم تكن هناك عرقلة لنشاطاته. ومن جانب آخر فإن الزكاة التي كانت تؤخذ من القبائل المقيمة على الحدود بين نجد والحجاز تمثل أهم أسباب إثارة المشاكل بين أمراء نجد وأمراء مكة.

(٨٥٧) في عام ١٩١٣ كانت الدولة العثمانية تجري اتصالات في لندن من أجل عقد مجموعة من الاتفاقيات المتعلقة بالبصرة ونواحيها، فربما هذا هو الذي جعل معارضي الدولة العثمانية يشيعون بأنها باعت أراضي العرب للأنجليز.

(٨٥٨) طالب النقيب هو مبعوث البصرة، كان من طليعة المعارضين العرب في المجلس، غير أنه عندما أدرك أنه لن يستطيع مواصلة معارضته في استانبول ذهب إلى البصرة، وأسس هنا في عام ١٩١٣ جمعية اصلاحات البصرة، وعن طريقها

هذه الأمور التي رتبها أحمد فؤاد تشبه تلك التي فكر فيها عند ظهور مشاكل من قبل في المنطقة مثل (تعيين عبد العزيز بن عبد الرحمن متصرفا على الرياض، وتخصيص مابين ١٠ إلى ١٢ ألف ليرة من دخل لواء نجد كراتب، وقبول مبعوث من نجد بعد إجراء بعض التعديلات على القانون الأساسي وما شابه ذلك). وإلى جانب ذلك فمن الغريب الاقتراح الذي يدعو إلى تشكيل نظام في نجد وما حولها على النحو الذي تم تطبيقه في مسقط وعمان وحضرموت والذي يدعى "The Trucial Alliance"، فالإنجليز في عمليات احتلالهم يرون أن هذه السياسة أثبتت جدواها وفعاليتها أثناء تطبيقها.

حسب هذا الاقتراح الأخير، فإنه في حالة ظهور اختلافات بين القبائل، يتم تأديب الطرف المعتدي والمهاجم بواسطة قوات من الحكومة، بالإضافة إلى أنه بعد أن يتم تحديد نفوذ كل قبيلة وحدودها، يؤسس "مجلس تحكيم" بين القبائل تسند رئاسته إلى المتصرف. وألمح أحمد فؤاد إلى الضرورة الملحة للتحرك العسكري لانتشال شبه الجزيرة العربية من التخلف وإحكام سيطرة خلافة آل عثمان على تلك المناطق في حال عدم تنفيذ المسائل التي ذكرت سابقا وعدم كسب عبد العزيز بن عبد الرحمن، و قدم الاقتراحات التالية حتى يتم إنجاز هذه الأمور:

إرسال ثلاثة إلى أربعة من طوابير النظامية التي جهزت بالمدافع الرشاشة إلى المنطقة

وتسلك الطريق الذي اتبعه مدحت باشا، ومن ثم تسيطر على المنطقة. ويجب أن يقوم كل من أبناء عم عبد العزيز بن عبد الرحمن الذين هربوا منه واستقروا

شكل معارضة قوية ضد تطبيقات الإتحاديين، حتى أنه توجد وثيقة أخرى تشير إلى أن طالب النقيب شجع ابن سعود على الاستيلاء على الأحساء. الأرشيف العثماني، (DH- KMS 2/2-2) ، لف: ١٧٠-١٧٢.

في مكة المكرمة كلاجئين وابن الرشيد وعجيمي السعدون [٨٥٩]، وكذلك شريف مكة المكرمة الذي هو خصم لعبد العزيز بن عبد الرحمن بضرورة دعم هذه القوات. وبجانب هذا ينبغي أن يشترك أهالي بيشة بطابورين في هذه الحملة[٨٦٠].

بعد هذه الاقتراحات ناقش أحمد فؤاد الموضوع من زاوية أخرى، فقام بانتقاد الذين يرفضون التحرك العسكري على خلفية قلقهم من أن يكون هذا سببا في التدخل الإنجليزي، وأوضح أن ذلك عبارة عن أوهام. وحسب رأيه فإن تدخل إنجلترا نتيجة للتحرك العسكري العثماني في منطقة معترف بأنها جزء من الدولة العثمانية غير ممكن لا عقليا ولا قانونيا. ومن جانب آخر فإن إنجلترا لن تجازف بمثل هذا التدخل خوفا من أن يثير تجاهها حفيظة العالم الإسلامي وخصوصا في الهند[٨٦١].

في هذه الأثناء بدأت الأخبار تصل إلى ولاية الحجاز تفيد بأن عبد العزيز بن عبد الرحمن قام بإرسال هدايا إلى شريف مكة المكرمة طالبا التقارب بينهما. وفي ١١ يناير عام ١٩١٤ أرسل أحمد نديم والي الحجاز تحريرات سرّية إلى نظارة الداخلية كشف فيها أن ناصر بن سعود ابن عم ابن سعود ذكر أنه زار الشريف برفقة مساعده. وأوضح أنه في اللقاء الذي أجري معه أفاد بأن " ابن سعود (عبد العزيز بن عبد الرحمن) ليس ضد الحكومة السنية وهو دائما "خادم صادق للإسلام ولمقام الخلافة المقدس"، وأضاف أن عبد العزيز بن عبد الرحمن طلب تسوية

(٨٥٩) كان عجيمي من أوائل الذين أرادوا الاستفادة من هذا الوضع وكسب النفوذ شأنه في ذلك شأن الكثير من زعماء العشائر في المنطقة. وجاء في التلغراف الذي بعث به في ٢٨ مايو عام ١٩١٣ إلى نظارة الحربية: " لقد أوضحت أنه إلى أن يتم إنقاذ الأحساء من المتمردين، فإنه يجب تسليح جميع العشائر والقبائل وكذلك انضمام القبائل التابعة إلى ابن رشيد إلى العساكر والزحف بأقصى سرعة إلى تلك الناحية واضعين في الاعتبار روابط الدين والدولة والوطن ". الأرشيف العثماني (*BEO* 133363)

(٨٦٠) الأرشيف العثماني،(*DH- KMS* 2/2-2)، لف: ١/٢١٣.

(٨٦١) *الملف نفسه*، لف: ٢/٢١٣.

مسألة نجد بشكل مناسب مع الحكومة[٨٦٢]. وتطورت الأحداث على هذا النحو، وكانت هناك شكوك حول هذه التصريحات التي لايعرف مدى صحتها وإذا كانت صحيحة فإلى أي مدى تعتبر صادقة. وكانت الحكومة لا تريد أن تغفل الخيارات الأخرى عند الضرورة، وحتى تستخدم ابن الرشيد بصفة خاصة للوقوف في وجه ابن سعود، قامت بزيادة راتبه من ١٥ ألف إلى ٢٥ ألف غروش، بالإضافة إلى منحه النشان العثماني المرصع وكذلك منحه بطاقات خط سكة حديد الحجاز[٨٦٣].

وبالشكل نفسه وحسب الأخبار الواردة فإن ابن سعود الذي كان بصدد البحث عن خيارات أخرى ربما حاول إيجار الدمام التابعة لنجد للإنجليز بهدف الوقوف أمام ضغوطات الدولة العثمانية[٨٦٤].

أعلم الباب العالي في أوائل فبراير عام ١٩١٤ خلال المكاتبات التي أجراها مع ولاية الحجاز أنه يريد حل مسألة نجد عن طريق تعيين عبد العزيز بن عبد الرحمن متصرفا على الأحساء، ويتم انتقال الأمر من بعده إلى أولاده[٨٦٥]. غير أن وهيب باشا والي الحجاز الجديد ذكر في الجواب الذي أرسله بتاريخ ٨ فبراير، أن حل المسألة بهذا الشكل سوف يمكن عبد العزيز من الوصول إلى تحقيق هدفه، كما سوف يقود هذا إلى إيقاظ اعتراضات الآخرين في شبه الجزيرة العربية، ولهذا السبب يرى الوالي أن الحل الأنسب لهذه المشكلة هو مساعدة أحد أبناء عم عبد

---

(٨٦٢) *الملف نفسه*، لف: ١/١٨. جاء في المذكرة التي بعثت بها نظارة الداخلية بتاريخ ٤ نوفمبر علم ١٩١٣ إلى الصدارة في هذا الموضوع ما يلي: " شرع ابن سعود في الأيام الأخيرة في الوقوف في وجه الحكومة، وقد تسبب هذا الاختلال في المنطقة في اكتساب مسألة إدارة نجد ونواحيها أهمية قصوى. وقد كان حضرة الأمير ابن رشيد منذ القديم منافسا وخصما لابن سعود في تلك الجهات، لذا يجب الوقوف بجانبه والشد على يديه وتحريضه ضده. وتمخضت المحادثات التي تمت مع رشيد باشا وكيل ابن الرشيد والموجود في استانبول على زيادة مرتب ابن الرشيد إلى٢٥ ألف غرش، وعليه يبلاغه بهذا الأمر" (*BEO*, 317156). وللاطلاع على القانون الصادر في هذا الموضوع أنظر: (*İMM* 1332 Ş/31).

(٨٦٣) *الملف نفسه*، لف: ٤-٩.

(٨٦٤) *الملف نفسه*، لف: ٦٠-٦٣.

(٨٦٥) *الملف نفسه*، لف: ٢٣.

العزيز بن عبد الرحمن المعارضين له بالمال والسلاح[٨٦٦]. واكتفت نظارة الداخلية في ردها بتاريخ ١٢ فبراير بأنها الآن في حالة انتظار كما أنها سوف تتحرك وفقا للظروف[٨٦٧]. ويعكس رد النظارة هذا حالة التردد التي كانت تعيشها الحكومة ذلك أن الاقتراحات بالحلول لا تزال تصل من المنطقة. فمثلا كان سامي بك متصرف نجد من المصممين على التحرك العسكري، وبين في التلغرافات التي أرسلها بتاريخ ١١ و٢٣ فبراير من البصرة أنه تناول مع طالب النقيب ومبارك الصباح شيخ الكويت وخزعل شيخ المحمرة مسألة نجد، فأوضحوا له أنهم يريدون حل هذه القضية مقابل تحملهم للتكاليف، وقد ورد في التلغرافات نفسها أن طالب النقيب تساوره الشكوك من سليمان شفيق الذي عين واليا على البصرة وقائدا عسكريا وكذلك من الجنود الذين جلبهم معه[٨٦٨]. وبمرور الأيام أصبحت الأحداث تأخذ أبعادا مختلفة. فمثلا وكما تم بيان ذلك من قبل، فإن طالب النقيب الذي لم يكن في وفاق مع الحكومة، بل وحسب الشائعات كان يحض عبد العزيز بن عبد الرحمن على الاستيلاء على الأحساء، أصبح الآن يعمل على تحسين علاقاته معها، وذلك لأن هذا الوضع سوف يؤدي إلى زيادة نفوذه في المنطقة. ونظرا إلى أن طالب لم يكن لديه قبيلة أو عشيرة تابعة له شأنه في ذلك شأن بقية الشيوخ الآخرين، فقد كان في حاجة باستمرار إلى الحيل والألاعيب السياسية، ولهذا كان يخشى من عدم القدرة على التوصل إلى اتفاق مع الوالي الذي أرسله الاتحاديون وكذلك من انكشاف حيله. ويحتمل أنه لهذا السبب أراد حل المسألة عن طريق استخدام الشيوخ الآخرين قبل وصول الوالي ومن معه من العساكر إلى البصرة. ولأن استانبول

---

(٨٦٦) *الملف نفسه*، لف: ٥٩.

(٨٦٧) *الملف نفسه*، لف: ٥٨.

(٨٦٨) *الملف نفسه*، لف: ٦٠-٦٥، ١/٧١. بالإضافة إلى أن طالب النقيب اعتاد في البصرة على التصرف بشكل حر. ولم يتحرك الإداريون المحليون والأركان العسكريون هناك تجاه هذا السلوك. غير أن تفكيره في أن يقوم الوالي الجديد وكذلك القائد بالحد من تحركاته جعله يشعر بالقلق.

كانت على علم بهذا الأمر فقد أرسلت في ٢٦ فبراير تلغرافات إلى كل من والي بغداد وإلى سامي بك متصرف نجد الذي كان موجودا في البصرة وأمرتهما بعدم القيام بأي تحرك حتى وصول سليمان شفيق بك إلى البصرة[٨٦٩].

١- بدء الاتصالات فيما بين سليمان شفيق وعبد العزيز بن عبد الرحمن

قام جاويد والي بغداد بإرسال بهاء بك وهو ركن عسكري إلى البصرة حتى يزيل قلق طالب في موضوع تعيين سليمان شفيق على البصرة. وكان يوجد فيها كذلك سامي بك متصرف نجد. وقد عمل مع بهاء بك على إقناع كل من طالب النقيب ومبارك الصباح شيخ الكويت وكذلك خزعل شيخ المحمرة. وفي أواخر شهر فبراير وصل الوالي إلى البصرة واستقبل استقبالا احتفاليا من قبل هؤلاء جميعا[٨٧٠]. ويعتقد أنه طُلب من أصحاب النفوذ في المنطقة أن يظهروا ولاءهم للدولة بهذا الشكل.

وفي تلك الأثناء يلاحظ أن إنجلترا بدأت تعطي أهمية متزايدة لمسألة نجد، فاهتمت بالمحافظة على السفن التجارية الإنجليزية خصوصا تلك التي تذهب إلى القطيف والأحساء (عجير). بل إنه وحسب الأخبار الواردة فإن الإنجليز توصلوا إلى اتفاق مع عبد العزيز بن عبد الرحمن في هذا الموضوع. ومن جانب آخر فإنهم كانوا قلقين من معرفة الموقف الذي سوف تتخذه الدولة العثمانية ضد عبد العزيز بن عبد الرحمن، حيث أنهم كانوا قد عقدوا في يوليو ١٩١٣ اتفاقية مع الدولة العثمانية تنص على قبول نجد كأرض عثمانية في حال عدم حدوث أي تعد. ولهذا السبب كان الإنجليز يريدون أن يخطوا خطوة لا تكون سببا لخلق مشاكل جديدة. وطلبوا معرفة موقف الحكومة في هذا الموضوع من إبراهيم حقي باشا الذي كان موجودا في لندن في تلك الأثناء لإجراء محادثات معهم فيما يخص الاتفاقية المتعلقة بحدود جنوب شبه الجزيرة العربية. وكان لدى الحكومة مجموعة

---

(٨٦٩) *الملف نفسه*، لف: ٦٠-٦٥، ١/٧١.

(٨٧٠) *الملف نفسه*، لف: ٧٣.

من الخيارات في مسألة نجد، غير أنه لم يتم حتى ذلك الوقت اعتماد واحد من تلك الخيارات، بل حتى سليمان شفيق الذي عين على البصرة لم تعط له تعليمات واضحة. وفي ١٨ مارس ١٩١٤ قام إبراهيم حقي باشا بإرسال تلغراف من لندن إلى سعيد حليم باشا ناظر الخارجية ربما كان يهدف إلى توجيه الحكومة. و في هذا التلغراف اقترح عرض الشروط التالية على عبد العزيز بن عبد الرحمن:

١- إعطاء متصرفية نجد بما في ذلك الساحل لعائلة ابن سعود وراثيا، ويعين متصرفها من العائلة نفسها حسب الوراثة وبناء على الكفاءة وذلك بعد أخذ فرمان من السلطان.

٢- الإبقاء على عساكر عثمانيين في موقعي القطيف وعجير.

٣- تعيين القضاة باقتراح من عبد العزيز بن عبد الرحمن وبإرادة من السلطان.

٤- قبول إعطاء ضريبة سنوية يحدد مقدارها (تعتبر هذه المادة الأقل أهمية من بين هذه الشروط).

٥- تعود امتيازات الإعمار والتعدين إلى الدولة كما هو الحال منذ القديم، كما يقوم موظفوها بإدارة الموانئ الموجودة في الساحل وكذلك إدارة الجمارك والبريد والتلغراف باستقلالية تامة.

٦- تعهد عبد العزيز بن عبد الرحمن بتقديم المساعدة من أجل إدارة المواضع المذكورة إدارة سليمة.

٧- الإبقاء على جميع اتفاقيات الدولة العثمانية في لواء نجد سارية المفعول، ويتم تنفيذ أعمال الأجانب في تلك المنطقة بواسطة المتصرف بشكل يتناسب مع قرار المدير السياسي الذي سوف تقوم الحكومة بتعيينه.

٨- تخصيص إيرادات الجمارك والبريد والتلغراف للدولة حتى يتمكن المدير السياسي من دفع مرتبات العساكر والمستخدمين والموظفين العاملين في إدارتي الجمارك والبريد، ويتم سد العجز بواسطة الحكومة.

٩- تعهد عبد العزيز بن عبد الرحمن بعدم الاعتداء على أراضي الكويت وحائل والحجاز وقطر والبحرين بالإضافة إلى أراضي القبائل الممتدة حتى نواحي مسقط.

١٠- منع تهريب السلاح والقرصنة وتجارة الرقيق وجميع التحركات العسكرية البحرية، وإجبار عبد العزيز على حظر مثل هذه الأمور في المناطق التي تخضع لإدارته.

١١- إلزام عبد العزيز بن عبد الرحمن بعدم عقد أي اتفاقية مع حكومة أجنبية، وذلك لأن الدولة هي التي تملك حق عقد الاتفاقيات والمعاهدات مع الحكومات الأجنبية.

وأشار إبراهيم حقي باشا إلى ضرورة الإسراع في بدء المحادثات مع عبد العزيز بن عبد الرحمن، وأضاف أنه يمكن تحديد المواد السابقة أو توسيعها حسب سير المحادثات، وبالإضافة إلى ذلك فقد طلب إبراهيم حقي باشا من الإنجليز التوصل إلى اتفاق مع عبد العزيز بن عبد الرحمن[٨٧١].

من جانب آخر قام سليمان شفيق بعد وصوله إلى البصرة بإرسال أول تقرير مفصل في ٢٠ مارس عام ١٩١٤ إلى نظارة الداخلية[٨٧٢]، وأوضح في هذا التقرير أنه لم يتلق أية تعليمات وأوامر فيما يتعلق بمسألة نجد، بيد أنه عند مجيئه إلى البصرة بذل جهودا في هذا المجال، وأورد آراءه على النحو التالي:

إنه لا يمكن حل مسألة نجد التي تتحكم في مقدرات العراق من خلال لقاء عابر. والمحاولات المتعلقة بحل هذه المشكلة سياسيا أو عسكريا مليئة بالغموض. فحلها مرتبط بإدراك بعض الأمور المجهولة، ولهذا يجب أولا الإجابة على الأسئلة التالية:

---

(٨٧١) *الملف نفسه*، لف: ٢٢٤/ ١-٢.

(٨٧٢) *الملف نفسه*، لف: ٢٤٠.

- ما هي التعهدات التي تمسكت بها الدولة مع الإنجليز فيما يخص موضوع العراق وماهي تلك التي تم قبولها من هذه التعهدات؟
- ماهي نتيجة الاتصالات مع ابن الرشيد وماهي نتيجة القرارات التي تم التوصل إليها معه في هذا الموضوع؟
- إذا دخلنا في جهود من أجل التوصل إلى اتفاق مع عبد العزيز بن عبد الرحمن، فكيف سيكون موقف ابن الرشيد وهل للدولة قرار متخذ في هذا الموضوع؟
- ماهي التدابير التي وضعت لمواجهة الأخطار التي يمكن أن تتعرض لها سوريا في حال التحرك من ناحية الجوف وتقوية ابن الرشيد؟
- ماهو الموقف الذي سوف يتخذه الإنجليز إذا تم الاستيلاء على نجد عن طريق الحرب؟
- هل الأوضاع الداخلية والخارجية مهيأة لكي تقوم الدولة بإرسال قوة تتكون من ٧ إلى ٨ آلاف شخص؟
- ماهي التضحيات التي يمكن أن تقدمها الدولة في حال توصل سامي بك ومرافقيه (لابد أنه يقصد طالب النقيب والشيخ مبارك الصباح والشيخ خزعل) إلى اتفاقية مع عبد العزيز بن عبد الرحمن؟

بعد أن عرض سليمان شفيق أسئلته هذه، أوضح أن حل القضية عسكريا سوف يكون سببا لاعتبار هذا المسألة شبيهة بما حدث في عسير، واقترح اعتماد المحادثات طريقا للحل. وانتقد الوالي في التقرير ذاته قيام أنور باشا ناظر الحربية بتعيين البيكباشي (اللواء) عمر فوزي لإجراء المحادثات مع عبد العزيز بن عبد الرحمن، وأضاف أن تدخل أي شخص في هذا العمل وهو لا يملك أي صفة سوف يقود إلى جملة من الأضرار. وأفاد بأنه من الضروري ترك مسؤولية هذا العمل له هو بصفته واليا. وبعد أن لفت الوالي الانتباه إلى رغبة كل من طالب بك ومبارك وخزعل في حل القضية، ذكر أن مفاتيح المسألة بيد هؤلاء، غير أنه أشار إلى أن

هناك شيئا آخرا يقلقه في هذا الموضوع، وهو رغم كون مفاتيح القضية عند هؤلاء الأشخاص، إلا أن خيوطها بيد القنصل الإنجليزي. وبالرغم من ذلك فقد كانوا يرون أن هناك فائدة في استغلال مشاعرهم الدينية في هذه المسألة. وأوضح الوالي سليمان شفيق أخيرا أنه يأمل في تركيز بعض المحافظين والألوية في بعض النقاط على الساحل، وإبرام اتفاقية والاعتراف بعبد العزيز بن عبد الرحمن أميرا على نجد[٨٧٣].

أراد سليمان شفيق في اتباع أسلوب متعقل وذلك عندما أدرك أن هذه المسألة تحمل في طياتها اتجاهات متعددة. ومن جانب آخر، فمع مرور الأيام كانت الآراء تتعدد والحلول تصبح أكثر صعوبة. وكان جاويد بك والي بغداد قد قام بإرسال تلغراف بتاريخ ٢١ مارس إلى نظارة الداخلية يشتكي فيه من هذه الأوضاع، وتذمر من فشل سليمان شفيق بعد مرور ٣٦ يوما من تعيينه في تحقيق أية نتيجة[٨٧٤]. ومن جانب آخر يبدو أن أهم الأمور التي دفعت سليمان شفيق إلى تبني سلوك متعقل، هو اعتماده على عدم تلقيه تعليمات تتعلق بمسألة نجد. وبسبب غياب هذه التعليمات، كثرت الاقتراحات التي قدمت إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن. وفي الحقيقة فقد كانت هذه الاقتراحات تختلف عن بعضها البعض اختلافا كبيرا، فقد كان كل شخص يدعي أن أفكاره هي الأنسب لمصالح الحكومة.

أ-مقترحات عرضها سليمان شفيق على ابن سعود

١- تظل سواحل نجد تحت حماية الدولة، ويتم رفع العلم العثماني في المناطق المهمة مع الإبقاء على عدد مناسب من العساكر أو الجندرمة.

٢- يتم إجراء الأعمال في الجمارك الموجودة في سواحل نجد وفقا للقوانين والاتفاقيات العثمانية، وبناء على هذا تؤخذ ضريبة الجمارك. وتخصص

---

(٨٧٣) *الملف نفسه*، لف: ٢٣٧-٢٤٠.

(٨٧٤) *الملف نفسه*، لف: ٢٤٧.

إيرادات الزكاة التي تجمع سواء من هذه الجمارك أو من المناطق الداخلية إلى محلاتها، ويتم إرسال مقدار مناسب من الإيرادات الفائضة إلى خزينة الدولة سنويا.

٣- يكون "أمير نجد" هو اللقب الرسمي لعبد العزيز بن عبد الرحمن، ويوفر له أمير مكة المكرمة مساعدا وطبيبا و"أفندي ديوان" وكاتب للغة التركية.

٤- يظل لواء نجد لواء عثمانيا، ويتم تطبيق الاتفاقيات التي قامت الدولة بعقدها مع الدول الأجنبية حرفيا.

٥- تخصص إمارة نجد لعائلة سعود، وتنتقل الإمارة من الأب إلى أكبر أبنائه.

٦- يمنح أمراء نجد رتبة "وزير"، وعند طلب توجيه نيشان يقدم طلب إلى مقام الخلافة وبعد ذلك يتم تنفيذ هذا التوجيه.

٧- يتم تخصيص ضباط معلمين من الدولة حسب الاحتياج، وذلك من أجل تنظيم قوات محلية نظامية للمحافظة على البلاد والوقوف أمام أي عدو خارجي، على أن تقوم هذه القوات التي سوف تنظمها الإمارة بحمل علامة النبالة العثمانية.

٨- تكون إمارة نجد مسؤولة عن تأمين جميع الطرق والمعابر الممتدة إلى حدود الحجاز وعسير وسواحلها.

٩- في حالة الضرورة، تقوم إمارة نجد بأمر الدولة بجمع قواتها والتحرك ضد كل عدو داخلي وخارجي وكذلك ضد القبائل المتمردة.

١٠- يخول الأمير مباشرة بإنفاذ الإعلامات الشرعية الصادرة عن المحاكم الشرعية، ويكون شخص الأمير مسؤولا عن الحكم الصادر، ويتم تعيين القضاة الشرعيين بواسطة الأمير من علماء الإسلام من أهل الكفاءة في مجالهم.

١١- يتم تأسيس مدرسة دينية تحمل اسم " الهلال العثماني"، في مكان ما من نجد على أن يتم اختيار أساتذتها من علماء الإسلام وتكون نفقاتها على الحكومة.

١٢- لا تملك إمارة نجد صلاحية الاتصال بالأجانب مباشرة أو عقد أي اتفاقية أو منح أي امتياز. وتتم مثل هذه الأمور بناء على نتيجة المراسلات التي تتم مع الحكومة المركزية(٨٧٥).

ب- شروط يقترح طالب النقيب على ابن سعود الوفاء بها

كان طالب النقيب على قناعة أن سليمان شفيق تنازل كثيرا لعبد العزيز بن عبد الرحمن في اقتراحاته، لذا اقترح بدء المناقشات وفقا للشروط التالية:

١- تمنح إدارة متصرفية نجد المعروفة بمنطقة نجد لعبد العزيز بن عبد الرحمن، وتكون اتصالاتها عبر ولاية البصرة.

٢- تقوم الحكومة بإرسال لجنة مناسبة إلى ابن سعود وذلك من أجل الأعمال التي تعود إلى متصرفية نجد.

٣- تعود سواحل نجد، يعني القطيف وعجير وسائر نقاط الساحل تماما إلى الحكومة، ويكون دلالة ذلك بتركيز مقدار موحد من العساكر أو الجندرمة فيها.

٤- يتم رفع العلم العثماني في الحفوف و في جميع نقاط الساحل بل في جميع منطقة نجد.

٥- يتم إنفاذ القانون والنظام العثماني في مواقع الجمارك والموانىء الموجودة في الساحل، ويتم تحصيل ضريبة الجمارك وفقا لهذا القانون. وبعد أن تقوم المتصرفية بإخراج المصاريف المحلية، يتم إرسال مقدار من زائد الإيرادات إلى الحكومة المركزية.

---

(٨٧٥) *الملف نفسه*، لف: ٨٣-٨٥.

٦- تكون جميع الأحكام مطابقة للشريعة، ويتم اختيار القضاة الشرعيين من العلماء المحليين ويعينون بفرمان صادر عن مركز السلطنة.

٧- في حالة ظهور فوضى في نجد فإن عبد العزيز بن عبد الرحمن باعتباره متصرفا لهذه المنطقة عليه أن يقدم طلبا إلى الحكومة يوضح فيه مقدار القوات التي يمكن أن يستخدمها في إخماد هذه الفوضى، وإذا لزم الأمر فيمكن أن يستعين أيضا بمساعدات مادية من قبل الحكومة .

٨- يتم وضع ترتيبات ضرورية وذلك من أجل إرسال قوات كافية في حال دخول الحكومة العثمانية في حرب مع الأجانب ومجيء إشارة منها بذلك.

٩- لا يملك متصرف نجد صلاحية الاتصال بالدول الأجنبية أو القيام بالأعمال الخارجية. وتعود مثل هذه الأمور بشكل خاص إلى الدولة العثمانية. كما أن جميع الامتيازات التي تعود إلى نجد وكذلك تأسيس شركة مساهمة وغيرها من الأمور الاقتصادية لا يتم إلا بإبلاغ الحكومة العثمانية وأخذ إذنها.

١٠- يقوم أمير نجد بأمر من الحكومة بترتيب قوات وإرسالها في حال نشوب حرب بين الدولة العثمانية والأجانب(٨٧٦).

ج. المقترحات التي عرضها البيكباشي عمر فوزي بك

طلب عمر فوزي بك في التلغراف المشفر الذي أرسله بتاريخ ٢٦ مارس ١٩١٤ إلى نظارة الحربية مده بالتعليمات-إن وجدت- والتي أعدت كأرضية للمحادثات مع عبد العزيز بن عبد الرحمن، وأوضح في التلغراف نفسه

أنه بسبب عدم وجود هذه التعليمات قام وبدون إخبار أي شخص بإعداد مجموعة من التعليمات التي رآها مناسبة وطلب الإذن لتصبح أساسا للمحادثات. وتعتبر هذه الشروط الأكثر تفرعا من غيرها حيث تكونت من المواد التالية:

---

(٨٧٦) *الملف نفسه*، لف: ٨٥-٨٦، ٢٤٨-٢٤٩.

١- تعيين عبد العزيز بن عبد الرحمن على متصرفية نجد وقيادة العشائر المستقلة برتبة ميرلواء أو فريق مع منحه النيشان المجيدي الأول.

٢- انتقال هذه المتصرفية والقيادة بين أبناء ابن سعود وأحفاده بفرمان طالما ظلت عائلة عبد العزيز بن عبد الرحمن على صدقها للدولة العثمانية.

٣- قيام الحكومة بتوفير ما يلي للمتصرفية: قاضي ومدير تحريرات ومدير محاسبة بالإضافة إلى مدير لكل من الجمارك والأشغال العامة والصحة والزراعة والمعارف والأوقاف وكذلك قائد للجاندرمة ومستشار قانوني.

٤- قيام المتصرفية باختيار قاض بشرط أن يكون وهابيا، ويتم التصديق عليه من مقام المشيخة. وباستثناء المديرين تقوم المتصرفية باختيار بقية الموظفين وعددهم.

٥- اعتبار الأشخاص الذين ورد ذكرهم في المادة الثالثة أعضاء دائمين في مجلس اللواء.

٦- تأسيس محكمة شرعية ومدرسة رشدية وأربع مدارس ابتدائية ومدرسة صناعية ومستشفى ومستشفى بيطري و حقل نموذجي ومركز تلغراف لاسلكي، وإرسال عدد كاف من الموظفين إلى هذه المؤسسات من مركز الحكومة.

٧- تعيين رئيس أركان حرب في القيادة وضابط ملحق ومساعد.

٨- تأسيس مدرسة ضباط صغيرة تحتوي على مختلف الرتب مع مدرسة للمدفعية وإرسال المتخصصين اللازمين.

٩- إرسال بلوك من المشاة لحمل اسم النمونة وفرقة فرسان مدفعية رشاشة ومدفع صحراء ومدفع جبل وفريق من المدفعية وفريق استحكامات وفرقة مدفعية رشاشة ومفرزة صحة وتلغراف لاسلكي و مفرزة هليوست.

١٠- تكوين مليشيا شعبية لدى القبائل وفق الظروف المحلية وتنظيم قانون خاص مع تعيين ضباط معلمين متنقلين من أجل الإشراف على تعليم فنون الحرب.

١١- بقاء فريق من الضباط التابعين لقطع النمونة والمتعلقة بالأقسام المختلفة الموجودة في المادة التاسعة، وبقاء شخص متخصص في كل حظيرة، وعند تغيير الأشخاص الآخرين يتم وضع الأفراد الذين سوف يتم تنشئتهم في قطع النمونة محل هؤلاء.

١٢- تقوم مدرسة الضباط الصغيرة بإعداد أفراد الضباط الصغار للعشائر، وأما قطع النمونة فتهتم بإعداد أشخاص متخصصين.

١٣- يقوم رؤساء العشائر بإدارة عشائرهم، ويقوم هؤلاء في مدة قصيرة بإجراء تدريبات في قطع النمونة.

١٤- يكون القائد صاحب صلاحيات على من معه من أفراد فرقة القيادة المستقلة.

١٥- تكون إدارة "فرق النمونة" وتطبيق العقوبات فيها وفقا للقواعد والأسس العسكرية.

١٦- لا يتم الاستعانة بالفرق المستقلة المتشكلة من العشائر إلا في أثناء الحروب، ويقودها قائد الفرقة أو الابن الذي يكون حاصلا على وكالة قانونية.

١٧- يكون الضباط المعلمون حاضرين زمن الحرب في مواقع قيادة العشائر وأفواج الجند أو الطوابير. ويقع التعيين في الوظائف والخدمات المتعلقة بالحملات العسكرية بواسطة أوامر "تعليمات" خاصة.

١٨-يقع تشكيل بلوك لـــ"نمونة الجندرمة"، ويتم تركيز مركز البلوك في مراكز المتصرفية بينما توضع المراكز الفرقية (طاقم مركزلري) في المراكز الموجودة بالسواحل. ويتم تشكيل مراكز للشرطة في المواقع المهمة، من هذه الفرق.

١٩- يتم اختيار أفراد الجندرمة من المحليين ومن بين قطع النمونة الذين سبق لهم العمل، ويتم الإمداد بالضباط من الحكومة المركزية إلى أن يشتد عود الضباط الصغار المحليين.

٢٠- تكون صلاحية الزيادة في عدد قوات الجندرمة، عند الضرورة بيد المتصرف.

٢١- بشكل عام، تهتم الجندرمة بالأمور المدنية والعدلية والعسكرية والبلدية والصحية، كما تقوم بالمحافظة على خدمات الرسوم.

٢٢- يتميز الجندرمة بعلامات محددة. ويكون القائد العام للجندرمة حائزا أيضا على صفة معلم الجندرمة.

٢٣- تكون الشؤون المتعلقة بالمتصرفية والقيادة والعسكرية والجندرمة من مهام نظارة الحربية. أما بقية الأمور الأخرى فتنظر فيها نظارة الداخلية. وتكون نظارة الداخلية هي الوسيطة في أي علاقة مع النظارات الأخرى.

٢٤- يكون جميع الموظفين المدنيين والعسكريين تحت إمرة المتصرف والقيادة، ويمكن للمتصرفية والقيادة أن تقوم بعزل الموظفين الذين يتم تعيينهم محليا، أو تغييرهم. أما الموظفون الذين يعينون من قبل المركز وتثبت في حقهم تهم سوء الإدارة من خلال المتابعة المحلية فيرسلون إلى استانبول لعزلهم من العمل أو تغييرهم أو معاقبتهم.

٢٥- تكون متصرفية نجد وقيادتها متمتعة بميزانية مستقلة، ويتم إرسالها في نهاية كل عام إلى نظارة الداخلية.

٢٦- يمكن للمتصرف أن يستحدث مصادر جديدية للدخل، بالإضافة إلى المصادر الأساسية المعروفة بالنظر إلى الظروف والأحوال، وذلك بعد عرض الأمر على نظارة الداخلية.

٢٧- وفي نهاية كل عام وبعد القيام بجرد الواردات والمصروفات،

يخصص مقدار كذا في المائة (وهذا المقدار يحدد بعد ذلك) لمقام المتصرفية والقيادة، وكذلك بعد تعيين نسبة كذا في المائة لبيت المال وإرسالها إلى دار السعادة يخصص القسم المتبقي للدفاع عن البلاد وإعمارها.

٢٨- يحدد مبلغ لصرف مخصصات جميع الموظفين والمستخدمين الموجودين في المتصرفية وكذلك لزعماء العشائر وشيوخها وكذلك الجندرمة وألبستهم وقطع النمونة.

٢٩- يكون المتصرف مسؤولا عن حماية الأمن في المتصرفية وكذلك عن إعمارها وتطويرها.

٣٠- لا يحق للمتصرف إقامة علاقات مع الحكومات الأجنبية[٨٧٧].

ثانيا- العودة مرة أخرى للبحث عن حل

١- أعمال "لجنة المسألة النجدية"

بينما كانت المناقشات تجري حول الظروف التي ستتم خلالها المفاوضات مع عبد العزيز بن عبد الرحمن ورد تلغرافان بتاريخ ٢٣ و٢٥ مارس من لندن إلى نظارة الخارجية، وكانا قد أرسلا من قبل إبراهيم حقي باشا، و يذكر فيهما أنه طلب من الإنجليز نصح عبد العزيز بن عبد الرحمن بأن يقبل التفاهم والصلح، وذكر كذلك أن الإنجليز رحبوا بالفكرة. ولكن هؤلاء كانوا يتساءلون عن الشروط التي سوف تسوقها الحكومة العثمانية لإقامة الصلح قبل أن يقوموا بوظيفة إسداء النصح[٨٧٨]. والظاهر أن الوضع كان يتخلله شد وجذب بين الأطراف لأن الجميع كانوا يسعون إلى بسط نفوذهم بوسائل متشابهة. فالإنجليز بصفة خاصة كانوا يهدفون إلى تعزيز مصالحهم التجارية على سواحل نجد، بالإضافة إلى شعورهم بالقلق إزاء المخاطر التي كانت تواجه مصالح حلفائهم من مشايخ خليج البصرة.

بعد أن قام البيكباشي عمر فوزي بك بإرسال مسودة الاتفاق المذكور سابقا إلى نظارة الحربية قام بزيارة شيخ الكويت مبارك الصباح وخزعل الخان شيخ المحمرة وفق تعليمات وردت إليه مسبقا من أنور باشا. وعقب هذه الزيارة أرسل

---

٨٧٧ *الملف نفسه*، لف: ١٦٢-١٦٥.

(٨٧٨) الملف نفسه، لف: ١٥٩، ١٦٩.

تلغرافا بتاريخ ٢٦ مارس إلى نظارة الحربية أوضح فيه أنه قد سلم الهدايا التي بحوزته إلى الشيوخ المذكورين والذين سعدوا كثيرا بهذه الزيارة. وأوضح أن مبارك الصباح تناول أثناء اللقاء نفسه مسألة إقامة الاتفاق مع عبد العزيز بن عبد الرحمن وشروطه، حيث ذكر الصباح أن الحكومة العثمانية إذا استطاعت أن تتفاهم مع ابن سعود ضمن خطة واضحة وجيدة فإنها سوف تجني ثمارا عديدة في منطقة خليج البصرة، ومنها على سبيل المثال (حسب رأي مبارك الصباح) تستطيع الدولة العثمانية أن تمد نفوذها إلى منطقة عمان والبحرين اللتين كانتا مرتبطتين بمنطقة نجد وسلختا منها دون وجه حق، ذلك أنها تستطيع كذلك إصدار تعليماتها السرية إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن بضم هذه الأراضي إلى نفوذه من جهة، ومن جهة أخرى تبين الحكومة العثمانية للإنجليز بأنها لا تعلم شيئا عما يحدث هناك. وتناول مبارك مسألة قطر مؤكدا على ضرورة الحفاظ على هذه المنطقة التي تعتبر مركزا لتجارة اللؤلؤ، ووجد أنّ الصحف مليئة بالأخبار التي تتحدث عن إعطاء قطر للإنجليز، والأحرى بالدولة العثمانية أن تدير هذه المنطقة إدارة جيدة لأن النتيجة سوف تنعكس بالإيجاب على البصرة وبغداد بل على العراق بأكمله والذي سوف يسوده السلام والوئام بلا شك[٨٧٩].

من المحتمل أن يكون الجزء الأول من كلام مبارك قد قيل بطلب من عبد العزيز بن عبد الرحمن نفسه، أو أن يكون متوافقا مع نواياه على الأقل. أما رأي مبارك الصباح بشأن قطر فقد كان نتيجة الإشاعات والأقاويل الدائرة عن الاتفاق المعقود بين الدولة العثمانية وإنجلترا في يوليو من عام ١٩١٣ والذي كان لا يزال في مرحلة الأخذ والرد بين الطرفين. فالاتفاق لم يكن قد اكتمل بعد، ولم تكن شروطه قد أذيعت على الرأي العام، إلا أن المادة الحادية عشرة منه نصت على

(٨٧٩) الملف نفسه، لف: ١٦١.

تنازل الدولة العثمانية عن قضاء قطر التابع لنجد وموافقتها على جعله مستقلا تحت إدارة الشيخ جاسم كما كان عليه الوضع من قبل[٨٨٠].

كان سليمان شفيق قد أرسل تلغرافا بتاريخ ٢٧ مارس إلى نظارة الداخلية موضحا فيه أن عمر فوزي بك عاد من زيارته المذكورة، وكلفه بمهمة في قيادة الأركان التابعة للقوات الموجودة في منطقة البصرة. وذكر أيضا أن الوقت قد حان للشروع في حل مسألة نجد[٨٨١]. وكان جاويد بك والي بغداد في تلك الأثناء قد ذهب إلى البصرة وهو الذي كان يتابع حوادث نجد عن كثب منذ بدايتها، وكان يدافع عن فكرة استخدام طالب بك في حل تلك المسألة[٨٨٢]. وبعث من هناك بتلغراف إلى نظارة الداخلية بتاريخ ٢٩ مارس موضحا فيه وجود القوات العثمانية في قطر وأن القبائل في تلك المنطقة لا تزال تدين بالولاء للعثمانيين، ومن الأهمية بمكان أن لا يتم التنازل عنها[٨٨٣]. ويبرر عبد العزيز بن عبد الرحمن استيلاءه

---

(٨٨٠) للاطلاع على النص الكامل للاتفاق أنظر: الأرشيف العثماني، قسم المعاهدات والاتفاقيات ١٧/٢٤٢.

(٨٨١) الأرشيف العثماني، *DH-KMS 2/2-2* ، لف: ٢٤٤.

(٨٨٢) الملف نفسه، لف: ٦٠-٦٧.

(٨٨٣) بعث البيكباشي عمر فوزي بك ببرقية بتاريخ ١٣ أبريل ١٩١٤ إلى نظارة الحربية تحت عنوان "سري للغاية" ضمنها عبارات متعلقة بموضوع قطر تلفت الانتباه: "ننتظر منكم الأوامر والتبليغات بأقصى سرعة ممكنة لتشكيل فصائل المقاومة المحلية من أهالي قطر ضد السيطرة الانجليزية في حالة إنتقال قطر إلى النفوذ الأنجليزي، كالذي تم تنظيمه من كتائب المقاومة الوطنية في بنغازي. وبما أن البت في هذا الأمر يتطلب وقتا ليس بالقصير وفق المكاتبات الرسمية، لذا كان من المناسب أن يتم الاتصال بالوالي في هذا الخصوص. ولا يوجد ميناء في خليج البصرة سوى ميناء قطر، وهنا يوجد مركز جمع اللؤلؤ الذي هو عصب التجارة في المنطقة. والتخلي عن قطر بالرغم من ولاء وإخلاص أهاليها سوف يؤدي إلى آثار وخيمة العواقب بين سائر المسلمين. وبفرض الأنجليز سيطرتهم على خليج البصرة خطوة خطوة سواء أكان على سواحل نجد أو السواحل الإيرانية ويؤدي هذا الوضع إلى حصر البصرة بين الشط فقط. وإذا كان من الأنسب لكم أن أقوم بعقد حلف مع مبارك باشا وعبد العزيز بن عبد الرحمن أثناء لقائي بهم، وبالتالي سوف نشجع الأنجليز بالقيام بحملة عامة تشمل خليج البصرة وخليج عمان لحماية مصالحهم فيها. وسوف نقوم بتوعية المشايخ في المنطقة بأن سياسة الأنجليز تتلخص في إقامة مشايخ وممالك إسلامية ضعيفة كي يثبوا عليها الواحدة تلو الأخرى. فخير لهؤلاء المشايخ والحكام في خليج البصرة أن يتّحدوا تحت راية عبد العزيز بن عبد الرحمن. ويجب ألا يقتصر الأمر على ذلك وإنما نوعز لهؤلاء أن يؤسسوا جيشا إسلاميا يزحف عبر جنوب إيران لإنقاذ الهند من براثن الأنجليز. ومن اللازم ألا نخبر الدول المعنية بهذه الخطة، وينبغي هنا أن نوضح بأن الأنجليز مثلما يشكون ويدسون ضد الدولة العثمانية، فإنهم على استعداد لكي يفعلوا

على نجد وتسليم الحكومة العثمانية قطر للإنجليز. لذلك فإن وضع قطر الحالي يعسّر من حل مسألة نجد. وبعد عرض جاويد بك لأفكاره في هذا الصدد يكرر تبنيه لفكرة انتداب طالب بك النقيب الذي يستطيع وحده حل هذه المشكلة، وينبغي استدعاؤه وإعطاؤه التعليمات اللازمة للقيام بهذه المهمة(٨٨٤). كما أن فكرة جاويد بك لقيت استجابة من السلطات العثمانية وبالتالي تم تكليف طالب بك النقيب رسميا بمهمة حل مسألة نجد. بيد أن التكليف الرسمي لم يحدث مباشرة فنظارة الداخلية العثمانية ارتأت في شهر أبريل أن يتم التكليف الرسمي عبر الولاية حتى تكون في صورة الأحداث، وكذلك منع إراقة المزيد من دماء المسلمين. وقام طالب بك النقيب بعد تكليفه بواسطة الولاية رسميا بإرسال تلغراف بواسطة ولاية البصرة إلى نظارة الداخلية جاء فيه ما يلي:

الشيء نفسه مع مشايخ المنطقة. ولنني أعرف الأنجليز جيدا ولمقتهم، وهم يعلمون يقينا أن شرارة طفيفة ضدهم في المنطقة سوف تجعل الناس من البحر الأحمر حتى بحر عمان يتّحدون في شكل كتلة إسلامية واحدة، وهم أي الأنجليز في غنى عن مواجهة مثل هذه القوة المرتقبة، لذلك كانت جل سياستهم تدور حول التقرب باللين والمراقبة عن كثب. أما بالنسبة لتسليح أهالي المنطقة فجميعهم مسلحين بأسلحة يتم ملؤها من المؤخرة، وهم إضافة إلى ذلك أذكياء وشجعان. ويوجد في الكويت مصنع لصنع البنادق والذخيرة من نوع المارتيني. والواردات المالية مهمة في هذه المنطقة. وسوف ألتقي بطبيعة الحال بمبارك باشا، وأنا في طريقي للقاء ابن سعود. وفي طريق العودة سوف أذهب إلى خزعل خان الذي أبلغني سموه بأن لديه ما يريد عرضه علي، لذلك دعاني لمقابلته وسوف آخذ منه ما كتب من عريضة .. وبعد إذن سموّ الوزير فإنني سوف أبدأ ببحث هذا الأمر مع مبارك باشا وابن سعود ولنجعل من مبارك باشا محورا للسياسة في المنطقة لكونه مطلعا ومسيطرا ماديا ومعنويا على الأوضاع فيها. وهو في الحقيقة يعتبر خبيرا سياسيا كبيرا. ولنعقد حلفا يكون فسخه أو حله ذا مغبة على هؤلاء. ولا تستطيع انجلترا ان تضغط علينا بشأن مبارك باشا. أما ابن سعود فنستطيع أن نصوره كعاصٍ وقتما نريد، حيث نطلب منه أن يتجاوز الأراضي التي تحت سيطرته وبالتالي سوف يصطدم مع مصالح الأنجليز، وبذلك نستطيع أن نلعب بورقة رابحة ضد الأنجليز الذين طالما يتحركون ضدنا في المنطقة. وإنني بانتظار أوامر دولة الوزير". لا يعلم بالضبط الرد الذي صدر تجاه اقتراحات عمر فوزي بك إلى جانب كون هذه البرقية مهمة من ناحية معرفة كنه الاتفاقية العثمانية- الانجليزية بشأن قطر والتي عقدت عام ١٩١٣ والصدى الذي أحدثته. الملف نفسه، لف: ٦٨- ١٦٧.

(٨٨٤) الملف نفسه، لف: ٢٤٥-٢٤٦.

"كما أوضحت سابقا فإن حياتي ومستقبلي في خدمة الدولة العثمانية، وإني أشعر بسرور بالغ إذا استطعت تحقيق النتيجة المرجوة عند تنفيذي للأمر العالي المبلغ إلي من خلال الولاية"[٨٨٥].

بالرغم من قيام الحكومة العثمانية باختيار طالب بك النقيب لهذه المهمة فأنها كانت تستشعر المحاذير الناتجة عن سلوك طالب بك الانفرادي في هذا الاتجاه، لذلك أصدرت أمرها بتشكيل لجنة لحل مسألة نجد، وقد تألفت هذه اللجنة من سليمان شفيق رئيسا وبهاء بك الذي كان قادما من بغداد ويتابع المسألة من بدايتها جنبا إلى جنب مع طالب بك وسامي بك متصرف نجد وعمر فوزي بك المكلف شخصيا من أنور باشا. ووفق الأمر الصادر بدأت اللجنة أعمالها اعتبارا من ٦ أبريل في مدينة البصرة[٨٨٦]. وبينما كانت اللجنة المذكورة تباشر أعمالها قام ابن الرشيد بحشد رجاله والزحف نحو البصرة حتى بلغ منطقة "أبوغار". وذكر سليمان شفيق في مذكرة بتاريخ ١٠ أبريل عام ١٩١٤ بعث بها إلى نظارة الداخلية عن قرب احتمال قيام ابن الرشيد ورجاله بالإغارة على أراضي العراق أو الكويت. ويمكن لهذا الأمر أن يعرقل حل مسألة نجد. وأوضح كذلك أنه أرسل إلى ابن الرشيد ليتوقف حيث بلغ حتى يقابله شخصيا[٨٨٧]، وكان هدف سليمان شفيق كسب الوقت وتعطيل زحف ابن الرشيد الذي كان يتذرع بأنه قدم ورجاله لمساعدة الدولة العثمانية ضد عبد العزيز بن عبد الرحمن، إلا أن طلعت بك ناظر الداخلية أصدر أمرا بتاريخ ١٢ أبريل بدعوة ابن الرشيد إلى البصرة ولكن ليس بواسطة الولاية بل بطريقة غير مباشرة. لكن سليمان شفيق كان قد أرسل إلى ابن الرشيد قبل ذلك يعلمه ضرورة الانتظار في المكان الذي وصل إليه. ولهذا السبب فإنه أوضح في تلغرافه الذي بعث به إلى نظارة الداخلية بتاريخ ١٥ أبريل بأنه في طريقه إلى لقاء

---

(٨٨٥) الملف نفسه، لف: ١٩٦.

(٨٨٦) الملف نفسه، لف: ٩٨.

(٨٨٧) الملف نفسه، لف: ١٠٧-١٠٩.

ابن الرشيد ذاهبا إليه عبر النهر وذلك كسبا للوقت(٨٨٨). ومن الواضح أن ابن الرشيد كان يحاول انتهاز فرصة حدوث مشكلة بين العثمانيين وبين ابن سعود ليقوم باستعادة نفوذه على منطقة نجد(٨٨٩). وتمخضت لقاءاته بالوالي العثماني عن إيقاف تقدمه. وخرج الوالي سليمان شفيق من لقائه بابن الرشيد بانطباع جعله يبعث بتلغراف إلى نظارة الداخلية مبينا فيه أن هناك بارقة أمل في حفظ التوازنات في منطقة نجد عبر سياسة اللين مع العشائر وجعلها ندا لبعضها البعض(٨٩٠).

عند بدء اللجنة المختصة بحل مشكلة نجد أعمالها لم تكن التعليمات قد وصلت بعد من استانبول، لذلك قام طالب بك بإرسال تلغراف مشفر عاجل إلى نظارة الداخلية بتاريخ ١٢ أبريل طالبا فيه الإذن ببدء إجراء اللقاءات وفق الشروط التي يراها حسب رأيه صالحة في هذا المجال- والتي أوضحناها سابقا- أو إرسال تعليمات أخرى في هذا الشأن(٨٩١).

---

(٨٨٨) الملف نفسه، لف: ١١٠ قام ابن رشيد بالشكل نفسه ببعث برقية إلى نظارة الداخلية بتاريخ ٢٥ أبريل موضحا لقاءه بالوالي وبأنه جاهز لقمع العشائر التي تظهر التمرد ضد الدولة وإرجاعها إلى حظيرة الطاعة. (الملف نفسه، لف: ١٣٠). ومن جهة أخرى أرسل سليمان شفيق برقية بعد اللقاء مباشرة ذكر فيها أن لقاءه بابن رشيد الذي لا يزال فتى يافعا يبلغ السابعة عشر من عمره وأن القيادة لا تزال بيد أخواله. وبين أن أهداف ابن رشيد هي الاستفادة من وضع الدولة الحالي في إزالة ابن سعود من الساحة، وذكر أيضا أن ابن رشيد أكد على قيامه بهذا العمل ولكن ليس بقواته بل بقوات العجيمي، غير أن العجيمي كان يعتقد بأن طالب النقيب يعد العدة مع قوات ولاية البصرة التي يتعاون معها بشكل وثيق للإطاحة به ويدبر مؤامرة في هذا الاتجاه. ولهذا السبب قام العجيمي بالاتفاق مع ابن رشيد لتوحيد الصفوف، وكان كل منهما يعتقد أن البصرة سوف تعطى لابن سعود. الملف نفسه، لف: ٣٤- ١٣١.

(٨٨٩) أرسل ابن رشيد برقية إلى نظارة الداخلية بتاريخ ٢٣ أبريل موضحا فيها سبب اقترابه من أنحاء البصرة على النحو التالي: "لقد بذلت الوسع من أجل خدمة وتسيير شؤون الدولة العثمانية، وأعتقد أن هذه الأعمال محدودة حسب التقاليد العربية. وفعلا إنني اقتربت من أنحاء البصرة واطلعت على أحوال العشائر والأهالي في تلك المناطق، وبهذه المناسبة التقيت سليم بن حنون رئيس قبيلة بني أسد وعلمت ما بذله من جهد في تنفيذ أوامر الدولة والاتصال بها وحسن نيته في هذا الشأن. ولذلك فإنني وجدت من دواعي أداء الواجب أن أبين بأنني وحدت صفوفي مع الرئيس المشار إليه...". الملف نفسه، لف: ١٧٧، ١٨٠، ١٨٩.

(٨٩٠) الملف نفسه، لف: ٣٤- ١٣١.

(٨٩١) الملف نفسه، لف: ٤٩- ٢٤٨.

غير أن عدم وجود تعليمات محددة توضح مهام أعضاء اللجنة المشكلة في البصرة أدى إلى قيام كل واحد منهم على حده بوضع مخطط خاص به يدعو إلى العمل بموجبه. ومع ذلك فإن جميع الأعضاء كانوا شبه مطلعين على جدول الأعمال الذي وضعه كل من الوالي سليمان شفيق وطالب بك النقيب فيما يتعلق بعقد اتفاق مع عبد العزيز بن عبد الرحمن. غير أن مسودة جدول الأعمال التي أعدها عمر فوزي بك لم يكن يعرف عنها شيئا. ومن جانب آخر كان عمر فوزي يدعو إلى تبني أرائه معتمدا على تكليفه مباشرة بالمهمة من قبل نظارة الحربية وعلى عدم ورود رفض من استانبول. وقد قام طالب بك النقيب بإرسال تلغراف مشفر إلى نظارة الداخلية بتاريخ ٢١ أبريل موضحا فيه الموقف. وأفاد في تلغرافه بأنه فوجيء بآراء عمر بك وجدول أعماله. وكانت المفاجأة بالنسبة إليه هي أن هذه الآراء هي آراؤه هو نفسها بغض النظر عن بعض التفاصيل، وأوضح كذلك أن ما قدمه عمر فوزي بك في محتوى المادة الأولى والثانية لا يختلف عما قدمه هو في المادة الأولى من جدول أعماله. وبين طالب النقيب أيضا أن ما يدعو إليه عمر فوزي بك لا يحمل أية فوائد ذات محتوى سياسي أو حتى أهمية سياسية. أما أفكاره فتدعو إلى دعم وجود الدولة في هذه المنطقة والقضاء على كافة المؤامرات والدسائس الأجنبية التي مدت مخالبها فيها عن طريق توحيد الصفوف وعقد الاتفاقات. وأكد على أن الذي أعده عمر فوزي على شكل لائحة تنظيمية مفصلة لا يمكن تطبيقه في منطقة نائية مثل نجد، بل يستحيل تطبيقه في مناطق حضرية مثل العراق وسوريا، وبين طالب النقيب أيضا أن مثل هذه التفاصيل سوف تؤدي إلى فشل اللقاءات في بدايتها. واقترح البت في مشكلة نجد حسب الشروط التي يراها صالحة في هذا المجال، وفي خطوة لاحقة يتم توزيع ما يتم التوصل إليه حسب الظروف والمستجدات[٨٩٢].

---

(٨٩٢) الملف نفسه، لف: ٧٩- ١٧٨.

وعند إجراء مقارنة بين طالب النقيب وعمر فوزي بك يتضح أن طالب محق في أقواله لأنه كان مطلعا على أحوال المنطقة وعارفا بظروفها. وماكان يدعو إليه من تنفيذ لمخططه يتم بطبيعة ملائمة يمكن توسيع تطبيقاتها أو تضييقها حسب الظروف والمستجدات، أما مخطط عمر فوزي بك فكان يتسم بتوطيد دعائم الدولة العثمانية في المنطقة، ولكنه كان مخطط يقلل من قدرة الدولة على المناورة أمام المستجدات المستقبلية.

بعد أن تقابل عمر فوزي بك مع طالب بك النقيب بدأ بالدفاع عن أرائه مستعرضا الخطوط العامة النقدية التي عرضناها سابقا، فقد بين في كلامه ما يلي: إن اقتراحاته التي يدعو إليها تحمل في طياتها أقصى الفوائد الممكنة والمرجوة للدولة ولعبد العزيز بن عبد الرحمن ولمنطقة نجد. وإذا لم يتم تطبيق آرائه فإن أي حل يتم التوصل إليه سوف يفشل فشلا ذريعا. وهناك احتمال قوي أن يتخلى عبد العزيز بن عبد الرحمن عن وعوده في الانضواء تحت راية الدولة بدون ربطه بنظام صارم وحازم. بينما إذا تم تأمين المصالح المتبادلة في نجد وفق الحقوق المشروعة والموضوعية فعندئذ من الاستحالة أن يتم تعكير صفو الأمن فيها. وكذلك يمكن جعل المنطقة نقطة استناد قوية لدعم الأمن في العراق واليمن والحجاز وكذلك خليج البصرة وبحر عمان. وفي خطوة لاحقة تتم الاستفادة من أموال نجد وعساكرها بدلا من إهدار أموال الدولة وجندها فيها[٨٩٣].

كان هناك رأيان متضادان حول مسألة نجد. الأول يتبنى الحفاظ على هيبة الدولة وهو رأي نظارة الداخلية، والثاني يتمثل في تحقيق السيطرة الكاملة وبسط النفوذ الحكومي على هذا الجزء من التراب العثماني وهو رأي نظارة الحربية. وهذا الوضع خيم بظلاله المباشرة على أعمال اللجنة التي تجري في البصرة.

---

(٨٩٣) الملف نفسه، لف: ٧٦- ١٧٣.

فيما كانت الاستعدادات جارية في البصرة، كانت استانبول تشهد مناقشات مطولة بشأن الأسس التي سوف تُعتمد حال عقد الاتفاق مع عبد العزيز بن عبد الرحمن. ومن هنا يتضح لنا أن الحكومة في استانبول كانت تراجع مختلف الجهات والأشخاص لحل هذه المسألة حتى أن الحكومة استشارت في هذا الشأن إبراهيم حقي باشا الذي كان موجودا في لندن وهو أول من قدم مشروعا لحل المسألة، وقد أعلمته الحكومة بجميع المستجدات والتطورات الأخيرة في منطقة البصرة لابداء الرأي والمشورة. وقد قدم إبراهيم حقي باشا مشورته على شكل تلغراف بعث به في أوائل شهر أبريل إلى نظارة الخارجية مبينا فيه مآخذه على ثلاث نقاط وردت في المشروع الذي بعثته الحكومة إليه في وقت سابق. وهذه النقاط تتمثل في موضوع القوات العسكرية التي سوف تتمركز في سواحل نجد، وجعل متصرفية نجد وراثية في آل عبد العزيز بن عبد الرحمن، وجعل الامتيازات الأجنبية في المنطقة ذات حكم شبه ذاتي، بمعنى أنها مسائل متعلقة بالوضع الراهن آنذاك، فقد ذكر إبراهيم حقي باشا أن المعلومات التي بعثتها إليه الحكومة تحتوي على هذه النقاط كأسس لعقد الاتفاق، غير أن المعلومات اتسمت بالعمومية دون الخوض في التفاصيل(٨٩٤).

ورد تقييم آخر في هذا الشأن يلفت الانتباه ولكنه هذه المرة من مديرية العشائر والمهاجرين(٨٩٥). فحسب رأي هذه المديرية فإن انتقال لواء نجد إلى سيطرة شيخ بعينه يعتبر من ناحية أهمية العراق وشبه الجزيرة العربية عبارة عن اقتطاع جزء

(٨٩٤) الملف نفسه، لف: ١٦٦.

(٨٩٥) يتم تشكيل مديرية العشائر والمهاجرين علم ١٩١٣، وهي مديرية كانت تتكون من قسمين، "العشائر" و"المهاجرين". وعيّن علي سعاد بك مديرا لها. وكان مكتب العشائر يضم المساعد شريف مختار بك وكاتب التحريرات إسماعيل حقي بك وخلفاء وهم علي فؤاد وزكي بك ورضا بك. أما مكتب المهاجرين فكان يضم المساعد سعيد بك وكاتب التحريرات حسن حسني وخلفاء وهم ولي بك وأحمد صدقي بك ومصطفى نظمي بك وسكوتي كمال بك. وكان كل من حسن تحسين وحسين طلعت موظفين للسوق لكلا القسمين. تصوير أفكار رقم ١٠٨– ٩٠٧ ، ٨ نوفمبر ١٩١٣، ص. ٤، كذلك للمزيد من المعلومات عن اللائحة القانونية الخاصة بتأسيس المديرية أنظر: الأرشيف العثماني، (*BEO* 329757).

من الروميلي، عدا فارق واحد وهو أن مثل هذا النجاح في بسط شيخ لنفوذه يمكن أن يولد تيارا قويا مضادا للدولة العثمانية بين عشائر المنطقة. ومثل هذا التطور قد يجد له تداعيات خطيرة على مستوى خليج البصرة أو حتى على مستوى ولاية البصرة وولاية الحجاز مستقبلا.

كان مدير العشائر والمهاجرين على قناعة تامة بأن الاعتماد على طالب بك النقيب كواسطة لحل المسألة لا يعود إلا بالضرر البالغ على الدولة، لأن طالب يتسم بالخديعة والمراوغة ولم يستطع عمل أي شيء فيما يتعلق بموضوع عشائر المنتفك. واقترح المدير قطع الاتصالات بطالب بك إلى حين. واحتوى التقييم كذلك على لفت الانتباه إلى عدم السماح لعشائر عبد العزيز بن عبد الرحمن المجاورة لمبارك الصباح بأن تزداد قوة ونفوذا في المنطقة. وأضيف أيضا أن شيخ المنتفك لا يختلف عن عبد العزيز في أفكاره الاستقلالية. وينبغي عدم التعامل مع هذه المنطقة مثل التعامل الذي تم مع اليمن سابقا، فاليمن منطقة واسعة تمتاز مشكلتها بالقدم ولا يمكن بأي حال مقارنتها بمنطقة نجد، فنجد متاخمة لمنطقة حساسة وذات أهمية للدولة وما تزال مشكلتها سطحية وغير عميقة الجذور(٨٩٦). وبعد أن بينت مديرية العشائر والمهاجرين تقييمها المذكور، قدمت اقتراحاتها بشأن شروط عقد الاتفاق مع عبد العزيز بن عبد الرحمن على النحو التالي:

" إنه لا يجوز جعل متصرفية نجد وراثية في عائلة ابن سعود، فهو شخص غير مناسب من ناحية طبيعته النفسية والبدوية، وهو رئيس قبيلة ظالم ومستبد في نظام إدارته للقبيلة، ورؤساء القبائل العرب مشهورون بهذه الطباع. وإذا أضفنا إلى هذه الصفات التعصب للمذهب الوهابي والطموح نحو القوة والنفوذ والمال فإن الاعتراف بابن سعود متصرفا للواء نجد ظاهريا وحاكما مستقلا بها باطنيا دون التدخل فيما يفعله يعتبر اشتراكا معه في ظلمه واستبداده. وإذا كان الأمر بهذه

---

(٨٩٦) الأرشيف العثماني، (*DH- KMS* 2/2-2)، لف: ١٧٠.

الصورة مؤقتا فمن الممكن استيعابه ولكن ابن سعود يقطع جميع الآمال للتدخل في إدارته. "[٨٩٧].

وبعد أن عرض مدير العشائر والمهاجرين تلك الاقتراحات أوضح بأن الأسلوب الوحيد لدرء المخاطر عن الحجاز والعراق واليمن وحتى سوريا يتمثل في استحداث تخصيصات مالية سنوية تمنح لعبد العزيز بن عبد الرحمن. وعلى حد قول المدير أن العربان (يقصد العرب) عقولهم في عيونهم، فلا عامل يؤثر فيهم سوى العامل المادي، لذلك يوضح المدير بأن ترك نجد ومنطقة الأحساء التي استولى عليها ابن سعود والاكتفاء بتأمين المنطقة الساحلية بصورة سلمية لا يعتبر تدبيرا سليما، لأن هذا الإجراء يولد انطباعا بأن الدولة العثمانية قد غلبت على أمرها واضطرت للانكفاء نحو الساحل. وهذا يجعل أضعف القبائل في المنطقة تشق عصا الطاعة ضد الدولة، وامتداد العصيان والتمرد حتى العمارة والديوانية، فالأفضل "عدم إبداء أية مرونة تجاه شيخ عربي لأن مثل هذا السلوك سوف يفهم على أنه عجز من جانب الحكومة وبالتالي سوف يشجع على التمرد ضدها"[٨٩٨]. وبهذه الكلمات كان كأنما يتحدث على لسان عبد العزيز بن عبد الرحمن بعد سنوات في مؤتمر عجير، حيث ألقى كلمة بعد انقطاع جميع الروابط التي كانت تربطه بالدولة العثمانية وذلك عام ١٩٢٢ جاء فيها ما يلي:

" إن القبائل العربية البدوية لا تشعر بالراحة إلا بقيامها بالغزوات، بالإضافة إلى أنها لا ترغب في وجود حكومات قوية متاخمة لها، بل تشعر أنها صديقة كل حكومة لينة معها وتدفع لها الأموال. فالحكومة القوية تستخدم معها دائما سياسة تأديبية، أما الحكومة الضعيفة فتستخدم سياسة المحاباة، فهؤلاء العرب لا يفهمون إلا لغة السيف، فإذا عاملتهم حكومة ما معاملة حسنة عَدّوا هذه المعاملة ضعفا من

---

(٨٩٧) الملف نفسه، لف: ١٧٠.

(٨٩٨) الملف نفسه، لف: ١٧١.

الحكومة، فكلما كان السيف مشهرا في وجوههم أطاعوا وخضعوا، أما إذا كان في غمده فتراهم ينهبون ويسلبون ويسفكون الدماء.."[٨٩٩].

لخص مدير العشائر والمهاجرين رأيه بأن يتم التوضيح لعبد العزيز بن عبد الرحمن بصورة خاصة أن الدولة غير عاجزة عن التعامل معه كما ينبغي، وأن يتم الاتفاق معه حسب الأمور التالية:

إذا وافق عبد العزيز بن عبد الرحمن على الانسحاب حتى مدينة الرياض تقوم الدولة بحمايته والدفاع عنه تجاه القبائل الأخرى، وتقدم له المخصصات المالية والرتب والألقاب، وبالتالي ينبغي اقناعه بأن هذه الإجراءات سوف تزيد من رصيده لدى بقية المسلمين. وإذا لم يوافق على هذه الشروط فإن سلوكه سوف يؤثر على وحدة الدولة وسوف لن يغفر له المسلمون ما سوف يقدم عليه من أفعال مشينة. وسيكون في نظرهم عاصيا متمردا ومذنبا، وعندئذ يجب تبني اقتراح ثان، وهو أن تصبح الحفوف مركزا للإدارة كما كان عليه الحال في السابق، وأن يقيم هو في قصر يقع في ناحية العيون، وأن يكتفي بالواردات الخاصة بتلك الناحية والتي منحت لوالده[٩٠٠]. وأثناء عرض انتقادات مديرية العشائر والمهاجرين، أوضح أن الحل يكمن في عدم منح عبد العزيز بن عبد الرحمن أية امتيازات، لأن منحه مثل هذه الامتيازات كان يعني تخلي الدولة عن العراق وجزيرة العرب.

لهذا السبب فإن ترك المشكلة على هذا النحو خير من تبني الرأي القائل بمنح الامتيازات[٩٠١]. وبعد هذه المناقشات المستفيضة[٩٠٢] وعلى ضوء آراء مديرية

---

(٨٩٩) الريحاني، المصدر السابق، ص. ٣٠٩؛ Saab، المصدر السابق، ص. ١٥٩.

(٩٠٠) الأرشيف العثماني، *DH- KMS* 2/2-2 ، لف: ١٧١-١٧٢.

(٩٠١) الملف نفسه، لف: ١٧٢.

(٩٠٢) للمزيد من المعلومات فيما يتعلق بمسألة نجد حسب ماورد في اللائحة المقدمة من مديرية الاستطلاعات الأمنية العمومية أنظر: (الملف نفسه، لف: ٢٠٦-٢٠٨). وبسبب كون اللائحة صدرت بتاريخ ٢٦ أبريل بعد صدور التعليمات من نظارة

العشائر والمهاجرين وأفكارها بعثت نظارة الداخلية تلغرافا بتاريخ ٢١ أبريل إلى وكالة ولاية البصرة وقيادتها تتضمن الشروط التي سوف يتم بموجبها إجراء اللقاءات مع عبد العزيز بن عبد الرحمن، وعلى هذا الأساس: "تم بحث المسألة بعمق مع الأخذ بعين الاعتبار الأحوال العامة للعراق ونجد. لذلك من اللازم قطعيا عدم التفريط في الوحدة الإسلامية والجامعة العثمانية عند تقديم الاقتراحات لابن سعود. كما ينبغي التمسك بعدم إراقة الدماء، وجعل الهدف النبيل أساسا" عند تقديم الاقتراحات والشروط التالية:

أولا: تقديم مخصصات مالية مدى الحياة قدرها ١٢٠٠٠ ليرة إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن يرثها أولاده بعد وفاته مقابل انسحابه إلى الرياض.

ثانيا: إنشاء قصر له في ناحية العيون لإقامته في أي وقت يرغب فيه وجعل موارد الناحية المالية مخصصة لوالده.

ثالثا: تعيين مساعد له ومنحه لقب والي نجد وتأمين إعماره لمسقط رأسه عبر تشكيل إدارة نظامية وطنية.

رابعا: التباحث مع رؤساء العشائر والعلماء في لواء نجد حسب العادات والتقاليد الشائعة، وكذلك أخذ آراء عبد العزيز بن عبد الرحمن فيما يتعلق بإنشاء إدارة خاصة في المنطقة[٩٠٣].

ومن هنا يتضح لنا جليا أن نظارة الداخلية أو بالأحرى الحكومة العثمانية لم تستطع إيجاد حل لمسألة نجد أكثر من الاقتراحات التي ذكرت، علما أن الاقتراح الأول والثاني هما أيضا من أفكار مديرية العشائر والمهاجرين، أما الاقتراح الثالث فكان عبارة عن تغيير عبارة "منح متصرفية نجد إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن

الداخلية إلى ولاية البصرة فإنها لم تكن ذات تأثير. وتضمنت اللائحة المذكورة رأيا مفاده القبول رسميا بتقسيم منطقة نجد إلى ثلاث مناطق هي: الأحساء ونجد وجبل شمر أي اصباغ للناحية الرسمية على ما كان موجودا في الماضي.

(٩٠٣) *الملف نفسه*، لف: ١٢٧– ١٢٨.

" إلى عبارة " ولاية نجد". وأساسا كانت الفكرة كما وردت في المسودة التي كانت سوف تبعث إلى ولاية البصرة " أن يتم الاعتراف بعبد العزيز بن عبد الرحمن كمتصرف لنجد" ولكنها غيرت فيما بعد. وإذا لم يكن سبب التغيير واضحا فإن الأخبار والمعلومات القادمة من المنطقة ربما لعبت دورا في ذلك التغيير. أما الاقتراح الرابع والأخير والذي اعتبر بديلا عن الاقتراحات الثلاثة الأولى فلم يكن له أي تأثير عملي. فضلا عن قيام نظارة الداخلية بإصدار تعليماتها إلى كبار رؤساء العشائر بالمنطقة من أمثال مبارك الصباح والعجيمي باشا وابن الرشيد في ممارسة الضغط على عبد العزيز بن عبد الرحمن لكي يوافق على أحد الاقتراحات المذكورة.

٢- بلورة الآراء: تحويل نجد إلى ولاية

في ٢٧ أبريل أرسل كل من سامي بك وسليمان شفيق وطالب بك النقيب تلغرافات منفصلة إلى نظارة الداخلية ذكروا فيها أن مبارك الصباح أخبرهم أن عبد العزيز بن عبد الرحمن وصل إلى الكويت من أجل اللقاءات المزمع عقدها[٩٠٤]. وبالفعل تم اللقاء بين ابن سعود وأعضاء اللجنة المختصة بمسألة نجد -عدا سليمان شفيق- في منطقة الصبيحة أو (الصبيحية) التي وصلها أعضاء اللجنة بعد انطلاقهم من البصرة بتاريخ ٢٨ أبريل بعد يوم كامل قضوه في الطريق[٩٠٥]. وحسب المعلومات التي وصلت إلى عمر فوزي بك من مبارك الصباح فإن عبد العزيز بن عبد الرحمن كان قد بلغ تلك المنطقة وعسكر بها برفقة ١٦ ألفا من رجاله. وقد جرت في تلك المنطقة مناقشات حادة بين الطرفين كان مبارك الصباح يمارس نفوذه المعنوي كحكم. وفي نهاية هذه المناقشات استطاع أعضاء اللجنة أن يحصلوا على عقد اتفاق بختم عبد العزيز بن عبد الرحمن جاهزا

---

(٩٠٤) *الملف نفسه*، لف: ١٨٩، ٢٤٣، ٢٥٠.

(٩٠٥) *الملف نفسه*، لف: ١٩٥.

للإرسال إلى والي البصرة[٩٠٦]. ومن جانب آخر فإن هذا اللقاء تخللته بيانات ملفته للانتباه أدلى بها عبد العزيز بن عبد الرحمن لأعضاء اللجنة كانت تدور حول دعوة الشريف حسين شريف مكة المكرمة له وللإمام الإدريسي لتوحيد الصفوف ضد الدولة العثمانية. ولإثبات صحة ما أدلى به قدم جزءا من الهدايا التي بعثها إليه الشريف حسين إلى أحد أعضاء اللجنة وهو طالب بك النقيب، وكانت الهدايا عبارة عن خنجرين ومسدس[٩٠٧]. وبعد نهاية اللقاء عاد أعضاء اللجنة إلى البصرة وقام الوالي سليمان شفيق من فوره بإرسال تلغراف إلى نظارة الداخلية بتاريخ ٦ مايو وسمه بـــ" عاجل وسري للغاية"، واحتوى هذا التلغراف على المعلومات التالية:

"عاد أعضاء اللجنة المكلفة بمقابلة عبد العزيز بن عبد الرحمن مكللين بالنجاح الباهر، وقد تم بذل جهد كبير في إقناع عبد العزيز الذي كان يستحيل إقناعه بدون عقد هذا الاتفاق، بالإضافة إلى أنه طلب الإبقاء على الاتفاق طي الكتمان والسرية بغض النظر عن التصديق عليه من قبل الحكومة أو العكس، لأن بعض العرب في العراق والجزيرة العربية وكذلك الإنجليز لا يرغبون في تفاهمه مع الحكومة، ويشجعونه على عدم التفاهم معها إلا بعد استقلاله عنها كليا. لذلك فإن انتشار خبر عقد الاتفاق قد يلحق الضرر به وبعائلته[٩٠٨]. كذلك قام الوالي سليمان شفيق بدعم تلغرافه بتقرير اللجنة التي قابلت عبد العزيز بن عبد الرحمن وبرسائل عبد العزيز التي أرسلها إلى كل من نظارتي الداخلية والحربية وكذلك بمسودة مشروع الاتفاق معنونة إلى نظارة الداخلية. وطلب الوالي في نهاية تلغرافه ضرورة الرد العاجل عليها، وأضاف موضحا بأنه لا يمكن الحصول على نتيجة أفضل من التي تم التوصل إليها حتى لو أجري لقاء ثان معه[٩٠٩].

---

(٩٠٦) *الملف نفسه*، لف: ١٩٤، ٢٥٧.

(٩٠٧) *الملف نفسه*، لف: ١٩٧.

(٩٠٨) *الملف نفسه*، لف: ٢٥٨.

(٩٠٩) الوثيقة نفسها.

ونظرا لأهمية تقرير اللجنة الذي حمل توقيع كل من طالب بك وسامي بك وبهاء بك وعمر فوزي بك فإننا ننقله كما هو:

"وصلنا إلى موقع الصبيحة الكائن على بعد ١٠ ساعات جنوب غرب الكويت حيث ضرب ابن سعود خيامه، و التقينا به بتاريخ ١٩ أبريل ١٣٣٠ الموافق لـــ ٢ مايو ١٩١٤ لبحث مسألة نجد. وقد أبدى السيد المشار إليه شكواه من سوء المعاملة التي لقيها من الحكومات السابقة نتيجة كيد المفسدين والمغرضين. وكانت شكواه مفعمة بالغضب من الضيق الذي لقيه في الفترات السابقة. وكانت بداية اللقاء معه متسمة بمظاهر الغضب والانفعال التي أبداها لنا. ولكنه عبر عن تفهمه لمقتضيات مصلحة الأمة الإسلامية وسلامة مقاصد الحكومة السنية المقدسة. وبذلك بدأت المفاوضات معه على ضوء تحقيق المصلحة العامة واستمرت لمدة يومين تم في نهايتها قبول شروط الطرفين، ومن ثم تم عقد الاتفاق مختوما بختم المشار إليه. وعند استعداده للمغادرة أبدى ترحيبه بثقة الحكومة السنية فيه. وإذا استمرت هذه الثقة فإن هناك المزيد مما يمكن إنجازه بالمشاركة مع الحكومة، وكل ذلك لخير الأمة الإسلامية. وكله حب وثقة تجاه الحكومة وإخلاص وولاء لها. وأبدى لنا بأنه جاهز هو وأولاده لكي يفدُوا الدولة بأرواحهم عند المحن. وسوف يظل وفيا مخلصا لها مدى العمر. وأقسم على ذلك بدينه وشرفه وعرضه. ورجانا أن نحافظ على سرية الاتفاق درءا للأذى الذي يمكن أن يلحق به من بعض الكائدين والمتآمرين ضده من الشيوخ والأجانب، وأن يظل هذا الاتفاق سرّيا سواء أوافقت عليه الحكومة أم لم توافق. ولاشك أن الإنجليز بصفة خاصة لن يرتاحوا لمثل هذا الاتفاق. وفي الحقيقة كان محيّاه مليئا بالنخوة والشهامة. ووجدنا فيه الشخص الغيور على دينه وصاحب الحمية الدينية. وينبغي معرفة قيمته وضرورة التعامل معه تعاملا حسنا كي يكون مركز دعم في العراق والجزيرة العربية، وينبغي كذلك عدم التفريط بقوة لا يستهان بها لصالح الدولة ضد أعدائها عند الحاجة. لذلك يجب اتخاذ ما يلزم لتنفيذ بنود

الاتفاق بأقصى سرعة ممكنة. هذا هو ملخص ما جرى في اللقاء هدفنا أن نضعه أمامكم في هذه العريضة المشتركة التي وقعنا عليها"[٩١٠].

احتوى الاتفاق الذي تمخض عن لقاء أعضاء اللجنة (طالب بك وبهاء بك وفوزي بك وسامي بك) بعبد العزيز بن عبد الرحمن على البنود التالية:

١- تحويل متصرفية نجد إلى ولاية نجد وجعلها في عهدة الأمير عبد العزيز بن عبد الرحمن الذي سوف يمنح لقب "الباشا" وسوف يكون واليا وقائدا لها. ويتم انتقال هذا المنصب إلى أولاده وأحفاده بموجب فرمان سلطاني.

٢- الإبقاء على عساكر عثمانيين في المناطق الساحلية مثل القطيف والعجير وغيرها بمشورة عبد العزيز بن عبد الرحمن، وسوف يكون هذا الوجود العسكري في شكل مجموعات من قوات الجيش والدرك.

٣- تتم كافة الإجراءات المتعلقة بالجمرك والمواني‌ء والفنار تحت إدارة ولاية نجد وفق القوانين العثمانية والدولية.

٤- يتم رفع العلم العثماني على جميع المباني الحكومية التي يلزم رفع العلم عليها وعلى كافة السفن والمناطق الساحلية التابعة لولاية نجد.

٥- يكون من حق الوالي تغيير الضباط العاملين بالمناطق الساحلية بعد إعلام نظارة الحربية بذلك.

٦- يعين القضاة بعد اختيارهم من قبل الوالي الذي يرسل أسماءهم إلى نظارة الداخلية ويتم التعيين من قبل المشيخة حسب الأصول المتبعة.

٧- ينتدب ضباط ومعلمون من الحكومة المركزية لتشكيل قوات عسكرية ومحلية عند الحاجة مرتبطة بإدارة خاصة. ويتم استشارة نظارة الحربية والاتصال بها لتأمين السلاح والعتاد.

---

(٩١٠) الملف نفسه، لف: ١٤٦، ٢٥٤- ٢٥٦.

٨- ليس للولاية حق إقامة العلاقات مع الأجانب أو عقد الاتفاقيات أو منح الامتيازات.

٩- يتم إرسال ١٠% من موارد الولاية السنوية إلى المركز.

١٠- تجرى جميع المراسلات والمكاتبات الخاصة بقيادة ولاية نجد مع نظارتي الداخلية والحربية.

١١- يتم تأسيس مكاتب للبريد والبرق في ولاية نجد وتوابعها وتستعمل الطوابع العثمانية فيها.

١٢- إذا دخلت الدولة العثمانية حربا ضد دولة ما أو إذا حدث تمرد داخلي فإن على ولاية نجد أن تجهز القوات الممكن تجهيزها بالرجال والسلاح وأن تضعها تحت تصرف الدولة حسب الأمر الصادر منها[٩١١].

وقد أرسل عبد العزيز بن عبد الرحمن عشية الاتفاق رسالة إلى نظارتي الداخلية والحربية عبر ولاية البصرة يبدي فيها النتائج الإيجابية التي انتهت بها المفاوضات، ويبين فيها كذلك ولاءه للدولة وإخلاصه لها كما يلي:

"لقد تشرفنا بلقاء الهيئة الموقرة المتكونة من السادة طالب النقيب وبهاء بك رئيس أركان حرب بغداد وعمر فوزي بك رئيس أركان حرب البصرة وسامي بك متصرف فزان السابق (من الملفت للانتباه عدم ذكر ابن سعود لمنصب سامي بك الأخير والذي كان متصرفا لنجد ولو نظريا) وقد تباحثنا مع رئيس اللجنة وأعضائها المحترمين حيث توصلنا إلى حسن نية الحكومة السنية الحالية وضرورة الحفاظ على الجامعة الإسلامية والوحدة العثمانية، لذلك ينبغي أن نوحد جهودنا مع جهود الحكومة في هذا الاتجاه لإعلاء شأن دين محمد صلى الله عليه وسلم ونبذ الفرقة والاختلاف لتجنب كافة المشاكل والمحن. وقد أوضحت اللجنة محاسن الوحدة والتكاتف. وبعد أن تبين لنا المقصد السليم للحكومة السنية والنية الحسنة

---

(٩١١) الملف نفسه، لف: ٢٥٩-٢٦١.

للجنة المحترمة رأينا أن نخضع للحكومة السنية بما تسمح به إمكاناتنا. أما ما هو خارج إمكاناتنا فلا مجال لتنفيذه. وكدليل على حسن إسلامنا ومقاصدنا أعطيت ورقة الاتفاق مختومة بختمي إلى المشار إليهم. وأود أن أوضح- أنه بعد قيام اللجنة ببيان الغرض الذي جاءت من أجله- أنني خادم مطيع للدولة العلية وأوامرها وضد كل ما من شأنه أن يضر بوحدة المسلمين، وإنني وقومي سيوف مشهرة في خدمة الحكومة السنية، وأتعهد وفقا لمقتضيات الحمية الدينية والمروءة الوطنية أن أكون طوع أوامر الدولة للذود عن الدين والخليفة والأمة وأن أتحرك وفقا لمصالحها، ومن أجل نيل رضا مولاي الخليفة. وأرجو أن يأتيني الرد بما يكون في خدمة المسلمين. وكلي أمل أن يكون خدامكم الأوفياء رسل خير وصلاح. وأيد الله دولتنا وأدام عزها ونصرها[٩١٢].

عند بحث نص الاتفاق المعقود بين أعضاء اللجنة وبين عبد العزيز بن عبد الرحمن والذي أرسل إلى استانبول للمصادقة عليه يتضح لنا أن الاتفاق في شكله العام يعكس وجهة نظر طالب بك النقيب في كيفية حل مسألة نجد مع اقتباس شيء من وجهات النظر الأخرى، حيث تم تغيير متصرفية نجد إلى لواء نجد حسب ما رأته نظارة الداخلية وعلى عكس ما ورد في مسودة الاقتراحات. فضلا عن إضافة بند يتعلق بتأسيس مكاتب للبريد والبرق.

بعد أن وصلت نسخة الاتفاق إلى نظارة الداخلية بدأت دراستها، وقد تم إرسالها إلى مجلس الوكلاء في ١١ مايو للتصديق عليها وذلك بعد أن أجريت عليها بعض التغييرات الجزئية[٩١٣]. وفي تلك الأثناء بدأ عبد العزيز بن عبد الرحمن يشعر بالملل من المكوث على مقربة من الكويت، لذلك بعث برسالة إلى سليمان شفيق والي البصرة بتاريخ ١٦ مايو أفاد فيها أنه ترك جميع أعماله وجاء إلى هذه

---

(٩١٢) *الملف نفسه*، لف: ١٤٥، ١٩٨-١٩٩.

(٩١٣) *الملف نفسه*، لف: ١/١٥٧، ٢١٥/ ١.

النواحي من أجل المسلمين ولكن الرد المناسب لم يأت بعد من الحكومة، وعليه فإنه سوف يغادر المنطقة إلى الرياض تاركا أحد رجاله لانتظار رد الحكومة. وأوضح أيضا في رسالته أن الاتفاق سوف يعتبر لاغيا إذا لم يأت الرد من الحكومة خلال خمسة أيام. وقام الوالي بتهدئة غضب ابن سعود موضحا أن التأخير يرجع إلى كون أن معظم النظار في العطلة. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بعث بتلغراف بتاريخ ١٩ مايو إلى نظارة الداخلية يحث فيها النظارة على البت في الأمر وتبليغه بالقرار بعد أن أوضح مدى غضب ابن سعود من التأخير[٩١٤]. وكذلك قام طالب النقيب بإرسال تلغراف بتاريخ ٢١ مايو أوضح فيه مدى النجاح الذي تحقق بعقد الاتفاق بالرغم من تحريض الإنجليز لابن سعود ضد الدولة ومؤامرات مبارك الصباح الذي يتظاهر بأنه مع الدولة ويخفي عداءه لها. وأضاف في تلغرافه موضحا أن الاتصالات قد قطعت مع عبد العزيز بن عبد الرحمن الذي يشعر بالملل من التأخير إضافة إلى قساوة الطقس. وفي الحقيقة فإن جميع هذه العوامل جعلته يرحل من الكويت، لذا من الضروري إصدار قرار في هذه المسألة[٩١٥]. وفعلا كان قناصل إنجلترا في كل من بندر بوشير والبحرين والكويت قد حاولوا التأثير على عبد العزيز بن عبد الرحمن ومنعه من إقامة تفاهم مع الدولة العثمانية وذلك بإيعاز من حكومة الهند الإنجليزية.

كان إبراهيم حقي باشا المقيم في لندن قد أرسل تلغرافا يوضح فيه النتائج التي خرج بها من خلال لقاءاته بالمسؤولين في نظارة الخارجية الإنجليزية، وهي كالآتي: بالرغم من ميل حكومة الهند إلى لعب دور سياسي فعال في مسألة نجد، إلا أن نظارة الخارجية الإنجليزية قامت بعقد اتفاقية مع الحكومة العثمانية بتاريخ ٢٩ يوليو عام ١٩١٣ اعترفت بموجبها بمنطقة نجد كجزء من التراب العثماني

---

(٩١٤) *الملف نفسه*، لف: ٢٠٠.

(٩١٥) *الملف نفسه*، لف: ٢٦٣-٢٦٤.

بالرغم من عدم التصديق على الاتفاقية، لذلك أصدرت توجيهاتها بضرورة التمسك بها والوفاء بالالتزامات المترتبة عنها. ولكن الذي شغل بال الإنجليز هو مدى تأثير الاتفاقية التي سوف تعقد مع عبد العزيز بن عبد الرحمن على مصالحهم في تلك المنطقة[٩١٦]. لهذا السبب تولدت لديهم رغبة أكيدة بضرورة أن تحتوي الاتفاقية المحتملة على البنود التالية:

١- ينبغي على الحكومة التي ستتشكل في نجد أن لا تتدخل في سياسات القبائل في المنطقة بما فيها قبائل قطر وسائر منطقة خليج البصرة.
٢- على الحكومة المذكورة أن تتعاون في مكافحة القرصنة المنتشرة في المنطقة إضافة إلى منع اندلاع الحروب البحرية فيها.
٣- على الحكومة المذكورة أن تتعاون في منع تجارة السلاح.
٤- السماح بحرية الحركة والتجول للتجار الإنجليز في منطقة القطيف ومعاملتهم معاملة حسنة[٩١٧].

لقد أراد الباب العالي أن تتم المصادقة على بعض أجزاء الاتفاقية المعقودة مع عبد العزيز بن عبد الرحمن من قبل فرمان الولاية عوضا عن فرمان السلطان لأن هذا الإجراء كان يتوافق مع مصلحة الدولة العلية. لذلك تمت مراسلة الوالي سليمان شفيق في هذا الخصوص لمعرفة رأيه، إلا أنه كان قد بين أن شروط الاتفاقية قد صيغت بشكل يتناسب مع ما كان يأمل فيه عبد العزيز بن عبد الرحمن لأنه كان ميالا إلى أن يبدأ المفاوضات من أجل الاتفاقية بشرط واحد "وهو الاستمرار في حكم منطقة نجد والأحساء حكما استقلاليا لا يتم التدخل فيه من قبل أحد، وهو الحكم الذي توارثه من أجداده ويريده أن يستمر من بعده في أولاده. وكذلك احترام الدولة العثمانية لهذا الاستقلال، وبين أنه سوف يكون هو ورجال إمارته تحت

---

(٩١٦) *الملف نفسه* ، لف: ٢٠١.

(٩١٧) الباب العالي نظارة الخارجية، *مسألة منطقة نجد*، استانبول ١٣٣٤، ص. ١٢.

تصرفها في حالة نشوب الحروب، وهم مستعدون لمقاومة أي هجوم من الساحل يستهدف داخل التراب العثماني بكل ما أوتوا من قوة ". إلا أن الجهود التي بذلتها اللجنة والحرص الذي أبداه هو وكذلك تأثير رسائل أنور باشا وتوجيهاته التي وجهها إلى عمر فوزي بك نجحت في إقناعه بالتوقيع على الاتفاقية المعنية. لهذا السبب أوضح سليمان شفيق عدم سلامة الرأي القائل بضرورة طلب المزيد من عبد العزيز بن عبد الرحمن لأنه سوف ينتهي بدون أي نتيجة، فهناك مراكز قوى في الداخل والخارج تمارس ضغطا عليه للحيلولة دون تفاهمه مع الدولة العثمانية. ومن جانب آخر ترى الدولة أن هناك بنودا في الاتفاقية لايوجد مبرر لإدراجها، لكن الحقيقة أن البنود المذكورة صيغت تلبية لظروف المنطقة وبالتالي حفاظا على مصالح الدولة، أو استخدام هذه البنود كأداة تفاوض لإقناع ابن سعود[٩١٨].

استلم سليمان شفيق أمرا من الباب العالي يقضي بوجوب إزالة كافة آثار التردد والشكوك، وعليه قام بعقد اجتماع مع أعضاء اللجنة لإعادة تقييم الموقف المتعلق بمسألة نجد، وتوصلت اللجنة إلى صيغة جديدة للاتفاقية بعد استشارة عبد اللطيف جلبي منديلي وهو أحد أصحاب ابن سعود ومحل ثقته، وأستشير حول البنود اللازم حذفها من الاتفاقية وتلك التي يمكن تركها، وأخيرا استقر الرأي على الإبقاء على كافة البنود و اقناع ابن سعود بها. وكانت الصيغة الجديدة هي تقسيم بنود الاتفاقية إلى قسمين: الأول يدرج ضمن الفرمان الذي يصدر من السلطان، والثاني هو ما يتم الاتفاق عليه بين الوالي سليمان شفيق المخول من قبل الحكومة العثمانية وبين عبد العزيز بن عبد الرحمن مع الإبقاء على الاتفاق سريا[٩١٩]. وقد وضّح معتمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بأنه لا ضير من الإبقاء على بنود الاتفاقية دون تغيير مع تقسيمها إلى قسمين لأن رئيسه سوف يوافق عليها في جميع الأحوال، لذلك قام

---

(٩١٨) الأرشيف العثماني، (DH- KMS 2/2-2) ، لف: ٢٦٨.

(٩١٩) *الملف نفسه*، لف: ٢٦٨.

سليمان شفيق بإعادة صياغة بنود الاتفاقية وإرسالها إلى الحكومة بتاريخ ٢٢ مايو للتصديق عليها، وعلى هذا أصبح الفرمان الذي سوف يصدر بهذا الشأن محتويا على البنود التالية:

البند الأول: أمرنا بتحويل متصرفية نجد إلى ولاية نجد ويتم تعيين الأمير عبد العزيز باشا ابن سعود واليا وقائدا عليها.

البند الثاني: أمرنا بتشكيل قوات عسكرية وطنية ومحلية، ومنح الأمير صلاحيات طلب الإمدادات عند الحاجة للقوات العسكرية والدرك التي سوف تتمركز في المناطق الساحلية.

البند الثالث: منحه صلاحية اختيار النواب الشرعيين من العلماء المحليين وعرض أسمائهم على مشيخة الولاية للتصديق عليها.

البند الرابع: منحه صلاحية تعيين جميع الموظفين التابعين لقيادة ولاية نجد وعزلهم وتغييرهم.

أما الاتفاق السري الذي سوف يعقد مع الوالي وابن سعود فقد تضمن في الأساس تلك المواد التي توصلت إليها اللجنة المكلفة بحل المسألة، وهذه المواد السرية على النحو التالي:

مادة ١: هذه المقاولة الممضية والمتعاطاة بين والي وقومانداان البصرة سليمان شفيق باشا المرخص المخصوص بالإرادة السنية الملوكية، وبين حضرة صاحب الدولة عبد العزيز باشا السعود والي وقومانداان نجد. وهذه المقاولة المعتبرة لدى الحكومة السنية الحاوية لثني عشرة مادة هي توضيحاً للمواد السرية المذكورة في الفرمان الهمايوني المؤرخ المخصوص لولاية نجد ومندرجات هذه المقاولة ستكون سرية وعليها الإعتماد.

مادة ٢: ولاية نجد هي تكون بعهدة صاحب الدولة حضرة عبد العزيز باشا السعود مادام حياً بالفرمان الملوكي وبعده تنتقل إلى أولاده وأحفاده بالفرامين الملوكية بأن يكون صادقاً إلى الحكومة السنية وإلى سلفه من آبائه الولاة المتقدمين

مادة ٣ : أن يخصص فني عسكري يسكنه الوالي والقومانداد المشار إليه بأي محل يشاء، وعند الإيجاب إذا اقتضى أن يجلب ضابط لأجل تدريب العساكر المحلية وتعليمهم مؤسساتهم الفنية. وتعيين عددهم منوط إلى رأي واختيار الوالي والقومانداد المشار إليه

مادة ٤ : فيلزم أن يضع في المواقع البحرية كالقطيف والعجير وما يماثلها مقدار عسكر وجندرمه على رأي وتنسيب حضرة الوالي والقومانداد المشار إليه

مادة ٥ : فبجميع معاملة الكمرك والرسومات والفنارات والليمان تكون تابعة إلى حقوق الدول وتجري على أصول الدولة العلية العثمانية تحت إدارة والي الولاية والقومانداد المشار إليه

مادة ٦ : إلى أن تصل منابع الواردات بدرجة كافية لتخصيصات مقام الولاية ومصارفات المحلية وتشكيلات العسكرية بحسب أحوال الحاضرة والطبيعية لنجد الذي يظهر من نقصان الموازنة المالية سيسدد من واردات الكمرك والبوسته والتلغراف والليمان وإن ظهر فضلة يرسل إلى دار السعادة ويخابر بها وأما واردات المحلية إذا كفت مصارفها تماماً فواردات البوسته والتلغراف والكمرك سيرسل إلى نظارته العائدة لها وأيضاً واردات المحلية التي غير تلك الواردات إذا وجد فيها فضلة سيرسل منها بالمائة عشرة إلى بيت مال المسلمين

مادة ٧ : فيلزم أن يوضع البيرق [العلم] العثماني على جميع المباني الرسمية والمواقع اللازمة برية وبحرية ويتموج على السفن البحرية العائدة إلى ولاية نجد

مادة ٨ : تجري المخابرة مع نظارة الحربية الجليلة بتأمين الأسلحة والمهمات الحربية

مادة ٩ : لا يسوغ للوالي والقوماندان المشار إليه أن يتداخل أو يتخابر في أمور الخارجية والمعاهدات الدولية وإعطاء امتيازات للأجانب

مادة ١٠ : فجميع مخابرة حضرة الوالي والقوماندان المشار إليه تكون رأساً مع نظارة الداخلية ونظارة الحربية بدون توسط

مادة ١١ : يقتضي تشكيل مراكز للبوسته في شعبات ولاية نجد تسهيلاً للمخابرة وتأمين إيصالها للمحلات اللازمة بصورة مناسبة ويوضع على المكاتيب والرسائل البول العثماني (الطابع البريدي العثماني)

مادة ١٢ : إذا لا سمح الله وقع بين الدولة العلية حرب مع دول أجنبية أو حصل اختلال داخلي في أي ولاية كانت وطلبت الحكومة من الوالي المشار إليه قوة يلتحق في قوتها فعلى الوالي أن يجهز قوة كافية مع أرزاقها ومهماتها ويجيب الدعوة حالاً على قدر إمكانه واستطاعته[٩٢٠].

قام الباب العالي بإجراء بعض التعديلات على الاتفاقية، ثم أبلغ ولاية البصرة بهذه التعديلات بتاريخ ٢٦ مايو. وعلى هذا الأساس تحولت متصرفية نجد إلى ولاية نجد، وأعطيت الولاية والقيادة فيها إلى عبد العزيز باشا وفق فرمان سلطاني يحتوي على المواد الأربع المذكورة آنفا. غير أن التعديلات كانت تتعلق بحذف اقتراحات سليمان شفيق باشا التي ذكرت على شكل مادة رابعة في الاتفاقية الخاصة، وجعلت بدلا منها المادة الثانية كما هي واردة في الاتفاقية الأولى المعقودة، وجعلت كلمة "القوات المحلية الوطنية" الواردة في المادة الثالثة على شكل "قوات محلية" وحذفت منها الوطنية. وتم تغيير شكل المادة السادسة حيث

---

(٩٢٠) الملف نفسه، لف: ٢٦٥-٢٦٧.

أضيف إليها موارد البريد والبرق كي تصبح وسيلة لسد العجز المالي إلى جانب موارد الجمارك. وأعلمت نظارة الداخلية في برقيتها إلى ولاية البصرة ضرورة إجراء هذه التعديلات في أسرع الآجال. وطلبت النظارة أيضا من الوالي سليمان شفيق باشا التباحث والتشاور مع النقيب طالب بك فيما إذا كان من اللازم إرسال الفرمان السلطاني فورا أم التفاوض مع عبد العزيز بن عبد الرحمن بشأن المواد الأخرى للاتفاقية(٩٢١).

واكتسب الفرمان صورته النهائية بعد أن تم إجراء التعديلات مع الإبقاء على المواد الأربع كما هي. أما الاتفاقية السرية فقد أخذت الصورة النهائية على النحو التالي: تركت المواد الاثنتا عشرة التي اقترحها سليمان شفيق باشا كما هي، عدا بعض التعديلات والتغييرات التي أجريت على المواد المواد الثالثة والرابعة والسادسة، وهذه التعديلات كالتالي:

المادة الثالثة: تخصص الحكومة السنية خبراء عسكريين ضمن مجموعة القيادة العسكرية في الولاية على أن يتخذوا مقراتهم وفق ما تراه قيادة الولاية. أما عدد هؤلاء الخبراء العسكريين الذين سيستخدمون في تشكيل "القوات المحلية الوطنية" وإنشاء المؤسسات التقنية فهو مرتبط بما يقرره الوالي والقيادة العسكرية.

وغيرت عبارة "القوات المحلية الوطنية" إلى عبارة "القوات المحلية".

المادة الرابعة: غيرت العبارة التي تنص على "لقد تم اتخاذ قرار بأن تتألف قوة الجنود والدرك التي ستتمركز في ساحل نجد من فصيل متكون من مائة جندي. وهذا العدد قابل للزيادة حسب ما يراه الوالي والقائد. أما تنفيذ الزيادة فمرتبط بما تراه نظارة الحربية في هذا الشأن" بعبارة أخرى وهي كالآتي: "لقد تم اتخاذ قرار

(٩٢١) الأرشيف العثماني، *DH-ŞFR*41/86.

بالإبقاء على قوة من الجنود والدرك العثمانيين في منطقتي القطيف وعجير وباقي المناطق الساحلية بعد التباحث والتشاور مع ابن سعود".

المادة السادسة: تقوم الولاية بتجميع الموارد المالية لتصرف محليا وعلى التشكيلات العسكرية، واستنادا إلى الوضع الخاص الحالي لولاية نجد فإن أي عجز مالي سنوي في ميزانية الولاية يتم سده عن طريق الموارد الجمركية "والبريد والبرق" (القسم الذي أضيف في الباب العالي) بعد المكاتبات الرسمية على أن يتم إرسال الزائد من الموارد إلى استانبول. أما ما يخص الموارد المالية المحلية فبعد صرفها محليا يتم إرسال عشرة بالمائة من الزائد إلى بيت المال[٩٢٢].

واعتمادا على النسخة المعدلة من الاتفاق، والتي أبلغت بها ولاية البصرة تمت كتابة نص الاتفاق باللغتين العربية والتركية. وكانت إحدى نسخ الاتفاق موقعة من قبل سليمان شفيق باشا، وتم إرسالها مع النسخ الأخرى بتاريخ ٢٧ مايو إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن. وقامت ولاية البصرة بإبلاغ نظارة الداخلية بالإجراءات التي قامت بها في هذا الاتجاه موضحة أن الجواب سيرد من عبد العزيز بن الرحمن خلال بضعة أيام[٩٢٣].

وورد الجواب من عبد العزيز بن عبد الرحمن بتاريخ ١٤ يونيو مبينا موافقته على جميع التعديلات والتغييرات التي أبلغها إياه معتمده عبد اللطيف منديلي، وكذلك موافقته على الاتفاقية الخاصة السرية خاتما عليها بختمه الخاص. وبدوره قام الوالي سليمان شفيق باشا بإبلاغ نظارة الداخلية بهذا الأمر على النحو التالي:"...أود أن أبين أن مسألة نجد قد تم حلها، بحمد الله تعالى وفق لما خططت

---

(٩٢٢) قام الوالي سليمان شفيق بإعادة كتابة نص الفرمان بمواده الابع التي تبناها الباب العالي، ونص الاتفاقية الخاصة بمقترحاته الاثني عشر، ثم أبلغ نظارة الداخلية بذلك بتاريخ ٣١ مايو. الأرشيف العثماني،(*DH-KMS 2/2-2*)، لف: ٢٧٤-٢٧٥.

(٩٢٣) *الملف نفسه*، لف: ١٧٠-٢٧١.

له الدولة العلية. وجعلت أرض نجد الواسعة التي تتاخم سنجق الأحساء لواء عثمانيا تابعا للدولة، وهذا الأمر يعتبر إنجازا كبيرا حققته حكومتنا الحالية ونوابنا النجباء. وأرجو ألا أكون تجاوزت حدودي عندما قمت بتهنئة جميع الوزراء والنواب الذين ساهموا في هذا الانجاز الكبير. وبهذه المناسبة أود أن أشير إلى ضرورة الإسراع بإصدار الفرمان المختوم بشأن هذا الإنجاز بعد أن أرسلته إليكم بواسطة متصرف نجد السابق سامي بك وعمر فوزي بك ويرافقهما الملازم صادق الذي انتدبته لهذه المهمة. لذا أرجو أن تتخذوا ما يلزم لصرف بدل السفر الخاص بهذه المهمة"[٩٢٤].

وقد أرسل سليمان شفيق برقية أخرى بتاريخ ٢٢ يونيو احتوت على تقييماته بشأن ما تحقق من نجاح في حل مسألة نجد على النحو التالي: "إن النجاح الذي تحقق في حل مسألة نجد لم يكن ليتحقق لولا الجهود الكبيرة التي بذلتها نظارة البحرية والمساعدات التي قدمتها في هذا الشأن. ولكن الشخص الذي كان له دور كبير في هذا النجاح إنما هو طالب النقيب، وكذلك باقي أعضاء اللجنة الذين بذلوا الجهد المشكور في هذا الشأن، ولهذا السبب ينبغي تكريم هؤلاء السادة بالشكل الذي يليق بمقام دولتنا العلية". واقترح سليمان شفيق في برقيته تلك أن يتم تكريم طالب النقيب بمنحه منصب سكرتارية مصر أو سفارة طهران، وكذلك منح كل من سامي بك وبهاء بك الميدالية العثمانية من الدرجة الثالثة ومنح عمر فوزي بك ميدالية الشرف الذهبية إن قبل بهذا التكريم. وطلب سليمان شفيق بك كذلك أن يكرم كل من ساهم في تحقيق النجاح في ولاية البصرة، مثل مبارك الصباح وخزعل خان وابن الرشيد وعبد العزيز بن عبد الرحمن ورجالهم المعتمدين بالبصرة[٩٢٥].

---

(٩٢٤) *الملف نفسه*، لف: ٢٧٦.

(٩٢٥) *الملف نفسه*، لف ٢٧٨. يتضح من البرقية نفسها أن عبد العزيز بن عبد الرحمن تم تكريمه بمنحه وسلما من الدرجة الثانية وجائزة رومللي العسكرية.

وقامت نظارة الداخلية، على الفور، بتحويل جميع المكاتبات التي احتوت على التعديلات والاتفاقيات التي وقعها عبد العزيز بن عبد الرحمن إلى مجلس الوكلاء. وفعلا وافق المجلس على جميع ماورد إليه من نظارة الداخلية، وذلك يتاريخ ٨ يوليو عام ١٩١٤.

واتخذ قرارا بإعداد الإرادة السلطانية بهذا الشأن[٩٢٦]. وهكذا حول سنجق نجد إلى ولاية نجد، وعين عبد العزيز بن عبد الرحمن واليا وقائدا على الولاية بقرار من مجلس الوكلاء. وأصبح القرار ساري المفعول بالإرادة السلطانية الصادرة بتاريخ ٩ يوليو والموقعة من قبل السلطان والوكلاء[٩٢٧]، وأرسلت الصدارة العظمى "سري للغاية" إلى نظارة الداخلية والمؤخ في ١٢ يوليو تبلغها قرار مجلس الوكلاء والإرادة السلطانية المذكورة[٩٢٨]. وأرسلت نسخة من الكتاب إلى نظارتي الحربية والمالية[٩٢٩]. وأرسلت الإرادة السلطانية التي تقضي بتحويل نجد إلى ولاية في بداية شهر أغسطس وتعيين عبد العزيز بن عبد الرحمن واليا عليها بواسطة

---

(٩٢٦) الأرشيف العثماني، (*MV*235)، ص. ١٥٣ ، 1353A.

(٩٢٧) نصت الإرادة السلطانية السنية الصادرة في هذا الشأن على ما يلي: " يعين الأمير عبد العزيز بن سعود باشا واليا وقائدا على ولاية نجد، ويمنح حق تشكيل قوات محلية وتقوية القوات العسكرية والدرك المتمركزة في المناطق الساحلية عندما يتطلب الأمر ذلك. ويمنح حق اختيار العلماء، ويعرض أسماءهم على المشيخة لتعيينهم موظفين في الأمور الشرعية. ويمنح حق تعيين الموظفين العاملين في إدارة الولاية وكذلك عزلهم أوتغييرهم. وتم استصدار فرمان من ولاية البصرة بمنح المشار إليه جميع هذه الحقوق، وكذلك استصدار فرمان سلطاني يجعل ولاية نجد في يد المشار إليه مدى الحياة، وانتقال الحكم لأولاده وأحفاده من بعده. وصدر الأمر كذلك بتخصيص خبراء عسكريين مساعدين للباشا المذكور، والإبقاء على عدد من الجنود وقوات الدرك في المناطق الساحلية، وتنفيذ إجراءات الجمارك والضرائب والفنار والموانئ حسب القوانين الدولية والعثمانية وتحت إدارة ولاية نجد وتصرفها، وملء العجز المالي السنوي للولاية من واردات الجمارك والبريد والبرق حتى تصبح الواردات المحلية الأخرى للولاية كافية لمواجهة النفقات مع إبلاغ الوزارات المختصة بذلك. ويرفع العلم العثماني في المناطق الساحلية. وتأمين النقص الحاصل في الأسلحة والمعدات بعد مراجعة نظارة الحربية وقرارها في هذا الشأن. وليس من حق للولاية إقامة العلاقات مع الأجانب أو عقد الاتفاقيات أو منح الامتيازات. وتستخدم الطوابع العثمانية في مكاتب البريد. وإذا اندلعت الحرب -لاقدر الله- أو حدث تمرد داخلي في الأراضي العثماني، يتم إعداد ما أمكن من قوة عسكرية، وجعلها تحت سيطرة الحكومة حسب الاتفاقية الخاصة والمصدق عليها.

(٩٢٨) *الملف نفسه* ملف: ٢٣٣، (*BEO*, 322334).

(٩٢٩) الأرشيف العثماني، (*BEO*, 322322).

البريد المتوجه من استانبول إلى البصرة(٩٣٠). ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل كان هناك قرار بمنح درجة الوزير لعبد العزيز بن عبد الرحمن بتاريخ ١٠ أغسطس بقرار من مجلس الوكلاء. وقرر المجلس أيضا إصدار قانون مؤقت في جلسته المنعقدة بتاريخ ٩ سبتمبر عام ١٩١٤ بشأن هذه التعديلات والقرارات التي أصدرها. وفي التاريخ نفسه صدر كتاب "سري للغاية" يتحدث عن تحويل سنجق نجد إلى ولاية وذلك لما يكتسبه من أهمية استراتيجية، وتعيين عبد العزيز بن عبد الرحمن واليا وقائدا عليها. وتحدث الكتاب أيضا عن الاتفاقية التي عقدت بين سليمان شفيق وبين ابن سعود واصفا إياها بأنها ملائمة من وجهة نظر الدولة. وذكر الكتاب اقتراحا يعرض على المجلس العمومي في افتتاحية جلسته يتضمن استصدار قانون مؤقت بهذا الشأن على شكل قرار ساري المفعول. وهذا القانون المقترح كان على شكل لائحة من مادتين معروضتين على الصدارة العظمى(٩٣١).

"المادة الاولى: تنص على تحويل سنجق نجد إلى ولاية نجد وتعيين عبد العزيز بن سعود باشا واليا وقائدا عليها، ومنح مجلس الوكلاء حق التصديق على هذه الاتفاقية الخاصة المعقودة بين والي البصرة سليمان شفيق باشا وبين المشار إليه، وهي الاتفاقية المؤرخة بـــ٤ رجب ١٣٣٢هـــ الموافق ١٥ مايو ١٣٣٠[بالتقويم الرومي]

المادة الثانية: يكون القانون ساري المفعول اعتبارا من تاريخ نشره.

أمرنا بتحويل اللائحة القانونية إلى المجلس العمومي للتصديق عليها واستصدارها على شكل قانون مؤقت يضاف إلى قوانين الدولة المعمول بها"(٩٣٢).

وقامت الصدارة العظمى بتاريخ ١٢ سبتمبر بإرسال الإرادة السنية المتعلقة بالقانون المؤقت المذكور وبنسخته المصدق عليها، وكذلك نسخة الاتفاقية السرية

---

(٩٣٠) الأرشيف العثماني، (DH-KMS2/2-2)، لف: (٢٧٩، MV236)، ص.٣٢.

(٩٣١) الأرشيف العثماني، (MV 236)، ص. ٥٥.

(٩٣٢) *الوثيقة نفسها*

بين سليمان شفيق وعبد العزيز بن سعود المصدق عليها أيضا إلى نظارة الداخلية[٩٣٣]. وبدورها قامت نظارة الداخلية بإرسال خطاب "سري للغاية" مكتوب باللغة العربية ومعنون إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن وذلك بتاريخ ١٣ سبتمبر. واحتوى الخطاب على نسخة من الإرادة السنية السرية. وكان الخطاب مرسلا إلى ولاية البصرة كتبليغ من الحكومة إلى الولاية[٩٣٤].

لم يتمكن الباب العالي من التوصل إلى حل ناجع لمسألة نجد، ولهذا السبب حاول أن يبحث عن هذا الحل من خلال استشارة المختصين والعارفين بشؤون تلك المنطقة، إضافة إلى استطلاع آراء الإداريين المحليين من أبناء المنطقة. ولكنه مع ذلك ارتأى أن يوافق تقريبا على جميع ماجاء في الاتفاق بين عبد العزيز ولجنة نجد. ولهذا السبب قسم الاتفاقية إلى قسمين، الأول: كان يتضمن أربع مواد متفق عليها وصادرة بالإرادة السلطانية تسمح بممارسة نوع من اللاّمركزية في حكم منطقة نجد، وهي المواد التي كانت تتناسب مع توجهات الدولة العثمانية في تلك الفترة في كيفية التعامل مع مثل هذه المناطق أو على الأقل البحث عن الإمكانات المتاحة لمثل هذه التطبيقات. وإلى جانب صدور الإرادة السلطانية بتحويل نجد إلى ولاية وتعيين عبد العزيز بن عبد الرحمن واليا وقائدا عليها، لم توضح المادة المتعلقة بجعل ولاية نجد وراثية في أولاد وأحفاد عبد العزيز بن عبد الرحمن ضمن الإرادة الصادرة بهذا الشأن، بل جعلت مادة تم التفاهم عليها من خلال الاتفاقية الخاصة والسرية التي عقدت بين عبد العزيز وبين والي البصرة سليمان شفيق. وكان هذا الإنجاز بحد ذاته يمثل نجاحا سياسيا كبيرا لقبول عبد العزيز بهذه الكيفية. وكذلك لأن مثل هذه الاتفاقية يمكن إعادة النظر في محتواها تبعا

(٩٣٣) الأرشيف العثماني، (*BEO*332190).

(٩٣٤) الأرشيف العثماني، (*DH-SYS*25/103).

للمستجدات. ولكن التطورات اللاحقة لم تسمح للدولة العثمانية أبدا أن تعيد النظر في محتوى تلك الاتفاقية.

إن مصادر الدولة السعودية الحديثة تنكر إنكارا تاما جميع ما تم من اتفاق بين عبد العزيز وبين والي البصرة سليمان شفيق، وتنكر كذلك مسألة تحويل نجد إلى ولاية. وحسب رأيها فإن الاتفاقية لم تَعدُ كونها مجموعة من اقتراحات كان سليمان شفيق يدعو إليها، ولم تر النور بعد ذلك. ودليلهم على ذلك عدم وجود أي ذكر للاتفاقية في دور وثائقهم. وإلى جانب إنكار هذه الاتفاقية من قبل تلك المصادر، فهي تؤكد أنها، حتى على افتراض أنها وجدت، لم تكن تمثل سوى مناورة سياسية من قبل الدولة العثمانية[٩٣٥]. وقد وجدنا نحن تلك الاتفاقية مختومة بخاتم ابن سعود، وأدرجناها ضمن الملاحق.

ومن ناحية أخرى فإن الوثائق العثمانية التي أوردناها آنفا تزيح جميع الشكوك حول حقيقة وجود هذه الاتفاقية. ولكن الذي قاد السعوديين إلى إنكار وجود مثل هذه الاتفاقية ليس انعدام وجود تلك الوثائق في دور وثائقهم وإنما تخوفهم من أن يفقدوا القدرة على المناورة السياسية فيما إذا طرحت مسألة ترسيم الحدود مستقبلا.

لقد قامت الدولة العثمانية بتوقيع اتفاقيتين مع الإنجليز عامي ١٩١٣ و١٩١٤ وذلك بهدف كسب دعمهم ونبذ السياسة الانفرادية[٩٣٦]، وخصوصا الاتفاقية التي عقدتها مع إنجلترا بتاريخ ٢٩ يوليو عام ١٩١٣ والتي لم تلق الفرصة الكافية لتبادل الآراء. وهي الاتفاقية التي كانت تتعلق بمناطق النفوذ وتوزيعها بين الدولة العثمانية وإنجلترا في خليج البصرة. وهذه الاتفاقية كان لها تأثير جزئي في عملية ترسيم الحدود، فخلال المداولات الخاصة بهذه الاتفاقية تم تناول مسألة قطر التي كانت

---

(٩٣٥) *Memorial*، ص. ٣٩١؛ القاسم، *المصدر السابق*، ص. ٣١٦.

(٩٣٦) للمزيد من المعلومات حول اللقاءات العثمانية الانجليزية فيما بين عامي ١٩٠٨ و١٩١٤ انظر: Feroz Ahmad, "1908-1914 yılları arasında İngiltere'nin Genç Türklerle İlişkileri", *İttihatçılıktan Kemalizme*، استانبول ١٩٨٦ (الطبعة الثانية)، ص. ١٧٤-٢١٣.

تعتبر قضاء تابعا لنجد. وقد أصر الإنجليز على أن تبقى قطر مثلها مثل بعض الإمارات في الخليج تحت نفوذهم. وقام السفير العثماني في لندن توفيق باشا بإبلاغ الحكومة العثمانية بمطالب الإنجليز. وقام مجلس الوكلاء في جلسته المنعقدة بتاريخ ١١ مارس ١٩١٣ بالبت في هذه المسألة التي تهم ولاية نجد مباشرة، حيث اتخذ القرار الآتي: عندما كان مدحت باشا واليا على بغداد قام بإعادة التنظيم الإداري لسنجق نجد، فقد جعل من قطر قضاء تابعا للسنجق، وجعل من شيخها جاسم آل ثاني قائمقاما فخريا للقضاء، إلا أن الإنجليز كانوا دائما يعملون على عرقلة التنظيم الإداري العثماني في قطر. ودافعهم في ذلك هو سعيهم لجعل خليج البصرة أو بالأحرى سواحله تحت نفوذهم، ويرجع كذلك إلى الاتفاقات التي كانوا قد عقدوهامع شيوخ قطر، وأيضا الوعد الذي أخذوه من ناظر الخارجية سَرْوَر باشا بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٨٧١ بعدم تعرض الدولة العثمانية لشيوخ القبائل المستقلين. وكان هذا الوعد قبل تشكيل سنجق نجد، حتى أن المدراء العثمانيين الذين أرسلوا إلى العُديد والوقرة والزبارة تم سحبهم تحت ضغط الإنجليز. وفي إحدى المرات دكت المدافع الإنجليزية زبارة وحولتها إلى خراب. وكانت إنجلترا تركز على عدم الموافقة على الوجود العثماني جنوب رصيف العجير وعلى قطع أية علاقة للعثمانيين بشبه جزيرة قطر. وقد أصبحت هذه الحقيقة واضحة للعيان(٩٣٧).

وبعد أن لخص مجلس الوكلاء التطور التاريخي للتنافس العثماني الإنجليزي على الخليج عبر عن قناعته بضرورة وقف الجهود الرامية إلى بسط النفوذ العثماني على قطر بسبب عدم جدوى النتائج التي تمخضت عنها، كما أكد على ضرورة نبذ الخلافات القائمة. ومن هذا المنطلق تتجه الجهود لإقناع إنجلترا بالاقتراحات التي تقدم بها توفيق باشا (لم يرد ذكر اقتراحات توفيق باشا)، وإذا لم يتحقق النجاح في هذا الاتجاه فعندئذ يتم تبني الحلول البديلة التالية:

---

(٩٣٧) الأرشيف العثماني، (*MV* 175)، ص. ٢٥/٢-٣.

أولا: تقديم اقتراح بجعل أدنى نقطة في الخليج المواجه لجزيرة البحرين كبديلة للحدود.

ثانيا: تقديم اقتراح بجعل الحدود تبدأ من جزيرة الزخنونية التي تقع إلى الجنوب قليلا من رصيف العجير (تم جعل هذه المنطقة ضمن المناطق المرتبطة بسنجق نجد). وكان هذا بعد أن سيق كشرط لتنازل الدولة العثمانية عن البحرين. ووجد هذا الشرط قبولا من الإنجليز[٩٣٨]. وفعلا تركزت المباحثات بين إبراهيم حقي باشا كممثل للحكومة العثمانية وبين نظرائه الإنجليزيين على الاقتراح الثاني من الحلول البديلة. وقد أبرق إبراهيم حقي باشا إلى نظارة الخارجية بتاريخ ١٦ أبريل ١٩١٣ يعلمها موافقة الإنجليز على الإبقاء على جزيرة الزخنونية مرتبطة بسنجق نجد، بالإضافة إلى كون الحدود الجنوبية للسنجق المذكور تبدأ من أدنى نقطة للخليج المواجه للجزيرة المذكورة. كل ذلك مقابل منح شيخ البحرين ألف ليرة إنجليزية. وطلب إبراهيم حقي باشا في برقيته هذه التعليمات اللازمة بشأن الرد المناسب على الإنجليز. وقد أوضح مجلس الوكلاء الأهمية الكبرى لجزيرة الزخنونية لكونها تنظم عملية الدخول والخروج إلى سنجق نجد من جهة الساحل، ولكونها أيضا ذات موقع جغرافي يكاد يلتصق بالبر ويواجه العجير مواجهة مباشرة. وتتخذ هذه الأهمية طابعا سياسيا.

لذلك كله بين مجلس الوكلاء ضرورة إبعاد الأصابع الأجنبية من المنطقة المذكورة، وضرورة إنهاء الإتفاقية التي ستعقد مع الإنجليز لصالح الدولة العثمانية. كذلك بين المجلس عدم وجود أية أهمية للمال الذي يطلبه شيخ البحرين، وأبدى موافقته على الاقتراح الإنجليزي بهذا الشأن. وأكد المجلس على جعل الحدود الساحلية الجنوبية لسنجق نجد تبدأ من دواخل الخليج المواجه للسنجق. فهذا هو ما يتواءم مع توجهات الحكومة العثمانية. وجعل الحدود الحالية الفاصلة بين سنجق

---

(٩٣٨) الوثيقة نفسها، ص. ٣/٢٥.

نجد وشبه جزيرة قطر عبارة عن خط حدودي جنوبي فقط. ويبلّغ إبراهيم حقي باشا أن يتحرك ضمن هذه القرارات[٩٣٩]. و على هذا تم توقيع الاتفاقية مع إنجلترا وفق القرارات المذكورة، وبالتالي أدرجت مادة تعيّن حدود سنجق نجد. وهذه المادة نصت على ما يلي:

تنتهي الحدود الشمالية عند الحدود المبينة بالمادة السابعة من هذه الاتفاقية وعند الخليج المواجه لجزيرة الزخنونية التي تقع ضمن الجزء الجنوبي لسنجق نجد. ويمتد خط حدودي من نهاية الخليج المذكور نحو الجنوب حتى الربع الخالي، ويفصل سنجق نجد عن شبه جزيرة قطر. وقد بينت حدود سنجق نجد كخط أزرق في الخارطة الملحقة بهذه الاتفاقية. وبسبب تخلي الحكومة العثمانية عن جميع مطالبها في شبه جزيرة قطر اتفقت الحكومتان (العثمانية والإنجليزية) على ترك إدارة قطر بيد شيخها جاسم آل ثاني وأولاده من بعده. وتعلن الحكومة الإنجليزية عن عدم سماحها لشيخ البحرين بالتدخل في شؤون قطر الداخلية أو شؤونها الإدارية أو ضمها إلى ممتلكاته[٩٤٠].

والجانب الذي أكدت عليه المادة المذكورة آنفا هو: الاعتراف الرسمي من إنجلترا بالوجود العثماني في منطقة نجد. وعلى هذا، أصبحت الحدود الشرقية للتراب العثماني في تلك المنطقة تبدأ من جزيرة الزخنونية الواقعة في غرب شبه جزيرة قطر وتمتد هذه الحدود من الشمال حتى الجنوب بما يعرف تاريخيا بالخط الأزرق[٩٤١]. و بهذا الشكل تم التخلي نهائيا عن قطر منذ بدء المحاولات لتأكيد النفوذ العثماني فيها أيام حملة الأحساء في عهد مدحت باشا، إلا أن هذا التخلي

---

(٩٣٩) الأرشيف العثماني، (*MV*176)، ص. ٤٠/ ١-٣.

(٩٤٠) المادة الرابعة من الاتفاقية العثمانية الانجليزية الموقعة بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩١٣. الارشيف العثماني، قسم المعاهدات والاتفاقيات ٢٤٢/٧؛ نظارة خارجية الباب العالي (باب علي خارجية نظارتي)، منطقة نجد..ص. ١٤-١٥.

(٩٤١) Stefanos Yerasimos, Milliyetler ve Sınırlar Balkanlar, Ortadoğu, İstanbul 1994 p. 208 .

يصوره إبراهيم حقي باشا- الذي قام بالمباحثات وكان له دور كبير في إعادة صياغة الكثير من مواد الاتفاقية- على أساس أنه نجاح سياسي كبير. وبحسب رأيه:

"مثلما كان التخلي عن المطالب في قطر والبحرين وكذلك الاعتراف بالحرية الإدارية في الكويت تضحية من قبل الدولة العثمانية، كان التخلي عن ضم البحرين وعن إعلان الحماية الرسمية لقطر والكويت وكذلك الاعتراف بالكويت ونجد كأرض عثمانية تضحية قامت بها إنجلترا في الطرف المقابل من المباحثات[٩٤٢].

ولكن الحقيقة أن إنجلترا كانت غير معارضة للوجود العثماني في نجد ولكنها كانت معارضة له في قطر والكويت. لذلك لم تكن الاتفاقية المذكورة تضحية بالنسبة إليهم بل كانت نصرا سياسيا[٩٤٣]. وكان هذا هو رأي المستشارية القانونية لنظارة الخارجية العثمانية وعلى عكس رأي إبراهيم حقي باشا. أي أن النفوذ العثماني يجب أن يسود جميع أرجاء شبه الجزيرة العربية، ولكن إنجلترا كانت قد عقدت اتفاقيات مع شيوخ المناطق الجنوبية والشرقية من شبه الجزيرة العربية جعلت بموجبها هذه المناطق تحت حمايتها مكرسة استقلالها عن العثمانيين. وكان ضعف النفوذ العثماني في المناطق المذكورة سببا في تشبث إنجلترا بمطالبها فيها[٩٤٤]. إلا أن الاتفاقية العثمانية الإنجليزية التي عقدت بتاريخ ٩ مارس ١٩١٤ والتي أعقبت اتفاقية ١٩١٣ جعلت مناطق النفوذ الإنجليزية والعثمانية محددة. بمعنى آخر، تم تقسيم المناطق العربية إلى منطقتي نفوذ عثمانية وأنجليزية. وكانت الاتفاقية الثانية على عكس الأولى مجالا لتبادل الآراء والتمسك بالالتزامات الناتجة عنها[٩٤٥]. ويمكن اعتبار

---

(٩٤٢) الأرشيف العثماني،(*DVN MKL 55/8*)، ص. ٣.

(٩٤٣) للمزيد من المعلومات عن السياسة الانجليزية في المنطقة بين سنتي ١٩٠٣-١٩١٤، وعن الإتفاقيات التي عقدوها خلال ١٩١٣-١٩١٤ انظر ستيوات.أكوهين، السياسة الانجليزية في بلاد ما بين النهرين خلال السنوات ١٩٠٣-١٩٠٤، لندن ١٩٧٦، ص. ٣٦١، وخصوصا الأجزاء ٦-٩. وللمزيد من المعلومات عن نشاط الأنجليز في المنطقة خلال أعوام الحرب وما بعدها انظر: إليزابيث مونرو الوجود الأنجليزي في الشرق الأوسط خلا الفترة ما بين ١٩١٤-١٩٥٦ ، لندن ١٩٦٣.

(٩٤٤) الأرشيف العثماني، (*HR-HMŞ İŞO 39/2-4*)، لف ٢٢/٢.

(٩٤٥) الأرشيف العثماني، *قسم المعاهدات والاتفاقيات* ٣٦٩/٢-٣.

هذه الاتفاقية تصديقا على بروتوكولات الحدود بين العثمانيين والإنجليز الموقعة في الأعوام ١٩٠٣، ١٩٠٤و ١٩٠٥ والتي وقّعت لترسيم الحدود بين ولاية اليمن والنواحي التسعة (تعيين مناطق النفوذ العثمانية والإنجليزية).

وتم التوقيع على الاتفاقية من قبل إبراهيم حقي باشا ممثلا عن الحكومة العثمانية وإدوارد ممثلا عن الحكومة الإنجليزية[٩٤٦]. وحسب الاتفاقية الجديدة أصبحت الحدود ممتدة من آخر نقطة حدودية حددتها البروتوكولات السابقة. أي ذلك الخط الممتد من خليج العجير نحو الجنوب بإتجاه الصحراء مخترقا الربع الخالي. وبمعنى آخر أصبحت الحدود ممتدة إلى الشمال الشرقي بدرجة ميلان قدرها ٤٥ درجة[٩٤٧].

وبعبارة أخرى تبدأ الحدود من النقطة التي تفصل اليمن عن عدن، وتمتد بالاتجاه الشمالي الشرقي. ومن ثم تخترق الربع الخالي أو الجزء النائي من الجزيرة العربية لتصل الخط الأزرق لتشكل الحدود الجنوبية للدولة العثمانية في المنطقة. ودعي هذا الخط الحدودي تاريخيا بخط أفلاطون الحدودي[٩٤٨].

وكما يلاحظ فإنّ الاتفاقيتين تحتويان على مواد مبينة لحدود نجد. فالاتفاقية الأولى تحققت بعد ثلاثة أشهر تقريبا من احتلال إبن سعود لمنطقة الأحساء. أما الإتفاقية الثانية فتحققت قبل فترة قليلة من اتفاقية ابن سعود وسليمان شفيق والي البصرة.

وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عقد الإنجليز إتفاقية في ديسمبر عام ١٩١٥ مع عبد العزيز لجعله يلتزم صفوفهم أثناء الحرب. وكانت هذه الاتفاقية متعارضة مع اتفاقية عبد العزيز مع العثمانيين التي ألزمته بالتعهد تجاههم. وقد نصت الإتفاقية المذكورة في مادتها الأولى على ما يتعلق بالأراضي التي تقع تحت

---

(٩٤٦) للمزيد من المعلومات عن منح إبراهيم حقي باشا صلاحية عقد الاتفاقيات وقرار مجلس الوكلاء انظر: الأرشيف العثماني. (*DUİT* 96/3-47)

(٩٤٧) الوثيقة نفسها.

(٩٤٨) براسيموس، *المصدر السابق* ٢١٠ .

سيطرة عبد العزيز و كيفية تحديد هذه الأراضي بحدود نهائية[٩٤٩]. كما أن الاتفاقية استمرت سارية المفعول بدون أية مشاكل تذكر حتى عام ١٩٢٦.

ففي ذلك العام طرأت على السطح المشاكل الحدودية بين السعوديين وبين باقي شيوخ الخليج، مما جعل انجلترا تتدخل لحل المشاكل مؤكدة على ضرورة اعتماد الخط الأزرق الحدودي الوارد ذكره في الاتفاقية الإنجليزية العثمانية لعام ١٩١٣ كأساس لترسيم الحدود. وكانت حجة إنجلترا أن نجد في ذلك التاريخ كانت لا تزال ترابا عثمانيا، وأن عبد العزيز كان ما يزال في تلك الفترة والياً تابعاً للدولة العثمانية. وعقد الأنجلبز اتفاقية مطاطة أخرى مع السعوديين عام ١٩٢٧ اعترفوا بموجبها بالاستقلال الكامل للسعوديين مع ترك مشكلة الحدود دون حل.

وهذه المشاكل الحدودية بالذات حدت بالسعوديين إلى أن ينكروا جملة وتفصيلا تلك الاتفاقية التي عقدت بين عبد العزيز بن عبد الرحمن وبين سليمان شفيق والي البصرة.

والمعروف أن اندلاع الحرب العالمية الأولى قلب رأسا على عقب جميع محاولات الدولة العثمانية للحفاظ على الأمن الداخلي بمنطقة نجد. وكان رجال الدولة العثمانيين يعلمون علم اليقين أن دولتهم ستشارك في الحرب عاجلا أم آجلا. ولهذا السبب بدأو يسعون حثيثا من أجل دفع رجال الإدارة المحليين في المناطق العثمانية البعيدة كنجد للوقوف إلى جانب الدولة العثمانية في الحرب. وتحققت هذه المخاوف فعلا عندما أعلنت كل من إنجلترا وفرنسا الحرب ضد الدولة العثمانية بتاريخ ٥ نوفمبر ١٩١٤. وفي المقابل أعلنت الدولة العثمانية دخولها في الحرب في ١١ نوفمبر.

---

(٩٤٩) للمزيد من المعلومات انظر: Memorial، ص. ٣٠٤-٣٠٥؛ بايور، المصدر السابق، المجلد الثاني، القسم الثالث، ص. ١١٨-١٢٠، دانيال سيلفرفارب "الاتفاقية الانجليزية- النجدية في ديسمبر ١٩١٥"،المجلد ١٦ ، *MES*، العدد ٣، أكتوبر ١٩٨٠، ص. ١٦٧-٧٧ بيرلسيموس، *المصدر السابق*، ص. ٢١٦.

قام ناظر الداخلية بإرسال برقية إلى ولاية البصرة بتاريخ ١٢ نوفمبر لكي ترسل إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن باشا والي نجد وقائدها كي يكون على أهبة الاستعداد للطوارئ. وقد احتوت البرقية المذكورة على ثناء الدولة وشكرها الكبير لعبد العزيز بن عبد الرحمن لما بذله من جهود في سبيل خدمة الدولة. واحتوت أيضا على التمنيات العميقة بأن تصبح هذه الحرب وسيلة لسعادة المسلمين وجميع العالم الإسلامي. واختتمت البرقية بطلب من ناظر الداخلية بأن يكون عبد العزيز بن عبد الرحمن ورجاله على أهبة الاستعداد للدفاع عن الوطن والدين[٩٥٠].

وفي اليوم نفسه وصلت الأنباء من البصرة تفيد بتسليم هذه البرقية إلى شكري أفندي الألوسي ليسلمها بدوره إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن [٩٥١]. وبعد يومين من البرقية المذكورة أي بتاريخ ١٤ نوفمبر أعلن السلطان العثماني"الجهاد"[٩٥٢]. وبدوره قام ناظر الداخلية بتاريخ ٢٠ نوفمبر بإرسال برقية باللغة العربية إلى مكتب الشفرة ليتم إرسالها إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن. وتضمنت البرقية إعلان الجهاد من قبل السلطان إضافة إلى آخر التطورات في الأحداث. وتم إرسال البرقية إلى ولاية البصرة على شكل برقية مشفّرة[٩٥٣]. إلا ان البرقية لم يتم حل شفرتها، ولذلك تم إرسالها مرة أخرى بتاريخ ٢٤ نوفمبر إلى ولاية بغداد باللغة التركية ليتم إرسالها إلى عبد العزيز بن عبد الرحمن. وكانت البرقية على النحو التالي:

---

(٩٥٠) الأرشيف العثماني، (*DH-ŞFR* 45/132).

(٩٥١) الأرشيف العثماني،(*DH-ŞFR* 47/466).

(٩٥٢) للمزيد من المعلومات عن الآراء المختلفة المتعلقة بإعلان الجهاد انظر: حكمت بايور، *المصدر السابق*، المجلد الثالث، ص.٣١٧-٣٩٦؛ سجيل لَق كون، *العلمانية وإلغاء الخلافة*، أنقرة (بدون تاريخ)ص. ٢٨-٣١؛ المشير حسين القضوائي، *مؤتمر باريس للسلام وانهيار الدولة العثمانية*، استانبول ١٩٨١ص. ٧٩-٩١؛ ميم كمال لوكه، حركات *الخلافة*، أنقرة ١٩٩١، ص. ٢٢-٣٤؛ عزمي أوزجان، *الجامعة الإسلامية العثمانية: أنجلترا ومسلمو الهند ١٨٧٧-١٩١٤*، استانبول ١٩٩٢، ص. ٢٥٤-٢٦١؛ متين هولاكو، *نشاطات دعاة الجامعة الإسلامية*، استانبول ١٩٩٤، ص. ٣١-٥٨.

(٩٥٣) الأرشيف العثماني، (*DH-ŞFR*47/ 98).

"السلام عليكم وعلى من معكم من جنود الإسلام. تعلمون أن روسيا وفرنسا وإنجلترا كانت منذ القديم تهاجم الدول الإسلامية، وهذه الدول هي التي حرضت إيطاليا ودول البلقان ضد الدولة الإسلامية العلية كي تنجح في السيطرة على المغرب والروملي وطرابلس الغرب. وهذه الدول كانت قبل ذلك، وبالذات فرنسا قد احتلت تونس واحتلت إنجلترا مصر. وكل ذلك دون وجه حق بل ظلما وعدوانا. وتعلمون أيضا ان لإنجلترا مطامع في جزيرة العرب، ولفرنسا مطامع في سوريا ولروسيا مطامع في الأناضول. وهذه الدول تحيك المؤامرات والدسائس لتحقيق أطماعها. وكانت الطامة الأخيرة طلب إنجلترا التحكم في قناة السويس. وبالرغم من بقاء الدولة العثمانية وما يتبعها من ممالك محايدة في الحرب فإن إنجلترا أجبرت الحكومة المصرية على إعلان الحرب ضد ألمانيا. وبذلك ضربت إنجلترا بجميع القوانين الدولية عرض الحائط. ولم تكتف هذه الدول بذلك بل قامت سفن فرنسا وإنجلترا وأساطيلهما بتهديد سفن الدولة العلية في البحر الأبيض المتوسط. كما أن السفن الروسية هددت سفننا أيضا. وتمادت في غيها بأن هاجمتها في مضيق البوسفور بالطوربيدات. وبذلك تعتبر هذه الدول معتدية على الدولة ومقر الخلافة. كما قامت السفن الإنجليزية بقصف ميناء العقبة، وعمدت القوات الروسية إلى خرق الحدود الشرعية للدولة بالرغم من حيادها. لذلك تعلن دولتنا العلية وبعون الحق سبحانه وتعالى وعنايته الجهاد ضد إنجلترا وفرنسا وروسيا وبلجيكا وعلى من يعاونهم. وأرسل لكم الفتوى الفقهية والحكم الشرعي في هذا الشأن برقيا. لذلك ينبغي إبلاغ أهالي ولايتكم بهذا الأمر واتخاذ ما يلزم لتنفيذ التعليمات التي تردكم من نظارة الحربية الجليلة. وينبغي أيضا نشر البرقية وتوزيعها في جميع أنحاء مسقط وعمان لأن البرقية سوف تسلم إليكم باليد بسبب صعوبة المواصلات، وذلك لكي يقوم أهالي تلك المناطق بالتبرؤ من تعهداتهم للكفار. وقد بلغني أن عددا من رجال قبيلة القواسم قد اعتدوا على رجال ابن الرشيد، ولهذا وجب عليك أن تحقن دماء المسلمين وتوجه سعيهم لجهاد الكفار. وقد تقدمت قواتنا صوب مصر لدرء خطر الاستخبارات

الإنجليزية. كما أن سفننا قامت بقصف الموانئ الروسية في البحر الأسود. وقامت قواتنا في القوقاز بالهجوم على المواقع الروسية. وترتفع رايات النصر في كل مكان تكلل هامات جند الإسلام. وبشروا الأهالي بهذا النصر، ونبتهل إلى الله العلي القدير أن يكون النصر حليف المسلمين إنه سميع مجيب"[٩٥٤].

وفي مواجهة هذه الانذارات من استانبول أبلغ عبد العزيز بأنه جعل من وجود منافسه ابن الرشيد في جبل شمر تعلة للانسحاب من نجد وعدم القيام بأي تحركات[٩٥٥]. وعقب ذلك توالت التلغرافات من استانبول على عبد العزيز، غير أنه لم يعبأ بها وخاصة في ما يتعلق "بإعلان الجهاد الأكبر وضرورة توحيد القوات المسلمة"[٩٥٦]. ووفقا لما يستنتج من التلغراف المشفر المرسل في ١٢ ديسمبر من نظارة الحربية إلى الجيش الرابع بهدف إيصاله إلى والي نجد وقيادتها، فإن ابن سعود قد طبق أوامر السلطان وترك نزاعه مع ابن الرشيد. وفي التلغراف نفسه أعربت نظارة الحربية عن ارتياحها لهذا الوضع وطلبت من عبد العزيز بن عبد الرحمن توجيه جميع قواته للدفاع عن البصرة بسبب ضعف وضعها الدفاعي في تلك الفترة. كما طلب من ابن الرشيد أن يسرع بما معه من قوات ورجال لنجدة البصرة واعتبرت ذلك واجبا دينيا[٩٥٧]. غير أن هذه التعليمات لم تجد آذانا صاغية ذلك أن عبد العزيز في تلك الفترة انتهج لنفسه سبلا أخرى.

بعد النشاطات المكثفة التي قام بها عبد العزيز لمدة سنوات وخاصة ماحققه من نجاح دبلوماسي في مواجهة الدولة العثمانية وما حققه كذلك من حرية في الحركة في المنطقة وخصوصا مع إعلان الحرب الإنجليزية، استطاع كسب ولاء كثير من الشيوخ العرب من مسقط إلى الكويت. ومن جانب آخر كان ابن سعود من أقوى

---

(٩٥٤) الأرشيف العثماني، (*DH- ŞFR* 47/290) .

(٩٥٥) Briton, Cooper Busch, *Britain, India and the Arabs, 1914-1921*, London 1971, p.232-233.

(٩٥٦) الأرشيف العثماني، (*DH- ŞFR* 47/14, 28, 289).

(٩٥٧) الأرشيف العثماني، (*DH- ŞFR* 47/455) .

الزعماء وأكثرهم تأثيرا عند إعلان الدولة العثمانية نداءها للجهاد في المنطقة. ذلك أنه وبعد ابتداء الحرب مباشرة دخل في مناقشات مع الدولة العثمانية من أجل الوقوف في صفها، وانتهت تلك النقاشات في ٢٦ ديسمبر عام ١٩١٥[٩٥٨]، وتوصل في النهاية إلى عقد اتفاق بينهما. ومع أن عبد العزيز بن عبد الرحمن لم يقف مع الإنجليز في حربهم ضد الدولة العثمانية وبقي على الحياد[٩٥٩] فإن عداوته تواصلت مع ابن الرشيد الذي ظل على وفائه للدولة العثمانية، ومثل صراعه هذا خدمة غير مباشرة للإنجليز[٩٦٠].

---

(٩٥٨) للاطلاع على الاتفاق وما يتعلق بالجهود الأنجليزية أنظر: د. سلفيرفارب، *المقالة السابقة*؛ ج. جولد بيرغ، *المقالة السابقة*.

(٩٥٩) George Lenczowski, *The Middle East in World Affairs*, New York 1952, p. 339.

(٩٦٠) يقول لارشر في هذا الموضوع " عمل الأنجليز على تحييد ابن سعود لطمهم بما عنده من قوات..." .لارشر، م. ، *Büyük Harbte Türk Harbi* (الحرب التركية إبان الحرب العظمى)، ترجمة م. نهاد، استانبول ١٩٢٨، III /٤٧.



الخاتمة

بعد الحملة التي قام بها السلطان ياووز سليم على سوريا ومصر أصبحت الدولة العثمانية صاحبة النفوذ في كامل الجزيرة العربية، غير أن النفوذ العثماني لم يتوطد بالمعنى الصحيح في نجد والأحساء الذين يشكلان المناطق الوسطى للجزيرة العربية وسواحلها إلا في عهد السلطان سليمان القانوني. ولكن ذلك كان بعيدا عن السيطرة السياسية بالمعنى المعاصر. فالدولة العثمانية كانت تحكم مناطق جغرافية واسعة. وفي الفترات الكلاسيكية كانت المناطق التي يتم فتحها تقرأ فيها الخطبة باسم السلطان ويدفع مقدار معين من الضرائب السنوية إلى مركز الدولة أو إلى مكان آخر تحدده الدولة. ووفقا لهذه الشروط تسمح الدولة للنظام الإداري القديم بالتواصل. وبمرور الزمن تدخل هذه المناطق ضمن التقسيمات الإدارية للدولة العثمانية، وتصبح القوانين العثمانية سارية المفعول في هذه المناطق. وبالنسبة إلى الأحساء (لحساء) التي تشكل موضوع بحثنا فقد دخلت منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر ضمن نظام الإيالة العثماني، وشرع في إدارة بكلربك الأحساء وفقا لنظام الساليانة.

وقد كانت منطقة نجد تابعة للأحساء جغرافيا وكذلك في جميع المناحي الأخرى، وقد لوحظ أن هذه التبعية ظلت مستمرة طوال الفترة الكلاسيكية. ومن جانب آخر تكفلت الدولة العثمانية بحماية الإسلام السني في العالم الإسلامي، ولمدة قرون لم تطرح مسألة السيادة العثمانية مجرد الطرح للنقاش.

وبالموازاة مع ضعف الدولة وتخلفها، فسد النظام الذي تأسس قديما في المناطق البعيدة عن المركز، وبدأت تظهر في هذه المناطق قوى جديدة استفادت من الفراغ الحاصل في السلطة هناك. وفي ظل هذه الظروف حاولت الدولة العثمانية أحيانا أن تمارس سياسة تقوم على القوة والشدة تجاه القوى المحلية، وأحيانا أخرى عملت على ضرب هذه القوى بعضها ببعض من أجل خلق شيء من التوازن. بيد أنه في

الربع الأخير من القرن الثامن عشر، وبداية من القرن التاسع عشر بدأت الدولة العثمانية تعاني تقريبا من المشاكل نفسها في كل ناحية من نواحيها. وبشكل خاص فقد ظهرت في أواسط نجد الحركة الوهابية، و بدت في البداية بمظهر الحركة الدينية، ثم تطورت واكتسبت طابعا سياسيا. وفي فترة وجيزة من الزمن قوي عودها، وتمكنت من بسط نفوذها على أماكن كثيرة، مثل نجد والأحساء وخليج البصرة، بل امتدت إلى منطقة الحجاز التي توليها الدولة اهتماما خاصا، بل وأصبحت تجادل في شرعية سلطة الدولة العثمانية في المنطقة. وفي الفترة نفسها تكثفت التدخلات الإنجليزية والفرنسية في البحر الأحمر وخليج البصرة، وهو ما حول المسألة إلى قضية دولية وأثر أكثر على سلطة الدولة في المنطقة.

اعتبرت الدولة العثمانية أن الحركة الوهابية التي غيرت مجرى الأحداث فيما بعد، مجرد حركة دينية محكوم عيها بالذوبان. وبعد فترة قصيرة بدأت الدولة العثمانية تراقب عن كثب هذه الحركة إثر الصراعات التي حدثت بين الوهابيين من ناحية وبين أشراف مكة المكرمة والقوى المحلية من ناحية أخرى.

إن المنطقة لم تخل يوما من الأيام من هذه الصراعات، ولكنها لم تكن في وقت من الأوقات سببا لتغيير كبير فيها. والحقيقة أن هذه التجربة التاريخية وكذلك الظروف الصعبة التي كانت الدولة تمر بها في تلك الفترة لم تجعلها تتدخل في حينها، وتمكنت الحركة الوهابية بزعامة العائلة السعودية في بداية القرن التاسع عشر من الاستحواذ على الأحساء ثم التوسع إلى الحجاز بفضل ما حصلت عليه من دعم مادي في هذه المنطقة. وهو ماجعل الدولة تدق ناقوس الخطر فعلا، ولم تنظر إلى المسألة بجدية إلا انطلاقا من هذا التاريخ لأن استحواذ الوهابيين على الأحساء جعلهم يتوسعون بسهولة باتجاه الشمال والغرب، وهو ما دفع الدولة العثمانية إلى التحرك. وفي البداية حاولت الدولة حل المسألة بواسطة الولاة المحليين، ولما فشلت في ذلك عمدت إلى الاتصال بالعائلة السعودية التي تقود

الحركة الوهابية، وسعت إلى استمالتها. ولما لم تفلح هذه الطريقة أيضا تم تكليف والي مصر محمد علي باشا بالزحف عسكريا على هذه المنطقة. وهكذا وفي عام ١٨١٨ تم القضاء على الوهابيين في منطقة الأحساء وكذلك من موطنهم الأصلي بالدرعية في نجد، وإثر ذلك تم جلب عبد الله بن عبد العزيز إلى استانبول وجرت معاقبته. وبذلك حققت الدولة العثمانية نجاحا سياسيا معتبرا مما مكنها من أن تثبت للمسلمين وللقوى الأجنبية سيطرتها المطلقة على نجد والأحساء والحجاز.

كان محمد علي باشا واليا مكلفا من قبل الدولة العثمانية بالقيام بحملة على الوهابيين، غير أنه في زحفه على المنطقة كان يحمل نوايا أخرى، فقد كان يعتقد بأن هذه المناطق من حيث الحكم تابعة لمصر، وهو ما كان سببا آخر لخلق الفوضى. ولم تكن الدولة العثمانية غافلة عن هذا الأمر بيد أنها لم تتمكن من إيجاد حلول جدية، واكتفت بإدارة منطقة نجد عبر جدة والحبشة. وفي المقابل عملت على قطع صلة تلك المنطقة بمصر، وإن بقي ذلك نظريا. كما عملت الدولة على تنشيط العلاقات بين الأهالي والموظفين التابعين لها في المنطقة. كما أن الباب العالي حرص حرصا شديدا على خلق الانطباع بان المواطنين الموجودين في المنطقة إنما يمثّلون الدولة العثمانية مباشرة ولا يمثّلون مصر. وبالرغم من أن عبد الله ثنيان أخذ إدارة منطقة نجد بالقوة فقد أعلن ولاءه للدولة وبدأ في دفع الضرائب إلى خزينة جدة. ومن جانب آخر فقد تطورت الخلافات بين الدولة العثمانية وولاية مصر، وانتهت هذه الخلافات بإعلان بروتوكول لندن لعام ١٨٤٠، وهو ما فتح الطريق مجددا أمام مزيد من الغموض في ما يتعلق بنجد والأحساء.

يمكن القول إن الدولة العثمانية، إلى حدود هذا التاريخ، تمكنت من بسط سيطرتها على نجد والأحساء بواسطة القوات المصرية. غير أن البروتوكول المذكور نص على إخلاء هذه المناطق من القوات المصرية، وهو ما تسبب من جديد في فراغ في السلطة، فقد كان من غير الممكن بالنسبة إلى الدولة العثمانية أن

تملأ هذا الفراغ وأن تبسط نفوذها على مناطق جغرافية مترامية الأطراف مثل نجد وخصوصا الأحساء التي تعتبر مناطق صحراوية بينما هي لا تملك في مركز جدة والحجاز سوى أعداد قليلة من القوات العسكرية.

كما أن فيصل بن تركي أحد الزعماء الوهابيين المهمين كان في مصر منذ عام ١٨٣٨، وقد كان لإطلاق سراحه من السجن أو لنقل غضّ الطرف عن فراره من هناك إيذانا بالتئام شمل الوهابيين من جديد في منطقة نجد. وفي مواجهة هذه التحديات، لم تكن الدولة قادرة على تسيير حملات عسكرية كبيرة بسبب الأزمات التي كانت تتخبط فيها. ولهذا السبب فقد أرسلت شريف مكة المكرمة بما كان معه من قوات محدودة للاشتباك مع فيصل، وبالفعل دخل معه في بعض المناوشات في منطقة نجد. وقد تم تعيين فيصل بن تركي قائمقاما للرياض (نجد) على شرط أن يتابع تطبيق القوانين العثمانية ويعطي الضريبة السنوية لخزينة الحجاز. وفي الواقع فقد تم تعيين قائمقامين آخرين على نجد قبل هذا التاريخ، ولكن تعيين هؤلاء جاء بعد الأوضاع الجديدة التي سببتها الحملة العسكرية التي نفذها محمد علي باشا. وبعبارة أخرى فقد كان هؤلاء يواصلون مهمة القوات العسكرية المصرية في المنطقة. ولكن تعيين القائمقام هذه المرة كان يتم مباشرة من الباب العالي وبواسطة الفرمان الذي يوقعه السلطان نفسه. ولا شك أن ذلك كان بتأثير من السياسة المركزية التي اتبعتها الدولة، وخصوصا في عهد السلطان محمود الثاني. ولعل نشر هذه الترتيبات في الجريدة الرسمية "تقويم وقائع" يبين الأهمية التي أولتها لها الدولة.

ظل فيصل بن تركي وفيا للدولة العثمانية في أثناء الفترة التي قضاها قائمقاما للرياض، وفي الوقت نفسه عمل باستمرار على تقوية نفوذه ونفوذ الوهابيين، كما كان حريصا على دفع الضرائب المقررة إلى خزينة الحجاز. وبفضله أيضا أجبر قسم من الشيوخ العرب -الذين كانوا شبه مستقلين ولا يعرفون بالتحديد إلى أية

جهة هم تابعون- على دفع الضرائب لنجد. وقد قام هناك حكم عثماني وإن كان شكليا إلى حد ما. كما أن الدولة العثمانية، عندما طالبت في سنوات لاحقة بحقها في البحرين كانت تملك دليلا يتمثل في القائمقامية التي كانت تدفع الضريبة لنجد.

وبعد فيصل بن تركي أسندت الدولة العثمانية إدارة المنطقة إلى عبد الله بن فيصل بالوراثة وفق التقاليد المعمول بها، وذلك ليحكمها في إطار الشروط التي وضعتها الدولة لأبيه أثناء وجوده على قائمقامية الرياض. غير أنه وبعد فترة، رأت الدولة ضرورة التدخل بشكل مباشر في المنطقة لما جلبه عبد الله من مخاطر وكذلك بسبب الصراعات الداخلية التي حدثت داخل العائلة السعودية. وهكذا وفي عام ١٨٧١ تم إنفاذ الحملة العسكرية على الأحساء. وفي الظاهر كان الهدف منها إعادة عبد الله بن فيصل إلى منصب القائمقامية وإبراز قوة الدولة في سواحل نجد (الأحساء)، ولكن الهدف الحقيقي منها هو مواصلة السياسة الرامية إلى تثبيت الحكم المركزي.

واعتبارا من النصف الأول من القرن التاسع عشر بدأت الدولة العثمانية في انتهاج سياسة تقوم على إيصال قوة الدولة وهيبتها إلى كل مكان، ولكن لا يمكن القول بأنها حققت نجاحا مطلقا في هذه السياسة. والحقيقة أن الدولة العثمانية التي تحكم مناطق جغرافية مترامية الأطراف لم تكن تتوقع نجاح سياستها هذه في مدة قصيرة. ولهذا السبب وجهت الدولة اهتمامها، كإجراء منطقي نحو تكثيف الإجراءات العسكرية والضرائبية في هذه المناطق.

وفي هذا الإطار تركت الدولة مناطق نجد والأحساء والحجاز إلى مرحلة لاحقة باعتبار أنها لا تمثل أهمية كبرى من الناحية العسكرية والضرائبية من حيث الجانب الطبيعي. وبعد عقد اتفاقية باريس عام ١٨٥٦ أصبحت الدولة العثمانية تتحرك بأكثر حرية، ثم إن فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ مكنها من الوصول إلى المنطقة بسهولة، كما جعلها تعيد تشكيل سياستها من جديد في منطقة شبه الجزيرة

العربية. وهكذا تمكنت الدولة، وبعد فترة طويلة من إقامة متصرفية نجد وتثبيت أقدامها بشكل كامل، إثر الحملة التي تم إنفاذها هناك. وبالموازاة مع ذلك تم القضاء، بشكل كامل تقريبا، على نفوذ العائلة السعودية في المنطقة. ولكن وإثر التطورات الجديدة لم تتمكن الإجراءات الإدارية العثمانية من الثبات والسير كما رسم لها، ومع الأسف منيت الإجراءات الإصلاحية التي تم القيام بها في نجد والأحساء عام ١٨٧١ بالفشل إثر ثلاث سنوات من ذلك. وقد كان هدف الدولة في عام ١٨٧١ هو السيطرة الكاملة على نجد والأحساء وتلافي حدوث أي فراغ سياسي. وبالرغم من ذلك بقيت سيطرة الحكومة على سواحل نجد والأحساء محدودة وأما المناطق الداخلية فقد أصبح وضعها شبيها بما كان عليه الأمر قبل عام ١٨٤٠.

ومع مجيء السلطان عبد الحميد الثاني إلى سدة الحكم تمت إعادة النظر من جديد في السياسة المتبعة في شبه الجزيرة العربية، كما منحت أهمية خاصة لمنطقتي نجد والأحساء. وهذه السياسة الجديدة كانت تهدف من ناحية إلى إعادة هيبة الدولة ومن ناحية ثانية إلى نقل مركز القوة في المنطقة من الرياض إلى حائل، أي نقلها من يد العائلة السعودية إلى الرشيديين. ويبدو أن هذه السياسة نابعة من قناعة شخصية لدى السلطان عبد الحميد أكثر من كونها سياسة حكومية. وبعد فترة قصيرة تمكن الرشيديون من أن يصبحوا أصحاب الكلمة المسموعة في دواخل نجد. وفي هذه الأثناء كان السلطان عبد الحميد الثاني يغض الطرف عن تنامي قوة الرشيديين في مواجهة السعوديين ولكنه في الوقت نفسه لم يسمح لهم بأن يخرجوا عن حد السيطرة. وبعبارة أخرى فقد كان يرى أن وجود الرشيديين بهذا الوضع يمثل نقطة توازن في مواجهة السعوديين. وأفضل مثال على ذلك ما قام به الرشيديون عام ١٨٩١ عندما استولوا على كامل منطقة نجد وأخرجوا السعوديين منها. ففي هذه الأثناء لم تحرك الدولة ساكنا واكتفت بموقف المتفرج. ولكن الدولة

في المقابل سمحت للسعوديين بالإقامة في الكويت وكذلك بالحصول على معاشات من خزينة الدولة. وبعد فترة قصيرة استجمعت العائلة السعودية قواها وزحفت من جديد على نجد، فغيرت الدولة سياستها في هذه الأحداث ووقفت إلى جانب السعوديين من خلال إرسالها لعدد من العساكر إلى المنطقة. ومرة أخرى آلت الكلمة إلى عائلة آل سعود، ولم تر الحكومة مانعا من ذلك.

وفي هذه المرة تم منح قائمقامية الرياض للعائلة السعودية، كما تم الاعتراف بأمير العائلة الرشيدية قائمقاما على شمّر، وبالتالي تم إحداث التوازن بين الجانبين.

بعد الحملة التي تمت على منطقة الأحساء أولت الدولة العثمانية عناية خاصة لسيطرتها على سواحل نجد (بما في ذلك قطر)، وهذا ما تسبب في بعض الأحيان في حدوث صدامات مع إنجلترا. غير أن المناطق الداخلية، وكما تم شرح ذلك تمت المحافظة عليها من خلال توازن دقيق جدا. وبعد إعلان المشروطية الثانية كانت الأوضاع تسير على الوتيرة القديمة نفسها تقريبا. غير أنه في هذه الأثناء ظهر قائد جديد للعائلة السعودية في مواجهة الرشيديين، وهو عبد العزيز بن عبد الرحمن، وكان حكيما ويتمتع بذكاء كبير، فأصبحت دواخل نجد تابعة لحكمه. وكان عبد العزيز يعلن من حين إلى حين تبعيته للدولة العثمانية، غير أنه في الوقت نفسه كان يسعى إلى توسيع نفوذه في منطقة الأحساء أيضا، ولذلك عمل على الحصول على دعم الإنجليز. ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا لدعمه باعتبار أن هذه المناطق تابعة للدولة العثمانية وحتى تتمكن من الحفاظ على مصالحها في خليج البصرة. وعندما لم يحصل عبد العزيز على الدعم الذي كان ينتظره من الخارج راح يستغل الأوضاع الصعبة التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية. وإذا ألقينا نظرة تحليلية عميقة يتبين لنا أن النجاح الذي حققته عائلة سعود كان سببه الصعوبات التي وقعت فيها الدولة العثمانية. فقد تمكن عبد العزيز مثلا من السيطرة على منطقة الأحساء في عام ١٩١٣ إثر الحروب التي خاضتها الدولة العثمانية في

كل من طرابلس الغرب والبلقان، وبعد أن دفعت الدولة بقواتها الموجودة في تلك المنطقة إلى هذه الجبهات. ومن جانب آخر أراد الاتحاديون الذين كانوا في السلطة في تلك الفترة أن يتخلصوا من العزلة السياسية الخارجية فقاموا بعقد جملة من الاتفاقيات مع الإنجليز، في ما يتعلق بالبصرة ونواحيها، بهدف الحصول على دعمهم. وبعد فترة قصيرة من السيطرة على الأحساء، وبعد إنهاء عقد الاتفاقية مع الإنجليز تبين أنها في حاجة إلى نقاش من ناحية المحتوى. وفي هذه الاتفاقية اعتبرت مسألة احتلال عبد العزيز للأحساء ونجد مسألة داخلية، وقد اعتبرت منطقة نجد (عدا قضاء قطر) تابعة للتراب العثماني.

وقد اعتبر الباب العالي أن الوضع الجديد هو عبارة عن احتلال وأنه لابد من دفع عبد العزيز إلى القيام بخطوات ملموسة من أجل الانسحاب من المناطق التي احتلها. كما اعتبرت إدارة الاتحاديين أن القول بأن المنطقة تابعة للعثمانيين فقط على الورق لا يعني شيئا، بل ربما يكون ذلك سببا في تدخلات أجنبية. وهكذا وبعد النقاشات والمداولات تم التوصل إلى أن الحل الأمثل يتمثل في تحويل نجد إلى ولاية "ممتازة" مثل ولاية مصر، وتنصيب عبد العزيز(ابن سعود) واليا وقائدا عليها. وبالفعل تم الاتصال بابن سعود، وإقناعه بهذا الاقتراح، وتحولت متصرفية نجد إلى ولاية، ومنح منصب الولاية إلى عائلة ابن سعود بتصديق من السلطان. وكانت هذه أنسب سياسة يمكن للاتحاديين أن يطبقوها في تلك الظروف.

وبفضل هذه الإجراءات التي أقرت حاكما رسميا على هذه المنطقة، أمكن إنقاذ نجد والأحساء التابعين للتراب العثماني من وقوعهما في المصير نفسه الذي وقعت فيه طرابلس الغرب، وكذلك وضع حد للنزاعات الداخلية. بيد أن اندلاع الحرب العالمية الأولى قلب الأوضاع رأسا على عقب، وبالتالي لم تسفر هذه السياسة عن أية نتيجة من النتائج المرجوة.

المصـــادر والملاحـــق

قائمة

المصادر والمراجع

أولاً : الوثائق

أ- أرشيف رئاسة الوزراء العثماني باستانبول (BOA)

١ - الإرادات

- إرادة عسكري (١٣١٠ – ١٣٢٧)
- إرادة داخليه (İD) (١٢٥٦ – ١٣٣٢)
- إرادة خصوصي (١٣١٠ – ١٣٢٧)
- إرادة ما بين همايوني (١٣٢٨ – ١٣٣٤)
- إرادة مجلس مخصوص (İMM)
- إرادة مجلس وَالا (İMV)
- إرادة شوراى دولت (İŞD)
- إرادة دوسيه أصولى (DUİT)

٢ – تصنيف الخط الهمايوني (HH)

٣ – غرفة أوراق الباب العالي (BEO)

- ديوان همايون قلمى مقاوله (A. DVN. MKL)
- نامه ٔ همايون (A. DVN- NMH)
- صدارت مكتوبى قلمى (A. MKT.UM)
- نظارتلر گلان گيدن أوراقى (BEO)
- صدارت أوراقى (BEO, A. VRK)

٤ – أوراق نظارة الداخلية

- داخليه نظارتی – مخابرات عموميه(DH-MUİ)

- داخليه نظارتی – إداره عموميه (DH - İD)

- داخليه نظارتی – قلم مخصوص مديريتی (DH-KMS)

- داخليه نظارتی – متنوع أوراقی (DH-MTV)

- داخليه نظارتی – سياسی أوراقی (DH-SYS)

- داخليه نظارتی – شفره قلمی (DH-ŞFR)

٥ – أوراق نظارة الخارجية

- خارجيه نظارتی – حقوق مشاورلگی استشاره اوطه سی (HR- MMŞ İŞO)

- خارجيه نظارتی – مكتوبی قلمی (HR-MKT)

٦ – تصنيف جودت

- جودت داخليه

٧ – تصنيف يلديز

- يلديز أساس أوراقی (YEE)

- يلديز متنوع أوراقی (Y.MTV)

- يلديز صدارت خصوصی معروضات أوراقی (Y.A.Hus.)

- يلديز صدارت رسمي معروضات أوراقی (Y.A.Res.)

٨ – قسم الدفاتر

- عينيات دفترلری (BEO): ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥١، ٨٧١، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٧، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٤٩.

- داخليه گلان (BEO)81/3-30.

- ولايات گلان گيدن II, 264

- دفتر المهمة (MD) ١٣٣

- مجلس وكلا مضبطه لرى (MV) : ٢، ٤، ١٩، ٢٥، ٢٨، ٣١، ٤٢، ٤٥، ٤٩، ٦٣، ٧١، ٧٤، ٧٨، ٨٧، ١٠٥، ١١٥، ١٦٢، ١٦٣، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٠، ٢٣٥، ٢٣٦.

- نظامات دفترى ١٠

٩ – تصنيف علي أميري (محمود الثاني)

١٠ – معاهده نامه ومقاوله لر قسمى

ب- أرشيف الهند

India Office Library and Records
IOR (India Office Library and Records)
1/P & S/18 / B 164

ثانياً: المخطوطات

- أحمد واصف أفندى، محاسن الآثار وحقايق الأخبار (İÜTY Nr. 6013).

- محمد كامل بن نعمان (كاتب المابين الخامس)، جزيرة العرب (İÜTY Nr. 4432).

- سويلمز اوغلى شفيق كمالى، حجاز سياحتنامه سى، دار الخلافة ١٣٠٨ / ١٣١٠ (İÜTY Nr. 4199).

ثالثاً: الدوريات

أ- السالنامات:

- دولت سالنامه سى ١٢٦٦ – ١٢٩٦

- سالنامهٔ ولايت بصره ١٣٠٨ – ١٣٢٠
- سالنامهٔ ولايت بغداد ١٢٩٢ – ١٣٠٠

ب- الجرائد والمجلات:

- دوننما مجموعه سى، استانبول
- تقويم وقايع، استانبول
- تصوير أفكار، استانبول
- الزوراء، بغداد

رابعاً: الكتب والبحوث:

١ – بالعربية والعثمانية القديمة

- ابراهيم بن صالح بن عيسى، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، الرياض ١٩٦٦.
- ابراهيم رفعت، مرآت الحرمين، القاهرة ١٩٢٥.
- ابراهيم عبد العزيز عبد الغني، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩ – ١٩٤٧، الرياض ١٩٨١.
- ابراهيم عبد العزيز عبد الغني، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي، الرياض ١٩٨١.
- أحمد عاصم، عاصم تاريخي، جـ ١، جريدهٔ حوادث مطبعه سى (بدون تاريخ).
- أنيس، محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة ١٩٨٥.
- الألوسي، محمود شكري، تاريخ نجد، القاهرة ١٣٤٣.
- أيوب صبرى باشا، تاريخ وهابيان، استانبول ١٢٩٦.

- باب عالى خارجيه نظارتى، كويت مسأله سى، درسعادت ١٣٣٤.
- باب عالى خارجيه نظارتى، مصر مسأله سى، استانبول ١٣٣٤.
- باب عالى خارجيه نظارتى، نجد قطعه سى مسأله سى، درسعادت ١٣٣٤.
- البطريق، عبد الحميد، "ابراهيم باشا في بلاد العرب" ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا، القاهرة ١٩٤٧.
- جودت پاشا، تاريخ جودت، ٢ – ١١، استانبول ١٣٠٨.
- حسين حسني، نجد قطعه سنك أحوال عموميه سى، قسطنطينيه ١٣٣٧.
- الحصري، ساطع، الدولة العثمانية والبلاد العربية، بيروت ١٩٦٠.
- خزعل، حسين خلف الشيخ، تاريخ الجزيرة العربية، بيروت ١٩٦٨.
- الخطاش، فتوح وعبد العزيز محمد منصور، مصادر تاريخ قطر، الكويت ١٩٨٤ (ط. الثانية).
- دراج، أ – رجب خراز، دراسات في التاريخ المصري، القاهرة (بدون تاريخ).
- الرافعي، عبد الرحمن، عصر محمد علي، القاهرة ١٩٨٢ (ط. ٤).
- ريحاني، أمين، ملوك العرب، جـ ٢، بيروت ١٩٨٧.
- ريحاني، أمين، نجد وملحقاته، بيروت ١٩٨١.
- سعيد، أمين، تاريخ الدولة السعودية، (مجلدان)، الرياض (بدون تاريخ).
- الشناوي، عبد العزيز، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، (ثلاثة مجلدات)، القاهرة ١٩٨٣.
- الشيخ رفعت غنيمي، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القاهرة ١٩٨٦.

- شيخ محسن فاني (حسين كاظم قدري)، ١٠ تموز انقلابى ونتائجى، استانبول ١٣٣٦.
- عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار، جـ ٤، القاهرة، (بدون تاريخ).
- عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القاهرة ١٩٨٦ (ط. ٤).
- عثيمين، عبد الله الصالح، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرياض ١٩٨٦.
- عثيمين، عبد الله الصالح، نشأة إمارة آل رشيد، الرياض ١٩٩١ (ط. ٢).
- علي حيدر مدحت، مدحت پاشا، حيات سياسيه سى، خدماتى، منفى حياتى، استانبول ١٣٢٥.
- على رضا سيفى، جزيرة العرب وتاريخ سياسئ آخرينه عايد بر قاچ سوز (دوننما مجموعه سى، حزيران ١٣٢٦، نمرو ٤).
- فردريك سى باي، تاريخ شرق الأردن وقبائلها، ترجمة بهاء الدين طوفان، عمان (بدون تاريخ).
- قاسم، جمال زكريا، الخليج العربي دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ – ١٩١٤، القاهرة ١٩٦٦.
- كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، جـ ١٠، الشام ١٩٦١.
- الكواكبي، عبد الرحمن، أم القرى، القاهرة ١٩٣١ (ط. الثانية).
- لطفى، تاريخ لطفى، جـ ٨، درسعادت ١٣٢٨.
- المؤتمر العربي الأول، القاهرة ١٩١٣.
- المختار، صلاح الدين، تاريخ المملكة العربية السعودية، لبنان (بدون تاريخ).
- المنصور، عبد العزيز محمد، التطور السياسي لقطر في فترة ما بين ١٨٦٨ – ١٩١٦، الكويت ١٩٨٠ (ط. ٢).

- نوار، عبد العزيز سليمان، تاريخ العرب الحديث، العراق، القاهرة ١٩٧٦.

- نوار، عبد العزيز سليمان، داود باشا والي بغداد، القاهرة ١٩٦٧.

٢ – مصادر باللغات الإفرنجية

ABİR, Mordechai, "The 'Arab Rebellion' of Amir Ghalib of Mecca (1788-1813)", *MES*, May 1971, Vol.7. Nu. 2.

ABİR,"The Consolidation of the Ruling Class and the New Elites in Saudi Arabia", *MES*, April 1987, Vol. 23, Nu. 2.

AHMAD, Feroz, *ittihatçılıktan Kemalizme*, istanbul 1986 (2. Baskı).

AKARLI, D. Engin, "Abdülhamid's Policy in The Arab Provinces", *Türk Arap ilişkileri: Geçmişte, Bugün ve Gelecekte I.Uluslararası Konferansı Bildirileri* (18-22 Haziran 1979) (Neşreden: Hacettepe Üniversitesi Türkîye ve Orta Doğu Araştırma Enstitüsü, Ankara Tarihsiz.

AKÇURA, Yusuf, *Osmanlı Devleti'nin Dağılma Devri, (XVIII. ve XIX. asırlarda)*, Ankara 1988 (3. Baskı).

AKGÜN, Seçil, *Halifeliğin Kaldırılması ve Laiklik*, Ankara Tarihsiz.

AKŞIN, Sina, "Siyasal Tarih (1789-1908)", *Türkîye Tarihi-Osmanlı Devleti (1600 - 1908)*, istanbul 1993.

AL RASHEED, Madawi, Durable and Non Durable Dynasties: The Rashidis and Sa'udis in Central Arabia", *British Journal of Middle Eastern Studies*, 1992/2, Vol. 19.

ALTUNDAĞ, Şinasi, *Kavalalı Mehmet Ali Paşa isyanı Mısır Meselesi 1831-1841*, Ankara 1988 (2.Baskı).

Ahmed Muhtar Paşa, *Takvimü's-Sinîn* (Yayınlayanlar: Yücel Dağlı-Hamit Pehlivanlı), Ankara 1993.

AYNÎ, Mehmed Ali, *Milliyetçilik*, istanbul 1943.

BARBIR, Karl K., "The Ottomans and The Müslim Pilgrimace: 1517-1800", *Türk Arap ilişkileri: Geçmişte, Bugün ve Gelecekte I. Uluslararası Konferansı Bildirileri* (18-22 Haziran 1979) (Neşreden: Hacettepe Üniversitesi *Türkîye* ve Orta Doğu Araştırma Enstitüsü, Ankara, Tarihsiz.

BAYUR, Yusuf Hikmet, *Türk inkılâp Tarihi*, I-III, Ankara 1983 (2. Baskı).

BERKES, Niyazi, *Türkiye'de Çağdaşlaşma*, istanbul 1973.

BERTRAM, Thomas, *Arab Rule Under the Albo Said Dynasty*, London 1938.

BIRKEN, Andreas, *Die Provinzen des Osmanischen Reiches*, Wiesbaden 1976.

BOSTAN, İdris, "The 1893 Uprising in Qatar and Sheikh Âl Sânîs Letter to Abdülhamid II", *STAR* 1987/2.

BURCKHARDT, John Lewis, *Travel in Arabia*, London 1968 (3. edition).

BUSCH, Briton Cooper, *Britain, India and the Arabs, 1914-1921*, London 1971.

BUZPINAR, Ş. Tufan , "Abdülhamid II and Sayyid Fadl Pasha of Hadramawt, An Arab Dignitary's Ambitions (1876-1900) *Osmanlı Araştırmaları*, istanbul 1993/ XIII.

COHEN, Stuart A., *British Policy in Mesopotamia 1903-1904*, London 1976.

COMMINS, David Dean, *Osmanlı Suriyesinde Islahat Hareketleri* (Tercüme: Selahadin Ayaz), istanbul 1993.

COON, Carleton S., - WATT, W. Montgomery, "Badw" *EI* (2nd Edition).

DARKOT, Besim, "Ahsa", *İA*, 1/225.

DICKSON, H.R.P. *The Arab of the Desert*, 1949.

OUGHTY, Charles M., *Travels in Arabia Deserta* II, New York 1978.

ECER, Ahmet Vehbi, *Üç Tebliğ*, Kayseri 1985.

—, *Osmanlı Tarihinde Vehhabî Hareketi*, Basılmamış Doktora Tezi, Ankara ilahiyat Fakültesi 1976.

FAYDA, Mustafa, "Bedevî", *TDVİA*, II/3.

FIĞLALI, E. Ruhı, *Çağımızda itikâdî islâm Mezhepleri*, istanbul 1980.

FREETH, Zahra -WINSTONE, Victor, *Explorers of Arabia*, London 1978.

GENELKURMAY ATAŞE BAŞKANLIĞI, *1911-1912 Osmanlı italyan Harbi ve Kolağası Mustafa Kemal*, Ankara 1985.

—, *1798-1802 Osmanlı Fransız Harbi (Napolyun'un Mısır Seferı)*, Ankara 1987.

GOACH and TEMPERLEY, *British Documents on the Origins of the War*, V, London 1927.

GOLDBERG, Jacob, "The 1913 Saudi Occupation of Hasa Reconsidered" *MES*, January 1982,Vol 18, Nü 1.

GÖYÜNÇ, Nejat, "Ottoman Central Administration and Arab Provinces (1870 - 1910)", *STAR*, 1986 (Ayrı Basım).

—,"Max Freiherr Von Oppenheim ve Eserlerinde II. Abdülhamid Devrine Ait Bilgiler", *Sultan İkinci Abdülhamid ve Devri Semineri, (27-29 Mayıs 1992) Bildiriler*, istanbul 1994.

GÜLSOY, Ufuk, *Hicaz Demiryolu*, istanbul 1994.

HADDAD, Mahmoud, "The Rise of Arab Nationalism Reconsidered", *IJMES* 26/2, 1994.

HAIM, Sylvia G., *Arab Nationalism: An Anthology*, London 1976.

HALAÇOĞLU, Yusuf, "Basra", *TDVİA*, V/112.

—, "Midhat Paşa'nın Necid ve Havalisi ile İlgili Bir Kaç Layihası" *İstanbul Üniversitesi Tarih Enstitüsü Dergısi*, Ekim 1972/3.

HAZEN, Charles Dovvner, *Modern European History*, London Tarihsiz (4 .edition).

HITTI, Philip K., *Siyasal ve Kültürel İslâm Tarihi* (Tercüme: Salih Tuğ), istanbul 1980.

HOLDEN, D- JOHNS, R. *The House of Saud*, London 1981.

HOLT, P.M. *Egypt and the Fertile Crescent 1516-1922*, London 1980 (3.edition).

HOURANI, Albert, A *History of the Arab Peoples*, London 1991.

—, Arabic *Thought in the Liberal Age 1798- 1939, Landon* 1970.

HUREWITZ, J.C. *Diplomacy in the Near East and Middle East* I, USA 1958.

HÜLAGÜ, Metın, *Pan-İslamist Faaliyetler*, istanbul 1994.

İHSANOĞLU, Ekmeleddin - ABU'L-İZZ, M. Safıyuddun (Editörler) *İki Tarafın Görüş Açılarından Arap-Türk Münasebetleri*, istanbul 1993.

İNALCIK, Halil, "Recession of the Ottoman Empire and the Rise of the Saudi State", *STAR* 1988 /3.

İNAYET, Hamid, *Arap Siyâsî Düşüncesinin Seyri*, (Tercüme: Hicabi Kırlangıç) İstanbul 1991.

KARACA, Ali, *Anadolu İslahatı ve Ahmet Şakir Paşa,* İstanbul 1993.

KARAL, Enver Ziya, *Osmanlı Tarihi* V, Ankara 1970.

KAYALI, Hasan, *Arabs and the Young Turks: Turkish-Arab Relations in the Second Constitutional Period of the Ottoman Empire (1908-1918)* , Harvard Üniversitesi Basılmamış Doktora tezi, 1988.

KELLY, J.B., *Britain and the Persian Gulf,* London 1968 *(Britanya ve'l-Halîc 1795-1870* I), Umman Tarihsiz, (Arapça'ya Çeviren: Muhammed Emin Abdullah).

KHALIDI, Rashid "Arab Nationalism in Syria: The Formative Years, 1908-1914", *Nationalism in Non-National State, The Dissolution of the Ottoman Empire,* William Haddad- W. Ochsenwald, Columbus 1977.

KICIMAN, Naci Kaşif, *Medine Müdafası Hicaz Bızden Nasıl Ayrıldı,* İstanbul Tarihsız.

KOLOĞLU, Orhan, "Turkish-Arabic Relations as Reflected in The Arabic Press During The Period When the Ottoman Empire Was Disintegrating (1908-1918) And Its Impact on the Present Day", *Türk Arap ilişkilerı: Geçmişte, Bugün ve Gelecekte I Uluslararası Konferansı Bildirileri* (18-22 Haziran 1979) (Neşreden: Hacettepe Üniversitesi *Türkiye* ve Orta Doğu Araştırma Enstıtüsü, Ankara Tarihsiz.

KOSTINER, Joseph "On Instruments and Their Designers: The Ikhwan of Najd and the Emergence of Saudi State" *MES,* July 1985, Vol. 21, Nu 3.

KUMAR, Ravinder, "Anglo-Turkısh Antagonism in the Persian Gulf", *Islamic Culture,* 1963/37.

KUNERALP, Sinan, "Military Operatıons during the 1904-5 Uprising in the Yemen", *STAR,* 1987/2.

KURŞUN, Zekeriya, "Davud Paşa", *TDVİA.*

——, *Yol Ayrımında Türk-Arap İlişkileri,* İstanbul 1992.

KUTLUOĞLU, M.Hanefı , *Rıse and Expansion of the First Wahhabi State and Reaction of the Ottoman Empire,* Depertment of Middle Eastern Studies Universıtiy of Manchester 1988 (رسالة ماجستير لم تطبع).

KÜÇÜK, Cevdet, *Kuveyt Üzerinde Osmanlı - İngiliz Nüfuz Mücadelesi,* Basılmamış Profesörlük Takdim Tezi, istanbul 1989.

KÜRKÇÜOĞLU, Ömer, *Osmanlı Devleti'ne Karşı Arap Bağımsızlık Hareketi* (1908-1918) Ankara 1982.

KÜTÜKÖĞLU, Mübahat S., *Tarih Araştırmalarında Usûl,* istanbul 1990.

LACEY, Robert, *The Kıngdom,* London 1981.

LARCHER, M., *Büyük Harpte Türk Harbi* III, (Çevıren M. Nihad) istanbul 1928.

LENCZOWSKI, George, *The Middle East in WorldAffairs,* New York 1952.

LEWIS, Bernard, *The Arabs in History,* U.S.A. 1960.

LODGE, Richard, *A History of Modern Europe From the Capture of Constantinople,1453, to the Treaty of Berlin, 1878,* London 1909.

LONGRINGG, S.H., *Four Centuries of Modern Iraq,* Oxford 1925.

LORIMER, J.G., *Delilu'l-Halîc (Gazzeter of the Perisian Gulf),* Katar.

M. Futeyh, *ihvan Fırkası,* istanbul 1340.

Memorial of the Government of Saudi Arabia I, 1955.

MERT, Özcan, "Ayan" *TDVİA* IV.

MONROE, Elizabet, *Britain's Movement in The Middle East,* London 1963.

MONTAGNE, Robert, *Çöl Medeniyeti* (Çev. Avni Yakalıoğlu), istanbul 1950.

NIEUWENHUIS, Tom , *Politics and Society in Early Modern Iraq (Mamluk Pashas. Tribal Shayks and Local Rule between 1802 and 1831)*, London 1982.

OKDAY, Tevfik, İ.H., *Basra Körfezi Meselesi*, Ankara 1931.

OPPENHEIM, Max Freiherr von, *Die Beduinen* I, 1983 (2 nd edition)

ORHONLU, Cengiz, *Osmanlı imparatorluğunun Güney Siyaseti Habeş Eyâleti*, İstanbul 1974.

ORTAYLI, İlber, "The Port Cities in The Arab Countries",*Türk Arap ilişkileri: Geçmişte, Bugün ve Gelecekte I. Uluslararası Konferansı Bildirileri* (18-22 Haziran 1979) (Neşreden: Hacettepe Üniversitesi Türkiye ve Orta Doğu Araştırma Enstıtüsü, Ankara Tarihsiz.

ÖKE, Mim Kemal, *Hilafet Hareketleri*, Ankara 1991.

ÖNSOY, Rifat, *Türk-Alman iktisadî Münasebetleri (1871-1914)*, istanbul 1982.

ÖZBARAN, Salih, "XVI. Yüzyılda Basra Körfezi Sahillerinde Osmanlılar-Basra Beylerbeyliği'nin Kuruluşu" *İstanbul Üniversitesi Edebiyat Fakültesi Tarih Dergisi*, İstanbul 1971/25.

—, "XVI. Yüzyılda Arabistanda Osmanlı Yönetiminin Kaynaklan", *Türk Arap ilişkıleri: Geçmişte, Bugün ve Gelecekte L Uluslararası Konferansı Bildirileri* (18-22 Haziran 1979) (Neşreden: Hacettepe Üniversitesi Türkiye ve Orta Doğu Araştırma Enstitüsü, Ankara Tarihsiz.

ÖZCAN, Azmi, *Pan-İslamizm Osmanlı Devleti, Hindistan Müslümanları ve İngiltere 1877-1914*, istanbul 1992.

ÖZTUNA, Yılmaz, *Devletler ve Hanedanlar* II, Ankara 1989.

PAKALIN, Mehmet Zeki, *Osmanlı Tarih Deyimleri ve Terimleri Sözlüğü I-III*, İstanbul 1946.

PALGRAVE, *Through Central and Eastern Arabia*, London 1865.

PHILBY, J. B. *Arabia*, London 1930.

RAYNER, Robert M. *European History 1648-1789*, London 1956 (5 .edition).

RUSSOAU, J. B., *Voyage de Bağdat â Alep*, Paris 1808 *(Bağdat'tan Haleb'e Arabistan Seyahati*, Türk Matbaası 1321, Fransizcadan Tercüme Eden: Mehmed Suad).

SAAB, Hassan, *The Arab Federalists of the Ottoman Empire*, Amsterdam 1958.

SALİBİ, Kemal S. "Middle Eastern Parallels: Syria-Iraq-Arabia in Ottoman Times", *MES*, January 1979, Vol. 15, Nu: 1.

SARIYILDIZ, Gülden, *Hicaz Karantina Teşkilatı (1865-1914)*, Ankara 1996.

SILVERFARB, Daniel, "The Anglo-Najd Treaty of December 1915" *MES*, October 1980 Vol. 16 Nu: 3.

STRIPLING, George William Frederick *The Ottoman Turks and The Arabs 1511-1517*, Urbana 1942.

TABAKOĞLU, Ahmet "The Economic Importance of the Gulf in the Ottoman Era" *STAR* 1983/3.

UÇAROL, Rifat, *Bir Osmanlı Paşası ve Dönemi Gazi Ahmed Muhtar Paşa*, İstanbul 1978.

—, *Siyasî Tarih*, istanbul 1985.

UZUNÇARŞILI, İ. Hakkı, *Mekke-i Mükerreme Emirleri*, Ankara 1984 (2.Baskı).

—, *Osmanlı Tarihi* İV/ II, Ankara 1983.

WILLIAMS, James A., *A Short History of British Expansion*, London 1953.

YATAK (BEYOĞLU), Süleyman "Osmanlı Devleti ve Mekke Emiri Şerif Hüseyin", *ilim ve Sanat*, Ekim 1991, Nr: 30.

YERASIMOS, Stefanos, *Milliyetler ve Sınırlar Balkanlar, Kafkasya, Orta-Doğu*, İstanbul 1994.

YÜCEL, Yaşar , "Midhat Paşa'nın Bağdat Vilâyetindeki Alt Yapı Yatırımları", *Uluslararası Midhat Paşa Semineri Bildiriler ve Tartışmalar*, Ankara 1986, s.175-183.

ZEINE, Z. Zeine, *Arab-Turkish Relations and the Emergence of Arab Nationalism*, Beyrut 1958.



كشـــــاف

أسماء الأشخاص والأماكن والأمم



كشاف

أسماء الأشخاص والأماكن والأمم

ب

ت

خ

د

ش

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

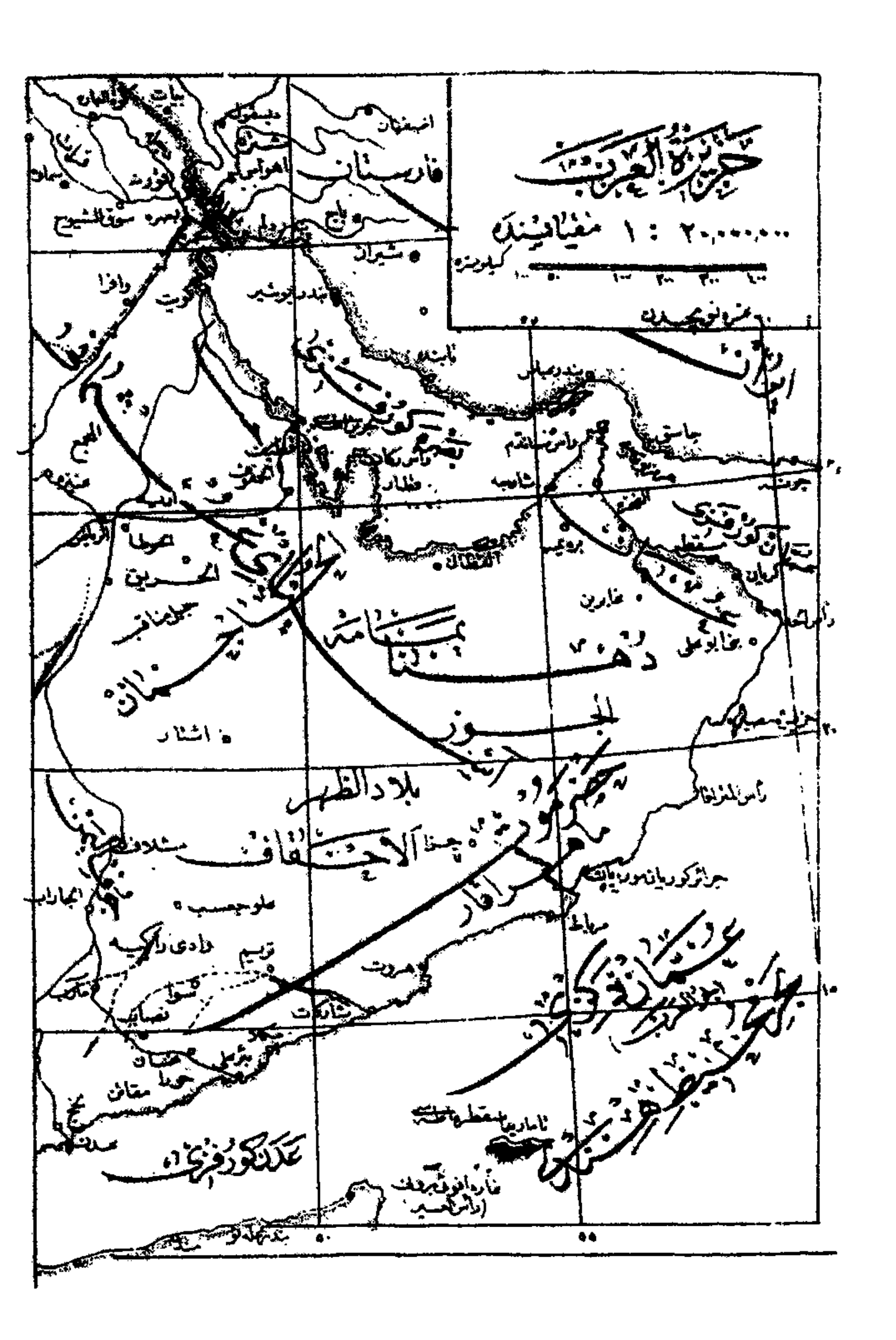
و



ملاحــــق

بعض وثائق الكتاب

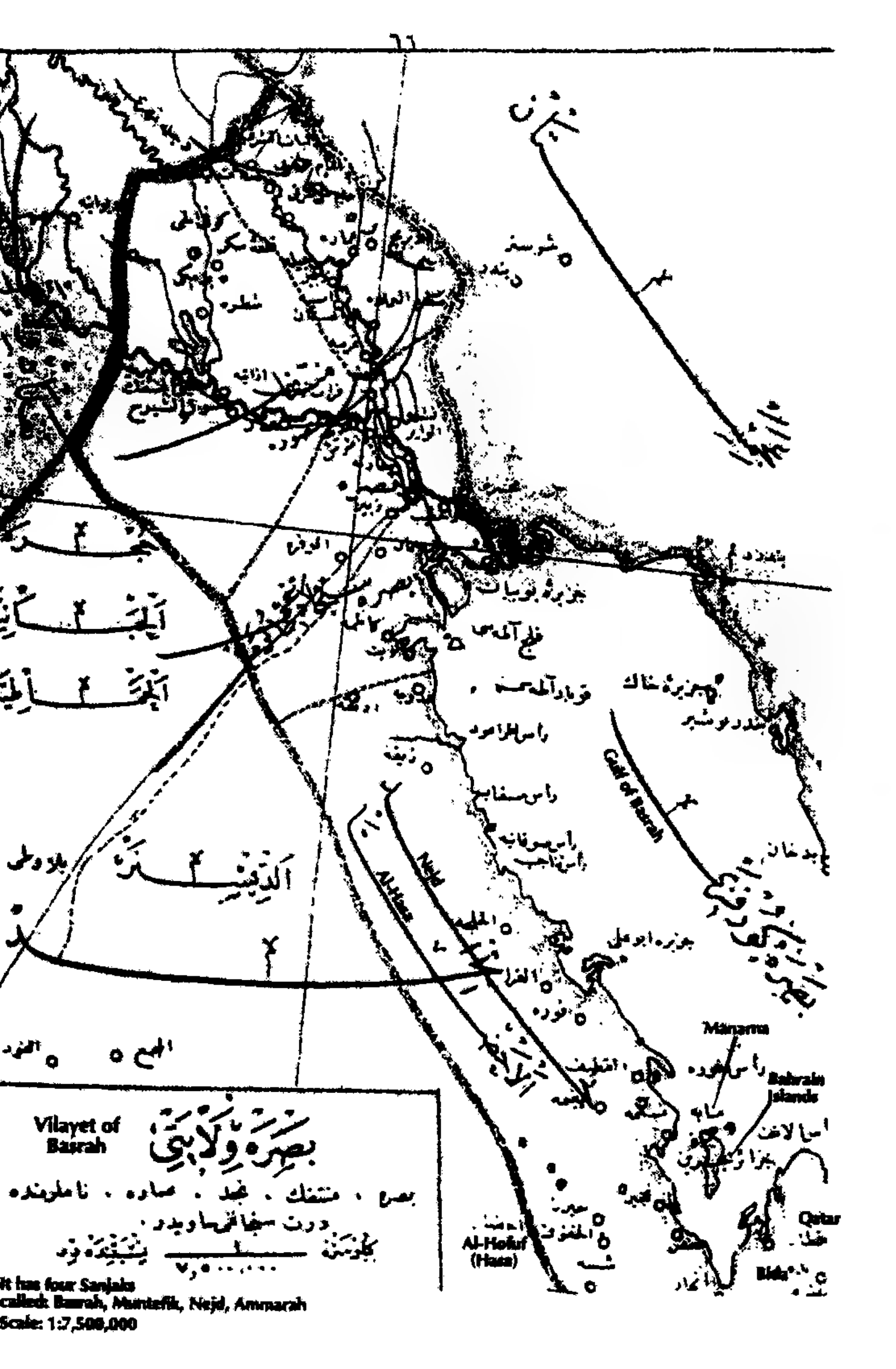




جزیرة العرب
۱ : ۲۰،۰۰۰،۰۰۰ مقیاسنده
فارستان
اصفهان
شیراز
بلاد الظهر
عدن کورفزی



حضرموت



Gulf of Basrah
Nejd
Al-Hasa
Manama
Bahrain Islands
Qatar
Al-Hofuf (Hasa)
Bida
Vilayet of Basrah
بصره ولايتى
It has four Sanjaks
called: Basrah, Muntefik, Nejd, Ammarah
Scale: 1:7,500,000

خريطۀ ولايت
بصره

بصره كورفزى



بادية الشام

بغداد

الجوف

بصره

نجد

١ نسبتنده در
٨٠٠٠٠٠٠

واحدة من أقدم الوثائق العثمانية التي تحدثت عن الحركة الوهابية (١١٧٨هـ). (في الوسط)



دفتر حسابات مرسل من ولاية جدة إلى استانبول وفيه العطايا التي أحسن بها على كتخدا محمد بن سعود [أي وكيله] (الأرشيف العثماني، جودت داخليه، ١٢٨٥).



خط همايوني من السلطان بمنح عطية لعمال البريد الذين حملوا البشارة بخبر فتح الدرعية على يدي ابراهيم باشا (الأرشيف العثماني، جودت داخليه، ٣١١٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن سعود الى المحترمين [illegible] هاني وسيف
بن هضبان وسعيد وخلف سلمهم الله [illegible] سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعـد وصل الخط وصلكم [illegible] وسر الخاطر منا
ذكرتوا من [illegible] الله [illegible] وتشتيت [illegible] فارجي الى الله
ما يحب لهم [illegible] وما ذكرتوا من [illegible] ناس
منهم [illegible] اسباب [illegible] فارجي انهم [illegible]
السيف وما ذكرتوا من [illegible] ابن [illegible] وبعد [illegible]
انتم [illegible] ستة صاع [illegible] وثلاثين صاع
[illegible] عشرة اصواع [illegible] اسراف
[illegible] فانتم [illegible] صاع [illegible]
ولا هو نصف [illegible] العارض وسبعة اصواع
العارض [illegible] عشر صاع [illegible] العارض [illegible]
[illegible] العارض [illegible]
[illegible] وما ذكرتوا من القواعد
عليه [illegible]
[illegible]
ما هو [illegible] وما [illegible] فالحكي من
[illegible] وما ذكرتوا من [illegible] مبارك وما
الراس ان شا الله وما ذكرتوا من [illegible]
[illegible] من بيت المال [illegible] ولا [illegible]
[illegible] هذا وامرنا ابن
[illegible] وما ذكرتوا من [illegible]
[illegible] ولا لابن [illegible] وما
[illegible] منكم [illegible]
[illegible] فيها هو المعروف [illegible]
[illegible] ان شا الله فانتم [illegible]
[illegible]
[illegible] منهم [illegible]
[illegible] يزاد [illegible]
[illegible] ما ذكرنا لكم [illegible] السلام
[illegible] وما ذكرتوا من [illegible]
[illegible] ان شا الله [illegible] من الراس
[illegible]
ان شا الله [illegible] والسلام

خطاب أرسله عبد الله بن سعود إلى شيوخ إحدى قبائل المنطقة لنشر الدعوة الوهابية
(الأرشيف العثماني، HH 36070 E)



[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الأمر [illegible]
[illegible] المدهشة [illegible]
[illegible] العدد [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

تلغراف نامه

نمره ١

مخابرات تلغرافيه ... دولت ... تركيبه ...

وصول نومروسی			
امضالر			
مأمور مخصوص مكاتب سنه ١٣			
واسطه سیله		متوسط مركز ارسال	
مأمور نوبت		بلا مخابره	
كشیده ایدن مأمور		ختام مخابره	
ابتدا ایدن مأمور		ساعت ...	

بمناسبة الفاخر المسعود ولا يشتبهنا اجتمعها الماسونيه المزروعه في قطر
مصطفى باشا الى نظر الاولية والشفقة والمرحمة وعفوه دماء العرق من المسلمين
الطالعة الداعية بدوام عرش جلالت وعلى كل حال فليس لي ان احمد الله قول
فضل مخالف الرضاء العالي تظاهر الحقيقة بالاضطرابات كما اذا استرحم من حكومت
جلالت مولانا ومتبوعنا الاعظم وخليفة الاسلام ابد الله بوجود مقاصد ارباب الفساد
اعداء الملة والدولة العثمانية بزيد وعده اشغل دولتنا العلية وتشتت عساكرها الظفرة
يمناً وشمالاً وضاعف ما السنين فان لهم بذلك مقاصد لا تخفى على سمو
حكومت جلالت مولانا امير المؤمنين وانا عبد صادق وعبد خادم مطيع ملتجا الى المرحمة
وشفقة جلالتكم ١٦ رمضان ٢٤

عبدكم العثماني عبد الرحمن الفيصل
الفيصل السعود

	نموذج ١	
سنه ل Le ______ 19__	TÉLÉGRAMME	ل Le ______ 19__
وصول نومروسى N° d'arrivé ______		واسطه سيله Transmis par ______
دقيقه ساعت h. m. du		دقيقه ساعت h. m. du
اوسال Réexpédié ______ à ______		بدأ قاره Commencé à ٩ ______ ختام قاره Fini à ______
مأمورك امضاسى Signature de l'employé	L'État n'accepte aucune responsabilité à raison du service de la télégraphie.	مأمورك امضاسى Signature de l'employé

De ______ Pour ______ الى ______ من

اشارات مخصوصه Indications non taxées	طريق Voie	روز و شب Matin ou soir	دقيقه Minutes	ساعت Heures	محل تاريخى Date de dépôt	غروب Gross	عدد كلمات Nombre de mots	محل نومروسى N° de dépôt
[illegible]	[illegible]	[illegible]		٩	٢٢ [illegible]		١٤٤	٦٤٤٨

رئيس [illegible]

خادمكم ناصر وصل بالبشارة والانعامات من مقامكم فضل امير المؤمنين ايده

بالنصر العزيز سابقاً اوضحت لكم احوال الاحسا وما حصل فيها من التشويشات

التي بلغكم اصلاحها وانه من مبادي الصلاح ومن ما يليه من حصول المقاصد

النسبة فلما وصل طالب باشا بلد الاحسا بدا به في محوهم امتثم به

السبل ويرتع اهل الفساد وكانه لو انجد في المحساله بعد

الشقي والجور فيكونه معلوم سعادتكم مادام الموصى اليه في هذا

المحل بمساعدة من الدولة بما لزم يحصل به احست ومع

TÉLÉGRAMME

Le .... 19..	N° d'arrivée	h. m. du
Réexpédié à	Signature de l'employé	

Le .... 19..	Transmis par	h. m. du
Commencé à	Fini à	Signature de l'employé

L'Etat n'assume aucune responsabilité à raison du service de la télégraphie.

De .... Pour ....

N° du dépôt	Nombre de mots	Group	Date du dépôt	Heures	Minutes	Matin ou soir	Voie	Indications de service
								ح

عليكم تحتي النفط ذلك انه ولاشك للاعدا وقمع للاحسا

الاغراضه اهل لاقوال وتصغو به فلاتسمعو السياسيين

وانا لم اطلب الا ما فيه صلاح الدولت العليه وانشا ع

المصلحت العموميه والامر لهم الامر ٢٢ ربيع ما لحي ٣٢٨

المخلص محبكم امير

نجد عبد العزيز

فرضه على اهالي مكه

ان ابن رشيد في شهر ذي الحجة عام ١٢١٠ اغار على عتيبة برقاويه وروقه في الطرف العصيم
واخذ عليهم اخاية عديدة واكالو على عطر واخذ سلطين منهم واقام الى غاية عمر من خلاله ورجع
الى ديرته

اما ابن سعود   فمبايعته بعبد الرحمن قبل ديرته وافخر ما كم قفا   وبايعه اهل الوادي والدواسر
واهل القاطر واهل الحريك وكانوا قرايا الطريق الذي كانت تحت يده واول ربيع الجيم
فاتحة الاهيطاوي جرى منه على قحطان وخلافهم في الوادي واخذ اخاية عديده وقتل عائد
بن صباح ابايعه مدافع وستماية ذلول وستماية مرتين وفي شهر الحج دفع ابن صباح على ابن سعود
خمسماية مطية زاد وثمانماية ذلول عليها [illegible] جابر العزيزي   ويذكرون ان سعود اوعد
حيا الحسن بن بهاسا صاحب بريده وقصده يتزلهم ديرتهم والذي يظهر لنا انه جا سعود
في بيان سعود

وحوارث بلدنا لا نستطيع عدها وهي لا تحصر   نظرتي كرا والعامه والشاميه
القتل والاخذ لا ينقطع   وانا شرحكم خلافها   مسلبا لو مان منهم
والواحد والصادق مكر ما كرتي لغاشش والطريق جدا ادهى وامر

١ تكون متصرفية نجد الى الولاية وتترجح بعهدة الامير عبد العزيز باشا السعود مع قيادتها العسكرية وهذه الولاية تنتقل ارثاً الى اولاده واحفاده ويصدر بذلك فرمان شاهاني.

٢ فيلزم ان يضع في المواقع البحرية كالقطيف والعقير وما يماثلها مقدار عسكر وذخيره على رأيه وتنسيب حضرة الباشا المشار اليه

٣ تجبى بمعرفة الكمرك الرسومات والقضبات والبيانات تكون تابعة الى حقوق الدولة وتجري على اصول الدولة العلية العثمانية تحت ادارة والي الولاية نجد

٤ فيلزم ان يوضع البيرق العثماني على جميع المباني الرسمية والمواقع اللازمة ويخصص برية الساحلية ويتموج على السفن البحرية العائدة لولاية نجد

٥ تبديل ضباط العسكرية الموجود في السواحل يجري بمجرد انهاء حضرة الوالي والقائد المشار اليه

٦ ينتخب قاضي قضاة الشرع في انتخاب الباشا المشار اليه وينهي بذلك الى نظارة الداخلية وعلى حسب العادة تصدق تعيينه من باب المشيخة الجليلة

٧ اذا اقتضى تشكيل قوة عسكرية محلية في تشكيلات مخصوصة ومؤسسات فيه حربية يجلب لها ضباط ومعلمين من حكومة المركزية وان تجري المخابرة مع نظارة الحربية ويؤمن لذلك اسلحة ومهمات

٨ لا يسوغ للوالي المشار اليه ان يتداخل او يتخابر في امور خارجية والمعاهدات الدولية واعطاء امتيازات للاجانب

٩ يلزم ان يدفع الوالي المشار اليه في كل سنة عشرة (في المائة) من صافي فضلة واردات ولاية نجد الى مركز الحكومة السنية لاجل مصارف مدافعة الوطن العمومية

١٠ جميع مخابرة حضرة الوالي المشار اليه تكون رأساً مع نظارة الداخلية ونظارة الحربية بدون توسط

١١ يقتضي تشكيل مراكز للبوسطة في شعبات ولاية نجد تسهيلاً للمخابرة وتأمين ايصالها للجهات اللازمة بصورة مناسبة ويضع على المكاتيب والرسائل البول العثماني

١٢ اذا لا سمح الله وقع بين الدولة العلية حرباً مع دول اجنبية او حصل اختلال داخلي في اي ولاية حكومات وطلبت الحكومة من الوالي المشار اليه قوه ليلتحق في قوتها فعلى الوالي ان يجهز قوة كافية مع لوازمها ومهماتها ويجيب الدعوة حالاً على حد الامكان

هذه المواد الاثني عشر المذكوره في صفحة هذه الورقه هي نتيجة المذاكره التي جرت بيننا وبين الهيئه
المتكونه والتي تحت رياسة صاحب المعطوفه السيد طالب بك النقيب وحضرة رئيس اركان
فرقة عساكر الشاهانه في بغداد بهاء الدين بك وحضرة فوزي بك رئيس اركان فرقة البصره
وحضرة متصرف فيزان سابق سامي بك وان تقترن في اراده سنيه وفرمان شاهاني ليكون
على الاستناد حرر في ٧ جماد اخر ١٣٣٢

عبد العزيز السعود

نسخة من الاتفاق المعقود مع ابن سعود في سنة ١٩١٤م ومختوم بخاتمة



المؤلف في سطور

- من مواليد طرابزون عام ١٩٥٩ م
- حصل على درجة البكالوريوس في التاريخ من جامعة مرمرة باستانبول
- تعلم اللغة الانكليزية في جامعة البوسفور
- تعلم اللغة العربية في جامعة القاهرة
- حصل على درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث السياسي من جامعة مرمرة ١٩٩١م
- حصل على درجة الأستاذية في التاريخ عام ١٩٩٥ م
- نشر عدة بحوث أكاديمية عن العلاقات التركية العربية
- نشر عدة بحوث أكاديمية عن تاريخ منطقة الخليج العربي
- له عدة مقالات عن المنطقة العربية في موسوعة وقف الديانة الإسلامية التركية
- له عدة مؤلفات عن المنطقة العربية منها:

١- العلاقات العربية التركية في مفترق الطرق باللغة التركية

٢- الحكم العثماني في نجد والأحساء خلال القرن التاسع عشر (باللغة التركية)

٣- الوجود العثماني في قطر (باللغة الانكليزية)

٤- تاريخ قبيلة العجمان، بالاشتراك مع د. سلطان العجمي

٥- سواحل نجد «لحسا» في الوثائق العثمانية، بالاشتراك مع د: محمد موسى القريني

- أشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه عن تاريخ البلاد العربية.
- يعمل حالياً أستاذاً في التاريخ الحديث السياسي بجامعتي مرمرة ويدي تبه باستانبول

عنوانه الالكتروني: E-mail: zkursun@marmara.edu.tr